

بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف

الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي

الشهير بالجمل

المتوفى ١٢٠٤ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

إبراهيم شمس الدين

الجزء السابع

المحتوى

من أول سورة فصلت - إلى آخر سورة الصف



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة

Title : AL-FUTŪḤĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWḌĪḤ TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ AL-ḪAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALALAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف : تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف الإمام سليمان بن عمر العجيلي "الجمل" (ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli "Al-Jamal" (D 1204 H.)

المحقق إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (8Vols/8Parts) 3983 عدد الصفحات (٨أجزاء/٨مجلدات)

Size 17×24 cm قياس الصفحات

Year 2018 A.D - 1439 H. سنة الطباعة

Printed in Lebanon بلد الطباعة لبنان

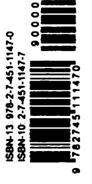
Edition 5th الطبعة الخامسة

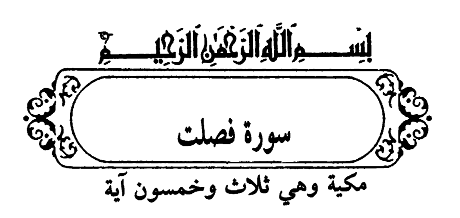
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ /١١/١٢
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN-13 978-2-7451-1147-0
ISBN-10 2-7451-1147-7



سورة فصلت

مكية وهي ثلاث وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ مبتدأ ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتۡ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة حم السجدة، وتسمى سورة المصابيح اهـ خازن.

وتسمى سورة السجدة اهـ اتقان.

قوله: (مكية) أي: في قول الجميع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ إنما خص هذان الوصفان بالذكر لأن الخلق في هذا العلم كالمرضى المحتاجين، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، وعلى ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية؛ فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم إنزال القرآن الناشيء عن رحمته ولطفه بخلقه اهـ خطيب.

قوله: (مبتدأ) أي: وسوغ الابتداء به وهو نكرة وصفه بقوله: من الرحمن الرحيم وهو مصدر بمعنى المفعول، فكأنه قيل: المنزل من الرحمن الرحيم كتاب، وقوله: فصلت آياته نعت للخبر كما أشار إليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فصلت آياته﴾ أي: ميزت باعتبار اللفظ والمعنى اهـ بيضاوي.

وقوله: باعتبار اللفظ أي: بفواصل الآيات ومقاطعها ومبادىء السور، وقوله: والمعنى أي بكونها وعداً ووعيداً وقصصاً وأحكاماً وخبرا وانشاء اهـ شهاب.

وفي الخطيب: فصلت آياته أي ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة، فبعضها وصف ذات الله تعالى وصفت التنزيه والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وعجائب أحوال خلقه من السموات والكواكب، وتعاقب الليل والنهار، وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان، وبعضها في المواعظ والنصائح، وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس، وبعضها في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتواريخ الماضين. وبالجملة، فمن أنصف علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن اهـ.

ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من كتاب بصفته ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بفصلت ﴿يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ يفهمون ذلك وهم العرب ﴿بَشِيرًا﴾ صفة قرآناً ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ سماع قبول ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا

قوله: (حال من كتاب) أي: أن قرآنا حال إما مقصودة وعربياً صفة لها، أو حال منها أو حال أخرى من كتاب، أو هو حال موطئة، وعربياً هي الحال المقصودة، ويشير لهذا تأخير قوله حال عن قوله عربياً وقوله: بصفته أي: بسبب صفته أي الكتاب أي المسوغ لمجيء الحال منه وهو نكرة وصفه بما بعده اهـ بعده اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بفصلت) أي: فصلت لهؤلاء وبينت لهم لأنهم المنتفعون بها وإن كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس اهـ سمين.

قوله: (يفهمون ذلك) أي: تفاصيل آياته المفهومة من فصلت أي يعلمون التغاير والتمايز بينها بكون بعضها أحكاماً وبعضها قصصاً وبعضها مواعظ وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: (وهم العرب) وإنما خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها إلا بواسطتهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿بشيراً ونذيراً﴾ يجوز أن يكونا نعتين لقرآنا، وأن يكونا حالين إما من كتاب وإما من آياته وإما من الضمير المنوي في قرآنا، وقرأ زيد بن علي برفعهما على النعت لكتاب، أو على خبر ابتداء مضمر أي: هو بشير ونذير اهـ سمين.

قوله: ﴿فأعرض أكثرهم﴾ معطوف على فصلت، وقوله: ﴿وقالوا﴾ معطوف على فأعرض.

قوله: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أي: قالوا ذلك عند دعوته إياهم إلى القرآن والعمل بما فيه اهـ أبو السعود.

وقوله: في أكنة جمع كنان كأغطية جمع غطاء، والكنان هو الذي تجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم، وتجمع على جعاب مثل كلبة وكلاب، فإن قيل: هلا قيل على قلوبنا أكنة؟ أجيب: بأن مآل التعبيرين واحد كما لا يخفى اهـ خطيب مع زيادة من المصباح.

وفي البيضاوي: وقالوا قلوبنا في أكنة إلى قوله: ومن بيننا وبينك حجاب هذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك ما ندعوهم إليه واعتقاده ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول اهـ.

وفي زاده: شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له، وشبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث إنها تمج الحق ولا تميل إلى استماعه، وشبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر اهـ.

قوله: ﴿مما تدعونا إليه﴾ من ابتدائية، وما عبارة عن التوحيد، والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعول به اهـ شيخنا.

﴿وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد

وفي السمين: قوله: مما تدعونا إليه من هنا، وفي قوله: ومن بيننا وبينك حجاب لابتداء الغاية، فالمعنى أن الحجاب ابتدىء منا وابتدىء منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة لا فراغ فيها، فلو لم تأت لفظة من لكان المعنى أن الحجاب حاصل وسط الجهتين، والمقصود المبالغة بالتباين المفرط، فلذلك جيء بمن. قال أبو البقاء: هو محمول على المعنى إذ معنى في أكنة أنها محجوبة عن سماع ما تدعونا إليه، ولا يجوز أن يكون نعتاً لأكنة لأن الأكنة الأغشية وليست الأغشية مما يدعو إليه اهـ.

وفي زاده: في الكلام حذف تقديره قلوبنا في أكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه فحذف المضاف اهـ.

قوله: (خلاف) أي: مخالفة ومباينة في الدين. قوله: ﴿فأعمل﴾ أي: استمر على دينك وهو التوحيد إننا عاملون أي مستمرون على ديننا وهو الإشراك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ أي لست غير بشر مما لا يرى كالملك والجن بل أنا واحد منكم، والبشر يرى بعضهم بعضاً ويسمعه ويبصره وجه لما تقولونه أصلاً اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ إنما إلهكم إله واحد﴾ تلقين للجواب عنه أي: لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم الحجاب، وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم: فاعمل إننا عاملون بل أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتـم به حيث كلفنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم، فإن الخطاب في إلهكم محكي منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه السلام للكفرة. وقيل: المعنى لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقي عنه، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع، وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل، وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل. وقيل: المعنى إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إليّ دونكم فصحت نبوتي بالوحي إليَّ وأنا بشر، وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل اهـ.

قوله: ﴿فاستقيموا إليه﴾ ضمن معنى تواجهوا فعدي بإلى اهـ.

قوله: ﴿بالإيمان والطاعة﴾ أي: استقيموا إليه في أفعالكم متوجهين إليه فقوله: فاستقيموا حينئذ من جملة الموحى إليه، وعلى الأول من جملة المقول، وبه فسّر الزمخشري، ويؤيد الأول قوله ﷺ: «قل لا إله إلا الله ثم استقم» اهـ كرخي.

قوله: ﴿واستغفروه﴾ أي: مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وويل للمشركين﴾ جملة دعائية، وويل: مبتدأ وسوّغ الابتداء به قصد الدعاء اهـ.

وهذا ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله: ﴿الذين لا يؤتون

﴿كَفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ مقطوع ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾

الزكاة﴾الخ لزيادة التحذير والتخويف من منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بكفران الآخرة حيث قيل: وهم بالآخرة الخ، وهو أي قوله: وهم بالآخرة الخ عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر اهـ أبو السعود.

فإن قيل: لم خص تعالى من أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؟ أجيب بأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذاك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح طويته. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ أي: يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الأموال، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بشيء من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم، وأهل الردة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصب لهم الحروب وجوهدوا، وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد في منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن الكفر بالآخرة، وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، وقال الحسن، وقتادة: لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجباً وكان يقال: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك، وقال الضحاك، ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون، وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ لما ذكر تعالى ما للجاهلين وعيداً وتحذيراً ذكر ما لأضدادهم وعداً وتبشيراً: فقال تعالى مجيباً لمن تشوق لذلك مؤكداً لإنكار من ينكره: إن الذين آمنوا اهـ خطيب.

قوله: ﴿غير ممنون﴾ قال ابن عباس: غير مقطوع، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير ممنون عليهم به، وقيل: غير محسوب. قيل: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه اهـ خازن.

وفي المصباح: ومننت عليه مناً عددت له ما فعلت من الصنائع مثل أن تقول: أعطيتك وفعلت لك وهو تكرير وتعيير تنكسر منه القلوب، فلهذا نهى الشارع عنه بقوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤] ومن هنا يقال: المن أخو المن أي: الامتنان بتعديد الصنائع أخو القطع والهدم، فإنه يقال مننت الشيء منا أيضاً إذا قطعته فهو ممنون اهـ.

قوله: ﴿قل أئنكم﴾ الخ إنكار وتشنيع لكفرهم، وإن واللام إما لتأكيد الإنكار وقدمت الهمزة لاقتضائها الصدارة. وإما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: لما ذكر سبحانه سفههم في كفرهم بالآخرة شرع في ذكر الأدلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد كخلق الأكوان وما فيها، الشامل لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها، الدال على أنه واحد لا شريك له فقال منكراً عليهم ومقرراً بالوصف لأنهم كانوا عالمين بأصل الخلق: قل أئنكم لتكفرون الخ اهـ.

بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى ﴿لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِى يَوۡمَيۡنِ﴾ الأحد والاثنين ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾

قوله: (وإدخال ألف الخ) كان عليه أن يقول وتركه أي: الادخال كعادته، فإن القراءات السبعية هنا أربعة والذي في عبارته اثنتان فقط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لتكفرون﴾ الخ لام الابتداء. قوله: ﴿في يومين﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق يوماً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، ولذلك يقول الناس إنه يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت. ولكن في حديث مسلم عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر إلى الليل». فإن قيل: الأيام إنما توجد بدوران الأفلاك وإنما وجدت الأفلاك بعد تمام الخلق، فوقت خلق السموات والأرضين لم تكن الأيام موجودة.

أجيب: بأن المراد من قوله في يومين مقدار يومين، أو أن المراد باليومين النوبتين أي خلقهم في نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذلك رب العالمين﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وإفراد الكاف لما مرّ مراراً من أن المراد ليس تعين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اهـ أبو السعود.

قوله: (وجمع الخ) جواب عما يقال إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر، فأجاب بأن المسوغ تعدد أنواعه، وقوله: بالياء والنون وإشارة لسؤال آخر محصله أن هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير عاقل، فأجاب بقوله تغليباً الخ اهـ شيخنا.

قوله: (مستأنف) إلى قوله للفاصل الأجنبي هذا ثابت في بعض النسخ، وهو معترض بأن ما بين المتعاطفين من قبيل الاعتراض والاعتراض كثيراً ما يقع بين المتعاطفين وغيرهما من المتعلقات، وأكثر النسخ على إسقاط هذه العبارة وإسقاطها واضح، والحق أن قوله جعل الخ معطوف على خلق الأرض فهو من جملة الصلة تأمل، وقوله: (للفاصل الأجنبي) وهو تجعلون لأنه معطوف على تكفرون من أجزاء الصلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ فإن قيل: ما الفائدة في قوله من فوقها؟ أجيب: بأنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لتوهم أنها التي أمسكتها عن النزول، ولكنه تعالى جعل هذه الجبال

بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِىٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ

الثقال فوقها ليرى الإنسان بعينه أن الأرض والجبال الثقال مفتقرة إلى ممسك وحافظ وما هو إلا الله القادر المختار اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ قال محمد بن كعب: قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان، أي: أقواتاً تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من الأقطار، فأضاف القوت إلى الأرض لكونه متولداً من تلك الأرض حادثاً فيها، وذلك لأنه تعالى جعل كل بلد معدة لنوع من الأشياء المطلوبة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في تلك البلدة، وبالعكس فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال لتنتظيم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض، فكان جمع ما تقدم من إبداعها وإيداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدر لا يتعداه ومنهاج بديع دبره في الأزل وارتضاه وقدره، فأمضاه لا ينقص على حاجة المحتاجين أصلاً وإنما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم إليه، فلا يجد له حينئذ ما يكفيه وفي الأرض أضعاف كفايته اهـ خطيب.

قوله: (للناس والبهائم)﴾ متعلق بقدر. قوله: ﴿في﴾ (تمام) ﴿أربعة أيام﴾ أي: باليومين اللذين خلق فيهما الأرض قال مكي أي: فهو على حذف مضاف، ولولا هذا التقدير لكانت الأيام ثمانية، يومان في الأول وهو قوله: قوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ ويومان في الأخير وهو قوله: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وأربعة في الوسط. قال في الكشاف: في أربعة أيام فذلكة خلق الأرض وما فيها كأنه قال ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان اهـ.

والظاهر أن إطلاق الفذلكة على المجاز فإن حقيقتها أن يجمع إجمال ما فصل سابقاً وذلك هنا مفقود إذ لا يعلم هنا قبل الفذلكة أن خلق ما في الأرض في يومين، ويجوز أن تكون الفذلكة بمعنى الإنهاء. ففي القاموس: فذلك حسابه أنهاه وفرغ منه، ومقدار خلق الأرض وما يتعلق بها كان في أربعة أيام لا غير وبه ينتهي حساب مقدار خلق الأرض مع متعلقاتها اهـ كرخي.

وفي الخطيب: في أربعة أيام هذا يقتضي أن مدة خلق الأرض بما فيها وخلق السموات ثمانية أيام يومان في الأول، وهو قوله تعالى: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ ويومان في الآخرة وهو قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وأربعة في الوسط وهو قوله تعالى: ﴿في أربعة أيام﴾ فيخالف الآيات الدالة على أن المدة ستة أيام، فحينئذ يحتاج هذا الكلام لتأويل لأجل التوفيق بين الآيات، فقال بعضهم: في أربعة أيام أي: باليومين الماضيين، كما تقول: بنيت بيتي في يوم وأكملته في يومين. أي: بالأول، وقال أبو البقاء: في تمام أربعة أيام فجعل الكلام على حذف المضاف وهو الذي سلكه الشارح، فإن قيل: هلا قال بالنسبة لهذه الأفعال في يومين كما قال في خلق الأرض في يومين، ليكون أبعد عن الغلط وأصرح في المراد؟ أجيب: بأن قوله في أربعة أيام سواء فيه زيادة فائدة على ما إذا قال خلق هذه الثلاثة في يومين وهي أنه لو قال في يومين لم يفد الكلام كون اليومين مستغرقين بفتح الراء بتلك الأعمال بخلافه لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء، ثم قال في أربعة أيام سواء دل على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقة ومغمورة بتلك الأعمال من غير زيادة ولا نقصان، فإن قيل: لم جعلت مدة خلق الأرض بما فيها ضعف مدة خلق السموات مع كون السماء أكبر من الأرض وأكثر مخلوقات

﴿أَيَّامٍ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءً﴾ منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ عن خلق الأرض بما فيها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾

وعجائب؟ قلت: للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين ومن كثرة المنافع، فزادت مدتها ليكون ذلك أدخل في المنة على ساكنيها والاعتناء بشأنهم وشأنها، وأيضاً زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات، وقال أبو البقاء: لعل زيادة مدة الأرض على مدة السماء جرياً على ما يتعارف من أن بناء السقف أخف من بناء البيت، فإن قيل: الله تعالى قادر على خلق الكل في قدر لمحة البصر فما الحكمة في تقدير هذه المدة؟ أجيب: بأن هذا تعليم لعباده كيفية التأني في الأمور وتدريباً لهم على السكينة والبعد عن العجلة في الأمور اهـ.

قوله: (في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء المثلثة وضمها كما في القاموس. قوله: (عن خلق الأرض بما فيها) أي: عن مدة خلقهما، فإذا سأل السائل وقال: في كم يوم خلقت الأرض وما فيها؟ فيقال: في أربعة أيام اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: للسائلين فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه متعلق بسواء بمعنى مستويات للسائلين. الثاني: أنه متعلق بمقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين. الثالث: أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها اهـ.

قوله: (قصد) ﴿إلى السماء﴾ المراد بالقصد في حقه تعالى إرادته أي ثم تعلقت إرادته بخلق السموات الخ اهـ.

قوله: ﴿وهي دخان﴾ قال المفسرون هذا الدخان بخار الماء، وذلك أن عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والأرض كما قال: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] ثم إن الله تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً فأزبد وارتفع، فخرج منه دخان، فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات، فإن قيل: هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السموات، وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات: ٣٠] يشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء وذلك يوجب التناقض. أجيب: بأن المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولاً، ثم خلق بعدها السماء، ثم خلق السماء دحا الأرض ومدها، وحينئذ فلا تناقض. قال الرازي: وهذا الجواب مشكل لأن الله خلق الأرض في يومين، ثم إنه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وهذه الأحوال لا يمكن إدخالها في الوجود إلا بعد أن صارت الأرض منبسطة، ثم إنه تعالى قال بعد ذلك: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ فهذا يقتضي أن الله خلق السماء بعد خلق الأرض وبعد أن جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال، ثم قال: والمختار عندي أن يقال خلق السماء مقدم على خلق الأرض، وتأويل الآية أن يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩] فلو كان الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين لصار تقدير الآية أوجده

. . . .

من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال، فثبت أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين بل عبارة عن التقدير. وإذا ثبت هذا فنقول: قوله تعالى خلق الأرض في يومين معناه أنه قضى بحدوثها في يومين، وقضاء الله تعالى بأنه سيحدث كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الأرض في يومين قد تقدم على إحداث الأرض وحينئذ يزول السؤال اهـ خطيب.

فعلى هذا تكون ثم للترتيب الإخباري لا الزماني، والذي تلخص من الكلام القرطبي في سورة البقرة أن الذي خلق أولاً هو الدخان الذي هو أصل السماء، ثم بعده الأرض غير مدحوة، ثم خلقت السماء مبسوطة متفاصلة طباقاً بعضها فوق بعض، ثم دحيت الأرض وخلق ما فيها من الأرزاق وغيرها اهـ.

وقد تقدم هناك نقل عبارته مبسوطة فارجع إليها إن شئت. وعبارة السمين: قوله: ﴿وهي دخان﴾ الدخان: ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الأرض عند جدبها وقياس جمعه في القلة أدخنة وفي الكثرة دخيان مثل غراب وأغربة وغربان، وقوله: وهي دخان من باب التشبيه الصوري لأن صورتها صورة الدخان في رأي العين اهـ.

قوله: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات للطوع والكره لهما، وقوله: قالتا أتينا طائعين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولها كما أمرنا به اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: وقد يتضمن كلامه أن معنى طوعاً أو كرهاً إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما، ومعنى أتينا طائعين الأظهر أنه تصوير لتأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع، كقوله: كن فيكون ففيه استعارة تمثيلية شبه حال الصانع سبحانه في تأثير قدرته على وفق إرادته فيهما، أو حالهما في قبولهما الوجود والحدوث والحصول بتعلق قدرته تعالى على وفق الإرادة بحال الآمر المطاع أو المأمور المطيع، ويجوز أن يكون من الاستعارة التخييلية بعد أن تكون الاستعارة في كونها مكنية كما تقول: نطقت الحال بدل دلت فيجعل الحال كالأنسان الذي يتكلم في الدلالة والبرهان، ثم يتخيل له النطق الذي هو من لازم المشبه به وينسب إليه اهـ.

وفي القرطبي: فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً أي: جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي. قال ابن عباس: قال الله تعالى للسماء: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك وأجري رياحك وسحابك، وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين. قالتا أتينا طائعين، وفي الكلام حذف أي: أتينا أمرك طائعين، وقيل: معنى هذا الأمر التسخير أي: كونا فكانتا كما قال تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] فعلى هذا قال ذلك قبل خلقهما، وعلى القول الأول قال ذلك بعد خلقهما وهو قول الجمهور. وفي قوله تعالى لهما وجهان، أحدهما: أنه قول تكلم به. الثاني: أنها قدرة منه ظهرت لهما فقام مقام الكلام في بلوغ

في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو نزلتا لخطابهما منزلته ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي صيرها ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه،

المراد ذكره الماوردي قالتا أتينا طائعين فيه أيضاً وجهان، أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجابا فقام مقام قولهما، وقال أكثر أهل العلم: بل خلق الله تعالى فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى، وقال أبو نصر السكسي: فنطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء بحيالها فوضع الله فيه حرمه اهـ.

قوله: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ الخ جمع الأمر لهما في الإخبار عنه لا يدل على جمعه في الزمان، بل قد يكون القول لهما متعاقباً، فإن قيل: إن الله تعالى أمر السماء والأرض فاطاعتا، كما أن الله انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ وأنطق الأيدي والأرجل فقال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون﴾ [النور: ٢٤] قال تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ [فصلت: ٢١] وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن الله تعالى يخلق في ذات السماوات والأرض حياة وعقلاً ثم يوجه الأمر والتكليف إليهما. ووجه، هذا بوجوه، الأول: أن الأصل أجراء اللفظ على ظاهره إلا أن يمنع منه مانع. وههنا لا مانع. الثاني: أنه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال قالتا أتينا طائعين. الثالث: قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ وهذا يدل على كونها عارفة بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى. وأجاب الرازي عن هذا بأن المراد من قوله: (ائتيا طوعاً أو كرهاً) الإتيان إلى الوجود والحدوث والحصول، وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الأمر كانت السموات والأرض لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب فلم يجر نوجه الأمر إليهما اهـ خطيب.

وقرأ العامة: ائتيا أمراً من الإتيان قالتا أتينا منه أيضاً. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد: آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وفيه وجهان، أحدهما: أنه من المؤاتاة وهي الموافقة أي: لتوافق كل منكما الأخرى لما يليق بها، وإليه ذهب الرازي والزمخشري فوزن آتيا فاعلا كقاتلا ووزن آتينا فاعلنا كقاتلنا. والثاني: أنه من الإيتاء بمعنى الإعطاء فوزن آتيا افعلا كأكرما، ووزن آتينا أفعلنا كأكرمنا، فعلى الأول يكون قد حذف مفعولاً، وعلى الثاني يكون قد حذف مفعولين إذ التقدير أعطيا الطاعة من أنفسكما من أمركما قالتا آتيناه الطاعة اهـ سمين.

قوله: ﴿فقضاهن﴾ الخ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مرتب على تكوينها أي: خلقهن إبداعياً وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة اهـ أبو السعود.

قوله: (أي صيرها) ﴿سبع سموات﴾ الخ أشار إلى أن سبع مفعول ثان لقضاهن لأنه ضمن معنى صيرهن بقضائه سبع سموات، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من مفعول قضاهن أي: قضاهن معدودة وقضى بمعنى صنع وأن يكون تمييزاً. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون ضمير مبهماً مفسراً

وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفْظًاۚ﴾ منصوب بفعله المقدر، أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ بخلقه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا

لسبع سموات على التمييز، يعني بقوله مبهماً أنه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالاً أو مفعول ثانياً، فإن قيل: اليوم عبارة عن النهار والليل، وذلك إنما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم؟ فالجواب: أن معناه أنه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقداراً بيوم وقد تقدم نظيره اهـ كرخي.

قوله: (وفيها خلق آدم) ظاهره أنه خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السموات، فيكون خلقه ليس بينه وبين خلقها فاصل وهو خلاف المنصوص المشهور من أن بين خلقها وبين خلقه ألوفاً من السنين، ويمكن الجواب بأن المراد أنه خلق في ذلك اليوم وإن كان من سنة أخرى كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين، وقوله: ووافق ما هنا أي: العدد المذكور لخلق الأرض وما فيها ولخلق السماء آيات خلق السموات والأرض أي: الآيات الدالة والمصرحة بأن خلقهما في ستة أيام، والتوفيق المذكور إنما نشأ في الحقيقة من التأويل السابق المذكور بقوله: في تمام أربعة أيام اهـ شيخنا.

والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا، وحكى القرطبي قولاً: أن كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام بقدر ستة آلاف سنة اهـ.

قوله: ﴿وأوحى في كل سماء﴾ الخ معطوف على فقضاهن، والوحي عبارة عن التكوين وهو مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت اهـ أبو السعود.

قوله: (الذي أمر به من فيها الخ) عبارة القرطبي: وأوحى في كل سماء أمرها. قال قتادة، والسدي: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس قال: ولله على كل سماء بيت يحج إليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة، والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور، وقيل: أوحى في كل سماء أمرها أي: أوحى فيها ما أراده وما أمر به فيها والإيحاء قد يكون أمراً كقوله: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ [الزلزلة: ٥] وقوله: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ [المائدة: ١١١] أي: أمرتهم وهو أمر تكوين اهـ.

قوله: ﴿وزينا سماء الدنيا﴾ فيه التفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالتزيين المذكور اهـ أبو السعود.

قوله: (بفعله المقدر) أي: المعطوف على زينا. قوله: ﴿ذلك﴾ أي الذي ذكر كله بتفاصيله تقدير الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فإن أعرضوا﴾ التفات من خطابهم بقوله: أئنكم إلى الغيبة لفعلهم الإعراض أعرض عن

البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أي عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما

خطابهم وهو تناسب حسن، وقرأ الجمهور: صاعقة مثل صاعقة عاد الخ بالألف فيهما، وابن الزبير، والنخعي، والسلمي، وابن محيصن صعقة مثل صعقة بحذفها وسكون العين، وقد تقدم الكلام في ذلك في أوائل البقرة يقال: صعقت الناقة تصعق وهذا مما جاء فيه فعل بالفتح يفعل بالكسر ومثله جدعته فجدع، والصعقة: المرة اهـ سمين.

قوله: (بعد هذا البيان) أي: المذكور بقوله: قل أئنكم الخ فهذا الكلام مرتبط به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل أنذرتكم﴾ أي: أنذرتكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿صاعقة﴾ الصاعقة في الأصل هي الصحية التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد، والمراد بها هنا مطلق العذاب كما أشار إليه الشارح لكن بالنظر للصاعقة الأولى وأما الثانية فالمراد به حقيقتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذ جائتهم الرسل﴾ الخ ظرف لصاعقة الثانية فهو منصوب بها لأنها بمعنى العذاب اهـ سمين.

وهذا الذي يناسب صنيع الجلال، فالمعنى صعقتهم وقت مجيء رسلهم اليهم، والضمير في جاءتهم واقع على عاد وثمود، والجمع باعتبار الجمعية التي في القبيلتين من حيث الأفراد، وقوله: والرسل المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين على ضرب من التسمح على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم، فإن هوداً وصالحاً كانا داعيين لهاتين القبيلتين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء قبلهما أشار لهذا أبو السعود. وقوله: من بين أيديهم حال من الرسل أي حال كون الرسل من بين أيدي عاد وثمود، ومن خلفهم، والجمع باعتبار ما سبق، فقول الشارح أي: مقبلين عليهم الخ لف ونشر مرتب، والمرتب بالمقبلين عليهم هود وصالح والمدبرين عنهم الرسل الذين تقدموا هوداً وصالحاً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: من بين أيديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم أي: من جميع جوانبهم من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقيل: المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم، فإن هوداً وصالحاً كانا داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي: من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي: من بعدهم، فكأن الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم بقولهم أن لا تعبدوا إلا الله اهـ.

وتقدم أن هوداً وصالحاً كانا بين نوح وإبراهيم وليس بينهما غيرهما من الرسل، وأن الذين تقدموا

سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أن﴾ أي بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي لا أحد، كان واحدهم يقلع العظيمة من الجبل يجعلها

عليهما من الرسل أربعة نوح وإدريس وشيث وآدم اهـ.

قوله: (كما سيأتي) أي: في قوله: فأما عاد الخ اهـ.

قوله: (والإهلاك) أي: الذي خوف به محمد قريشاً في زمنه أي: زمن محمد فقط أي: لا بعد وفاته ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن لا تعبدو إلا الله﴾ يجوز في أن هذه ثلاثة أوجه، احدها: أن تكون هي المخففة من الثقيلة. الثاني: أنها هي المصدرية التي تنصب المضارع والجملة بعدها صلتها وصلت بالنهي كما توصل بالأمر. الثالث: أن تكون مفسرة لأن مجيء الرسل يتضمن قولاً ولا في الأوجه الثلاثة ناهية، ويجوز أن تكون نافية على الوجه الثاني ويكون الفعل منصوباً بأن بعد لا النافية فإن لا النافية لا تمنع عمل العامل فيما بعدها اهـ سمين.

وكلام الشارح يناسب الوجهين الأولين حيث قدر حرف الجر داخلاً عليها، ولا يناسب الوجه الثاني كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح، وقوله: بما أرسلتم به فيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هوداً وصالحاً على ما قبلهما من الرسل، فكأنهم قالوا فإنا كافرون بكما وبمن دعوتمونا إلى الإيمان به ممن قبلكما من الرسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لو شاء ربنا﴾ قدر الزمخشري مفعول المشيئة إرسال والأولى تقديره من جنس جوابها أي: لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة إلى الإنس لأنزل إليهم بها ملائكه، وهذا ابلغ في الامتناع من إرساله البشر إذ علقوا ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر اهـ سمين

لكن تقدير الزمخشري أنسب بالمعنى، فإن هوداً وصالحاً ادعيا أنهما رسولان وقومهما لم ينكروا أن يكون البشر رسولاً، والمعنى لو شاء ربنا إرسال رسول لجعله ملكاً كما تدل عليه الآيات الأخر اهـ شيخنا.

قوله: (على زعمكم) أي: وإلاَّ فهم لا ينكرون رسالة هود وصالح.

قوله: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ شروع في حكاية ما يختص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب إثر بيان ما يعم الكل من الكفر المطلق أي: فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها اهـ أبو السعود

قوله: (لما خوفوا بالعذاب) أي: خوفهم هود وصالح. قوله: ﴿أشد منا قوة﴾ اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب. وقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا، وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وقد مضى في الأعراف عن ابن عباس: أن أطولهم كان مائة ذراع

حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها مشؤومات عليهم ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ

وأقصرهم كان ستين ذراعاً فقال الله تعالى رداً عليهم: أو لم يروا الخ اهـ قرطبي.

قوله: (يجعلها) أي: يضعها حيث شاء. قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الخ هذا من الله تعالى تعجيب منه لمحمد ﷺ وغيره ممن يعتبرون بعدم تأمل هؤلاء الحمقى، فكان على الشارح أن يقول كعادته قال تعالى: أو لم يروا الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذي خلقهم﴾ لم يقل خلق السموات والأرض، لأن هذا أبلغ في تكذيبهم في ادعاء انفرادهم بالقوة، فإنهم حيث كانوا مخلوقين فبالضرورة أن خالقهم أشد منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ عطف على فاستكبروا كما أن وقالوا من أشد قوة منا قوة كذلك وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء، وقوله: بمحذوف أي: ينكرونها وهم يعلمون أنها حق اهـ أبو السعود.

وتعديته بالياء لتضمينه معنى يكفرون اهـ.

قوله: ﴿صرصراً﴾ من الصر هو البرد أو من الصرير، والشارح جمع بين المعنيين حيث قال: باردة شديدة الصوت اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الصرة بالكسر شدة البرد أو البرد كالصر فيهما وأشد الصياح، وبالفتح الشدة من الكرب والحرب والحر، وصر يصر من باب ضرب صراً وصريراً وصوت وصاح شديداً كصرصر اهـ.

وفي السمين: قوله: صرصر الصرصر الريح الشديدة، وقيل: هي الباردة من الصر وهو البرد، وقيل: هي الشديدة السموم، وقيل: هي المصوتة من صر الباب أي: سمع صريره والصرة الصيحة ومنه: ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ [الذاريات: ٢٩] قال ابن قتيبة: صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد، وأن يكون من صر الباب، وأن يكون من الصرة وهي الصيحة ومنه ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ [الذريات: ٢٩] وقال الراغب: صرصر لفظه من الصر يرجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد اهـ.

قوله: (بكسر الحاء وسكونها) سبعيتان. وفي السمين: قوله: نحسات. قرأ الكوفيون، وابن عامر بكسر الحاء، والباقون بسكونها فأما الكسر فهو صفة على فعل وفعله فعل بكسر العين أيضاً. يقال: نحس فهو كفرح فهو فرح وأشر فهو أشر، وأما الليث عن الكسائي ألفه لأجل الكسرة ولكنه غير مشهور عنه حتى نسبه الداني للوهم . وأما قراءة السكون فتحتمل وجهين أحدهما أن يكون مخففاً من فعل في القراءة المتقدمة فتتوافق القراءتان. والثاني: أنه مصدر وصف به كرجل عدل إلا هذا يضعفه الجمع فإن الفصيح في المصدر الموصوف أن يوحد وكأن المسوغ للجمع اختلاف أنواعه في الأصل اهـ.

قوله: (مشؤومات) من الشؤم وهو ضد اليمن، وكانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما

﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ بمنعه عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بينا لهم طريق الهدى ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٧﴾ ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ١٨﴾ الله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾ بالياء

عذب قوم إلا يوم الأربعاء اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: في أيام نحسات أي: مشؤومات قاله مجاهد وقتاده كانت آخر شوال يوم الأربعاء إلى يوم الاربعاء، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. قال ابن عباس: وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء وقيل: نحسات باردات حكاه الثعلبي وقيل: متتابعات اهـ.

وفي المصباح: الشؤم الشر ورجل مشؤوم غير مبارك وتشاءم القوم به تطيروا به اهـ.

قوله: ﴿عذاب الخزي﴾ إضافة العذاب إلى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ وهو في الأصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة اهـ بيضاوي.

وفي الكرخي: قوله: الذل أي: لأن الخزي هو الذل والاستكانة وهو في الأصل صفة المعذب، وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة فهو من إضافة الموصوف إلى صفته أي: العذاب الخزي، ولهذا جاء: ولعذاب الآخرة أخزى، فلو لم يكن من إضافة الموصوف إلى صفته لم يأت بلفظ أخزى الذي يقتضي المشاركة وأخزى: خبر عن المبتدأ وهو العذاب اهـ.

قوله: ﴿ وأما ثمود﴾ الجمهور على رفعة ممنوعاً من الصرف، والأعمش وابن وثاب مصروفاً وكذلك كل ما في القرآن إلا قوله: ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ [الإسراء: ٥٩] قالوا: لأن الرسم ثمود بغير ألف اهـ سمين.

قوله: (بينا لهم طريق الهدى) أي: بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿على الهدى﴾ أي: الإيمان. قوله ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي: من شركهم وتكذيبهم صالحاً، فإن قيل: كيف يجوز للرسول ﷺ أن ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمته ﷺ وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال: ٣٣] وقد جاء في الحديث الصحيح: أن الله تعالى رفع عن هذه الأمة هذه الأنواع؟ فالجواب: أنهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة وإن السبب الموجب للعذاب واحد، فربما يكون العذاب النازل بهم من جنس ذلك العذاب وإن ذلك العذاب وإن كان أقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف اهـ كرخي.

قوله: ﴿ونجينا﴾ (منها) أي: من تلك الصاعقة التي نزلت بثمود، وقوله: الذين آمنوا أي: مع صالح وكانوا أربعة آلاف كما تقدم للشارح في سورة هود اهـ شيخنا.

قوله: (واذكر) ﴿يوم يحشر﴾ الخ أي اذكر لقريش المعاندين لك حال الكفار في القيامة لعلهم يرتدعوا وينزجروا اهـ شيخنا.

والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ

قوله: (بالياء) أي فتح الشين ورفع أعداء، ولم يتعرض لهذا الضبط لشهرته في قراءة الياء اهـ الياء شيخنا.

قوله: (وفتح الهمزة) أي من أعداء كما في بعض النسخ أي: نصبه على المفعولية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أعداء الله﴾ أي: الكفار مطلقاً الأولين والآخرين اهـ عمادي.

قوله: ﴿إلى النار﴾ المراد بها موقف الحساب والتعبير عنه بالنار، إما للإيذان بإنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها، وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها، وإنما كان هذا هو المراد، لأن الشهادة الآتية إنما تكون عند الحساب لا بعد تمام السؤال، والجواب وسوقهم إلى النار نفسها اهـ السعود.

قوله: ﴿يساقون) عبارة البيضاوي: فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا اهـ.

ومعنى حبس أولهم إمساكهم حتى يجتمعوا فيساقوا إلى النار اهـ شهاب.

قوله: (زائدة) أي: لتأكيد اتصال الشهادة يكون الحضور ظرفاً لها، فإن ما المزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به في النسبة التي تعلقت به، وهنا قد اتصلت يوقت المجيء المجعول ظرفاً للشهادة فتؤكد ظرفية لها، وإنما أكد لأنهم لا ينكرون مضمون الكلام اهـ كرخي.

قوله: ﴿شهد عليهم سمعهم﴾ الخ في كيفية هذه الشهادة ثلاثة اقوال، أولها: أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها: أن الله تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني. ثالثها: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الإمارات تسمى شهادات كما يقال: العالم يشهد بتغيرات احواله على حدوثه اهـ خطيب.

وفي الكرخي: بأن ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً وإيضاحه: أن البنية ليست شرطاً للحياة والعلم والقدرة، فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء اهـ.

فإن قيل: ما السبب فى تخصيص الأعضاء الثلاثة بالذكر، مع أن الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس؟ أجيب: بأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه، لأن إدراك الذوق إنما يتأتى جين يصير طرف اللسان مماساً لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى يصير الأنف مماساً لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس، وقال ابن عباس: المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى: ﴿لا تواعدوهن سراً﴾ [البقرة: ٢٣٥] أراد النكاح. وقال تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ [النساء: ٤٣ والمائدة: ٦] والمراد قضاء الحاجة، وقال ﷺ: «أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه» على هذا التقدير تكون الآية وعيداً شديداً في إتيان

عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء، وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾

الزنا لأن مقدمة الزنا تحصل بالفخذ، وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الأنفس من عملهم. وعن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. قال: فيقول فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول كفى بنفسك عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهوداً، قال فيختم على فيه.ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبينها، فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل» اهـ خطيب.

قوله: ﴿وجلودهم﴾ المراد بها الجوارح مطلقاً فالعطف من عطف العام على الخاص، قوله: ﴿وقالوا لجلودهم﴾ المراد بالجلود فيه أيضاً المعنى الأعم، فليس في سؤالهم ترك سؤال السمع والبصر، بل هما داخلان في الجلود بالمعنى الذي علمته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لم شهدتم علينا﴾ سؤال توبيخ وتعجب من هذا الأمر الغريب لكونها ليست مما ينطق ولكونها كانت في الدنيا مساعدة لهم على المعاصي، فكيف تشهد الآن عليهم، فلذلك استغربوا شهادتهم وخاطبوا بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر من العقلاء عنها وهو الشهادة المذكورة اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: قالوا أي الكفار الذين يحشرون إلى النار لجلودهم مخاطبين لها مخاطبة العقلاء لما فعلت فعل العقلاء لم شهدتم علينا مع انا كنا نحاجج عنكم؟ قالوا مجيبين لهم معتذرين أنطقنا الله الخ اهـ.

قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ لعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما أن المراد بالرجوع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث، بل ما يعمه ويعم ما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع اهـ أبو السعود.

قوله: (قيل هو) أي: وهو خلقكم الخ، وقوله: كالذي بعده وهو قوله وما كنتم الخ. وقوله: وموقعه أي موقع قوله: وهو خلقكم مما قبله، وهو شهد عليهم أي: مناسبته له في المعنى على كل من القولين أنه يقربه للعقول من حيث إنها تستبعد نطق هذه الأعضاء فيقرب لها يكون القادر على الإبداء والإعادة قادراً على إنطاقها وقوله: واعضائكم تفسير لما قبله اهـ شيخنا.

قوله: (كالذي بعده) أي: أن من كلام الله تعالى، وهذا أحد أقوال ثلاثة، والثاني: أنه كلام الجلود، والثالث: أنه من كلام الملائكة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وما كنتم تستترون﴾ أي: تستخفون والاستخفاء من هؤلاء الشهود لا يحصل إلا بترك الفعل بالكلية لأنها ملازمة للإنسان في كل زمان وكل مكان، وهذا حكاية لما سيقال لهم من جهته

لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن

تعالى يوم القيامة بطريق التوبيخ والتقريع اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وما كنتم تستترون معنى تستترون تستخفون في قول أكثر العلماء أي: ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذراً من شهادة الجوارح عليكم لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي عمله من نفسه، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية، وقيل: الاستتار بمعنى الاتقاء أي: ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة قال معناه مجاهد، وقال مقاتل: وما كنتم تستترون أي: تظنون أن يشهد عليكم سمعكم بأن يقول سمعت الحق، وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا أبصاركم فتقول: رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت إلى ما لا يجوز ولا جلودكم اهـ.

قوله: (من) ﴿أن يشهد عليكم﴾ الخ هو أحد الأوجه في الآية. أي: أنه في موضع نصب على حذف الخافض، لأنه لا يتعدى بنفسه، والثاني: أنه مفعول لأجله أن يشهد أو مخافة أن يشهد، والثالث: أنه ضمن معنى الظن وفيه بعد وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي له أن يتحقق ألاَّ يمر عليه حال إلا وعليه رقيب اهـ كرخي.

قوله: (عند استتاركم) أي من الناس مع عدم استتاركم من أعضائكم اهـ.

قوله: ﴿أن الله لا يعلم كثيراً﴾ المراد به ما أخفوه من الأعمال اعتقدوا أن كل ما ستروه عن الناس لا يعلمه الله اهـ شيخنا.

قوله: (بدل منه الخ) هذا أحد الأوجه في الآية، والثاني: ظنكم الخبر والموصول بدل أو بيان، وأرادكم: حال وقد مقدرة أو غير مقدرة أي: ذلك ظنكم مردياً إياكم، والثالث: أن يكون ظنكم الموصول، والجملة من أرادكم إخباراً. قال المحققون: الظن قسمان، أحدهما: حسن، والآخر قبيح، فالحسن أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان. قال ﷺ حكاية عن الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وقال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» والظن القبيح أنه يظن أنه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأفعال وقال قتادة: الظن نوعان مردٍ ومنجٍ فالمنجي قوله: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ [الحاقة: ٢٠] وقوله: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ [البقرة: ٤٦ و ٢٤٩] والمردي هو قوله: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ أي: لأنه صار ما منحوا به من الأعضاء سبباً لشقاوتهم في الدارين من حيث أنها كانت مفضية من حقهم إلى الجهل المركب بالله سبحانه وتعالى واتباع الشهوات وارتكاب المعاصي اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ من المعلوم أنه لا خلاص لهم منها صبروا أو لم يصبروا،

﴿يَسْتَعْتِبُواْ﴾ يطلبوا العتبى أي الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المرضيين ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو ﴿لأملأن جهنم﴾

فما وجه التقييد؟ وأجيب: بأن فيه: إضماراً تقديره فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم على كل حال اهـ كرخي.

قوله: (يطلبوا العتبى أي الرضا) عبارة البيضاوي: وإن يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين إليها اهـ.

قوله: (المرضيين) أي: المرضي عنهم.

قوله: ﴿وقضينا لهم﴾ أي: لكفار قريش، فصح قوله في أمم هذا ما سلكه العمادي وهو أحسن مما سلكه غيره فهو رجوع لأصل السياق، وهو قوله: فأعرض أكثرهم الخ فبعد ما بين كفرهم فيما سبق بين سببه هنا بقوله وقيضنا لهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (سببنا) أي: هيأنا وبعثنا لهم قرناء جمع قرين أي: نظير اهـ خازن.

أي: يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض، والقيض قشر البيض، وقيل: أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: أصل التقييض التيسير والتهيئة. قيضته له أي هيأته ويسرته، وهذان ثوبان قيضان أي كل منهما مكافىء للآخر في الثمن والمقايضة المعاوضة، وقوله: ﴿نقيض له شيطاناً﴾ [الزخرف: ٣٦] أي: نسهل ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، والقيض في الأصل قشر البيض الأعلى اهـ.

قوله: ﴿فزينوا لهم﴾ أي: من القبائح ما بين أيديهم أي: من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة وما خلفهم أي من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب وإنكار البعث، وقال الزجاج: زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وما خلفهم من أمر الدنيا بأن الدنيا قديمة ولا صانع إلا الطبائع والافلاك. قال القشيري: إذا أراد الله بعبد سوءًا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفة ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس، وبئس القرين يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك ويشهد عليه غداً، وإذا أراد الله خيراً قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها. وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده شراً قيض له قبل موته شيطاناً فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده ولا قبيحاً إلا حسنه عنده» وعن عائشة: «إذا أراد الله بالولي خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكره لم يعنه» وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى» اهـ.

قوله: ﴿وحق عليهم القول﴾ أي وجب تحقق مقتضاه. قوله: (في جملة) ﴿أمم﴾ أشار إلى أن الجار والمجرور في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم، والمعنى كائنين في جملة أمم،

الآية ﴿فِيٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ائتوا باللغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فيسكت عن القراءة، قال الله تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي أقبح جزاء عملهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ

وقيل: في بمعنى مع ولا حاجة إلى بدل حرف من حرف مع إمكان بقائه على بابه اهـ كرخي.

قوله: ﴿قد خلت﴾ صفة لأمم، وقوله هلكت الأولى مضت، وقوله: أنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب اهـ كرخي.

قوله: (عند قراءة النبي) ظرف لقال، والغوا فيه من لغي بكسر الغين يلغى بفتحها كلقي يلقى، وقرىء شاذاً والغوا فيه بضم الغين من لغا يلغو كعدا يعدو وغزا يغزو، ومنه الحديث: أنصت فقد لغوت، واللغو الكلام الذي لا فائدة فيه. وفي السمين: والغوا فيه العامة على فتح الغين وهي تحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون من لغي بالكسر يلغي بالفتح وفيها معنيان، أحدهما: أنه من لغي إذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه. والثاني: أنه من لغى بكذا إذا رمى به، فتكون في بمعنى الباء أي ارموا به وانبذوه. والثاني: من الوجهين الأولين. أن يكون من لغى بالفتح أيضاً حكاه الأخفش، وكان قياسه الضم كغزا يغزو، ولكنه فتح لأجل حرف الحلق. وقرأ قتاده، وأبو حيوة، وأبو السماك، والزعفراني، وابن أبي إسحاق وعيسى بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو، وفي الحديث: فقد لغوت، وهذا موافق لقراءة غير الجمهور اهـ.

قوله: (ائتوا باللغط) بسكون الغين وفتحها وهو كاللغو معنى، وقوله: ونحوه كالشعر والمكاء أي: الصفير والتصدية أي التصفيق، وقوله في زمن قراءته أشار به إلى أن الكلام على حذف مضاف وإنما قالوا ذلك لأنه لما كان يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافوا أن يتبعه الناس اهـ شيخنا.

وفي المصباح: لغط لغطاً من باب نفع، واللغط بفتحتين اسم منه وهو كلام فيه جلبة واختلاط ولا يتبين، وألغط بالألف لغة اهـ.

قوله: (قال الله تعالى فيهم) أي في هؤلاء القائلين ما ذكر أي: في شأنهم وبيان مآل حالهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أسوأ الذي كانوا يعلمون﴾ من المعلوم أن الذي كانوا يعملونه في الدنيا من المعاصي كالكفر والقتل لا يجازون في الآخرة به نفسه، فذلك قدر الشارح المضاف بقوله: أقبح جزاء والذي كانوا يعملونه أن فسرّ بالشرك فقط كان المعنى أن الشرك جزاؤه، وعذابه أنواع، بعضها أقبح من بعض فقريش المستهزئون بمحمد يجازون على شركهم بأقبح أنواع الجزاء وأن فسر بمطلق أعمال السيئات. كان المعنى أن سيئاتهم لها أنواع من العذاب متفاوتة في القبح بحسب تفاوت السيئات في الإثم، فقريش يجازون على كل سيئة من سيئاتهم بأقبح أنواع الجزاء الذي يترتب على أكبر السيئات في حق غيرهم اهـ شيخنا.

الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي إقامة الانتقال منها ﴿جَزَآءَۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ ۝٢٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا

وفي الكرخي: قوله: أي أقبح جزاء عملهم وهو الشرك، وذكروا أن أضافة أسوأ ليست من إضافة أفعل إلى ما اضيف إليه لقصد الزيادة عليه، ولكن من إضافة الشيء ما هو بعضه من غير تفضيل، فالمراد سيئة إذ لا يختص جزاءهم بأسوأ عملهم.

وحاصلة أن الإضافة للتخصيص والمضاف للزيادة المطلقة، وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعاً خاشعاً متفكراً متدبراً وتهديد ووعيد شديد لمن يصدر عند سماعه ما يشوش على القارىء ويخلط عليه القراءة، فانظر إلى عظمة القرآن المجيد، وتأمل في هذا التغليظ والتشديد، وأشهد لمن عظمه وأجل قدره وألقى إليه السمع وهو شهيد بالفوز العظيم اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: المذكور من الأمرين في قوله: فلنذيقن الخ، وقوله: ولنجزينهم الخ، ولذلك فسر الشارح الإشارة بالأمرين اهـ شيخنا.

قوله: (بتخفيف الهمزة الثانية الخ) سبعيتان. قوله: ﴿النار﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنها بدل من جزاء وفيه نظر إذ البدل يحل محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار. الثاني: أنها خبر مبتدأ مضمر. الثالث. : أنها مبتدأ ولهم فيها دار الخلد الخبر، ودار يجوز ارتفاعها بالفاعلية أو الابتدء اهـ سمين.

قوله: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ جملة مستقلة مقررة لما قبلها، والمعنى أن النار نفسها دار الخلد، فيكون في الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكماله فيها، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد، وقيل: ليس في الكلام تجريد، بل المراد أن الدار تشتمل على دركات فمنها واحدة بخصوصها تسمى دار الخلد وهي في وسط النار وهم خالدون فيها اهـ أبو السعود.

قوله: (منصوب على المصدر الخ) عبارة السمين: جزاء في نصبه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء. الثاني: أن يكون منصوباً بالمصدر الذي قبله وهو جزاء أعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله: ﴿فإن جهم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ [الإسراء: ٦٣]. الثالث: أن ينتصب على أنه مصدر واقع موقع الحال وبما متعلق بجزاء الثاني إن لم يكن مؤكداً، وبالأول إن كان مؤكداً وبآياتنا متعلق بيجحدون اهـ.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ الباء زائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون اهـ شيخنا.

قوله: (في النار) حال من فاعل قال أي: حال كونهم في النار.

قوله: ﴿ربنا أرنا﴾ من رأى البصرية والهمزة للتعدية إلى مفعول ثان، فالضمير مفعول أول، والموصول مفعول ثان، وأصله أرئينا أي صيرنا رائين بأبصارنا، فحذفت الياء التي هي لام الكلمة لبناء الفعل على حذف حرف العلة، والهمزة الثانية التي هي عين الكلمة لنقل حركتها إلى الراء قبلها التي هي

﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي أشد عذاباً منا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بأن ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ من الموت وما

فاء الكلمة فصار وزنه أفنا، فإن الهمزة الموجودة ليست من الكلمة بل هي لتعدية الفعل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من الجن والانس﴾ لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي. قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ [الناس: ٥] وقيل: هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه، لأن الكفر سنّة إبليس، والقتل بغير حق سنّة قابيل فهما سنّا المعصية اهـ خطيب.

قوله: (سنا الكفر والقتل) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ أي: ليكونا مباشرين للناس وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخفف عنا حرارتها نوع خفة، ولذلك قال أي: أشد عذاباً منا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ قال مقاتل: أي أسفل منا في النار وقال الزجاج: ليكونا في الدرك الأسفل أي: من أهل الدرك الأسفل وممن هو دوننا كما جعلانا كذلك في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ الخ شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدارين بعد بيان سوء حال الكفرة فيها أي: قالوه اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته، أي: لا ريب ولا معبود لنا إلا الله كما تفيده الجملة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم استقاموا﴾ أي: ثبتوا وداموا على الاستقامة وثم للتراخي في الزمان من حيث إن الاستقامة أمر يمتد زمانه اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: ثم استقاموا ثم لتراخي الرتبة في الفضيلة، فإن الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أبر في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام.

سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة، فقال: أن لا نشرك بالله شيئاً، وقال عمر: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب، وقال عثمان: أخلصوا العمل لله، وقال علي: أدوا الفرائض، وقال ابن عباس: استقاموا على أمر الله تعالى بطاعته واجتنبوا معصيته، وقال مجاهد، وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله، وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة. وقال سفيان بن عبد الله الثقفي: قلت: يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربي الله ثم استقم» فقلت: ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال: «هذا». قال أبو حيان: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق اهـ.

قوله: (عند الموت) أي: أو عند الخروج من القبر أو في حياتهم فيما يعرض لهم من الأحوال

بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ تطلبون ﴿نُزُلًا﴾

تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أن لا تخافوا﴾ أن مخففة أو مصدرية، ولا ناهية على الأول وعلى الثاني يصح أن تكون ناهية، وأن تكون نافية، وصنيع الشارح يحتمل كلا من هذين الوجهين، ويصح أن تكون مفسرة ولا ناهية وكلام الشارح لا يحتمله، والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في المستقبل، والحزن غم يلحقها لفوات نافع في الماضي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿التي كنتم﴾ أي: في الدنيا توعدون أي على ألسنة الرسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نحن أولياؤكم﴾ الخ هذه الجملة من كلام الملائكة مقررة لما قبلها من نفي الخوف والحزن بمنزلة التعليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ المعنى نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا، وقوله: وفي الآخرة أي: ونحن نكون أولياءكم في الآخرة اهـ خازن.

ويشير لهذا قول الشارح أي: حفظناكم فيها وقوله: أي نكون معكم فيها اهـ.

وفي القرطبي: نحن أولياؤكم في الحياة وفي الآخرة قال مجاهد: أي نحن قرباؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلو الجنة، وقال السدي: أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة، ويجوز أن يكون هذا من قول الله تعالى: ﴿والله ولي المؤمنين ومولاهم﴾ [آل عمران: ٦٨] اهـ.

قوله: (أي نحفظكم فيها) أي حفظناكم كما في بعض النسخ وهو المناسب لقوله: أي نكون معكم الخ.

وعبارة البيضاوي: في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة، وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيث يتعادى الكفرة وقرباؤهم اهـ.

قوله: (تطلبون) أي: فتدعون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب، وفي المصباح: وادعيت الشيء تمنيته وادعيته طلبته اهـ.

وفي الكرخي: ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم أي من اللذائذ، وقوله: تطلبون هذا أعم من الأول إذ لا يلزم أن يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية، وإن كان الأول أعم أيضاً من وجه بحسب حال الدنيا، فالمريض لا يريد ما يشتهيه ويضر مرضه إلا أن يقال التمني أعم من الإرادة اهـ.

قوله: ﴿نزلاً﴾ حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة لما يعطون من عظائم الأجور كالنزل للضيف، فإن النزل له هو القرى يهيأ لإكرامه اهـ شيخنا.

رزقاً مهيأ منصوب بجعل مقدراً ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِى﴾ أي بالخصلة التي

وهذا وجه آخر غير ما سلكه الشارح في الاعراب كما نرى. وفي الكرخي: قوله منصوب بجعل مقدراً أي أو هو مصدر في موضع الحال أي نازلين، وصاحبها ضمير ندعون للاشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف اهـ.

قوله: ﴿من غفور رحيم﴾ يجوز تعلقه بمحذوف على أنه صفة لنزلاً، وأن يتعلق بتدعون أي تطلبونه من جهة غفور رحيم، وأن يتعلق بما تعلق به الظرف في لكم من الاستقرار أي استقر لكم من جهة غفور رحيم. قال أبو البقاء: فيكون حالاً من ما قلت، وهذا البناء منه ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار لأنه فضلة كسائر الفضلات وليس حالاً من ما اهـ سمين.

قوله: ﴿ومن أحسن قولاً﴾ قولاً منصوب على التمييز، وجملة وعمل صالحاً حالية أفاده أبو حيان. قوله: ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ أي: قال ذلك ابتهاجاً بالإسلام وفرحاً به واتخاذاً له ديناً اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: وقال إنني من المسلمين أي: قاله تفاخراً به واتخاذاً للإسلام ديناً ومذهباً من قولهم هذا قول فلان لمذهبه، والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات، وقيل: نزلت في النبي ﷺ، وقيل: في المؤذنين اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: وللدعوة إلى الله مراتب:

الأولى: دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف، وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء.

المرتبة الثانية: دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط، والعلماء أقسام علماء بالله تعالى، وعلماء بصفات الله تعالى، وعلماء بأحكام الله جل جلاله.

المرتبة الثالثة: دعوة المجاهدين إلى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوهم في دين الله تعالى وطاعته.

المرتبة الرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة فهم أيضاً دعاة إلى الله تعالى أي إلى طاعته اهـ.

قوله: ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ العامة على أنني بنونين وابن أبي عبلة بنون واحدة اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا تستوي الحسنة﴾ الخ جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً لرسول الله في الصبر على إذاية المشركين ومقابلة إساءتهم بالإحسان، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي. وقوله: ﴿ادفع بالتي﴾ الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة، وقوله: فإذا الذي الخ بيان لنتيجة الدفع المأمور به اهـ أبو السعود.

قوله: (في جزئياتهما) أي: فالمراد بالحسنة والسيئة الجنس أي لا تستوي الحسنات في أنفسها

﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي فصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فالذي مبتدأ، وكأنه الخبر، وإذا ظرف لمعنى التشبيه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما

لأن بعضها فوق بعض ولا السيئات، كذلك لأن بعضها أشد وزراً من بعض فقوله: لأن بعضها أي بعض جزئيات كل منهما، ولا على هذا مؤسسة لا مؤكدة. هذا أحد قولين للمفسرين وهو بعيد من قوله: ادفع بالتي هي أحسن كما لا يخفى، وقيل: أن لا زائدة للتوكيد لأن الاستواء لا يكتفي بواحد، فالمعنى لا تستوي الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ أي: ادفع السيئة حيثما اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة، على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً، أو ادفع بالتي هي أحسن مما يمكن دفعها به من الحسنات اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿كأنه ولي حميم﴾ في المختار: الحميم الماء الحار، وقد استحم أي اغتسل بالحميم هذا هو الأصل، ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء كان، وأحمه غسله بالحميم وحميمك قريبك الذي تهتم لأمره اهـ.

قوله: (كالصديق) أي الذي لم تسبق منه عداوة، وإلاَّ فالعدو يصير صديقاً بالفعل، وقوله: في محبته متعلق بمعنى التشبيه أي فيشابه الصديق في المحبة، وقوله: إذا فعلت ذلك أخذه من فاء السببية الدالة على ابتناء ما بعدها على ما قبلها، وقوله: وإذا ظرف أي: إذا التي هي للمفاجأة ظرف أي: ظرف مكان لمعنى التشبيه، وهذا مبني على القول باسميتها، وجاز تقدم هذا الظرف على عامله المعنوي مع أنه لا يجوز تقديم معموله عليه لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها، والمعنى فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: وإذا ظرف لمعنى التشبيه أي وهو يقدم على العامل المعنوي، وإيضاح: الموصول مبتدأ، والجملة بعده خبره، وإذا معموله لمعنى التشبيه، والظرف يتقدم على عامله المعنوي، ويجوز أن تكون الجملة التشبيهية في محل نصب على الحال والموصول مبتدأ أيضاً، وإذا التي للمفاجأة خبره، والعامل في هذا الظرف من الاستقرار هو العامل في هذا الحال، ومحط الفائدة في هذا الكلام هو الحال والتقدير ففي الحضرة صار المعادي مشبهاً للولي الحميم، وقدمه أبو البقاء على ما قبله اهـ.

قوله: (التي هي أحسن) عبارة غيره التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان وانتهت وهي أوضح اهـ شيخنا وعبارة البيضاوي: وما يلقاها أي هذه السجية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا الذين صبروا فإنها تحبس النفس عن الانتقام، انتهت.

قوله: ﴿إلا الذين صبروا﴾ أي: شأنهم الصبر. قوله: (ثواب) أي: فالمراد بالحظ الثواب

الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ بالفعل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ

والجنة، وعبارة غيره: إلا ذو حظ من الخلق الحسن وكمال النفس وهذا أنسب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإما ينزغنك﴾ المراد بالنزغ وسوسة الشيطان، فالمعنى وإن يوسوس لك الشيطان بترك مقابلة الإساءة بالإحسان فاستعذ بالله من شره ولا تطعه، وعبر عن وسوسته بالنزغ على سبيل المجاز العقلي على حد جد جده، ففي الكلام مجازان والأصل وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه هو السميع﴾ (للقول) ومنه استعاذتك العليم بالفعل، ومنه أفعاله وأحوالك قاله هنا بزيادة هو وأل، وفي الأعراف بدونهما لأن ما هنا متصل بمؤكد بالتكرار وبالحصر، فناسب التأكيد بما ذكر، وما في الأعراف خلي عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند إليه معرفة والمسند نكرة اهـ كرخي.

قوله: (أي الآيات الأربع) هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر، وإنما تعرض للأربعة مع أنهم لم يعبدوا الليل والنهار للايذان بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها، وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته اهـ شيخنا.

وإنما عبَّر عن الأربع بضمير الإناث مع أن فيها ثلاثة مذكرة، والعادة تغليب المذكر على المؤنث لأنه لما قال: ومن آياته فنظم الأربعة في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبَّر عنها بضمير الإناث في قوله ﴿خلقهن﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿فالذين عند ربك﴾ الخ تعليل لجواب الشرط المقدر أي فدعهم وشأنهم، فإن لله عباداً يعبدونه اهـ شهاب. أي: فالله لا يعدم عابداً أبداً بل من خلقه من يعبده على الدوام اهـ شيخنا.

والعندية عندية مكانة وتشريف. وفي الخطيب: قال الرازي: ليس المراد بهذه العندية قرب المكان، بل يقال عند الملك من الجند كذا وكذا، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أنا عند ظن عبدي بي وأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي﴾ اهـ.

قوله: (يصلون) أشار به إلى أن الكلام في طائفة مخصوصة من الملائكة رتبتها ملازمة الصلاة، فلا يرد أن يقال إن من الملائكة من يفارق العبادة باشتغاله ببعض الخدمة كالنزول بالوحي أو غيره اهـ شيخنا.

بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ لا يملون ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾

قوله: (يابسة لا نبات فيها) عبارة البيضاوي: يابسة متطامنة مستعار من الخشوع وهو التذلل، انتهت.

وهي أنسب بلفظ خاشعة. وفي القرطبي: ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة الخطاب لكل عاقل أي: ومن آياته الدالة على أنه يحيي الموتى أنك ترى الأرض خاشعة أي يابسة جامدة. هذا هو المراد من وصف الأرض بالخشوع، والأرض الخاشعة الغبراء التي لا تنبت، وبلدة خاشعة مغبرة أي: لا ينزل بها ومكان خاشع، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت أي بالنبات قاله مجاهد، يقال: اهتز الإنسان أي تحرك وربت أي انتفخت وعلت قبل أن تنبت قاله مجاهد، أي: تصدعت عن النبات بعد موتها. وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزت والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض فربوها ارتفاعها، ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية، فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولاً وعرضاً اهـ.

وفي الخطيب: ومن آياته الدالة على قدرته ووحدانيته أنك ترى الأرض أي بعضها بحاسة البصر، وبعضها بعين البصيرة قياساً على ما أبصرت خاشعة أي: يابسة لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر، فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ [الحج: ٥] وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو، كما قال: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾ من الغمام أو غيره اهتزت بأن تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه، وربت: أي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجو مغطياً لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة، وتزخرفت بذلك النبات كأنها بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل اهـ.

قوله: (انتفخت) أي: لأن النبات إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يلحدون في آياتنا﴾ أي: يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: إن الذين يلحدون في آياتنا أي: يميلون عن الحق في أدلتنا، والإلحاد الميل والعدول، ومنه اللحد في القبر لأنه أميل إلى ناحية منه. يقال ألحد في دين الله أي: مال عنه وعدل ولحد لغة فيه. وهذا يرجع إلى الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وهم الذين ألحدوا في آيات الله ومالوا عن الحق، فقالوا ليس القرآن من عند الله أو هو سحر أو شعر، فالآيات آيات القرآن. قال مجاهد: يلحدون في آياتنا أي: عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء، وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه، وقال قتادة: يلحدون في آياتنا يكذبون في آياتنا، وقال

فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ منيع ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ أي الله

السدي: يعاندون ويشاقون، وقال ابن زيد: يشركون ويكذبون والمعنى متقارب اهـ.

قوله: (من ألحد ولحد) يشير إلى القراءتين السبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء على كونه من ألحد وفتح الياء والحاء على كونه من لحد اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: من ألحد ولحد لغتان بمعنى جار عن الحق وألحد جادل وماری ولحد جار ومال اهـ.

وفي المختار: ألحد في دين الله أي: حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع لغة فيه وألحد الرجل ظلم في الحرم اهـ.

قوله: ﴿أم من يأتي آمناً﴾ كان الظاهر أن يقال أم من يدخل الجنة، وعدل عنه للتصريح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم اهـ كرخي.

والاستفهام بمعنى التقرير، والغرض منه التنبيه على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار، وأن المؤمنين بالأيات يأتون آمنين يوم القيامة حين يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل اهـ خطيب.

وترسم أم مفصولة من من اتباعاً لمصحف الإمام، كما تقدم نقله عن شيخ الإسلام في شرح الجزرية اهـ.

قوله: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ الخ خبرها محذوف وقدره بقوله نجازيهم، وهذا أحد أعاريب ذكرها السمين، وعبارته: قوله: إن الذين كفروا بالذكر الخ في خبرها أوجه، أحدها: أنه مذكور وهو قوله: أولئك ينادون. والثاني: أنه محذوف لفهم المعنى وقدر معذبون أو مهلكون أو معاندون، وقال الكسائي: سد مسده ما تقدم من الكلام. الثالث: أن إن الثانية بدل من إن الذين الأولى، والمحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه، فيلزم أن يكون الخبر لا يخفون علينا. الرابع: أن الخبر قوله: لا يأتيه الباطل، والعائد محذوف تقديره لا يأتيه الباطل منهم نحو: السمن منوان بدرهم أي: منوان منه أو تكون أل عوضاً من الضمير في رأي الكوفيين، تقديره: إن الذين كفروا بالذكر لا يأتيه باطلهم. الخامس: أن الخبر قوله: ما قد يقال لك، والعائد محذوف أيضاً تقديره: إن الذين كفروا بالذكر ما يقال لك في شأنهم إلا ما قد قيل للرسل من قبلك اهـ.

قوله: (منيع) فعيل بمعنى فاعل أي: ممتنع عن قبول الإبطال والتحريف اهـ كرخي.

قوله: (أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده) أي: لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع اهـ كرخي.

المحمود في أمره ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ للكافرين ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَا﴾ قرآن ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَ﴾ نبي ﴿وَعَرَبِيٌّ﴾ استفهام إنكار

والظاهر أن قوله: أي: ليس قبله كتاب راجع للخلف، وقوله: ولا بعده راجع لما بين يديه فهو لف ونشر مشوش.

قوله: ﴿ما يقال لك﴾ الخ شروع في تسليته ﷺ على ما يصيبه من أذية المشركين اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: ما يقال لك أي: ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي: إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم، ويجوز أن يكون المعنى ما يقول لك الله إلا مثل ما قاله لهم: إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائه، وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى إن حاصل ما يوحى إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة اهـ.

قوله: (للكافرين) أي: وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ جواب لقولهم: هلا أنزل القرآن بلغة العجم اهـ كرخي.

وقوله: لقالوا لولا فصلت آياته أي: بلسان نفهمه وهو لسان العرب اهـ.

قوله: ﴿ءاعجمي﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره، وكذا يقال فيما بعده فالكلام جملتان اهـ سمين.

وهذا من جملة مقولهم وتعنتهم كما أشار له بقوله منهم، فطلبوا أولاً نزوله بلغة العجم، ثم ادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم وكون الجائي به عربياً، وغرضهم بهذا كله التعنت وإنكار القرآن من أصله، فقوله: أعجمي وعربي توكيد وتقرير للتحضيض في قولهم: ﴿لولا فصلت آياته﴾ اهـ.

قوله: ﴿ءاعجمي﴾ الأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري اهـ أبو السعود.

وفي السمين: والأعجمي من لا يفصح وإن كان من العرب وهو منسوب إلى صفته كأحمري ودواري، فالياء فيه للمبالغة في الوصف وليس النسب فيه حقيقياً، وقال الرازي في لوامحه: فهي كياء كرسي وبختي، وفرق بينهما الشيخ فقال: ليست كياء كرسي وبختي فإن ياء كرسي وبختي بنيت الكلمة عليها بخلاف أعجمي، فإنهم يقولون: رجل أعجم وعجمي، وقرأ عمرو بن ميمون: أعجمي بفتح العين وهو منسوب إلى العجم، والياء فيه للنسب حقيقة، يقال: رجل عجمي وإن كان فصيحاً. وفي رفع ءاعجمي ثلاثة أوجه. أحدها: أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره: ءاعجمي وعربي ويستويان. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف أي: أهو أي: القرآن أعجمي والمرسل به عربي. والثالث: أنه فاعل بفعل مضمر أي: أيستوي أعجمي وعربي، وهذا ضعيف إذ لا يحذف الفعل إلا في مواضع بينتها غير مرة اهـ.

منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن

قوله: (بتحقق الهمزة الثانية) أي: من غير إدخال ألف بينها وبين الأولى، وقوله: وقلبها ألفاً أي: ممدودة مداً لازماً، فهاتان قراءتان. وقوله: (بإشباع ودونه) هذا سبق قلم لأنه لا يتأتى على قلب الثانية ألفاً، وإنما يتأتى على قراءتين أخريين وهما تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينها وبين الأولى، وهو المراد بالإشباع في كلامه ومع ترك الإدخال وهو المراد بقوله ودونه وهاتان القراءتان سبعيتان كالأوليين، وبقي خامسة وهي إسقاط الهمزة الأولى تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل هو للذين آمنوا﴾ الخ رد عليهم بأنه هاد لهم وشاف ما في صدورهم وكاف في دفع الشبه، فلذا ورد بلسانهم معجزاً بينا في نفسه مبيناً لغيره اهـ شهاب.

قوله: ﴿والذين لا يؤمنون﴾ مبتدأ وفي آذانهم خبره، ووقر فاعله أو في آذانهم خبر مقدم، ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر الأول اهـ سمين.

وفي البيضاوي: والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى، وذلك لتصاممهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات اهـ.

قوله: ﴿وهو عليهم عمى﴾ مصدر عمي يعمى كصدي يصدى صدى وهوي يهوى هوى اهـ سمين.

قوله: (أي هم كالمنادي) الخ. أي: ففيه استعارة تمثيلية شبه حالهم في عدم قبول مواعظ القرآن ودلائله مجال من ينادي من مكان بعيد، فكما أنه لا يفهم ولا يقبل قول المنادي، فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم إلى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم اهـ زاده.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة في الأمم غير مختص بقومك اهـ أبو السعود.

قوله: (كالقرآن) أي: كما اختلف في القرآن، فهذا إشارة إلى وجه تعلقه بما قبله، فإنه تعالى لما بالغ في وصف الكفرة بالعناد بنحو قولهم: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ [فصلت: ٥] سلاه بأن قال له: لست منفرداً من بين الأنبياء بالأذية من قومك فأنا قد آتينا موسى الكتاب فقبله بعض قومه ورده آخرون اهـ زاده.

والضمير في قوله: لقضى بينهم وفي وإنهم لكفار قومه ﷺ، والضمير في منه وفي قول الشارح المكذبين به عائد على القرآن بدل لهذا عبارة القرطبي ونصه: ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه أي: آمن به قوم وكذب به قوم، والكناية ترجع إلى الكتاب وهو تسلية لرسول الله ﷺ أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلفوا من قبلهم في كتابهم، وقيل: الكناية: ترجع إلى

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾ موقع في الريبة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بذي ظلم، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون لا يعلمه غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة ثمرات ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها جمع كم بكسر

موسى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: في إمهالهم لقضى بينهم أي: بتعجيل العذاب ﴿وإنهم لفي شك منه﴾ أي: من القرآن ﴿مريب﴾ أي: شديد الريبة. وقال الطيبي في هذه الآية: لولا أن الله أخر عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة لعجل لهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم، وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين اهـ.

قوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومات فيها أو تقدير الأجل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لفي شك منه﴾ من ابتدائية أي: لفي شك مبتدأ منه.

قوله: ﴿فلنفسه﴾ متعلق بفعل محذوف قدره بقوله: عمل. وفي السمين: قوله: فلنفسه يجوز أن يتعلق بفعل مقدم أي: فلنفسه عمل، وأن يكون خبر مبتدأ مضمر أي: فالعمل الصالح لنفسه، وقوله: فعليها مثله اهـ.

وفي الكرخي: قوله: فلنفسه عمل أشار به إلى أن الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف، ويصح كونه خبر مبتدأ مضمر أي: فالعمل الصالح لنفسه أو نفعه أي: فلا بد من ذلك ليلتئم به الكلام وليفيد الاختصاص المناسب للمقام اهـ.

قوله: (أي بذي ظلم) أي: فظلام صيغة نسب كتمار، ويقال وخباز لا صيغة مبالغة، وهذا التقرير أحسن من غيره اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: أي: بذي ظلم أشار به إلى أن ظلام ليس على بابه، واستدل بالآية المذكورة، ولو استدل بآية ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ [غافر: ٣١] لكان أحسن لنفيها إرادة الظلم، فإن نفي إرادة ذلك وإن قلَّ فهو للظلم أصلاً ورأساً أنفى اهـ.

قوله: ﴿علم الساعة﴾ على حذف مضاف أشار له بقوله: متى تكون أي: علم سؤال الساعة أي: السؤال عنها أي: علم جواب هذا السؤال وأخذ الحصر في قوله: لا يعلمه غيره ومن تقديم المعمول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما تخرج من ثمرة﴾ من زائدة في الفاعل، وقوله: وفي قراءة أي: سبعية ثمرات، فالجمع للاختلاف في أنواع الثمار والإفراد على إرادة الجنس اهـ كرخي.

قوله: (جمع كم) ويقال كمة أيضاً وفي القرطبي: من أكمامها أي: أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمر واحدها كمة، وهي كل ظرف لمال أو غيره، ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة

الكاف إلاّ بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي شاهد بأنَّ لك شريكاً ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ مهرب من

كمة. قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة، وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن اهـ.

قوله: (بكسر الكاف) هكذا ضبطه الزمخشري وهو ما يغطي الثمرة من النور والزهور، وقال الراغب: الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه أكمام، فهذا يدل على أنه مضموم الكاف إذ جعله مشتركاً بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص أنه بالضم، فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعاً بين قوليهما، وأما أكمة فواحدها كمام كأزمة وزمام اهـ سمين.

لكن الذي في كتب اللغة التفرقة بين كم الثوب وكم الثمر فنصوا على ضم الأول وكسر الثاني. وفي القاموس الكم بالضم مدخل اليد ومخرجها من الثوب، والجمع أكمام وكمية، وبالكسر وعاء الطلع وغطاء النور كالكمامة والكمة بالكسر فيهما والجمع أكمة وأكمام وكمام اهـ.

قوله: (إلا بعلمه) استثناء مفرغ من أعم الأحوال. أي: وما يحدث شيء من خروج ثمرة أو حمل حامل أو وضع واضع ملابساً لشيء من الأشياء إلا في حال ملابسته بعلمه المحيط اهـ أبو السعود.
وفي البيضاوي: إلا بعلمه إلا مقروناً بعلمه واقعاً حسب تعلقه به اهـ.

وفي الخازن: وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي: يعلم قدر أيام بالحمل وساعاته ومتى يكون الوضع اذكر الحمل هو أم أنثى. ومعنى الآية: كما يرد إليه علم الساعة، فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره، فإن قلت: قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولاً: فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون. قلت: أما أصحاب الكشف إذا قالوا قولاً فهو من إلهام الله تعالى وإطلاعه إياهم عليه، فكان من علمه الذي يرد عليه، وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة، وإنما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد.

قوله: ﴿أين شركائي﴾ أي: بزعمكم كما نص عليه في قوله: أين شركائي الذين كنتم تزعمون، وفيه تهكم بهم وتقريع لهم، ويوم منصوب باذكر أو ظرف لمضمر قد ترك إيذاناً بقصور البيان عنه اهـ أبو السعود.
أو ظرف للفعل الذي بعده.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي: يقولون فالماضي بمعنى المضارع. قوله: (الآن) أشار به أن قولهم آذناك إنشاء لا إخبار عن إيذان قد سبق، وبعضهم حمله على الإخبار أي: أنك قد علمت من قلوبنا وعقائدنا أنا لا نشهد تلك الشهادة فنزلوا علمه محالهم منزلة إعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك اهـ أبو السعود.
قوله: ﴿من محيص﴾ أي: فرار من النار. يقال: حاص يحيص حيصاً إذا هرب اهـ قرطبي.

العذاب، والنفي في الموضعين معلق عن العمل، وجملة النفي سدَّت مسد المفعولين ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ربّه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم

قوله: (والنفي) أي: وهو ما وقوله: (في الموضعين) وهما ما منا من شهيد وما لهم من محيص، وقوله: معلق أي: للعامل وهو آذناك وظنوا أي مبطل لعمله لفظاً مع بقائه محلاً، فقوله عن العمل أي: في اللفظ، وقوله: وجملة النفي أي: في الموضعين سدت مسد المفعولين أي: الأول والثاني لظن، والثاني والثالث لآذن فإنه يتعدى لثلاثة كأعلم الأول الكاف، والثاني والثالث قام مقامهما جملة النفي تأمل.

قوله: ﴿من دعاء الخير﴾ مصدر مضاف لمفعوله وفاعله محذوف اهـ سمين.

وقد أشار الشارح لهذا بقوله: أي لا يزال يسأل الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وغيرهما) كالولد. قوله: ﴿فيؤوس﴾ أي: فهو يؤوس واليأس من صفة القلب وهو قطع الرجاء من رحمة الله تعالى، والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن اهـ كرخي.

وصنيع الشارح يقتضي ترادفهما وبه قال بعضهم، فالجمع بينهما للتأكيد. وفي البيضاوي: وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس اهـ.

وقوله: ومن جهة البنية أي: الصيغة لأن فعولاً من صيغ المبالغة والتكرير، لأن اليأس والقنوط كالمترادفين وإن كان اليأس مغايراً له أو أعم، لأن القنوط أثر اليأس أو يأس ظهر أثره على من اتصف به كانكساره وحزنه، فيكرر بذكره اليأس في ضمنه على كل حال، كما أشار إليه المصنف بقوله: وما في القنوط الخ اهـ شهاب.

وفي المختار: اليأس القنوط وقد يئس من الشيء من باب فهم، وفيه لغة أخرى يئس ييئس بالكسر فيهما وهي شاذة، ورجل يؤوس ويئيس أيضاً وبمعنى علم في لغة البخع، قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ [الرعد: ٣١] وآيسة من كذا فاستيأس منه بمعنى أيس اهـ.

وفيه أيضاً: أيس منه لغة في يئس وبابهما فهم وآيسة منه غيره بالمد مثل أيأسه وكذا أيسه بتشديد الياء تأييساً اهـ.

وفيه أيضاً: القنوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط فأما قنط يقنط بالفتح فيهما وقنط يقنط بالكسر فإنما هو على الجمع بين اللغتين اهـ.

قوله: (وما بعده) وهو قوله: ولئن أذقناه إلى قوله للحسنى وأما قوله: فلتنبئن الخ فصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه، وأما قوله: وإذا أنعمنا على الإنسان فقد حمله على الجنس لا بقيد الكفر ولا بقيد الإيمان اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: هذا وما بعدها في الكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧]. وفي قوله الآتي: ﴿فلننبئن الذين كفروا الخ﴾ ما يدل له أيضاً اهـ.

﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه متبختراً، وفي قراءة

وعبارة الخطيب: والمعنى أن الإنسان في حال الإقبال لا ينتهي إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيساً قانطاً، وهذه صفة الكافر لقوله: لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون اهـ.

قوله: ﴿ليقولن﴾ الخ هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف لمسد جواب القسم مسده على القاعدة المذكورة في قوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت

اهـ شيخنا.

قوله: (بعملي) أي: أستحقه بعملي فاللام للاستحقاق اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: ليقولن هذا لي أي: حقي أستحقه بمالي من الفضل والعمل أو لي دائماً لا يزول اهـ.

قوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي: تقوم. قوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ أي: كما تقول الرسل بفرض صدقهم، وقوله: إن لي عنده للحسنى جواب القسم لسبقه الشرط. وقد تضمن الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وإن وتقديم الظرفين والعدول إلى صيغة التفضيل إذ الحسنى تأنيث الأحسن، وإنما يقول ذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا يستحقه فيستحق مثله في الآخرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلننبئن الذين كفروا﴾ الخ هذا جواب لقول الكافر، ولئن رجعت الخ أي: ليس الأمر كما يزعم وإنما له العذاب الغليظ اهـ شيخنا.

قوله: (الجنس) أي: من حيث هو.

قوله: ﴿وناء بجانبه﴾ بوزن قال فالهمزة مؤخرة عن الألف، وقوله: وفي قراءة أي: سبعية، وقوله: بتقديم الهمزة أي: على الألف وتأخيرها عن النون بوزن رمى، وقوله: ثنى عطفه أي: جانبه كناية عن الإعراض اهـ شيخنا.

وهذا التفسير يرجع لكل من القراءتين فكان الأنسب له تأخيره عنهما. وفي البيضاوي: ونأى بجانبه انحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه أي: من الشكر بكليته تكبراً والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله: في جنب الله اهـ.

ونأى بمعنى بعد، والباء في بجانبه للتعدية، ونأي الجانب عن الشكر يستلزم الانحراف عنه، فلذلك فسره به ثم جوز أن يكون الجانب عبارة عن النفس، ويكون المعنى تباعد عن الشكر بكليته وذاته لا بجانبه فقط اهـ زاده.

بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ كثير ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ عن الحق، أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع

قوله: ﴿فذو دعاء﴾ أي فهو ذو دعاء، وقوله: كثير إشارة إلى أن العرب تطلق الطول والعرض في الكثرة. يقال: أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء إذا أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته، فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة، والاستعارة تخييلية شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض اهـ كرخي.

والطول أطول الامتدادين، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله اهـ أبو السعود.

فإنت قلت: كونه يدعو دعاء طويلاً عريضاً ينافي وصفه قبل هذا بأنه يؤوس قنوط لأن الدعاء فرع الطمع والرجاء، وقد اعتبر في القنوط أثر اليأس فظهور ما يدل على الرجاء يأباه قلت: يمكن دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد الأوقات والأحوال اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات اهـ.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني عن حالتكم العجيبة واستعمال أرأيتم بمعنى الأخبار مجاز ووجه المجاز أنه لما كان العلم بالشيء سبباً للآخبار عنه أو إبصاره به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الأخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم أو لطلب الأبصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب، ففيه مجازان استعمال رأى التي بمعنى علم أو أبصر الأخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الأخبار اهـ شهاب.

ومفعول رأى الأول محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم، والثاني هو الجملة الاستفهامية اهـ كرخي.

والجملة الشرطية اعتراض بين المفعولين وجواب الشرط محذوف تقديره: فأنتم أضل من غيركم أو فلا أحد أضل منكم اهـ.

قوله: (كما قال النبي) صوابه كما قلتم، وبعد ذلك تقدير هذا ليس ضرورياً اهـ شيخنا.

قوله: (أوقع هذا) أي: قوله: ممن هو في شقاق بعيد اهـ.

قوله: ﴿في الآفاق﴾ حال من الآيات، وقوله: من النيرات أي: الشمس القمر والنجوم اهـ شيخنا.

وفي السمين: الآفاق جمع أفق وهو الناحية وهو كأعناق في عنق أبدلت همزته ألفاً، ونقل الراغب أنه يقال أفق بفتح الهمزة والفاء فيكون كجبل وأجبال، وأفق فلان أي: ذهب في الآفاق والآفاق الذي بلغ نهاية الكرم تشبيهاً في ذلك بالذاهب في الآفاق، والنسبة إلى الأفق أفقي بفتحهما. قلت: ويحتمل أنه نسبة إلى المفتوح واستغنوا بذلك عن النسبة إلى المضموم وله نظائر اهـ.

قوله: (من النيرات الخ) يرد على هذا التفسير ما يقال أن قوله: سنريهم الخ يقتضي أنه إلى الآن

الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به، وبالجاني به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل يكف ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

ما أطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك، مع أن الآيات المذكورة قد أطلعوا عليها وهي منهم نصب العين، والجواب: أن المراد على هذا سنريهم أسرار آياتنا الخ. فالآيات وإن اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه اهـ من الكرخي.

وفي البيضاوي: سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما أخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية، وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة اهـ.

وفي القرطبي: سنريهم آياتنا في الآفاق أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق. يعني خراب منازل الأمم الماضية، وفي أنفسهم بالبلايا والأمراض. وقال ابن زيد: في الآفاق آيات السماء، وفي أنفسهم حوادث الأرض، وقال مجاهد: في الآفاق فتح القرى فيسر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً، وفي ناحية المغرب خصوصاً من الفتوحات التي لم يتيسر مثلها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، أو من الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أموراً خارجة عن المعهود خارقة للعادات، وفي أنفسهم فتح مكة وهو اختيار الطبري. وقال المنهال بن عمرو، والسدي، وقال قتادة والضحاك: وفي الآفاق وقائع الله في الأمم وفي أنفسهم في يوم بدر. وقال عطاء، وابن زيد أيضاً: وفي الآفاق يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها. وفي الصحاح: الآفاق النواحي واحدها أفق وأفق مثل عسر وعسر، ورجل أفقي بفتح الهمزة والفاء إذا كان من آفاق الأرض حكاه أبو نصر، وبعضهم يقول أفقي بضمهما وهو القياس وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول، فإن الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجاً من مكانين، وحتى في عينيه اللتين ينظر بهما من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه. وقيل: في أنفسهم في كونهم نطفاً إلى غير ذلك من انتقال أحوالهم كما تقدم في المؤمنون بيانه، وقيل: المعنى سيرون ما أخبرهم به النبي ﷺ من الفتن وأخبار الغيوب اهـ بحروفه.

قوله: (من لطيف الصنعة) كالأطوار المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أو لم يكف بربك﴾ الخ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إيراد الآيات وعدم اكتفائهم بأخباره تعالى، والهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: ألم يغنهم ولم يكفهم ربك، والباء مزيدة للتوكيد، ولا تكاد تزاد إلا مع كفى اهـ أبو السعود.

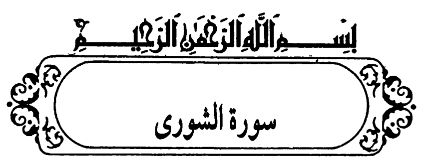
﴿شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ بدل منه، أي أو لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لانكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

وفي السمين: قوله: أو لم يكف بربك فيه وجهان، أحدهما: أن الباء مزيدة في الفاعل وهذا هو الراجح والمفعول محذوف أي: أو لم يكف ربك، وفي قوله: أنه على كل شيء شهيد وجهان، أحدهما: أنه يدل من بربك فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ كمتبوعه. والثاني: أن الأصل بأنه تم حذف الجار، فجرى الخلاف. الثاني: من الوجهين الأولين أن يكون بربك هو المفعول، وأنه وما بعده هو الفاعل أي لم يكف بربك شهادته، وقرىء إنه بالكسر وهو على إضمار القول أو على الاستئناف، وقرأ عبد الرحمن والحسن في مرية بضم الميم وقد تقدم أنها لغة في مكسورة الميم اهـ.

قوله: (فاعل) أي: بزيادة الباء، والمفعول محذوف كما قدره بقوله: أي: أو لم يكفهم اهـ شيخنا.

قوله: (بدل منه) أي: بدل كل من كل، وفي الشهاب: أنه بدل اشتمال اهـ شيخنا.

قوله: (علماً وقدرة) عبارة البيضاوي: إلا أنه بكل شيء محيط عالم يجعل الأشياء وتفاصيلها مقتدراً عليها لا يفوته شيء منها اهـ.



سورة الشورى

مكية إلا ﴿قل لا أسألكم﴾ الآيات الأربع. وهي ثلاث وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ ﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾ الله أعلم بمراده به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة حم عسَق، وتسمى سورة عسق وسورة حم سق اهـ بيضاوي.

وتسمى سورة شورى من غير ألف ولام اهـ شيخنا.

قوله: (إلا قل لا أسألكم الخ) عبارة الخازن وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور، وحكي عن ابن عباس: إلا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ [الأنعام: ٩٠] وقيل: فيها من المدني ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بذات الصدور﴾ [آل عمران: ١١٩] وقوله: ﴿الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ إلى قوله: ﴿من سبيل﴾ [التوبة: ٩].

قوله: ﴿حم﴾ وقوله: ﴿عسق﴾ لعل هذين اسمان للسورة، ولذلك فصل بينهما في الخط وعدا آيتين، وقيل: هما اسم واحد فالفصل بينهما ليطابق سائر الحواميم اهـ بيضاوي.

وقوله: ولذلك فصل بينهما الخ جواب عما يقال أنهم أجمعوا على أنه لا يفصل بين كهيعص، وعلى أنه يفصل ههنا بين حم وبين عسق فما السبب فيه؟ وعما يقال أنهما عدا آيتين وأخواتهما مثل كهيعص والمص والمرعدت آية واحدة فما السبب فيه أيضاً؟ اهـ زاده.

وقال ابن عباس: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه حم عسق، فلذلك قال الله كذلك يوحي إليك الخ اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال عبد المؤمن: سألت الحسين بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص والمر والمص؟ فقال: لأن حم عسق بين سور أولها حم فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكان حم مبتدأ، وعسق خبره ولأنهما عدتا آيتين وعدت أخواتهن اللواتي كتبت جملة آية واحدة، وقيل: إن الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث أنها أس البيان وقاعدة الكلام. ذكره الجرجاني وكتب حم عسق منفصلاً وكهيعص متصلاً كأنه قيل: حم أي حم ما هو كائن ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر انتهى.

﴿و﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ ۝٣﴾ في صنعه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿الْعَظِيمُ ۝٤﴾ الكبير ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي

قوله: ﴿كذلك﴾ الخ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق. أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني أوحي إليك أوحي إلى سائر الرسل اهـ أبو السعود.

والكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة، فقوله: أي مثل بالنصب، وقوله: يوحي استعمل المضارع في حقيقته ومجازه فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن إذ ذاك، وفي الماضي بالنظر لما أنزل بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين، وقد أشار الشارح لهذا بقوله: وأوحي إلى الذين من قبلك هذا والمشبه به في كذلك هو هذه السورة أي؛ كما أوحي إليك هذه السورة يوحي إليك غيرها من القرآن، ويوحي إلى الذين من قبلك الكتب القديمة، ووجه الشبه أن الموحى به في الكل يرجع لأمور ثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث، فهذا القدر موجود في القرآن وفي غيره من الكتب اهـ شيخنا.

وفي زاده: ووجه المشابهة الاشتراك في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب في أمور الآخرة اهـ.

وفي السمين: كذلك يوحي الخ جمهور القراء على يوحي بالياء من أسفل مبنياً للفاعل وهو الله تعالى، والعزيز الحكيم نعتان، والكاف منصوبة المحل إما نعتاً لمصدر أو حالاً من ضميره أي يوحي إيحاء مثل ذلك الإيحاء، وقرأ ابن كثير ويروى عن أبي عمر ويوحى بفتح الحاء مبنياً للمفعول. وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه، أحدها: ضمير مستتر يعود على كذلك لأنه مبتدأ والتقدير مثل ذلك الإيحاء يوحي هو إليك، فمثل ذلك: مبتدأ، ويوحي هو إليك: خبره. الثاني: أن القائم مقام الفاعل إليك والكاف منصوب المحل على الوجهين المتقدمين. الثالث: أن القائم مقام الفاعل الجملة من قول الله العزيز أي يوحي إليك هذا اللفظ، وأصول البصريين لا تساعد عليه لأن الجملة لا تكون فاعلاً ولا قائمة مقامه. وقرأ أبو حيوة، والأعمش، وأبان: نوحي بالنون وهي موافقة للعامة، ويحتمل أن تكون الجملة من قوله: الله العزيز منصوبة المحل مفعولة بنوحي أي نوحي إليك هذا اللفظ، إلا أن فيه حكاية الجمل بغير القول الصريح، ويوحى على اختلاف قراءاته يجوز أن يكون على بابه من الحال أو الاستقبال فيتعلق قوله: وإلى الذين من قبلك بمحذوف لتعذر ذلك تقديره وأوحي إلى الذين، وأن يكون بمعنى الماضي وجيء به على صورة المضارع لغرض وهو تصوير الحال اهـ.

قوله: (فاعل الإيحاء) هذا على قراءة كسر الحاء مبنياً للفاعل، وأما على قراءة فتحها مبنياً للمفعول فنائب الفاعل الظرف وهو إليك، وقوله: الله فاعل بفعل محذوف كأنه قيل: من يوحيه؟ فقيل: الله ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال﴾ [النور: ٣٦] اهـ سمين.

قوله: (بالنون) أي بعد الياء، وقوله: بالتاء أي: بعد الياء، وقوله: والتشديد أي: تشديد الطاء

تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ملابسين

المفتوحة، وظاهر صنيعه أن القراءات أربعة من ضرب اثنتين في اثنتين وليس كذلك بل هي ثلاثة فقط، لأن من يقرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز الوجهين في ينفطرن، ومن يقرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن إلا بالتاء الفوقية، فقوله بالنون أي: على قراءة التاء الفوقية، وقوله: وفي قراءة الخ. أي: على كل من القراءتين في تكاد والثلاثة سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمن فوقهن﴾ أي يبتدأ الانفطار من جهتهن الفوقية وتخصيصها بالذكر لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال هو الانفطار من تلك الجهة، ويعلم انفطار السفلى بالطريق الأولى، لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض لما أثرت في جهة الفوق فلأن تؤثر في جهة التحت بالطريق الأولى اهـ أبو السعود.

والكلمة الشنعاء هي قولهم: ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ [مريم: ٨٨] كما تقدم في سورة مريم. قوله: (فوق التي تليها) متعلق بمحذوف أي: وتسقط فوق الخ. وهذا يقتضي أن الضمير عائد على السموات وهو أحد الاحتمالات ذكرها السمين فقال: قوله: من فوقهن في هذا الضمير ثلاثة أوجه، أحدها: أنه عائد على السموات أي يبتدأ انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما قبلها. الثاني: أنه عائد على الأرضين لتقدم ذكر الأرض قبل ذلك. الثالث: أنه عائد على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الأخفش الصغير اهـ.

قوله: ﴿والملائكة يسبحون﴾ الخ كلام مستأنف. قوله: ﴿ويستغفرون﴾ أي يشفعون لمن في الأرض من المؤمنين، فالمراد بالاستغفار الشفاعة كما في قوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر: ٧] أو يطلبون هدايتهم اهـ كرخي.

وبعضهم أبقى من في الأرض على عمومه بحيث يشمل الكفار كالبيضاوي ونصه: ويستغفرون لمن في الأرض أي: بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة، وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر، بل فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع لعم الحيوان بل الجماد اهـ.

وقوله: فيما يستدعي مغفرتهم الخ جواب عما يقال أن من في الأرض يعم الكفار فكيف نستغفر لهم الملائكة وقد ثبت أنهم يلعنونهم كما قال: ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ [آل عمران: ٨٧] ولا وجه لكونهم لاعنين لهم ومستغفرين. وتقرير الجواب أنه لا منافاة لأن استغفارهم بمعنى السعي فيما يستدعي مغفرتهم وهو الإيمان، فإن استغفارهم في حق الكفار بطلب الإيمان لهم، وفي حق المؤمنين بالتجاوز عن سيئاتهم فيكون استغفارهم في حق عامة من في الأرض محمولاً على عموم المجاز اهـ زاده.

وفي القرطبي: ويستغفرون لمن في الأرض قال الضحاك: لمن في الأرض من المؤمنين، وقال السدي: بيانه في سورة المؤمن ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر: ٧]، وعلى هذا يكون المراد بالملائكة هنا حملة العرش، وقيل: جميع ملائكة السماء وهو الظاهر من قول الكلبي. وقال وهب بن

للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ ۝٥﴾ بهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ﴾ محصٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ تحصل المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوّف ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أي يوم القيامة، تجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِي الْجَنَّةِ

منبه: هو منسوخ ويستغفرون للذين آمنوا، وقال المهدوي: والصحيح أنه ليس بمنسوخ لأنه خبر وهو خاص بالمؤمنين، قال أبو الحسن بن الحصار: وقد ظن بعض من جهل أن هذه الآية نزلت هاروت وماروت، وأنها منسوخة بالآية التي في المؤمن وما علموا أن حملة العرش مخصوصون بالاستغفاره للمؤمنين خاصة ولله وملائكة أخر يستغفرون لمن في الأرض. قال الماوردي: وفي استغفارهم لهم قولان، أحدهما: من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قاله مقاتل. الثاني: أنه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قال الكلبي. قلت: وهو الأظهر لأن من في الأرض يعم الكافر وغيره، وعلى قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر، وقال مطرف: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين اهـ.

قوله: (أي الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف، والثاني مذكور وهو أولياء وكذا يقال فيما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: (محص) أي: محص أعمالهم أي حافظها وضابطها لا يغيب عنه منها شيء اهـ شيخنا.

قوله: (تحصل المطلوب منهم) في البيضاوي: وما أنت عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليك أمرهم اهـ.

قوله: (ما عليك إلا البلاغ) هذا منسوخ بآية السيف. قوله: (مثل ذلك الإيحاء) أي: المذكور في قوله: يوحى إليك الخ. ورجوع الإشارة إلى المصدر المذكور أحد احتمالين والآخر أنها ترجع إلى الآية المتقدمة قريباً في قوله: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم﴾ [الشورى: ٦] الخ. وعبارة أبي السعود: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية، وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أي: ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك، وقيل: إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب، فالكاف مفعول به لأوحينا، وقرآناً عربياً حال من المفعول به أي: أوحيناه إليك وهو قرآن عربي اهـ.

قوله: ﴿قرآناً عربياً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول أوحينا، والكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة. الثاني: أنه حال من الكاف والكاف هي المفعول لأوحينا أي: أوحينا مثل ذلك الإيحاء وهو قرآن عربي اهـ سمين.

قوله: ﴿يوم الجمع﴾ هو المفعول الثاني والأول محذوف أي: وتنذر الناس عذاب يوم الجمع فحذف المفعول الأول من الإنذار الثاني، كما حذف المفعول الثاني من الإنذار الأول تقديره العذاب سمين.

﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ النار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال، والهمزة للإنكار، أي ليس المحذوف أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أي الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ مستأنف أو حال من يوم الجمع اهـ سمين.

وقوله: فريق مبتدأ خبره الظرف بعد وسوغ الابتداء بالنكرة مقام التفصيل، ويجوز أن يكون الخبر مقدراً تقديره منهم فريق، ويجوز أن يكون خبر المبتدأ مقدر أي المجموعون دل على ذلك قوله: يوم الجمع اهـ سمين.

قوله: ﴿فريق﴾ (منهم) أي: المجموعين المدلول عليه بيوم الجمع اهـ شيخنا.

قوله: (وهو الإسلام) أي: أو الكفر.

قوله: ﴿والظالمون﴾ الخ مقابل لقوله: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فكان يقتضي الظاهر أن يقال: ويدخل من يشاء في غضبه وعدل عنه إلى ما ذكر للمبالغة في الوعيد، فإن نفي من يتولاهم وينصرهم أدل على أن كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ منه اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى بل الخ) أو تقدير ببل وحدها أو بالهمزة وحدها اهـ سمين.

قوله: (التي للانتقال) أي: من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها، فهذا كلام مستأنف مقرر لما قبله من انتفاء أن يكون للظالمين ولي أو نصير اهـ أبو السعود.

قوله: (والفاء لمجرد العطف) أي: الخالي عن السببية، وفي الكرخي: قوله: لمجرد العطف أي عطف ما بعدها على ما قبلها وغرضه بهذا الرد الزمخشري في قوله: إنها جواب شرط مقدر أي: إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي الحق. قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه اهـ.

قوله: ﴿وما اختلفتم فيه﴾ ما مبتدأ شرطية أو موصوله، وقوله: من شيء بيان لها، وقوله: من الدين وغيره بيان لشيء والغير كالخصومات في أمور الدنيا، وفي البيضاوي: من شيء من أمر من أمور الدين أو الدنيا اهـ.

ولم يذكر الدنيا في الكشاف وهو الموافق لقوله هنا أنتم والكفار، إذ الظاهر أن المراد بأمور الدنيا المخاصمات ولا يلزم أن تكون بينهم وبين الكفرة، ولا يقال في مثله التحاكم إلى الله اهـ شهاب.

قوله: (يفصل بينكم) أي: بإثابة المحقين وعقاب المبطلين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ أي ذلكم الحاكم العظيم الشأن. الله: خبر أول، وقوله: ربي خبر ثان،

﴿أُنِيبُ ۝﴾ أرجع ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حوَّاء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجعل

وعليه توكلت ثالث، وإليه أنيب رابع فاطر السموات والأرض خامس، جعل لكم الخ سادس، ليس كمثله شيء سابع، وهو السميع البصير ثامن، له مقاليد الخ تاسع، يبسط الرزق الخ عاشر، شرع لكم الخ حادي عشر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ أي: من جنسكم أزواجاً أي نساء، ومن الأنعام أزواجاً أي وخلق الأنعام من جنسها أزواجاً، وخلق لكم من الأنعام أصنافاً أو أناثاً وذكوراً اهـ بيضاوي.

قوله: (حيث خلق حواء من ضلع آدم) عبارة القرطبي: جعل لكم من أنفسكم أزواجاً معناه إناثاً، وإنما قال من أنفسكم لأن خلق حواء من ضلع آدم، وقال مجاهد: نسلاً بعد نسل اهـ.

روي عن جعفر الصادق أنه قال: كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وعن ابن عباس قال: كان السجود يوم الجمعة من الزوال إلى العصر، ثم خلق له حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها ومدَّ يده لها، فقالت الملائكة: مه يا آدم. قال: ولم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها. قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تصلي على محمد ثلاث مرات. وذكر ابن الجوزي أنه لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر، فقال: يا رب وماذا أعطيها؟ فقال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل اهـ مواهب.

فلما فعل آدم ما أمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال: اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي أني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم اهـ شارحها.

قوله: (من ضلع) بوزن عنب، ويجوز أيضاً سكون اللام بوزن حمل اهـ شيخنا.

كما في القاموس والمختار والمصباح ونصه: الضلع من الحيوان بكسر الضاد، وأما اللام فتفتح في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم وهي أنثى وجمعها أضلع وأضلاع وضلوع وهي عظام الجنبين، وضلع الشيء ضلعاً من باب تعب أعوج، وضلع ضلعاً من باب نفع مال عن الحق، وضلعك معه أي ميلك وتضلع من الطعام امتلأ منه اهـ.

قوله: ﴿يذرؤكم فيه﴾ يجوز أن تكون في على بابها، والمعنى يكثركم في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد، والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والأنعام وغلب العقلاء المخاطبون على غيرهم الغيب. قال الزمخشري: وهي من الأحكام ذات العلتين. قال الشيخ: وهو اصطلاح غريب، ويعني أن الخطاب يغلب على الغيبة إذا اجتمعا، ثم قال الزمخشري: فإن قلت: فما معنى يذرؤكم في هذا التدبير، وهلا قيل يذرؤكم به؟ قلت: جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير، ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: ١٧٩] والثاني: أنها للسببية كالباء في يكثركم بسببه، والضمير يعود للجعل أو للمخلوق اهـ سمين.

المذكور، أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي، والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ لما يفعل ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾

قوله: (والضمير) وهو الكاف في يذرؤكم للأناسي، وفي المختار: الانس البشر واحده إنسي بالكسر وسكون النون، وأنس بفتحتين والجمع الأناسي اهـ.

وقوله: بالتغليب أي بسبب التغليب فغلب المخاطبون وهو الأنس على الأنعام الغير المخاطبين، وجمع الكل في ضمير واحد وهو كاف الخطاب، فلولا التغليب لقيل يذرؤكم ويذرؤهم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أنه جمع إنسان، ثم قال: والأناس قيل فعال بضم الفاء مشتق من الأنس، لكن يجوز حذف الهمزة تخفيفاً على غير قياس فبقي ناس اهـ.

قوله: (الكاف زائدة) هذا أحد الوجوه المذكورة في تقرير الآية وهو أسهلها اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ في هذه الآية أوجه، أحدها: وهو المشهور عند المعربين أن الكاف زائدة في خبر ليس، وشيء اسمها. والتقدير: ليس شيء مثله. قالوا: ولولا ادعاء زيادتها للزم أن يكون له مثل وهو محال، إذ يصير التقدير على أصالة الكاف ليس مثل مثله شيء فنفى المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً ولا مثل لذلك المثل وهذا محال تعالى الله عن ذلك، وقال أبو البقاء: ولو لم تكن زائدة لأفضى ذلك إلى المحال إذ كان يكون المعنى أن له مثلاً وليس لمثله مثل، وفي ذلك تناقض لأنه إذا كان له مثل فلمثله خمثل وهو هو مع أن إثبات المثل لله تعالى محال. قلت: وهي طريقة غريبة في تقرير الزيادة وهي طريقة حسنة الصناعة. والثاني: أن مثل هي الزيادة كزياتها في قوله تعالى: ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ [البقرة: ١٣٧] قال الطبري: كما زيدت الكاف في بعض المواضع، وهذا ليس بجيد لأن زيادة الأسماء ليست بجائزة، وأيضاً يصير التقدير ليس كهو شيء، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز إلا في الشعر. الثالث: أن العرب تقول مثلك لا يفعل كذا يعنون المخاطب نفسه لأنهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب فينفونها في اللفظ عن مثله فيثبت انتفاؤها عنه بدليلها. قال ابن قتيبة: العرب تقيم المثل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي هذا. الرابع: أن يراد بالمثل الصفة، وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله: ﴿مثل الجنة﴾ [الرعد: ٣٥] فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل اهـ بحروفه.

قال الراغب: المثل أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن الند يقال لما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط، والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر قال تعالى: ﴿كمثله شيء﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ جمع مقلاد أو مقليد أو أقليد كما تقدم الكلام عليه في سورة الزمر اهـ.

يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

قوله: (من المطر الخ) بيان للخزائن والغير كالجواهر المستخرجة من الأرض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ كالروم والفرس، وقوله: ﴿ويقدر﴾ لمن يشاء كالعرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿شرع لكم من الدين﴾ شروع في تفصيل ما أجمله أولاً بقوله: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ اهـ خطيب.

والخطاب في لكم لأمة محمد ﷺ، وتخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر لعلو شأنهم لأنهم أولو العزم لميل قلوب الكفرة إليهم لاتفاق الكل على نبوة بعضهم، وتفرد اليهود في موسى، والنصارى في عيسى، وقوله: ﴿والذي أوحينا إليك﴾ [فاطر: ٣١] فيه التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة لكمال الاعتناء بالإيحاء إليه اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: شرع لكم في الدين أي: بيَّن وسنَّ لكم طريقاً واضحاً من الدين أي: ديناً تطابقت على صحته الأنبياء وهو قوله تعالى: ﴿ما وصى به نوحاً﴾ وإنما خص نوحاً لأنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع، والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد ديناً واحداً. ﴿والذي أوحينا إليك﴾ أي من القرآن وشرائع الإسلام ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ إنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولو العزم، ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسله بقوله: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ والمراد من إقامة الدين هو توحيد الله والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلماً، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة. قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] اهـ.

وقوله: وأصحاب الشرائع المعظمة أي: المستقلة المتجددة، فكل من هؤلاء المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل إنما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله، فشيث وإدريس بعثا بتبليغ شرع آدم، وما بين نوح وإبراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليتأمل. قوله: (هو أول أنبياء الشريعة) قال القاضي أبو بكر بن العربي: ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير: «ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقولو له: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول رسول نبيء بغير إشكال، إلا أن آدم لم يكن معه إلا بنوه ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم، وإنما كان شرعه تنبيهاً على بعض الأمور واقتصاراً على ضرورات المعاش وأخذاً بوظائف الحياة والبقاء، واستمر إلى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء صلوات الله

وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو

وسلامه عليهم واحداً بعد واحد وشريعة أثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد ﷺ. وكان المعنى أوصيناك يا محمد ونوحاً ديناً واحداً يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشرائع وهي: التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والإذاية للخلق كيفما تصورت، والاعتداء على الحيوان كيفما دار، واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات، فهذا كله مشروع ديناً واحداً وملة متحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعذارهم، وذلك قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي: اجعلوه دائماً قائماً مستمراً محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب، فمن الخلق من وفى بذلك، ومنهم من نكث ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ واختلفت الشرائع وراء هذه في أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿والذي أوحينا إليك﴾ المراد بإيحائه إليه عليه الصلاة والسلام إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة. وفي قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك﴾ الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [النحل: ١٢٣] وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠] وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بالذي أصل الموصولات لزيادة تفخيمه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة، ولما في الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً، وتقديم توصية نوح عليه الصلاة والسلام للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً، وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطرق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن أقيموا الدين﴾ المراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له اهـ أبو السعود.

قوله: (هذا هو المشروع الخ) أي: أن تفسيرية بمعنى أي اهـ كرخي.

ويجوز أن تكون مصدرية في محل رفع خبر مبتدأ مضمر، تقديره: هو أن أقيموا الخ، أو في محل نصب بدلاً من الموصول، أو في محل جر بدلاً من الدين اهـ سمين.

وفي أبي السعود: ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه، أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل: وما ذاك؟ فقيل: هو إقامة الدين، وقيل: هو بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه من حيز الإيحاء إلى النبي ﷺ مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام،

التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يقبل إلى طاعته ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ أي أهل الأديان في الدين، بأن

وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر، مع أن الظاهر أنه متوجه إلى أمته ﷺ وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبراً، أي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] اهـ.

قوله: (وهو التوحيد) هذا هو المراد بالدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل وهو المراد من ما في قوله: ﴿ما وصي به نوحاً﴾ وفي قوله: ﴿وما وصينا به إبراهيم الخ﴾ وأما الذي في قوله: ﴿والذي أوحينا إليك﴾ فهو أعم من ذلك، لأن المراد به جميع الشريعة المحمدية أصولاً وفروعاً، فعلى هذا كان ظاهر النظم أن يقال ما وصي به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى، والذي أوحينا إليك من جميع شريعتك فليتأمل. قوله: (عظم) ﴿على المشركين﴾ أي: شق عليهم، وهذا شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم اهـ أبو السعود.

قوله: (من التوحيد) قصر على هذا بقرينة قوله على المشركين، والأولى التعميم لدلالة السياق ولا يمنعه تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى اهـ كرخي.

قوله: ﴿الله يجتبي إليه الخ﴾ استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة اهـ أبو السعود.

والاجتباء افتعال من الجباية وهي الجمع قال الراغب: يقال جبيت الماء في الحوض أي: جمعته، ومنه قوله تعالى: ﴿يجبي إليه ثمرات كل شيء﴾ [القصص ٥٧] والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء قال تعالى: ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ [الأعراف: ٢٠] واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي لتحصل له أنواع النعم بلا سعي منه اهـ شهاب.

قوله: ﴿من ينيب﴾ ضمنه معنى يميل فعداه بإلى، ولذا قال الشارح يقبل إلى طاعته اهـ.

قوله: ﴿ما تفرقوا﴾ الخ شروع في بيان حال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: وما تفرقوا قال ابن عباس يعني قريشاً إلا من بعدما جاءهم العلم يعني محمداً ﷺ كانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير﴾ [فاطر: ٤٢] يريدون نبياً، وقال في سورة البقرة: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [البقرة: ٨٩] على ما تقدم بيانه هناك، وقيل: أمم الأنبياء المتقدمين وأنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم، وقال ابن عباس أيضاً: يعني أهل الكتاب دليله في سورة المنفكين: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤] فالمشركون قالوا لم خص بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى بغياً بينهم أي: بغياً من بعضهم على بعض طلباً

وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ موقع في الريبة ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُۖ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي بأن

للرئاسة، فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا اهـ.

قوله: (بالتوحيد) عبارة البيضاوي: إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه أو العلم بمبعث الرسول أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا إليها اهـ.

قوله: ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن أثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: وإن الذين أورثوا الكتاب أي: التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى أي: الذين في عهده ﷺ اهـ.

قوله: ﴿لفي شك منه﴾ (من محمد ﷺ) أي: أو من القرآن وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتدال النقيضين وتساويهما في الذهن، بل المراد به ما هو أعم أي مطلق التردد اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وإن الذين أورثوا الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم، أي: من بعد المختلفين في الحق لفي شك من الذي أوصى به الأنبياء، والكتاب هنا التوراة والإنجيل. وقيل: إن الذين أورثوا الكتاب قريش من بعدهم أي: من بعد اليهود والنصارى لفي شك من القرآن ومن محمد، وقال مجاهد: معنى من بعدهم من قبلهم يعني: من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى اهـ.

قوله: (موقع الريبة) هي قلق النفس واضطرابها اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلذلك فادع﴾ الخ أي: فلأجل ذلك التفرق أو التفرق أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما أوتيته، وعلى هذا يجوز أن تكون اللام في موضع إلى لإفادة الصلة والتعليل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿واستقم﴾ فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم، فلا حاجة إلى تأويلها بالدوام على الاستقامة اهـ شهاب.

قوله: ﴿من كتاب﴾ بيان لما. أي: آمنت بأي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض، وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي بأن أعدل) أشار به إلى أن اللام بمعنى الباء، وأن أن المصدرية مقدرة اهـ شيخنا.

أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ المرجع ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ نبيه ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا

قوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال، وليس في الآية إلا ما يدل على المتاركة في المقاولة والمحاجة لا مطلقاً حتى تكون منسوخة، وإنما عبَّر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة لهم على زعمهم الباطل اهـ كرخي.

وغرضه الاعتراض على الشارح في دعوى النسخ التي أشار إليها بقوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال ابن عباس، ومجاهد: الخطاب لليهود أي: لنا ديننا ولكم دينكم. قال: ثم نسخت بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ [التوبة: ٢٩] الآية قال مجاهد: ومعنى لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم، وقيل: ليست منسوخة لأن البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال اهـ.

قوله: ﴿والذين يحاجون﴾ مبتدأ، وحجتهم مبتدأ ثان، وداحضة خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿من بعد ما استجيب له﴾ الضمير في له راجع على محمد المعلوم من السياق الدال عليه الفعل وهو يحاجون كما قدره بقوله: (نبيه)، وفاعل استجيب الناس الداخلون في الإيمان، والسين والتاء زائدتان أي: من بعد ما أجاب الناس له أي: لمحمد بالإيمان، وقوله: وهم اليهود تفسير للذين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿داحضة﴾ في المختار: دحضت حجته بطلت وبابه خضع، وأدحضها الله ودحضت رجله زلقت وبابه قطع والإدحاض الإزلاق اهـ.

قوله: (متعلق بأنزل) أي: والباء للملابسة. قوله: (العدل) أي: فالميزان متجوز به عن العدل استعمالاً للسبب في المسبب وانزال العدل هو الأمر والتكليف به اهـ كرخي.

وفي القرطبي: الله الذي أنزل الكتاب يعني القرآن وسائر الكتب المنزلة قبلك بالحق أي بالصدق والميزان أي: العدل قاله ابن عباس، وأكثر المفسرين. والعدل يسمى ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل، وقيل: الميزان ما بين في الكتب مما يجب على كل إنسان أن يعمل به، وقال قتادة: الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه، وهذه الأقوال متقاربة المعنى وقيل: هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعذاب، وقيل: إنه الميزان نفسه الذي يوزن به أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس. قال الله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان

﴿يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي إتيانها ﴿قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده، سد مسد المفعولين ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم

ليقوم الناس بالقسط﴾ [الحديد: ٢٥] قال مجاهد: هو الذي يوزن به، ومعنى إنزال الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿وما يدريك﴾ الخ أي: أي شيء يجعلك عالماً بقرب الساعة غير الوحي السماوي، والاستفهام إنكاري أي: لا سبب يوصلك للعلم بقربها إلا الوحي الذي ينزل عليك، وقوله الشارح أو ما بعده الخ صوابه التعبير بالواو، لأن حاصل معنى التعليق إبطال العمل لفظاً وبقاؤه محلاً لمجيء ماله صدر الكلام، فلو عبر بالواو لكان أولى ويمكن جعل أو بمعناها فتأمل. قوله: (أي إتيانها) جواب عما يقال كيف ذكر قريب مع أنه صفة لمؤنث، وحاصل الجواب أن الكلام على حذف المضاف اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: أي إتيانها إشارة إلى وجه تذكير قريب مع إسناده إلى ضمير الساعة ظاهراً يعني أن فيه مضافاً مضمراً أو هو الإتيان، انتهت.

ولا يقال: إن قريب يستوي فيه المذكر والمؤنث لأن فعيلاً هنا بمعنى فاعل ولا يستوي فيه ما ذكر اهـ.

قوله: (أو ما بعده) أي: بعد الفعل وهو يدريك، والذي بعده جملة لعل الساعة قريب يعني: والمفعول الأول هو الكاف، فهذا الفعل متعد لثلاثة لأنه مضارع أدرى المتعدي لها بالهمزة اهـ شيخنا.

ولينظر هذا مع ما صنفه الشارح في سورة القارعة حيث أعرب جملة ما القارعة في محل نصب سادة مسد المفعول الثاني، فجعل الفعل متعدياً لاثنين، وغاية ما قال السمين هنا وفي سورة الأنبياء: إن هذه الجملة لعل الساعة قريب في محل نصب لتعليقه عنها ولم يذكر أنها سدت مفعول أو مفعولين اهـ.

قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بها﴾ أي: فلا يشفقون منها، وقوله: خائفون منها أي: فلا يستعجلونها، ففي الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال أولاً وحذف الإشفاق، وذكر الإشفاق وحذف الاستعجال اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أي: أنها الكائنة لا محالة اهـ.

قوله: ﴿لفي ضلال بعيد﴾ أي: عن الحق، فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الله لطيف بعباده﴾ الخ قال ابن عباس: حفي بهم، وقال عكرمة: بار بهم، وقال السدي: رفيق بهم، وقال مقاتل: لطيف بالبار والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم، وقال القرطبي: لطيف بهم في العرض والمحاسبة. وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: يلطف بهم

﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ﴾ على مراده ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ الغالب على أمره ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بعمله ﴿ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أي كسبها وهو الثواب ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ بالتضعيف فيه

في الرزق من وجهين، أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات. والثاني: أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره. وقال الحسين بن الفضيل: لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره، وقال الجنيد: لطيف بأوليائه حتى عرفوه ولو لطف بأعدائه لما جحدوه، وقال محمد بن علي الكناني: اللطيف من لجأ إليه من عباده إذا يئس من الخلق توكل عليه ورجع إليه، فحينئذ يقلبه ويقبل عليه. وجاء في حديث النبي ﷺ: «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس، فيقول الله عز وجل انمحت آثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم». وقال أبو علي رضي الله عنه: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب، وعلى هذا قال النبي ﷺ: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح». وقيل: هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير، وقيل: هو الذي لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله، وقيل: هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه، وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يؤيس آمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو، وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل: هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً وأجرى لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً، وقد مضى في الأنعام قول أبي العالية والجنيد. وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله اهـ.

قوله: ﴿يرزق من يشاء﴾ أي: ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض إلى البعض كما قال: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ [الزخرف: ٣٢] وكان هذا لطفاً بالعباد ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ [الفرقان: ٢٠] أتصبرون على ما تقدم بيانه اهـ قرطبي.

قوله: (من كل منهم) تفسير لمن فحملها على العموم أي: فالذي يشاء الله رزقه هو كل منهم، فلا تنافي بين قوله: من يشاء وبين التعميم الذي ذكره في عباده، وقوله: ما يشاء أي: الله من أنواع الرزق، فهو وإن كان يرزق كل ذي روح لكنه فاوت بين المرزوقين في الرزق قلة وكثرة وجنساً ونوعاً وحكمة يعلمها هو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ الخ قال القشيري: الظاهر أن الآية في الكافر توسع عليه الدينا أي لا ينبغي له أن يغتر بذلك لأن الدنيا، لا تبقى، وقال قتادة: إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا. وقال أيضاً: يقول الله تعالى: من عمل لآخرته زدناه في عمله وأعطيناه من الدنيا ما كتبناه له، ومن آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار ولم يصب من الدنيا إلا رزقاً قد قسمناه له اهـ.

قوله: (وهو الثواب) الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض ويطلق على الزرع الحاصل منه، ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من

الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي الشركاء ﴿لَهُم﴾ للكفار ﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ مؤلم ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي

البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور اهـ شيخنا.

قوله: (الحسنة) منصوب بالمصدر وهو التضعيف كما يدل عليه عبارة غيره اهـ.

قوله: ﴿من كان يريد حرث الدنيا﴾ أي: من كان يريد بعلمه حرث الدنيا ومتاعها وطيباتها نؤته منها أي: شيئاً منها حسبما قسمناه له لا ما يريده ويبتغيه اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ومن كان يريد بعلمه حرث الدنيا أي: أرزاقها التي تطلب بالكد والسعي وتنال به مكتفياً به مؤثراً له على الآخرة نؤته منها أي: ما قسمناه له ولو تهاون به ولم يطلبه لأتاه اهـ.

قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ قدرها الشارح ببل التي للانتقال عن قوله شرع لكم من الدين الخ، وقدرها غيره ببل المذكورة والهمزة التي للتقريع والتوبيخ اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: أم لهم شركاء أي: ألهم شركاء والميم صلة والهمزة للتقريع، وهذا متصل بقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ [الشورى: ١٣] وقوله: ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ [الشورى: ١٧] كانوا لا يؤمنون به فهل لهم آلهة شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله، وإذا استحال هذا فالله لم يشرع فمن أين يتدينون به اهـ.

قوله: (وهم شياطينهم) أي: فشركاؤهم هم الذين يشاركونهم في الكفر والعصيان والإضافة على حقيقتها وإسناد الشرع إليها، لأنها سبب ضلالهم وافتتانهم بما تدينوا به أي: إسناد مجازي إلى السبب اهـ كرخي.

قوله: ﴿ترى الظالمين﴾ الخ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية، وقوله: ﴿مشفقين﴾ حال. وقوله: ﴿وهو واقع بهم﴾ حال أخرى. وقوله: (أن يجازوا عليها) أشار به إلى أن الكلام على حذف المضاف أي: من جزاء ما كسبوا اهـ شيخنا.

قوله: (لا محالة) أي: أشفقوا أو لم يشفقوا أي: لا بد لهم منه، وفيه إشارة إلى جواب ما يقال إذا كان الخوف عما يلحق الإنسان لتوقع مكروه، فكيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿هو واقع بهم﴾ وإيضاح الجواب: أنهم خائفون مشفقون يحاولون الحذر حين لا ينفعهم الحذر، لأن الخائف إذا استشعر بما يتوقع منه المكروه وأخذ في الدفع ربما يتخلص منه، ومن ترك الحذر حتى إذا ألم به

﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أنزهها بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ من البشارة مخففاً ومثقلاً به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع، أي لكن أسألكم

المحذور وزال الدفع كان مظنة للتعجب منه والتعجيب اهـ كرخي.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ، قوله: ﴿في روضات الجنات﴾ خبر. قوله: (أنزهها بالنسبة إلى من دونهم) وهم الذين آمنوا أو لم يعملوا الصالحات اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وروضة الجنة أطيب بقعة فيها، وفيه تنبيه على أن عصاة المسلمين من أهل الجنة لأنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة، والبقاع التي دون تلك الأوصاف لا بد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات اهـ.

قوله: (عند ربهم) يجوز أن يكون ظرفاً ليشاؤون، ويجوز أن يكون ظرفاً للاستقرار العامل في لهم والعندية مجازاً اهـ سمين.

قوله: ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ أي؛ الذي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته، لأن الحق إذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، وقوله: الذي يبشر خبره، وقوله: مخففاً ومثقلاً سبعيتان. وفي السمين ذلك مبتدأ والموصول بعده خبره وعائد محذوف على التدريج المذكور في قوله: كالذي حاضوا أي: يبشر به ثم يبشره على الاتساع، وأما على رأي يونس فلا يحتاج إلى عائد لأنها عنده مصدرية، وهو قول الفراء أيضاً أي: ذلك تبشير الله عباده، وذلك إشارة إلى ما أعده الله لهم من الكرامة، وقال الزمخشري: أي: ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده اهـ.

قوله: ﴿قل لا أسألكم﴾ أي: قل لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين لا أسألكم أي: الآن، ولا في مستقبل الزمان عليه أي: على البلاغ ببشارة أو نذارة أجراً أي: وإن قلّ إلا أي لكن أسألكم المودة أي: المحبة العظيمة الواسعة في القربى، أي: مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعاً للمودة وظرفاً لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها.

تنبيه:

في الآية ثلاثة أقوال، أولها: قال الشعبي: أكثر الناس علينا في هذه الآية، فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك، فكتب ابن عباس: إن رسول الله ﷺ كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة، فقال الله عز وجل: قل لا أسألكم عليه أجراً على ما أدعوكم إليه إلا أن تودوا القربى أي ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني، فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني، وإلى هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما. ثانيهما: روى الكلبي، عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق ليس في يده سعة، فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة

. . . .

من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجراً أي: على الإيمان أجراً إلا المودة في القربى أي: إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب. ثالثهما: قال الحسن معناه إلا أن تودوا الله تعالى وتقربوا إليه بالطاعة والعمل الصالح، فالقربى على القول الأول القرابة التي بمعنى الرحم، وعلى الثاني بمعنى الأقارب، وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى. فإن قيل: طلب الأجرة على تبليغ الوحي لا يجوز لوجوه، أحدها: أنه تعالى حكى عن أكثر الأنبياء التصريح بنفي الطلب للأجرة فقال تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الشعراء: ١٠٩] الآية. وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا أفضل الأنبياء، فهو بأن لا يطلب الأجر على النبوة والرسالة أولى. ثانيها: أنه ﷺ صرح بنفي طلب الأجر فقال: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ [سبأ: ٤٧] ﴿وقل ما أسألكم عليه من أجر﴾ [الفرقان: ٥٧]. ثالثها: أن التبليغ كان واجباً عليه قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧] الآية. وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلاً عن أعلم العلماء. رابعها: أن النبوة أفضل من الحكمة وقد قال تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] وصف الدنيا بأنها متاع قليل فقال: ﴿قل متاع الدنيا قبل﴾ [النساء: ٧٧] فكيف يحسن في العقل مقابلة أشرف الأشياء بأخس الأشياء. خامسها: أن طلب الأجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة، فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز من النبي ﷺ أن يطلب أجراً البتة على التبليغ والرسالة، وههنا قد ذكر ما يجري مجرى طلب الأجرى وهو المودة في القربى. أجيب: بأنه لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الأجر على التبليغ. وأما قوله تعالى: **﴿إلا المودة في القربى﴾** فالجواب عنه من وجهين، **الأول**: أن هذا على حد قوله: ولا عيب فيهم البيت يعني أني لا أطلب منكم إلا هذا، وهذا في الحقيقة ليس أجراً، لأن حصول المودة بين المسلمين أمر واجب. **قال تعالى**: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١] وقال ﷺ: «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً» والآيات والأخبار في هذا كثيرة، وإذا كان حصول المودة بين المسلمين واجباً فحصولها في حق أشرف المرسلين أولى فقوله تعالى: **﴿إلا المودة في القربى﴾** تقديره: والمودة في القربى ليست أجراً فرجع الحاصل إلى أنه لا أجر البتة. **الثاني**: أن هذا استثناء منقطع كما مرَّ تقديره في الآية، وتم الكلام عند قوله: **﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾** ثم قال: إلا المودة في القربى أي: أذكركم قرابتي فيكم فكأنه في اللفظ أجر وليس بأجر. واختلفوا في قرابته ﷺ فقيل: هم فاطمة وعلي وأتباعهما وفيهم نزل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وروى زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل جعفر وآل عباس. وروى ابن عمر بن أبي بكر قال: ارقبوا محمداً في أهل بيته، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية ولا إسلاماً. وقيل: هذه الآية منسوخة، وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم، والحسين بن الفضيل. قال البغوي: وهذا قول غير مرضي لأن مودة النبي ﷺ،

أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ للقليل

وكف الأذى عنه، ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين اهـ خطيب.

قوله: ﴿المودة﴾ فيها قولان، أحدهما: أنه استثناء منقطع إذ ليست من جنس الأجر. والثاني: أنه متصل أي: لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا، وهو أن تودوا أهل قرابتي وليس هذا في الحقيقة أجراً لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم قاله الزمخشري، وقال أيضاً: فإن قلت: هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى؟ قلت: جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها كقولك: لي في آل فلان مودة وليست في صلة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى، وإنما هي متعلقة بمحذوف أي: إلا المودة ثابتة ومتمكنة في القربى اهـ سمين.

القربى في الأصل من جملة مصادر قرب ضد بعد، وقد تستعمل بمعنى القرابة والرحم بين الناس كما في كتب اللغة، وفي البيضاوي: إلا المودة في القربى أي: إلا إن تودوني لقرابة منكم أو تودوا قرابتي اهـ.

أي: فالمراد مصدر مقدر بأن والفعل والقرب مصدر كالقرابة، وفي للسببية وهي بمعنى اللام لتقارب السبب والعلة، والخطاب إما لقريش أو لهم وللأنصار لأنهم أخواله أو لجميع العرب لأنهم أقاربه في الجملة، والمعنى إن لم تعرفوا حقي لنبوتي وكوني رحمة عامة فلا أقل من مودتي لأجل القرابة، وقوله: أوتودوا قرابتي أي: فالمراد لا أطلب منكم إلا محبة أهل بيتي ففي للظرفية المجازية أي: مودة واقعة في قرابتي اهـ شهاب.

قوله: (أن تودوا قرابتي) لا حاجة إلى تقدير مضاف أي: أهل قرابتي كما توهم، لأن القرابة كما تكون مصدراً تكون اسم جمع لقريب كالصحابة كما ذكره ابن مالك في التسهيل اهـ شهاب.

قوله: (فإن له في كل بطن) أي: قبيلة من قريش قرابة، وقريش هم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي: يكتسب، وأصل القرف الكسب يقال: فلان يقرف لعياله من باب ضرب أي: يكتسب، والاقتراف الاكتساب وهو مأخوذ من قولهم: رجل قرفة إذا كان محتالاً، وقال ابن عبس: ومن يقترف حسنة قال المودة لآل محمد ﷺ اهـ قرطبي.

قوله: ﴿شكور﴾ (للقليل) في البيضاوي: شكور لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضيل عليه بالزيادة اهـ.

وقوله: بتوفية الثواب يعني أن الشكر من الله يراد به هذا المعنى مجازاً، لأن معناه الحقيقي وهو فعل ينبىء الخ لا يتصور منه تعالى شبهت إثابة الله تعالى وتفضله عليهم بالزيادة بالشكر الحقيقي من حيث إن كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير وإكرامه لأجله اهـ زاده.

فيضاعفه ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ بما في القلوب ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالياء والتاء

قوله: (يربط) ﴿على قلبك﴾ من بابي ضرب وقتل اهـ مصباح.

قوله: (وقد فعل) أي: ختم على قلبه بأن صبره على ما ذكر اهـ شيخنا.

ودل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها، فكان المقام مقام كلمة لو دون أن لأنها تستعمل فيما لا قطع بعدمه، لكن قد ترد كلمة أن في مثله على سبيل المساهلة وإرخاء العنان كما قال تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ [الزخرف: ٨١] اهـ كرخي.

وقيل: معنى يختم على قلبك يطبع عليه. وفي الخطيب: قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبره في هذه الآية أي: أنه لا يجترىء على افتراء الكذب إلا من كان في هذه الحالة، والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد، ومثاله: أن ينسب رجل بعض الأمناء إلى الخيانة، فيقول الأمين عند ذلك لعل الله خذلني وأعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه، وإنما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه اهـ.

قوله: ﴿ويمح الله الباطل﴾ مستأنف غير داخل في جزاء الشرط، لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً، وسقطت الواو منه لفظاً لالتقاء الساكنين وخطاً حملاً له على اللفظ كما كتبوا ﴿سندع الزبانية﴾ [العلق: ١٨] اهـ سمين.

قوله: ﴿بكلماته﴾ أي: القرآن.

قوله: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أولياءه وأهل طاعته. قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط، أحدها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً. فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة، وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة، والشرط الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة. وقيل: التوبة الانتقال عن المعاصي نية وفعلاً والإقبال على الطاعات نية وفعلاً، وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. روى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وروى مسلم عن الأغر بن يسار المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» اهـ خازن.

قوله: (منهم) تفسير لقوله عن عباده أشار به إلى أن عن بمعنى من اهـ شيخنا.

والقبول يعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإبانة اهـ بيضاوي.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْا۟﴾ جميعهم، أي طغوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن

فلتضمنه معنى الأخذ يعدى بمن، يقال: قبلته منه أي: أخذته، ولتضمنه معنى الإبانة والتفريق يعدى بعن. يقال: قبلته عنه أي: أزلته وأبنته عنه اهـ زاده.

وعن علي رضي الله عنه: التوبة اسم يقع على ستة معان الندم على الماضي من الذنوب واستدراك ما ضيع وأهمل من الفروض بقضائه، وعلى رد المظالم، وعلى إذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وعلى إذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، وعلى البكاء، بدل كل ضحك ضحكته اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة أي: يجازي التائب ويتجاوز عن غير التائب، وصدورهما عنه عز وجل إتقان منه وحكمة وإن لم ندرك ذلك بعقولنا فلا اعتراض لأحد عليه قاله الطيبي اهـ كرخي.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان.

قوله: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ يجوز أن يكون الموصول فاعلاً أي: يجيبون ربهم إذا دعاهم والسين والتاء زائدتان، ويجوز أن يكون مفعولاً والفاعل مضمر يعود على الله، بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا والسين والتاء زائدتان أيضاً اهـ سمين.

والشارح حمله على الثاني اهـ.

قوله: (يجيبهم إلى ما يسألون) أشار به إلى أن، ويستجيب بمعنى يجيب، والموصول مفعول به، والفاعل مضمر يعود على الله، والمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا أي: دعاءهم، وقيل: اللام مقدرة أي: ويستجيب الله للذين آمنوا فحذفت للعلم بها، ويجوز أن يكون الموصول فاعلاً أي: يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ [الأنفال: ٢٤] واستظهره السفاقسي اهـ كرخي.

قوله: ﴿لبغوا في الأرض﴾ من المعلوم أن البغي حاصل بالفعل، فكيف يصح انتفاؤه بمقتضى لو الامتناعية، فلذلك فسَّر الشارح الواو بالجمع فجعل اللازم المنتفي بغي جميعهم، كما جعل الملزوم المنتفي أيضاً البسط للجميع اهـ شيخنا.

وذكروا في بسط الرزق موجباً للطغيان وجوهاً، الأول: أن الله لو سوى في الرزق بين الكل امتنع كون البعض محتاجاً إلى البعض، وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح. ثانيهما: أن هذه الآية مختصة بالعرب، فإنهم كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلأ والعشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة. ثالثها: أن الإنسان متكبر بالطبع، فإذا وجد الغني والقدرة عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية وهو التكبر، وإذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر وعاد إلى التواضع والطاعة، وقال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملبس اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية اهـ.

﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾ يبسط مطره ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ المحمود

وفي القرطبي: قال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس، وقيل: أراد لو أعطاهم الكثير لطلبوا أكثر منه لقوله عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً»، وهذا هو البغي وهو قول ابن عباس، وقيل: لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع، وقيل: أراد بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق أي: لو دام المطر لتشاغلوا به عن الدعاء فيقبض تارة ليتضرعوا ويبسط أخرى ليشكروا، وقيل: كانوا إذا أخصبوا غار بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي على هذا، وقال الزمخشري: لبغوا من البغي وهو الظلم أي: لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا، لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة. قال علماؤنا: أفعال الرب سبحانه لا تخلو عن مصالح، وإن لم يجب على الله الاستصلاح فقد يعلم من حال عبده أنه لو بسط عليه الرزق قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له، فليس ضيق الرزق هواناً ولا سعة الرزق فضيلة، وقد أعطى قوماً مع علمه بأنهم يستعملونه في الفساد، ولو فعل بهم خلاف ما فعل فكانوا أقرب من الصلاح، والأمر على الجملة مفوض إلى مشيئته ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من أفعال الله تعالى. وروى أنس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة وإني عليم أني لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى، إني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم فإني عليم خبير، ثم قال أنس: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلا الغنى فلا تفقر برحمتك اهـ.

قوله: (بالتخفيف وضده) سبعيتان وقوله: بقدر أي: تقدير. قوله: (وينشأ عن البسط) أي: للبعض البغي أي: من ذلك البعض، وهذا حاصل بالفعل وهو لا يرد على الآية لما علمت من حملها على العموم في البسط والبغي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ينزل الغيث﴾ بالتضعيف والتشديد أيضاً سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بعد ما قنطوا﴾ ما مصدرية أي؛ من بعد قنوطهم، والعامة على فتح النون. وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش بكسرها وهي لغة، وعليها قرىء لا تقنطوا بفتح النون في المتواتر ولم يقرأ بالكسر في الماضي إلا شاذاً اهـ سمين.

قوله: ﴿رحمته﴾ فسرها الشارح بالمطر، فيكون قد ذكر المطر باسمين الغيث لأنه يغيث من الشدائد والرحمة لأنه رحمة وإحسان اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وينشر رحمته أي بركات الغيث. ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان، أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاماً أولياً اهـ.

عندهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا

قوله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ أي: فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم قادر ففيه إشارة إلى ما قرر في الكلام من المسالك الأربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهي حدوث الجواهر وإمكانها، وحدوث الأعراض القائمة بها وإمكانها أيضاً، وفيه إشارة إلى أن خلق السموات والأرض من إضافة الصفة للموصوف أي: السموات المخلوقة والأرض المخلوقة اهـ كرخي.

قوله: ﴿و﴾ (خلق) ﴿ما بث﴾ أي؛ فيكون وما بث في موضع رفع عطفاً على خلق على حذف مضاف، ويجوز أن يكون في موضع جر عطفاً على السموات والأرض، وقدمه القاضي على الأول اهـ كرخي.

قوله: (هي ما يدب على الأرض) فيه إشارة إلى أن الضمير رجع إلى الأرض فقط، وأجيب بأن فيهما بمعنى فيها فهو من إطلاق المثنى على المفرد كما قوله تعالى: ﴿يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح، وما جوزه الزمخشري من أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الأناسي، أو يخلق الله تعالى في السموات حيوانات يمشون فيهما مشي الأناسي على الأرض بعيد من الأفهام لكونه على خلاف العرف العام، ولأن الشيء إنما يكون آية إذا كان معطوفاً ظاهراً مكشوفاً، ومن ثم أهمل القاضي ذكره اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذا يشاء﴾ أي: أي وقت يشاء وهو متعلق بما قبله لا بقوله قدير، فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته، لأن ذلك يؤدي إلى أن يصير المعنى وهو على جمعهم قدير إذا يشاء، فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو محال، وإذا عند كونها بمعنى الوقت تدخل في المضارع كما تدخل على الماضي وعلى جمعهم متعلق بقدير اهـ كرخي.

وأصله في السمين ناقلاً عن أبي البقاء، ثم قالت: قلت ولا أدري ما وجه كونه محالاً على مذهب أهل السنة، فإن كان يقول بقول المعتزلة وهو أن القدرة تتعلق بما لم يشأ الله تمشي كلامه، ولكنه مذهب رديء لا يجوز اعتقاده اهـ.

قوله: (في الضمير) وهو قوله على جمعهم الراجح للدابة، ولولا التغليب لكان يقال على جمعها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أصابكم﴾ ما شرطية ولذلك جاءت الفاء في جوابها، وقوله: من مصيبة بيان لها وقوله: فبما كسبت الباء سببية، وما عبارة عن الذنوب، فقول الشارح من الذنوب بيان لها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: فبما كسبت أيديكم قرأ نافع، وابن عامر بما دون فاء، والباقون فبما بإثباتها. فما في القراة الأولى الظاهر أنها موصولة بمعنى الذي والخبر الجار من قوله: بما كسبت،

كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن

وقال قوم منهم أبو البقاء إنها شرطية حذفت منها الفاء قال أبو البقاء: كقوله تعالى: ﴿وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١] وقول الآخر من يفعل الحسنات الله يشكرها.

وليس هذا مذهب الجمهور إنما قال به الأخفش وبعض البغداديين، وأما الآية فقوله: إنكم لمشركون ليس جواباً للشرط إنما هو جواب لقسم مقدر حذفت لامه الموطئة قبل أداة الشرط، وأما القراءة الثانية فالظاهر أنها فيها شرطية ولا يلتفت لقول أبي البقاء أنه ضعيف، ويجوز أن تكون الموصولة والفاء داخلة في الخبر تشبيهاً للموصول بالشرط بشروط ذكرتها مستوفاة في هذا الموضوع بحمد الله تعالى، وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما، فإن الفاء ساقطة من مصاحف المدينة والشام، وكذلك الباقون فإنها ثابتة في مصاحف مكة والعراق اهـ.

قوله: (تزاول) أي: تعالج وتحصل بها اهـ شيخنا.

وفي المختار: والمزاولة المحاورة والمعالجة وتزاولوا تعالجوا اهـ.

قوله: ﴿ويعفو عن كثير﴾ من تتمة قوله فبما كسبت أيديكم أي: أن الذنوب قسمان، قسم يعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن، وقال الضحاك: ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟ ذكره ابن المبارك. عن ابن عبد العزيز بن أبي رواد عنه قال أبو عبيد: إنما هذا على الترك فأما الذي هو دائم في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء، وقال علي رضي الله عنه: وهذ الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟ وقد روي هذا المعنى مرفوعاً عنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ. قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله، حدثنا بها النبي ﷺ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية. يعني ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه، وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكتة حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر». وقال الحسن: دخلنا على عمران بن الحصين، فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع فقال عمران: يا أخي لا تفعل فوالله إني لا أحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾، فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال أحمد بن أبي الحواري: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العلماء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم. قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها، أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها. وروي أن رجلاً قال لموسى: يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى، فلما نزل إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله، فقال موسى: يا رب ما بال هذا؟ فقال الله تعالى: يا

كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ منها فلا يجازي عليها وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركين ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله هرباً ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ كالجبال في العظم ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ

موسى أنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة في نيل تلك الدرجة. قال علماؤنا: وهذا في حق المؤمنين، وأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة، وقيل: هذا خطاب للكفار، وكان إذا أصابهم شر قالوا: هذا بشؤم محمد فرد الله عليهم وقال: بل ذلك بشؤم كفركم، والأول أظهر وأشهر. قال ثابت البناني: إنه كان يقال ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان، أحدهما: أنها خاصة في البالغين أن تكون عقوبة لهم وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم. الثاني: أنها عقوبة عامة للبالغين في أنفسهم والأطفال في غيرهم من والد ووالدة. ويعفو عن كثير أي: عن كثير من المعاصي بأن لا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن، وقيل: أي: يعفو عن كثير من العصاة لا يعجل عليهم بالعقوبة اهـ.

قوله: (فلا يجازى عليه) أي في الدنيا. قوله: (وهو تعالى أكرم الخ) هذا متعلق بقوله: فبما كسبت أيديكم، فكان عليه تقديمه على قوله: عن كثير كما صنع غيره، وقوله: من أن يثنى الجزاء في الآخرة أي: من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة أي: فالذنب الذي عاقب عليه في الدنيا بالمصيبة لا يعاقب عليه في الآخرة لأن الكريم لا يعاقب مرتين اهـ شيخنا.

قوله: (وأما غير المذنبين) كالأنبياء والأطفال والمجانين وهذا مقابل لقوله: فبما كسبت أيديكم، وقوله: (فما يصيبهم في الدنيا) مبتدأ، وقوله: لرفع درجاتهم خبر اهـ.

قوله: ﴿ومن آياته الجوار﴾ أي: آياته الدالة على وحدانيته وقوله: الجوار بحذف الياء في الحظ لأنها من ياءات الزوائد، وبإثباتها وحذفها في اللفظ في كل من الوصل والوقف قراءات سبعية اهـ شيخنا.

والجوار: نعت لمحذوف قدره بقوله: السفن، وعبارة النهر: جمع جارية وهي صفة جرت مجرى الأسماء فوليت العوامل، انتهت.

وعبارة السمين: فإن قتل: الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف. لا تقول مررت بماش لأن المشي عام، وتقول: مررت بمهندس وكاتب، والجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن فلا يجوز حذفه. والجواب: أن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسمية كالأبطح والأبرق، وإلاَّ جاز حذف الموصوف، وعلى هذا فقوله: ﴿في البحر كالأعلام﴾ حالان، انتهت.

وإلى هذا يشير صنيع الجلال حيث فسّر الجوار بالسفن فقط ولم يفسرها بالسفن الجارية، ففيه إشارة إلى أن المراد بالجواري ذات السفن لا مع وصف الجري تأمل.

﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ عطف على يسكن، أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ منها فلا يغرق أهله ﴿وَيَعْلَمَ﴾

قوله: ﴿فيظللن﴾ العامة على فتح اللام التي هى عين الفعل وهو القياس، لأن الماضي بكسرها تقول ظللت قائماً، وقرأ قتادة بكسرها وهو شاذ نحو: حسب يحسب وأخوته قد تقدمت آخر البقرة، وقال الزمخشري: من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل. قال الشيخ: وليس كما ذكر لأن يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني: أن كلاًّ منهما له أصل يرجع إليه بخلاف ظل فإن ماضية مكسور العين فقط والنون اسمها ورواكد خبرها، ويجوز أن يكون ضلل هنا بمعنى صار لأن المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط اهـ سمين.

قوله: ﴿رواكد﴾ (ثوابت) يقال: ركد الماء ركوداً من باب قعد سكن وكذلك الريح والسفينة والشمس إذا قام قائم الظهيرة، وكل ثابت في مكان فهو راكد، وركد الميزان استوى، وركد القوم هدؤوا والمراكد المواضع التي يركد فيها الإنسان وغيره اهـ قرطبي.

قوله: (هو المؤمن) أي: الكامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر أي: عن المعاصي، ونصف شكر وهو الإتيان بالواجبات اهـ كرخي.

قوله: (عطف على يسكن) قال الزمخشري: لأن المعنى إن يشأ يسكن فيركدون أو يعصفها فيغرقن بعصفها. قال الشيخ: ولا يتعين أن يكون التقدير أو يعصفها فيغرقن، لأن إهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح، بل قد يهلكها بقلع لوح أو خسف اهـ سمين.

قوله: (بعصف الريح بأهلهن) المراد بعصف الريح اشتدادها وتحريكها للأشياء بحيث إنها قد تتلفها بتحريكها. وفي المصباح: عصفت الريح عصفاً من باب ضرب وعصوفاً فاشتدت فهي عاصف وعاصفة، وجمع الأولى عواصف، والثانية عاصفات، ويقال أيضاً: أعصفت فهي معصفة ويسند الفعل إلى اليوم لوقوعه فيه فيقال: يوم عاصف كما يقال بارد لوقوع البرد فيه اهـ.

قوله: (أي أهلهن) تفسير للواو فهي عائدة على أهل السفن المعلوم من السياق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويعف عن كثير﴾ العامة على الجزم عطفاً على جواب الشرط، واستشكله القشيري وقال: لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيبقي تلك السفن رواكد، أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف، ويعف على هذا لأن المعنى يصير إن يشأ يعف، وليس المعنى على ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وقد قرأ قوم: ويعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى. قال الشيخ: وما قاله ليس بجيد إذ لم يفهم مدلول التركيب، والمعنى إلا أنه تعالى، إن يشأ أهلك ناساً وأنجى ناساً على طريق العفو عنهم، وقرأ الأخفش: ويعفو بالواو، وهو يحتمل أن يكون كالمجزوم وثبتت الواو في الجزم كثبوت الياء في من يتقي ويصبر، ويحتمل أن يكون الفعل مرفوعاً أخبر تعالى أنه يعفو عن كثير من السيئات: وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب

بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدّت مسد مفعولي يعلم، والنفي معلق عن العمل ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ ويعطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، من عطف

بإضمار أن بعد الواو وهذا كما قرىء بالأوجه الثلاثة بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] وقد تقدم تقريره آخر البقرة، ويكون قد عطف هذا المصدر المؤول من أن المضمرة والفعل على مصدر متوهم من الفعل قبله تقديره: أو يقع إيباق وعفو عن كثير، فقراءة النصب كقراءة الجزم في المعنى إلا أن في هذه عطف مصدر مؤول على مصدر متوهم، وفي تيك عطف فعل على مثله اهـ سمين.

قوله: (منها) أي: السفن أو الذنوب. قوله: (مستأنف) أي: أنه جملة اسمية أو فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلاً، وعلى كونها اسمية يكون مفعولاً، والفاعل ضمير مستتر يعدو على مبتدأ مقدر أي: وهو يعلم الذين اهـ سمين.

قوله: (وبالنصب الخ) وعليه أيضاً فالموصول إما فاعل أو مفعول اهـ شيخنا.

قوله: (لينتقم منهم) قال الشيخ: ويبعد تقديره لينتقم منهم لأن الذي ترتب على الشرط إهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير العلة أحد الأمرين اهـ.

قلت: بل يحسن تقديره لينتقم منهم كما قال شيخنا، لأن المقصود تعليل الإهلاك فقط الذي قدره الشارح بقوله أي: يغرقهم إذ هو المناسب للعلة المعطوفة وهي ويعلم الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما لهم﴾ خبر مقدم، وقوله: من محيص مبتدأ مؤخر بزيادة من. قوله: ﴿فما أوتيتم﴾ ما شرطية وهي في محل نصب مفعول ثان لأوتيتم، والأول ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل، وإنما قدمنا الثاني لأن له صدر الكلام، وقوله: من شيء بيان لما فيها من الإبهام، وقوله: فمتاع الحياة الدنيا الفاء في جواب الشرط، ومتاع خبر مبتدأ مضمر أي: فهو متاع، وقوله: وما عند الله مبتدأ، وخير خبره، وللذين متعلق بأبقى اهـ سمين.

قوله: (من أثاث الدنيا) أي: منافعها كالمأكل والمشرب والملبس والمنكح والمسكن والمركب، وقوله: ثم يزول أخذه من متاع لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعاً ينقضي اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الأثاث متاع البيت الواحدة أثاثة، وقيل: لا واحد له من لفظه اهـ.

قوله: (ويعطف عليهم) أي: على الذين آمنوا وقوله: والذين يجتنبون الخ نائب فاعل يعطف أي: هو وما بعده معطوف على الذين آمنوا، ونبه على هذا مع وضوحه للرد على أبي البقاء في توهمه أن التلاوة بغير واو اهـ كرخي.

قوله: ﴿كبائر الإثم﴾ قرأ الأخوان هنا وفي النجم كبير الإثم بالإفراد، والباقون كبائر بالجمع في

البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يتجاوزون ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾

سورتين، والمفرد هنا في معنى الجمع، والرسم يحتمل القراءتين اهـ سمين.

قوله: (موجبات الحدود) فعطفها من عطف الخاص على العام إذ الكبائر قد لا توجب الحد كالغيبة والنميمة وهذا ما أراده بقوله من عطف البعض على الكل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذا ما غضبوا﴾ إذا هذه منصوبة بيغفرون، ويغفرون خبر لهم، والجملة بأسرها عطف على الصلة وهي يجتنبون، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية، ويجوز أن يكون هم توكيداً للفاعل في قوله: غضبوا، وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط، وقال أبو البقاء: هم مبتدأ ويغفرون الخبر، والجملة جواب إذا وهذا غير صحيح لأنه لو كان جواباً لإذا لأقترن بالفاء تقول: إذا جاء زيد فعمرو ينطلق ولا يجوز عمرو ينطلق، وقيل: هم مرفوع بفعل مقدر يفسره يغفرون بعده، ولما حذف الفعل انفصل الضمير ولم يستبعده الشيخ اهـ سمين.

قوله: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ الخ نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا له اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: وهم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة، وأقاموا الصلاة أي: أدوها بشروطها وهيئاتها اهـ.

قوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ إدخال هذه الجملة لعله لمزيد الاهتمام بشأن التشاور، وللمبادرة إلى التنبيه على أن استجابتهم إلى الإيمان كانت عن بصيرة ورأي سديد اهـ كرخي.

وفي قرطبي: وأمرهم شورى بينهم أي: يتشاورون في الأمور، والشورى مصدر شاورته مثل البشرى، فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش. قال الحسن: أي أنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم، وقال الضحاك: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حين اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له، وقيل: تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم برأي دون بعض، وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة وسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم قط إلا هدوا، فمدح الله تعالى المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك. وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام: فأما الصحابة بعده ﷺ فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، فإن النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما سبق بيانه، وقال عمر: نرضى لدنيانا ما رضيه النبي ﷺ لديننا، وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال، واختلفوا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده، وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في الحروب حتى شاور عمر

يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ۝٣٨﴾ في طاعة الله ومن ذكر صنف ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال

الهرمزان حين وفد عليه مسلماً من المغازين. فقال الهرمزان: مثلها ومثل من فيها من الناس مثل طائر له رأس وله جناحان ورجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان، والرأس كسرى والجناح الواحد قيصر، والآخر فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى وذكر الحديث. وقال بعض العلماء: ما أخطأت قط إذا أحزبني أمر فشاورت قومي ففعلت الذي يرون، فإن أصبحت فهم المصيبون وإن أخطأت فهم المخطئون. وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: رسول الله ﷺ: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإن كان أمراؤهم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهورها» قال: حديث غريب اهـ.

قوله: (ولا يعجلون) من باب طرب. قوله: (من ذكر صنف) الذي ذكره هو المؤمنون المتصفون بالصفات المتقدمة، لكن المراد خصوص اتصافهم بقوله: وإذا ما غضبوا هم يغفرون بدليل عبارة الخازن ونصها: قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم بقوله: ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ وصنف ينتقمون من ظالمهم وهم الذي ذكرهم في قوله: ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾ اهـ.

قوله: ﴿**هم ينتصرون**﴾ هذا في الأعراف كقوله: وإذا ما غضبوا هم يغفرون سواء فيجيء فيه ما تقدم إلا أنه هنا أن يجوز أن يكون هم توكيداً للضمير المنصوب في أصابهم أكد بالضمير المرفوع وليس فيه إلا الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل، والظاهر أنه ممنوع اهـ سمين.

قوله: (كما قال تعالى الخ) يعني أن الأنتصار مشروط برعاية المماثلة كما قال تعالى: ﴿**وجزاء سيئة**﴾ الخ، ثم لما بين تعالى الأنتصار مشروع، وبيَّن شرط مشروعيته أشار إلى أنه غير مرغوب فيه وغير ممدوح، بل الممدوح شرعاً هو العفو كما قال تعالى: ﴿**فمن عفا وأصلح**﴾ الخ اهـ من الخطيب. وفي القرطبي: والذين إذا أصابهم البغي أي: أصابهم بغي المشركين. قال ابن عباس: وذلك أن المشركين بغوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وآذوهم وأخرجوهم من مكة، فأذن الله لهم بالخروج ومكَّن لهم في الأرض ونصرهم على من بغى عليهم، وذلك في قوله في سورة الحج: ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا إن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم**﴾ [الحج: ٣٩] الآيات كلها. وقيل: هو عام في بغي كل باغ من كافر وغيره أي: إذا انالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه وهذا إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود. قال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح، وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر، واحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين، إحداهما: أن يكون الباغي معلناً بالفجور مؤذياً للصغير والكبير فيكون الأنتقام منه أفضل قال: وفي مثله. قال إبراهيم النخعي: كانوا

تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنۡ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ الودّ بينه وبين المعفوّ عنه ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ أي البادئين بالظلم فيترتبُ عليهم عقابه ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾

يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجتريء عليهم الفساق اهـ.

الثانية: أن يقع ذلك ممن لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة، فالعفو ههنا أفضل وفي مثله نزلت: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقوله: ﴿فمن تصدق به كفارة له﴾ [المائدة: ٤٥] وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾. [النور: ٢٢] قلت: هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه قال: قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ يدل ظاهره على أن الأنتصار في هذا الموضع أفضل. ألا ترى أنه قرنه بذكر الاستجابة لله سبحانه وتعالى وأقام الصلاة، وهو محمول على ما ذكر إبراهيم النخعي كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجرأ عليهم الفساق، فهذا فيمن تعدى وأصر على ذلك، والمواضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادماً مقلعاً، وقد قال عقيب هذه الآية: ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، ويقتضي ذلك إباحاً الانتصار اهـ.

قوله: (وهذا) أي: قوله مثلها، وقوله: (من الجراحات) أي: وغيرها من سائر الجناحات التي فيه القصاص، وقوله: (قال بعضهم) هو مجاهد والسدي، وعبارة الخطيب: وقال مجاهد والسدي الآية مفروضة في جواب الكلام القبيح أي: إذا قال شخص أخزاك الله، فقل له أخزاك الله إذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تتعدى، انتهت.

وعبارة شرح المنهج في كتاب حد القذف نصها خاتمة: إذا سب شخص آخر فللآخر أن يسبه بقدر ما سبه، ولا يجوز سب أبيه ولا أمه، وإنما يسبه بما ليس كذباً ولا قذفاً نحو: يا أحمق يا ظالم إذ لا يكاد أحد ينفك عن ذلك، وإذا انتصر بسبه فقد استوفى ظلامته وبرىء الأول من حقه، وبقي عليه إثم الابتداء والإثم لحق الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿فمن عفا﴾ الفاء للتفريع أي: إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة وهي عسرة جداً، فالأولى العفو والإصلاح إذا كان قابلاً للإصلاح، فلا يرد أنه يخالف قولهم الحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأصلح﴾ (الود بينه وبين المعفو عنه) هذا إشارة إلى أن المراد بالإصلاح هنا إصلاح ما بينه وبين عدوه بالإغضاء عما صدر منه، فيكون من تتمة العفو ويكون كقوله: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه ولي حميم﴾ والمقصود من الآية التحريض على العفو وقد عرفت التوفيق بينه وبين الانتصار اهـ شهاب.

قوله: (أي البادئين بالظلم) هذا إشارة إلى دفع ما يتوهم من أنه كان الظاهر أن يقال: إن الله يحب المحسنين أو المقسطين بأن هذا أنسب إذ المقصود منه الحث على العفو لأن المجازي إذا زاد وتجاوز

أي ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ مؤاخذة ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ﴾ يعلمون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ بالمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢﴾ مؤلم ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم

حقه كان ظالماً، والمساواة من كل الوجوه متعذرة أو متعسرة اهـ شهاب.

قوله: ﴿لمن انتصر بعد ظلمه﴾ اللام للابتداء وجعلها الحوفي، وابن عطية للقسم وليس بجيد إذا جعلنا من شرطية كما سيأتي، لأنه كان ينبغي أن يجاب السابق وهنا لم يجب إلا الشرط ومن يجوز أن تكون شرطية وهو ظاهر، والفاء في فأولئك جواب الشرط وأن تكون موصولة، ودخلت الفاء لما عرفت من شبه الموصول بالشرط اهـ سمين.

قوله: (أي ظلم الظالم إياه) فيه إشارة إلى أن المصدر مضاف للمفعول وأيده في الكشاف بقراءة من قرأ بعد ما ظلم مبيناً للمفعول، وقد يقال: ما فائدة قوله بعد ظلمه إذ الانتصار لا يكون إلا بعد الظلم؟ وأجيب: بأنه لو لم يذكر لأوهم الانتصار مطلقاً لنفسه وغيره، والمنتصر لغيره لا يقال فيه ليس عليه سبيل، بل يقال له الثواب والأجر اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وفي هذه الآية دليل على أن له أن يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلاث أقسام.

أحدها: أن يكون قصاصاً في بدن يستحقه آدمي فلا حرج عليه إن استوفاه بغير عدوان وثبت حقه عند الحكام، لكن يزجره الإمام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجرأة على سفك الدماء، وإن كان حقه غير ثابت عند الحكام فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب بفعله فيقتص منه نظراً للظاهر.

القسم الثاني: أن يكون حداً لله تعالى لا حق لآدمي فيه كحد الزنا وقطع السرقة، فإن لم يثبت ذلك عند حاكم أخذ به وعوقب عليه وإن ثبت عند حاكم نظر فإن كان قطعاً في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعاً ولم يجب عليه في ذلك حق لأن التعزير أدب، وإن كان جلداً لم يسقط به الحد لتعديه مع بقاء محله فكان مأخوذاً بحكمه.

القسم الثالث: أن يكون حقاً في مال فيجوز لصاحبه أن يغالب على حقه حتى يصل إليه كان ممن هو عالم به إن كان غير عالم نظر، فإن أمكنه الوصول إليه عند المطالبة لم يكن له الاستبداد بأخذه، وإن كان لا يصل إليه بالمطالبة لجحود من هو عليه مع عدم بينة تشهد له. ففي جواز استبداده بأخذه، مذهبان، أحدهما: جوازه وهو قوله مالك والشافعي. الثاني: المنع وهو قول أبي حنيفة. قال بعض العلماء: إن من ظلم وأخذ له مال فإن له ثواب ما احتبس عنه إلى موته ثم يرجع الثواب إلى ورثته ثم كذلك إلى آخرهم لأن المال يصير بعد الموت للوارث قاله أبو جعفر الداودي المالكي وهذا صحيح في النظر، وعلى هذا القول إذا مات الظالم قبل المظلوم ولم يترك شيئاً أو ترك ما لم يعلمه وارثه لم ينتقل تباعة المظلوم إلى ورثة الظالم، لأنه لم يبق للظالم ما يستوجبه ورثة المظلوم اهـ.

قوله: ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي: لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿بغير الحق﴾ قيد به لأن البغي قد يكون مصحوباً بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه اهـ خطيب.

ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعاً ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ طريق ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ

قوله: ﴿ولمن صبر وغفر﴾ الكلام في اللام بين كما تقدم فإن جعلنا من شرطية فإن جواب القسم المقدر وحذف جواب الشرط للدلالة عليه، وإن كانت موصولة كان ان ذلك هو الخبر، وجوز الحوفي وغيره أن تكون من شرطية وإن ذلك جوابها على حذف الفاء على حد حذفها في البيت المشهور:

من يفعل الحسنات الله يشكرها

وفي الرابط قولان، أحدهما: هو اسم الإشارة إذا أريد به المبتدأ ويكون حينئذ على حذف مضاف تقديره أن صبر ذلك لمن عزم الأمور. الثاني: أنه ضمير محذوف تقديره لمن عزم الأمور منه أو له، وقوله: ولمن صبر عطف على قوله: ولمن انتصر بعد ظلمه والجملة من قوله: إنما السبيل الخ اعتراض اهـ سمين.

وفي القرطبي: ولمن صبر وغفر أي: صبر على الأذى، وغفر ترك الانتصار لوجه الله، وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى أن رجلاً سبَّ رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله تعالى فكان المسبوب يكظم ويعـرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. وبالجملة العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه كما تقدم، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة رضي الله عنهما بحضرته فكان ينهاها، فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دونك فانتصري». خرجه مسلم في صحيحه بمعناه، وقيل صبر عن المعاصي وستر على المساوىء إن ذلك لمن عزم الأمور. أي: من عزائم الله التي أمر بها، وقيل: من عزائم الصواب التي وفق لها اهـ.

قوله أيضاً: ﴿لمن صبر وغفر﴾ كرره اهتماماً بالصبر وترغيباً فيه، والصبر هنا هو الإصلاح المتقدم فأعيد هنا، وعبَّر عنه بالصبر لأنه من شأن أولي العزم، وأشار إلى أن العفو المحمود ما نشأ عن التحمل لا عن العجز اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ قاله هنا بلام التوكيد، وقاله في لقمان بدونها، لأن الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل أشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد، وكما أن العزم على الأول آكد منه على الثاني، وما هنا من القبيل الأول فكان أنسب بالتوكيد، وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه اهـ كرخي.

قوله: ﴿ومن يضلل الله﴾ أي: يخذله فماله من ولي من بعده هذا فيمن أعرض عن النبي ﷺ فيما دعاه إليه من الإيمان بالله والمودة في القربى، ولم يصدق في البعث، وأن متاع الدنيا قليل أي: من أضله الله عن هذه الأشياء فلا يهديه هاد اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وترى الظالمين﴾ الخ وقوله: وتراهم الخ الخطاب في الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية اهـ أبو السعود.

عَلَيْهَا﴾ أي النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ﴾ ضعيف النظر مسارقة، ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر إن ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ دائم هو من مقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي أنه إذا أتي به لا

والرؤية فيها بصرية، فالجملة الواقعة بعد كل منهما حالية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي: حين يرونه وذكر بلفظ الماضي تحقيقاً لوقوعه اهـ كرخي.

قوله: ﴿هل إلى مرد﴾ أي: رجوع.

قوله: ﴿يعرضون عليها﴾ حال لأن الرؤية بصرية، وقوله: خاشعين حال أيضاً، والضمير في عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها اهـ سمين.

قوله: ﴿من الذل﴾ متعلق بخاشعين. أي: من أجله، وقيل: متعلق بينظرون، وقوله: من طرف قيل: المراد به العضو وهو العين، وقيل: المراد به المصدر. يقال: طرفت عينه تطرف طرفاً أي: ينظرون نظراً خفياً اهـ سمين.

والمناسب لعبارة الشارح هو الأول اهـ شيخنا.

والمصباح: طرف البصر طرفاً من باب ضرب تحرك وطرف العين نظرها، ويطلق على الواحدة وغيره لأنه مصدر اهـ.

وفي المختار: وطرف بصره من باب ضرب إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، والمرة منه طرفة يقال أسرع من طرفة العين اهـ.

قوله: (مسارقة) أي: يسارقون النظر إليها خوفاً منا وذلاً في أنفسهم كما ينظر المقتول إلى السيف، فلا يقدر أن يملأ عينه ولا يفتحها فيه وإنما ينظر ببعضها اهـ خطيب.

قوله: ﴿يوم القيامة﴾ إما ظرف لخسروا فالقول في الدنيا، أو لقال فالقول في القيامة، ويكو عبَّر عنه بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه اهـ أبو السعود.

قوله: (بتخليدهم في النار) الخ لف ونشر مرتب. قوله: (هو من مقول الله) ويحتمل أن يكون من جملة كلامهم أيضاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كان لهم﴾ لهم: خبر مقدم، ومن أولياء اسمها مؤخر، وقوله: ينصرونهم صفة لأولياء. قوله: ﴿من سبيل﴾ إما مبتدأ بزيادة من أو فاعل بالظرف كذلك اهـ شيخنا.

يرد ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ ﴾ تلجؤون إليه ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ إنكار لذنوبكم ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ عن الإجابة ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿ فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ بلاء ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ للنعمة ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ

قوله: (لا يرده) فيه إشارة إلى أن قوله: من الله متعلق بمرد لأنه مصدر ميمي بمعنى الرد ويجوز تعلقه بيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من ملجأ﴾ أي: مفر ومهرب. وفي المصباح: لجأ إلى الحصن وغيره لجأ مهموز من بابي نفع وتعب، والتجأ إليه اعتصم به فالحصن ملجأ بفتح الميم والجيم، والجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف اضطررته إليه وأكرهته اهـ.

فقول الشارح تلجؤون بفتح الجيم. قوله: (إنكار لذنوبكم) أي: لأنها مدونة في صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم، وفي كلامه إشارة إلى أن النكير مصدر أنكر على غير قياس، ولعل المراد الإنكار المنجي، وإلاَّ فهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ومالكم من نكير أي ناصر ينصركم قاله مجاهد، وقيل: النكير بمعنى المنكر كالأليم بمعنى المؤلم أي: لا تجدون يومئذ منكراً لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن أبي حاتم. وقال الكلبي، وقال الزجاج: معناه أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها، وقيل: من نكير أي: إنكار على ما ينزل بكم من العذاب، والنكير والإنكار تغيير المنكر اهـ.

قوله: (بأن توافق) أي: الأعمال الصادرة منهم، وقوله: المطلوب منهم أي: الأعمال المطلوبة منهم بأن تكون أعمالهم على الوجه الذي طلبناه منهم من إيمان وطاعة، والمعنى لم نرسلك لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به تأمل. قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) فهو منسوخ.

قوله: ﴿وإنَّا إذا أذقنا الإنسان﴾ اعلم أن نعم الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلهذا سمي الإنعام إذاقه اهـ زاده.

وفي البيضاوي: وتصدير الشرطية الأولى بإذا والثانية بان لأن إذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقضية بالذات بخلاف إصابه البلية وإقامة علة الجزاء مقامه، ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانية للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم اهـ.

قوله: (الضمير) أي: في تصبهم، وقوله: باعتبار الجنس أي: فجمعه باعتبار المعنى، والظاهر أنه أراد الاستغراق فإن دلالة ضمير الجمع عليه أظهر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإن الإنسان كفور﴾ من وقوع الظاهر موضع المضمر أي: فإنه كفور، وقدر أبو البقاء ضميراً محذوفاً فقال: فإن الإنسان منهم اهـ سمين.

وفي الكرخي: الجملة جواب الشرط، وفي الحقيقة هي علة الجواب المقدر، والأصل وإن

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ﴾ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ فلا يلد، ولا يولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾

تصبهم سيئة نسي النعمة رأساً وذكر البلية، وهذا وإن اختص بالمجرمين فإسناده إلى الجنس لغلبة المجرمين أي: أنه حكم على الجنس بحال غالب أفراده للملابسة على المجاز العقلي وفيه إشارة إلى أن اللام في كل من الموضعين للجنس لا أنها للعهد في الثاني للتنافي بين العهد والجنس، ويجوز أن يجعل قوله بما قدمت أيديهم قرينة مخصصة للإنسان بالمجرمين، فيكون من المجاز في المفرد على ما أشار إليه في الكشاف اهـ.

قوله: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ الملك بالضم الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه، وفي المصباح: وملك السموات أمرهم ملكاً من باب ضرب إذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم اهـ.

وفي الخازن: أي له التصرف فيهما بما يريد اهـ.

قوله: ﴿يهب لمن يشاء﴾ الخ بدل مفصل من مجمل اهـ.

قال ابن عباس: يهب لمن يشاء إناثاً يريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً يريد محمداً ﷺ، فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم، وعبدالله، وإبراهيم، ومن البنات أربع زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ويجعل من يشاء عقيماً يريد يحيى وعيسى عليهما السلام. وقال أكثر المفسرين: هذا على وجه التمثيل وإنما الحكم في كل الناس، لأن المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأشياء كيف يشاء فلا معنى للتخصيص اهـ خطيب.

قوله: (من الأولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن لأنها عبارة عن الآباء اهـ شيخنا.

ويحتمل أنه حال مقدمة من إناثاً. وفي المختار: وهب له شيئاً يهبه وهباً بوزن وضع يضع وضعاً، ووهباً أيضاً بفتح الهاء وهبة بكسر الهاء والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما، والاتهاب قبول الهبة، والاستيهاب سؤال الهبة اهـ.

قوله: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ ذكراناً وإناثاً مفعول ثان ليزوج على تفسيره بيجعل كما صنع الشارح اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: أو يزوجهم أي: الأولاد فيجعلهم أزواجاً أي صنفين حال كونهم ذكراناً وإناثاً الخ اهـ.

وفي أبي السعود: أو يزوجهم أي: يقرن بين الصنفين فيهما جميعاً ذكراناً وإناثاً اهـ.

وفي المختار: قرن بين الشيئين من باب ضرب ونصر وصله به، وفي الشهاب: أو يزوجهم الضمير للأولاد وما بعده حال منه، أو مفعول ثان إن ضمن معنى التصيير يعني يجعل أولاد من يشاء ذكوراً وإناثاً مزدوجين اهـ.

بما يخلق ﴿قَدِيرٌ ۝﴾ على ما يشاء ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحْيًا﴾ في

قوله: ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ قدم الإناث أولاً مع أن حقهن التأخير وعرف الذكور دونهن لأن الآية سيقت لبيان عظمة ملكه ونفاذ مشيئته، وإنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه عبيده كما قال: ما كان لهم الخيرة، ولما كان الإناث مما لا يشاؤه العباد قدمهن في الذكر لبيان تفرد إرادته ومشيئته وانفراده، بالأمر ونكرهن وعرف الذكور لانحطاط رتبتهن لئلا يظن أن التقديم كان لأحقيتهن به، ثم أعطى كل جنس حقه من التقديم والتأخير ليعلم أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن بل لمقتض آخر، فقال: ذكراناً وإناثاً كما قال: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣] اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ من عبارة عن الرجل والمرأة فقوله: فلا يلد أي إذا كان امرأة والتذكير باعتبار لفظ من وفي نسخة فلا تلد بالتاء الفوقية وهي ظاهرة، وقوله: ولا يولد له أي: إذا كان رجلاً اهـ شيخنا.

وفي المصباح: العقيم الذي لا يولد له يطلق على الذكر والأنثى، وفي القاموس: العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد عقمت كفرح ونصر وكرم وعنى عقماً وعقماً ويضم وعقمها الله تعقيماً، وأعقمها ورحم عقيم وعقيمة معقومة وامرأة عقيم، والجمع عقائم، وعقم ورجل عقيم كأمير لا يولد له، والجمع عقماء اهـ.

قوله: ﴿أن يكلمه الله﴾ أن ومنصوبها اسم كان، وقال أبو البقاء: أن والفعل في موضع رفع على الابتداء وما قبله الخبر أو فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفي، وكأنه وهم في التلاوة فزعم أن القرآن، وما كان لبشر أن يكلمه مع أنه يمكن الجواب عنه بتكلف اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا وحياً﴾ مفعول مطلق معمول لمقدر كما قدره الشارح، وقوله: أو من وراء حجاب متعلق بمقدر معطوف على المقدر العامل في وحياً أي: أو إلا أن يكلمه من وراء حجاب، وأشار بقوله: ولا يراه إلى أن المراد بالحجاب لازمه وهو عدم رؤية من وراءه فلا يرد أن الآية تقتضي أن الله في جهة وفي مكان، وقوله: أو يرسل منصوب بأن مقدرة وهو معطوف على العامل في وحياً المقدر، والاستثناء متصل بالنظر إلى القسم الوسط وهو قوله: أو من وراء حجاب، وذلك لأن التكليم من وراء الحجاب نوع من مطلق التكليم الذي هو إسماع الكلام وتوجيه الخطاب، وأما بالنظر للقسم الأول والثالث فمنقطع إذ ليسا من جنس التكليم كما هو ظاهر إلا أن يؤول التكليم بالإيحاء فيكون الاستثناء فيها متصلاً بهذا الاعتبار اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: إلا أن يوحى إليه وحياً فيه إشارة إلى أن وحياً منصوب على الاستثناء المفرغ خلافاً لمن قال أنه منقطع لظاهر اللفظ، فإن الوحي ليس بتكليم، وقوله: أو إلا من وراء حجاب أشار به إلى أن من وراء حجاب معطوف على وحياً باعتبار متعلقه تقديره إلا أن يوحي إليه أو يكلمه، ولا يجوز أن تتعلق من بيكلمه الموجودة في اللفظ، لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إلا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه أو تابعاً، وهذا على الأصح، وما قرره في تفسير الآية أظهر من قول من قال إن تقديرها: وما صح لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً فتكون الكل مصادر

المنام أو بالإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ملكاً كجبريل ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي يكلمه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدثين ﴿حَكِيمٌ ۝٥١﴾ في

وقعت أحوالاً، فإنه وإن صح في الوحي والإرسال لا يصح من وراء حجاب، فإنه متعلق بمصدر محذوف أي: إسماعاً من وراء حجاب، ولا يكون عطفاً على أن يكلمه الله لأنه فاسد. قال مكي: لأنه يلزمه نفي الرسل أو نفي المرسل إليهم اهـ.

قال الراغب: ومعنى الوحي الإشارة السريعة يقال: أمر وحي أي: سريع ثم اختص في عرف اللغة بالأمر الإلهي الملقى إلى الأنبياء، وقول البيضاوي: كلاماً خفياً تفسير لقوله وحياً وإشارة إلى أن المراد به هنا الكلام الخفي المدرك بسرعة فالاستثناء متصل، وقيل: إنه منقطع، وقوله: لأنه تمثيل أن: لأن الوحي تمثيل المراد به تصوير المعنى ونقشه في ذهن السامع، وليس مثلاً كلامنا حتى يحتاج إلى صوت وترتيب حروف فيكون خفياً سريعاً ولا بعد فيه كما يشاهد في كلامنا النفسي فهو تعليل للخفاء مع السرعة لا للأول فقط اهـ شهاب.

وفي المصباح: الوحي الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحي كيف كان قاله ابن فارس، وهو مصدر وحى إليه يحي من باب وعى وأوحى إليه بالألف، مثله وجمعه وحي والأصل فعول مثل فلوس وبعض العرب تقول وحيت إليه ووحيت له وأوحيت إليه وله، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالألف اهـ.

قوله: ﴿أو يرسل رسولاً﴾ قرأ نافع يرسل برفع اللام وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه، والباقون بنصبهما. فأما القراءة الأولى ففيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنه رفع على إضمار مبتدأ أي: أو هو يرسل. الثاني: أنه عطف على وحياً على أنه حال لأن وحياً في تقدير الحال أيضاً، فكأنه قال: إلا موحياً أو مرسلاً. الثالث: أن يعطف على ما يتعلق به من وراء إذ تقديره أو يسمع من وراء حجاب ووحياً في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل، والتقدير إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً. وأما الثانية ففيها ثلاثة أوجه. أحدها: أن يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب إذ تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحياً، والمعنى إلا بوحي أو إسماع من وراء حجاب أو إرسال رسول، ولا يجوز أن يعطف على يكلمه لفساد المعنى. قلت: إذ يصير التقدير وما كان لبشر أن يرسله الله رسولاً فيفسد لفظاً ومعنى، وقال مكي: لأنه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل إليهم. الثاني: أن ينصب بأن مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين على وحياً، ووحياً حال فتكون هنا أيضاً حالاً، والتقدير إلا موحياً أو مرسلاً. والثالث: أنه عطف على معنى وحياً فإنه مصدر مقدر بأن، والفعل والتقدير إلا بأن يوحى إليه أو بأن يرسل ذكره مكي وأبو البقاء، وقوله: أو من وراء حجاب العامة على الإفراد، وابن أبي عبلة حجب جمعاً، وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره أو يكلمه من وراء حجاب، وقد تقدم أن هذا الفعل معطوف على معنى وحياً أي: أن يوحي أو يكلمه. قال أبو البقاء: ولا يجوز أن تتعلق من بيكلم الموجودة في اللفظ لأن ما قبل الاستثناء

صنعه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن به تحيا القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ تعرف من قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده

لا يعمل فيما بعد إلا ثم قال: وقيل من متعلقة بيكلمه لأنه ظرف والظرف يتسع فيه اهـ سمين.

قوله: (أي مثل إيحائنا) المماثلة بالنظر للجملة، وإلا فهو ﷺ لم يقع له القسم الثاني لأن تكليمه وقع مشافهة لا من وراء حجاب اهـ شيخنا.

قوله: (هو القرآن) وقال ابن عباس: نبوة، وقال الحسن رحمة، وقال السدي: وحياً، وقال الكلبي: كتاباً، وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن دينار: القرآن، وسمي: الوحي روحاً لأنه مدبر الروح كما أن الروح مدبر البدن اهـ خطيب.

قوله: (به تحيا القلوب) يعني أنه تجوز بالروح عن القرآن حيث شبهه بالروح من حيث أنه إذا حل في القلب حيي القلب بحياة الإيمان كما أن الروح الحقيقي إذا حل في الجسد حيي بحياته أو يحصل لها به ما هو مثل الحياة وهو العلم النافع، ففي يحيا استعارة تبعية اهـ كرخي.

قوله: ﴿من أمرنا﴾ حال، ومن تبعيضية أي: حال كون هذا الروح وهو القرآن بعض ما نوحيه إليك لأن الموحى إليه لا ينحصر في القرآن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما الكتاب﴾ ما: استفهامية مبتدأ، والكتاب: خبره، وفي الكلام تقدير مضاف أي: ما كنت تدري جواب ما الكتاب أي: جواب هذا الاستفهام اهـ شيخنا.

قوله: (أي شرائعه ومعالمه) أي: كالصلاة والصوم والزكاة والختان وإيقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر، وهذا هو الحق، وبه اندفع ما يقال: كيف قال ولا الإيمان والأنبياء كلهم كانوا مؤمنين قبل الوحي إليهم بأدلة عقولهم، وكان نبينا يتعبد على دين إبراهيم ويحج ويعتمر ويتبع شريعة إبراهيم على ما مرت الإشارة إليه. قال الكواشي: ويجوز أن يراد بالإيمان نفس الكتاب وهو القرآن وعطف عليه لاختلاف لفظيهما أي: ما كنت تعرف ما القرآن وما فيه من الأحكام، ويدل على هذا التأويل توحيد الضمير في جعلناه، وقيل: المراد بالإيمانِ الكلمة التي بها دعوة الإيمان والتوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، والإيمان بهذا التفسير إنما علمه بالوحي لا بالعقل اهـ كرخي.

قوله: (والنفي) صوابه والاستفهام أي: في قوله: ما الكتاب فإنه الذي يعد الفعل والنفي سابق عليه، وقد تقدم هذا الإعراب مراراً اهـ كرخي.

وفي السمين: والجملة الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها مسد مفعولين، والجملة المنفية بأسرها في محل نصب على الحال من الكاف في إليك اهـ.

قوله: (أو ما بعده) أو بمعنى الواو، . قوله: ﴿نهدي به﴾ صفة نوراً، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله: من نشاء وقوله: وإنك لتهدي مفعوله محذوف أي: كل مكلف فالهدية فيه أعم من التي قبلها اهـ كرخي.

سد مسد المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ دين الإسلام ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ ترجع.

قوله: ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول بدل المعرفة من النكرة اهـ كرخي.

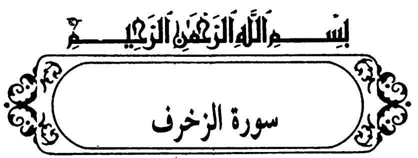
قوله: ﴿تصير الأمور﴾ المراد بهذا المضارع الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع أي: من شأنه ذلك، وليس المراد به حقيقة المستقبل لأن الأمور منوطة به تعالى كل وقت، وهذا وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازي كلاً منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب اهـ خطيب.

وعبارة البيضاوي: تصير الأمور ترجع بارتفاع الوسائط والمتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين، انتهت.

وفي الخازن: تصير الأمور أي: أمور الخلائق في الآخرة فيثاب المحسن ويعاقب المسيء اهـ.
وعلى هذا يكون المضارع على ظاهره.

فائدة:

قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف ولم يبق منه إلا قوله: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ والله أعلم، انتهى قرطبي.



سورة الزخرف

مكية وقيل إلا ﴿واسأل منه أرسلنا﴾ الآية. وهي تسع وثمانون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أوجدنا الكتاب ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي كلها حتى هذه الآية، وهذا مبني على أن الآية على ظاهرها من أنه أمر بسؤال المرسلين أنفسهم، وكان ذلك ليلة الإسراء ببيت المقدس فتكون مكية على هذا لأنها قبل الهجرة، وقوله: وقيل الخ وهذا مبني على أن الآية على غير ظاهرها وأنها على حذف المضاف كما سيأتي تقريره في الشارح، وأنه قد أمر بسؤال أمم المرسلين، والمراد بهم اليهود والنصارى وهم إنما كانوا بالمدينة، فعلى هذا تكون مدنية كما سيأتي إيضاحه في محلها تأمل.

قوله: ﴿والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاده بما فيها من الدلالة على المقسم عليه اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: إنا جعلناه جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة، وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد إن أريد بالكتاب القرآن وإن أريد به جنس الكتب المنزلة لم يكن من ذلك، والضمير في جعلناه على الأول يعود على الكتاب، وعلى الثاني يعود على القرآن وإن لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير، ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه أن يكون بمعنى خلقناه اهـ.

قوله: (أوجدنا الكتاب) جواب ما يقال: كيف قال جعلناه قرآناً عربياً وهو ليس بمجعول لأن الجعل هو الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] وإيضاحه أن الجعل لا يختص بالخلق، بل ورد في القرآن على أقسام بمعنى أحدث وأنشأ كما في وجعل فيها رواسي، وبمعنى بعث كقوله: ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ [الفرقان: ٣٥] وبمعنى قال كقوله: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ [الزخرف: ١٥] كما سيأتي قريباً وبمعنى صير كقوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ [الأنعام: ٢٥] اهـ كرخي.

أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ تفهمون معانيه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مثبت ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أصل الكتب، أي اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ ذو حكمة بالغة ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل

وفي الخطيب تنبيه: احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه، الأول: أنها تدل على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق. والثاني: أنه وصفه بكونه قرآناً وهو إنما سمي قرآناً لأنه جعل بعضه مقروناً بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعاً. الثالث: وصفه بكونه عربياً وإنما يكون عربياً لأن العرب اختصت بوضع ألفاظ في اصطلاحهم وذلك يدل على أنه مجعول، وأجاب الرازي عن ذلك بأن هذا الذي ذكرتموه حق لأنكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه اهـ.

قوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ لعل للتعليل أي: لكي تفهموا معانيه اهـ.

قوله: ﴿وإنه﴾ معطوف على جواب القسم فهو جواب ثان، وأشار بتقدير قوله: مثبت إلى أن الجار والمجرور خبر إن، وعلى هذا فيكون قوله: لعليٌّ خبراً ثانياً هذا ما سلكه الشارح وهو معترض من حيث ما يلزم عليه من تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وهو ممتنع عند بعضهم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: مثبت في أم الكتاب أشار به إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف، وقال أبو البقاء: متعلق بعليٍّ واللام لا تمنع من ذلك. قال ابن هشام في مغني اللبيب: وليس لها يعني لام الابتداء الصدرية في باب إن لأنها فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى المزحلقة، وذلك لأن أصل إن زيداً لقائم إن لزيداً قائم فكرهوا افتتاح الكلام بتوكيدين فأخروا اللام دون إن لئلا يتقدم معمول الحرف عليه اهـ.

قوله: (بدل) أي: من الجار والمجرور، وقوله: عندنا أي: محفوظ عندنا من التغيير اهـ.

قوله: ﴿لعليٌّ﴾ أي: رفيع الشأن على الكتب لكونه معجزاً من بينها اهـ بيضاوي.

قوله: (ذو حكمة بالغة) فهو فعيل من الثلاثي وهو حكم إذا صار ذا حكمة، وإذا كان بمعنى المحكم فهو من المزيد أو الإسناد مجازي أي: حكيم صاحبه أو حاكم على الكتب كما تقدم اهـ شهاب.

قوله: ﴿أفنضرب﴾ استفهام إنكاري، ولذلك قال الشارح في جوابه: لا والفاء عاطفة على مقدر بينها وبين الهمزة تقديره أنهملكم فنضرب اهـ شيخنا.

وقوله: نمسك أي: نمسك عن إنزاله لكم، وعبارة السمين: أفنزيل القرآن عنكم إزالة اهـ.

والمعنى أنمسك عن إنزال ما لم ينزل منه ونرفع ونزيل ما نزل منه تأمل.

قوله: ﴿صفحاً﴾ مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب في معناه كما قرره الشارح. وفي

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ مشركين؟ لا ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في الآيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ

السمين: قوله: صفحاً فهي أوجه. أحدها: أنه مصدر في معنى نضرب، لأنه يقال: ضرب عن كذا وأضرب عنه بمعنى أعرض عنه وصرف وجهه عنه. الثاني: أنه منصوب على الحال من الفاعل أي: صافحين. الثالث: أن ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة فيكون عامله محذوفاً نحو صنع الله قاله ابن عطية. الرابع: أن يكون مفعولاً من أجله اهـ.

قوله: ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ قرأ نافع والأخوان بالكسر على أنها شرطية وإسرافهم كان متحققاً، وأن إنما تدخل على غير المتحقق أو المتحقق المبهم الزمان، وأجاب الزمخشري بما حاصله: أنها قد تستعمل في مقام القطع للقصد إلى تجهيل المخاطب بجعله كأنه متردد في ثبوت الشرط شاك فيه قصداً إلى نسبته إلى الجهل بارتكابه الإسراف لتصويره بصورة ما يفرض لوجوب انتفائه وعدم صدوره ممن يعقل، وقرأ الباقون بالفتح على العلة لأن كنتم اهـ.

قوله: ﴿وكم أرسلنا﴾ كم خبرية مفعول مقدم لأرسلنا، ومن نبي تمييز لها، وفي الأولين متعلق بأرسلنا اهـ سمين.

أي: في الأمم الأولين اهـ شيخنا.

قوله: (أتاهم) أي: فالمضارع بمعنى الماضي. قوله: (وهذا) أي: قوله: وكم أرسلنا تسلية الخ.

قوله: ﴿أشد منهم﴾ نعت لمحذوف هو المفعول في الحقيقة أي: أهلكنا قوماً هم المستهزئون برسلهم أشد منهم. أي: من قومك، فالضمير في منهم عائد على قوماً في قوله: أن كنتم قوماً مسرفين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بطشاً﴾ البطش شدة الأخذ ونصبه على التمييز وهو أحسن من كونه حالاً من فاعل أهلكنا بتأويله بباطشين اهـ شهاب.

قوله: (سبق في آيات) أي: سبق في القرآن غير مرة ذكر قصصهم التي حقها أن تصير أمثالاً لشهرتها اهـ أبو السعود.

قوله: (فعاقبة قومك كذلك) أي: الإهلاك. قوله: (لام قسم) أي: والجواب المذكور له بدليل قول الشارح لتوالي النونات إذ لو كان الجواب للشرط لحذف للجازم، وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر منهما اهـ شيخنا.

قوله: (حذف منه نون الرفع الخ) أي: أصله ليقولونن فحذفت النون لاستثقال توالي الأمثال، ثم

﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ ۝١١﴾ من قبوركم أحياء ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾ حذف

حذف الضمير الذي هو الفاعل وهو واو الجمع لالتقاء الساكنين الواو والنون المدغمة اهـ كرخي.

قوله: ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ كرر الفعل للتوكيد، إذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافياً كقولك: من قام؟ فيقال: زيد، وفيها ذليل على أن الجلالة الكريمة من قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ مرفوعة بالفاعلية لا بالابتداء للتصريح بالفعل في نظيرتها، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى، إذ لو جاء على اللفظ لجي فيه بجملة ابتدائية كالسؤال اهـ سمين.

قوله: (آخر جوابهم) أي: هذا آخر جوابهم، وقوله: زاد تعالى أي: زاد كلاماً آخر: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [الزخرف: ١٤٠] متضمناً لصفات خمسة موجبة لتوبيخهم وتقريعهم على عدم التوحيد اهـ شيخنا.

قوله: (كالمهد للصبي) أي: ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال، ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها في الزراعة والأبنية، فالانتفاع بها إنما حصل لكونها مسطحة قارة ساكنة اهـ خطيب.

قوله: ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ أي: ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك اهـ خطيب.

قوله: (أي بقدر حاجتكم إليه﴾ أي: ليس بقليل فلا ينفع ولا بكثير فيضر اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأنشرنا﴾ فيه التفات، وقوله: أحيينا يقتضي أن النشور معناه الإحياء وهو كذلك، ففي المصباح: نشر الموتى نشوراً من باب قعد حيواً، ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى ويتعدى بالهمزة أيضاً فيقال: أنشرهم الله ونشرت الأرض نشوراً أيضاً حييت وأنبتت ويتعدى الهمزة فيقال: أنشرتها إذا أحييتها بالماء اهـ.

قوله: ﴿كذلك تخرجون﴾ المعنى أن هذا الكلام كما دل على قدرة الله وحكمته ووجدانيته، فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة، ووجه التشبيه أن جعلهم أحياء بعد الإماتة كهذه الأرض التي انتشرت بعد ما كانت ميتة اهـ خطيب.

قوله: (الأصناف) قال ابن عباس: الأزواج الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى، وقال بعض المحققي: كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت، واليمين واليسار، والقدام والخلف، والماضي والمستقبل، والذوات والصفات، والصيف والشتاء، والربيع والخريف. وكونها أزواجاً يدل على أنها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم، فأما الحق تعالى

العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأوَّل، أي فيه منصوب في الثاني ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لتستقرُّوا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ مطيقين ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون

فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وقيل: أراد أزواج النبات كما قال: ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم﴾ [ق: ٧] وقيل: ما تقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى، وصحة وسقم. قلت: وهذا القول يعم الأقوال ويجمعها بعمومه اهـ.

قوله: (كالإبل) لم يبق من الأنعام ما يركب غيرها، إذ الأنعام هي الإبل والبقر والغنم، فحينئذ في الأنعام هنا تغليب فأريد بها ما يركب من الحيوان وهو الإبل والخيل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾ [النحل: ٨] تأمل.

قوله: ﴿ما تركبون﴾ مفعول لجعل، ومن الفلك والأنعام بيان له مقدم عليه اهـ شيخنا.

قوله: (حذف العائد اختصاراً الخ) عبارة السمين: ما موصولة وعائدها محذوف أي: ما تركبونه، وركب بالنسبة إلى الفلك يتعدى بحرف الجر. قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ [العنكبوت: ٦٥] بالنسبة إلى غيرها يتعدى بنفسه. قال تعالى: ﴿لتركبوها﴾ [النحل: ٨] فغلب هنا المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة فلذلك حذف العائد، انتهت.

والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونه فهو مجرور في الأول منصوب في الثاني، وفي كلامه هنا غموض حمله عليه شغفه بالاختصار اهـ كرخي.

قوله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ يجوز أن تكون اللام لام العلة وهو الظاهر، وأن تكون للصيرورة وعلى كل فتتعلق بجعل، وجوز ابن عطية أن تكون لام الأمر وفيه بعد لقلة دخولها على أمر المخاطب اهـ سمين.

قوله: (ذكر الضمير) أي: المضاف إليه، والأولى أن يقول أفرد، وقوله: وجمع الظهر أي: الذي هو المضاف، وقوله: نظراً للفظ ما راجع للتذكير، وقوله: ومعناها راجع للجميع، ولو روعي لفظها فيهما لقيل على ظهره أو معناها فيهما لقيل على ظهورها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم تذكروا﴾ أي: بقلوبكم اهـ خطيب.

قوله: ﴿إذا استويتم عليه﴾ أي: على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما أيضاً، وكذا الإشارة، في قوله: ﴿سخر لنا هذا﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتقولوا سبحان الذي﴾ الخ أي: تقولوا بألسنتكم جمعاً بين القلب واللسان، وقوله: سخر لنا هذا أي: الذي ركبناه سفينة كان أو دابة اهـ خطيب.

وهذا يقتضي أنه يقول هذا القول عند ركوب السفينة أيضاً وصرح غيره بأنه خاص بالدابة أما السفينة فيقول فيها: ﴿بسم الله مجريها ومرساها﴾ [هود: ٤١] ويؤيده ﴿وما كنا له مقرنين﴾ فإن

. . . .

الامتناع والتعاصي والتوحش لولا تسخير الله وإذلاله إنما يتأتى في الدواب وأما السفن فهي عن عمل ابن آدم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة اهـ شيخنا.

وروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله» فإذا استوى على الدابة قال: «الحمد الله على كل حال ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ إلى قوله: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾» اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: علمنا سبحانه وتعالى ما نقول إذا ركبنا الدواب وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن وهو قوله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ [هود: ٤١] فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقيحت أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، فلما كان الركوب مباشرة أمراً مخوفاً واتصالاً بأسباب من أسباب التلف أمر أن لا ينسى عند اتصاله به موته وأنه هالك لا محالة فمنقلبه إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً لقضاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، وقال ابن العربي: ما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان، وإنما الواجب اعتقاده بالقلب أما إنه يستحب له ذكره باللسان فيقول: متى ما ركب وخصوصاً في السفر إذا تذكر: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال، يعني بالحور بعد الكور تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه اهـ.

قوله: ﴿وما كنا﴾ أي: والحال ما كنا له مقرنين: قال الواحدي: كأن اشتقاقه من قولك صرت قرناً لفلان أي: مثله في الشدة، والمعنى ليس عندنا من القوة والطاقة ما نقارن ونساوي به هذه الدواب، فسبحان من سخرها لنا بقدرته وحكمته اهـ خطيب.

وفي السمين: والمقرن المطيق للشيء الضابط له من أقرنه أي: أطاقه اهـ.

وفي المختار: وقرن الشيء بالشي وصله به وبابه ضرب ونصر اهـ.

وفي القرطبي: ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم أي: ركبتم عليه، وذكر النعمة هو الحمد على تسخير ذلك لنا في البر والبحر وتقولوا: سبحان الذي سخر لنا هذا أي: ذلل لنا هذا المركوب، وفي قراءة علي بن أبي طالب: سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي: مطيقين في قول ابن عباس والكلبي. وقال الأخفش وأبي عبيدة: مقرنين ضابطين، وقيل: مماثلين في الأيدي والقوة من قولهم: هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة، ويقال: فلان مقرن لفلان أي: ضابط له، وأقرنت كذا أي: أطلقته، وأقرن له أطاقه وقوي عليه كأنه صار له قرناً قال الله تعالى: ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أي: مطيقين، والمقرن أيضاً الذي غلبته ضيعته تكون له إبل أو غنم ولا معين له عليها. وفي أصله قولان، أحدهما: أنه مأخوذ من الإقران يقال: أقرن يقرن إقراناً إذا أطاق أو أقرنت كذا إذا أطقته وأحكمته كأنه جعله في

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد، والملائكة من عباد الله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بين ظاهر الكفر ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر أي أتقولون ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ أخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا

قرن وهو الحبل فأوثقه به وشده. والثاني: أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في حبل تقول: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينة اهـ.

قوله: (لمنصرفون) أي: من الدنيا ومراكبها إلى دار الاستقرار والبقاء، ويتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، وعبارة الخطيب: أي لصائرون بالموت وما بعده إلى الدائر الآخرة انقلاباً لا رجوع بعده إلى هذه الدار، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي ففيه إشارة إلى الرد عليهم في إنكار البعث، انتهت.

قوله: ﴿وجعلوا له﴾ الخ متصل بقوله: ولئن سألتهم الخ أي: وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضي، وفي الكشاف: منع ذلك الاعتراف أي: اعترافهم بأن الخالق هو الله، وذلك لأن جملة وجعلوا له حالية والحال مقارنة لصاحبها سيما وهي هنا جملة ماضوية وسمي الولد الذي أثبتوه لله جزءاً دلالة على استحالته على الواحد في ذاته، والمركب لا يكون واحد الذات أيضاً ما كان كذلك فإنه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق، وما كان كذلك فهو محدث فلا يكون إلهاً قديماً اهـ كرخي.

قوله: ﴿جزءاً﴾ مفعول أول للجعل والجعل تصيير قولي أي: حكموا وأثبتوا، ويجوز أن يكون بمعنى سموا واعتقدوا اهـ سمين.

قوله: (بين) أشار بهذا إلى أن مبين من أبان اللازم ولا مانع أن يكون من المتعدي أي: مظهر لكفره اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: والتقريع والتوبيخ وقدرها بعضهم ببل التي للانتقال وبعضهم بهما، وكل صحيح لأن فيها مذاهب ثلاثة كما نقله أبو حيان اهـ شيخنا.

قوله: (لنفسه) متعلق باتخذ. قوله: (أخلصكم) أي: خصكم. قوله: (اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم إذ هو معطوف على اتخذ الذي هو مقول القول لكن المعطوف عليه قالوه صريحاً والمعطوف لم يقولوه، لكنه من قولهم: الملائكة بنات الله فكأنهم قالوا البنات له والبنون لنا، فلذلك قال اللازم من قولهم السابق أي: الملائكة بنات الله، وقوله: فهو من جملة المنكر أي: لأنه معطوف على اتخذ الداخل عليه أم التي بمعنى همزة الإنكار اهـ شيخنا.

ويصح كونه حالاً مع تقدير قد اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإذا بشر أحدهم﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله، وقيل: حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكر، ومن حالهم أن إذا بشر به اغتم، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن قبائحهم اقتضت أن يعرض

﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهاً بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ ممتلىء غماً، فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار، وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾

عنهم وتحكى لغيرهم ليتعجب منها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بما ضرب﴾ ما موصولة معناها البنات، وضرب بمعنى جعل، والمفعول الأول الذي هو عائد الموصول محذوف أي: ضربه ومثلاً هو المفعول الثاني، وقوله شبهاً أي: فالمثل بمعنى الشبه أي: المشابه لا بمعنى الصفة الغريبة العجيبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهو كظيم﴾ الواو للحال.

قوله: ﴿أو من ينشأ﴾ يجوز في من وجهان، أحدهما: أن تكون في محل نصب مفعولاً بفعل مقدر أي: أو يجعلون من ينشأ في الحلية. والثاني: أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ جزءاً وولد، وقرأ العامة ينشأ بفتح الياء وسكون النون من نشأ في كذا ينشأ فيه، والأخوان وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنياً للمفعول أي: يربى، وقرأ الجحدري كذلك إلا أنه خفف الشين أخذه من أنشأه، والحسن يناشأ كيقاتل مبنياً للمفعول والمفاعلة تأتي بمعنى الإفعال كالمعالاة بمعنى الإعلاء اهـ سمين.

قوله: (همزة الإنكار الخ) أي اللفظ كلمتان همزة الإنكار وواو العطف لا كلمة واحدة التي هي أو العاطفة وقوله: بجملة متعلق بالعطف والباء بمعنى اللام أي: لجملة أي: جملة مقدرة ذكرها بقوله: أي يجعلون، وحاصل هذه الإعراب أنه جعل من معمولة لمقدر معطوف بواو العطف لكنه لم ينبه على المعطوف عليه، وتقديره: أيجترئون ويبلغون الغاية في إساءة الأدب ويجعلون لله من ينشأ في الحلية، ومن عبارة عن الأنثى أي: يجعلون لله الأنثى التي تتربى في الزينة لنقصها، إذ لو كملت في نفسها لما تكملت بالزينة، وأيضاً هي ناقصة العقل لا تقدر على إقامة حجة عند الخصام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ الجملة حال، وفي الخصام يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده تقديره وهو لا يبين في الخصام، ويجوز أن يتعلق بمبين، وجاز للمضاف إليه أن يعمل فيما قبل المضاف لأن غير بمعنى لا، وقدم تقدم تحقيق هذا في أول هذا الموضوع آخر الفاتحة اهـ سمين.

وفي أبي السعود: غير مبين أي: غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه، وإضافة غير لا تمنع عمل ما بعدها في الجار المتقدم عليها لأنها بمعنى النفي اهـ.

وقال قتادة: قلما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها اهـ خازن.

قوله: (مظهر الحجة) أشار بهذا إلى أن مبين هنا من أبان المتعدي اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجعلوا الملائكة﴾ الخ الجعل هنا بمعنى القول والحكم تقول: جعلت زيداً أعلم الناس أي: حكمت له بذلك اهـ قرطبي.

بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها، قال تعالى ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١﴾ أي لم يقع ذلك ﴿بَلْ

وهذا بيان لنوع آخر من كفرياتهم، فالقول بأن الملائكة أناث كفر لأن فيه جعل أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً اهـ كرخي.

قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يدريكم أنهم إناث»؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ أي: عنها في الآخرة: هذا يدل على أن القول بغير دليل منكر، وأن التقليد حرام يوجب الذم العظيم.

تنبيه:

قال البقاعي: يجوز أن يكون في السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به فإنه قد روى أبو أمامة أن النبي ﷺ قال: «كاتب الحسنة على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب اليسار دعه سبع ساعات لعله يسبح الله أو يستغفر» اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي: لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم، فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها، وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً حسناً كان أو غيره اهـ بيضاوي.

وهذا بيان لنوع آخر من كفرياتهم، والحاصل أنهم كفروا بمقالات ثلاثة هذه والتي قبلها وهي قولهم الملائكة إناث والتي قبلها وهي قولهم: الملائكة بنات الله اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه، أولها: إثبات الولد. ثانيها: أن ذلك الولد بنت. ثالثها: الحكم على الملائكة بالأنوثة اهـ في صنيعة تسمح.

قوله: ﴿إن هم إلاّ يخرصون﴾ قاله هنا بلفظ يخرصون، وفي الجاثية بلفظ قوله: ﴿يظنون﴾ لأن ما هنا متصل بقوله: وجعلوا الملائكة الآية أي: قالوا: الملائكة بنات الله وأن الله قد شاء منا عبادتنا إياهم وهذا كذب، فناسبه يخرصون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب، فإن قولهم: قوله: ﴿نموت ونحيا﴾ [المؤمنون: ٣٧ و الجاثية: ٢٤] صدق وكذبوا في إنكارهم البعث، وقوله: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [الجاثية: ٢٤] فناسبه يظنون أي: يشكون فيما يقولون اهـ كرخي.

قوله: (يكذبون فيه) أي: في القول. وفي المصباح: وخرص الكافر خرصاً من باب قتل كذب فهو خارص اهـ.

قوله: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ هذا معادل لقوله: قوله: ﴿أشهدوا خلقهم﴾ [الزخرف: ٦٩] والمعنى أحضروا خلقهم أي: آتيناهم كتاباً من قبله أي: من قبل القرآن أي: بما ادعوه فهم به

قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بهم وكانوا يعبدون غير الله ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا

مستمسكون يعملون بما فيه اهـ قرطبي.

فقد جعل أم متصلة للهمزة في قوله: أشهدوا خلقهم وهو بعيد من المعنى والسياق، فالأولى الوجه الآخر الذي جرى عليه أكثر المفسرين من أنها منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الإنكاري، وعبارة البيضاوي: ثم أضرب عنه أي: عن نفي أن يكون لهم متمسك عقلي إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل، فقال: أم آتيناهم الخ اهـ.

وفي إشارة إلى أن أم منقطعة لا متصلة معادلة لقوله: أشهدوا خلقهم كما قيل لبعده اهـ شهاب.

قوله: ﴿أي لم يقع ذلك﴾ أي: إيتاؤهم كتاباً بما ذكر، وأشار بهذا إلى أن أم بمعنى همزة الإنكار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنا﴾ الخ أي: لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية، بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿على أمة﴾ أي: طريقة تؤم وتقصد اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: وهي الحالة التي يكون عليها آلآم أي: القاصد ومنها الدين اهـ.

وفي السمين: قوله: على أمة العامة على ضم الهمزة بمعنى الطريقة والدين، وقرأ مجاهد، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز بالكسر. قال الجوهري: هي الطريقة الحسنة لغة في أمة بالضم، وابن عباس بالفتح وهي المرة من الأم، والمراد بها القصد والحال اهـ.

قوله: (ماشون) أشار بتقدير هذا إلى أن الجار والمجرور خبر إن وعليه فيكون مهتدون خبراً ثانياً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: على آثارهم مهتدون خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون اهـ.

قوله: ﴿مهتدون﴾ قاله هنا بلفظ مهتدون، وقال: فيما بعده مقتدون، لأن الأل وقع في محاجتهم النبي ﷺ وادعائهم أن آبائهم كانوا مهتدين وأنهم مهتدون كآبائهم فناسبه مهتدون، والثاني وقع حكاية عن قوم دعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه مقتدون اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكذلك﴾ أي: والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد، وقوله: ما أرسلنا الخ استئناف مبني لذلك دال على التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً مستند غيره اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: قوله: وكذلك ما أرسلنا الخ تسلية لرسول الله ﷺ، ودلالة على أن التقاليد في نحو ذلك ضلال قديم، وأن من تقدمهم أيضاً لم يكن لهم مستند منظور إليه وتخصيص المترفين للإشعار بأن التنعم هو الذي أوجب البطر وصرفهم عن النظر إلى التقليد اهـ.

عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ متبعون ﴿۞قَٰلَ﴾ لهم ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال تعالى

قوله: ﴿إلا قال مترفوها﴾ جمع مترف اسم مفعول وتفسير الشارح له باسم الفاعل تفسير باللازم، وفي القاموس: وترف كفرح تنعم، وأترفته النعمة أطغته كترفته ترتيفاً، وفلان أصر على البغي، والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع، والمتنعم لا يمنع من تنعمه اهـ.

قوله: (مثل قول قومك) مفعول مطلق أي: نعت لمصدر محذوف هو المفعول المطلق أي: قولاً مثل قول قومك، وقوله: إنا وجدنا الخ مقول القول فهو مفعول له اهـ شيخنا.

وهذا الصنيع من الشارح ليس بلازم، فالأولى كما جرى عليه غيره جعل قوله: إنا وجدنا آباءنا الخ مقول القول ولا تقدير في الكلام تأمل.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) خطاب لمحمد ﷺ، أي: قل لقومك أتتبعون ذلك أي: المذكور وهو آباؤكم كما قلتم: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون اهـ شيخنا.

وهذا هو الذي يتبادر من صنيع الجلال وهو أحد احتمالين ذكرهما البيضاوي بقوله: وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى النذير، أو خطاب لرسول الله ﷺ، ويؤيد الأول أنه قرأ ابن عامر وحفص قال اهـ.

وقوله: أوحي إلى النذير يعني أن المأمور بقوله: قل يجوز أن يكون النذير فيكون قل أمراً ماضياً متعلقاً بالنذير السابق حكاه الله لنبيه على تقديره: فقلنا له قل: ويجوز أن يكون أمراً حالياً متعلقاً برسول الله ﷺ اهـ شهاب.

قوله: ويؤيد الأول الخ، ويؤيده أيضاً ما قالوا في جوابه إنا بما أرسلتم به بلفظ الجمع، ولو كان الخطاب بقل لرسول الله ﷺ لكان الظاهر أن يجيبوه بأن يقولوا إنا بما أرسلت به كافرون اهـ زاده.

وقد أجاب عن هذا الجلال بقوله: أنت ومن قبلك لكن يبعد ما جرى عليه الجلال قوله: فانتقمنا منهم، لأن الضمير فيه راجع للمترفين ولا بد، فعلى صنيع الجلال يكون الكلام مفككاً غير منتظم، وعبارة أبي السعود: قال: أو لو جئتكم أي: قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم أو لو جئتكم أي: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بأهدى أي: بدين أهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، وإنما عبَّر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الأنصاف، وقرىء قل على أنه حكاية أمر ماض أوحي حينئذ إلى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول ﷺ كما قيل لقوله تعالى: قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون، فإنه حكاية عن الأمم قطعاً أي: قال كل أمة لنذيرها إنما أرسلت به الخ. وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [المؤمنون: ٥١] وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ [الشعراء: ١٢٣] تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى: فانتقمنا منهم أي: بالاستئصال، فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الأمم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك اهـ.

قوله: ﴿بأهدى مما وجدتم﴾ الخ أي: بدين أهدى وأوضح وأصوب مما وجدتم الخ أي: من

تخويفاً لهم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ يرشدني ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي أهل مكة

الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، والتعبير بالتفضيل المقتضي أن ما عليه آباؤهم فيه هداية لأجل التنزل معهم وإرخاء العنان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي: فلا تكترث بتكذيب قومك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿و﴾ (اذكر) أي: لقومك، إذ قال إبراهيم أي: الذي هو أعظم آبائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن غيرهم لأبيه، أي: من غير أن يقلده كما قلدتم أنتم آباءكم وقومه أي: الذين كانوا هم القوم بالحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الأرض إنني براء مما تعبدون تبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال اهـ خطيب وأبو السعود.

قوله: ﴿براء﴾ العامة على فتح الباء وألف وهمزة بعد الراء، وهو مصدر في الأصل وقع موقع الصفة وهي بريء، وبها قرأ الأعمش ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث كالمصادر في الغالب والزعفراني وابن المنادى عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام يقال: طويل وطوال وبريء وبراء، وقرأ الأعمش: إني بنون واحدة اهـ سمين.

وفي المختار: وتبرأ من كذا فهو براء منه بالفتح والمد لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر كالسماع اهـ.

قوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ في هذا الاستثناء أوجه، أحدها: أنه منقطع بناء على أنهم كانوا يعبدون الأصنام فقط. ثانيها: أنه متصل بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله الأصنام. ثالثها: أن إلا صفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الزمخشري اهـ خطيب.

قوله: ﴿فإنه سيهدين﴾ أي: سيثبتني على الهداية أو سيهدين إلى ما وراء الذي هداني إليه الآن، والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وجعلها﴾ الضمير المستتر يعود على إبراهيم، وقوله: لعلهم يرجعون من كلام الله تعليل للأمر الذي قدره الشارح بقوله: واذكر أي: اذكر لقومك ما ذكر لعلهم يرجعون. هذا هو المناسب لصنيع الشارح وغيره من الشراح جرى على أسلوب آخر فافهم الفرق بينهما اهـ شيخنا.

وفي الخطيب، وأبي السعود: وجعلها كلمة باقية في عقبه أي: حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية، وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ علة للجعل أي: جعلها باقية فيهم رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم، وقوله: بل متعت الخ إضراب عن محذوف ينساق إليه الكلام، كأنه قيل: وجعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصاهم بها رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم، فلم يحصل ما ترجاه بل متعت هؤلاء أي: عقب إبراهيم وآباءهم أي: مددت لهم في الآجال

﴿ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ ﴾ المشركين ﴿ وَآبَاءَهُمْ ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ القرآن ﴿ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾ من أية منهما ﴿ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ النبوة؟ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

مع إسباغ النعم وسلامة الأبدان من البلايا والنقم فبطروا وتمادوا على الباطل حتى جاءهم الحق الخ اهـ.

قوله: ﴿هؤلاء﴾ (المشركين) عبارة البيضاوي: هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات، انتهت.

وقوله: فاغتروا الخ يعني أن التمتيع كناية عما ذكر فإنه أظهر في الإضراب عن قوله: وجعلها كلمة باقية الخ أي: لم يرجعوا فلم أعاجلهم بالعقوبة بل أعطيتهم نعماً أخر غير الكلمة الباقية لأجل أن يشكروا منعمها ويوحدوه، فلم يفعلوا بل زاد طغيانهم لاغترارهم أو تقدير ما اكتفيت في هدايتهم بجعل الكلمة باقية، بل متعتهم وأرسلت إليهم رسولاً اهـ شهاب.

قوله: ﴿حتى جاءهم الحق﴾ في هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه، وهو أن ما ذكر ليس غاية للتمتيع. إذ لا مناسبة بينهما مع أن مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرعي فيها، والجواب أن المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكأنه قال: اشتغلوا به حتى جاءهم الحق وهو غاية له في نفس الأمر لأنه ينبههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا فهو كقوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤] اهـ شهاب.

قوله: ﴿وقالوا لولا نزل﴾ الخ أي: لأنهم قالوا منصب الرسالة شريف لا يليق إلا لرجل شريف، وصدقوا في ذلك إلا أنهم ضموا إليه مقدمة فاسدة وهي أن الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك، فلا تليق به رسالة الله، وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود بالطائف قاله قتادة اهـ خطيب.

قوله: (من أية منهما) أي: من أية واحدة منهما، وعبارة البيضاوي: من إحدى القريتين.

قوله: ﴿أهم يقسمون﴾ الخ إنكار فيه تجهيل لهم وتعجب من تحكمهم، وقوله: نحن قسمنا الخ أي: ولم يفوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رحمت ربك﴾ وقوله: ورحمة ربك ترسم هذه التاء مجرورة اتباعاً لرسم المصحف الإمام، كما نص عليه ابن الجزري ونصه مع شرحه لشيخ الإسلام: ورحمت ربك في موضعي الزخرف بالتاء لا بالهاء زبره أي: كتبه عثمان رضي الله عنه، وزبر أيضاً بالتاء رحمت الله في الأعراف في قوله: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] وفي سورة الروم في قوله: ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ [الروم: ٥٠] وفي سورة هود في قوله: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [هود: ٧٣] ﴿ورحمت ربك﴾ في كهيعص ﴿ورحمت الله﴾ [هود: ٧٣] في البقرة في قوله: ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ [البقرة: ٢١٨] وما عدا هذه السبعة يرسم بالهاء، وأبو عمرو، وابن كثير والكسائي يقفون

فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بالغنى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾ الغني ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخراً في العلم له بالأجرة، والياء للنسب، وقرىء بكسر السين

بالهاء كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة وهي لغة قريش، والباقون يقفون بالتاء تغليباً لجانب الرسم وهي لغة طيىء اهـ.

قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ أي: نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد، فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا مالكاً وهذا مملوكاً وهذا قوياً وهذا ضعيفاً، ثم إن أحداً من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها، فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بنصب النبوة والرسالة؟ والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا اهـ خازن.

قوله: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ أي: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تأليف وتضام ينتظم بذلك العالم لا لكمـال في الموسع عليه ولا لنقص في المقتر عليه، ثم أنهم لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف، فكيف يكون فيما هو أعلى منه اهـ بيضاوي.

وهذه اللام للتعليل أي: القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق أن ينتفع بعضهم ببعض ليتم النظام، وفي الخازن: يعني أنا لو سوينا بينهم في كل الأحوال لم يخدم أحد أحداً ولم يصر أحد منهم مسخراً لغيره وحينئذ يفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا، ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضاً، فسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم اهـ.

وعبارة الخطيب: ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً أي: ليستخدم بعضهم بعضاً فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام العالم، لأن المقادير لو تساوت لتعطلت المعايش فلم يقدر أحد منهم أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا الأمر الدنيء، فكيف يطمعون في الاعتراض في أمر النبوة، أيتصور عاقل أن نتولى قسم الناقص ونكل العالي إلى غيرنا؟ قال ابن الجوزي: فإذا كانت الأرزاق بقدرة الله تعالى لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة، انتهت.

قوله: (والياء للنسب) أي: نسبتة للسخرة التي هي العمل بلا أجرة لا للسخرية التي هي الاستهزاء والتهكم، والسخرة بوزن عرفة الاستخدام والقهر على العمل بلا أجرة كما في كتب اللغة، وبهذا الاعتبار لا يصح التعليل في قوله: ليتخذ فإنه ليس القصد من تفاوت الناس في الرزق أن يقهر الغني الفقير على العمل له، وأيضاً هذا لا يلائم تقييد الشارح بقوله: بالأجرة، فالحاصل أنه إذا نظر لصحة التعليل واستقامته استقام التقييد المذكور وإن نظر للأمر اللغوي في السخرة لم تستقم النسبة إليها ولا يصح الكلام معها ولا التقييد بقوله: بالأجرة، فحينئذ يتنافى طرفا الكلام فليتأمل وليحرر. وقوله: وقرىء بكسر السين أي: شاذاً، ولذلك قال: وقرىء ولم يقل وفي قراءة على عادته لأنه يشير بالأول للشاذ، وبالثاني للمتواتر، وأما ما في سورة المؤمنون وسورة ص فكسر السين فيه قراءة سبعية، ففرق

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ في الدنيا ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من لمن ﴿سُقُفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعاً ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعلون إلى السطح

بين ما هنا وما في السورتين الأخريين اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وقيل: هو السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء أي: ليستهزىء الغني بالفقير. قال الأخفش: سخرت به وسخرت منه، وضحكت به وضحكت منه، وهزئت به وهزئت منه اهـ.

وعلى هذا القول تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للعلة والسببية.

قوله: ﴿خير مما يجمعون﴾ أي: والعظيم من أعطيها وحازها وهو النبي ﷺ لا من حاز الكثير مما يجمعون كعروة بن مسعود اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولولا أن يكون الناس﴾ الخ في الكلام حذف المضاف أي: ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له الشارح بقوله: المعنى الخ اهـ شيخنا.

لكن في تقدير هذا المضاف شيء لأن الله لا يخاف من شيء، فالأولى في تقدير الآية ما سلكه البيضاوي ونصه: أي لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه اهـ.

وقدر الزمخشري فيه مضافاً فقال: لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر الخ. والغرض من تقديره أن كراهة الاجتماع هي المانعة من تمتيع الكفار، ولما كان معنى كونهم أمة واحدة اجتماعهم على أمر واحد أريد به الكفر بقرينة الجواب، فليس هذا من مفهوم الكلام ولازمه كما توهم اهـ شهاب.

فإن قيل: لما بين تعالى أنه لو فتح على الكافر أبواب النعم لصار ذلك سبباً لاجتماع الناس على الكفر، فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام؟ فالجواب: لأن الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهذا الإيمان إيمان المنافقين فكان الأصوب أن يضيق الأمر على المسلمين حتى أن كل من دخل في الإسلام إنما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب. قال الزمخشري: فإن قلت: فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها. فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام؟ قلت: التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا، والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين، فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى اهـ.

قوله: ﴿ولولا أن يكون الناس﴾ الخ استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدرها عند الله اهـ أبو السعود.

قوله: (بدل من لمن) أي: بدل اشتمال واللام للاختصاص اهـ سمين.

قوله: (وبضمهما جمعاً) قال أبو علي: سقف جمع سقف كرهن جمع رهن اهـ كرخي.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤﴾ ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهباً، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر، لأعطيناه

قوله: ﴿ومعارج﴾ جمع معرج بفتح الميم وكسرها، وسميت المصاعد من الدرج معارج لأن المشي عليها مثل مشيء الأعرج اهـ خطيب.

وهو معطوف على سقفاً المقيد بكونه من فضة، والقيد في المعطوف عليه قيد في المعطوف، فلذلك قدره الشارح بقوله: من فضة. وكذا يقال في بقية المعاطيف اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقرأ العامة معارج جمع معرج وهو السلم، وطلحة معاريج جمع معراج وهي لغة بعض تميم وهذا كمفاتح جمع مفتح ومفاتيح جمع مفتاح اهـ.

قوله: ﴿ولبيوتهم﴾ تكرير لفظ البيوت لزيادة التقدير اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وسرراً﴾ معمول لمقدر معطوف على قوله: جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل كما قدره الشارح وليس معطوفاً على أبواباً لاقتضاء العطف أن السرر للبيوت مع أنها لا تضاف لها ولا تختص بها، وقوله: وزخرفاً معطوف على سرراً المعمول للمقدر أي: وجعلنا لهم زخرفاً ليجعلوه في السقف المعارج والأبواب والسرر ليكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب، لأنه أبلغ في الزينة. هذا ما سلكه الشارح في التقرير اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: وزخرفاً يجوز أن يكون منصوباً بجعل أي: وجعلنا لهم زخرفاً، وجوز الزمخشري أن ينتصب عطفاً على محل من فضة كأنه قال سقفاً وذهب أي: بعضها كذا وبعضها كذا اهـ.

وفي الكرخي: قوله: وجعلنا لهم سرراً من فضة أشار إلى أن وسرراً معطوف على ما تقدم مع قيده وتبع في ذلك قول الكشاف لجعلنا للكفار سقوفاً ومصاعد وأبواباً وسرراً كلها من فضة فهو كما ترى ظاهر في أنه يرى اشتراك المعطوفات في وصف ما عطفت عليه، وقوله: زخرفاً قضية تقريره أن نصبه بجعل أي وجعلناهم زخرفاً، وقد جرى ذلك في الكشاف لأنه قال: وجعلنا لهم زخرفاً أي زينة من كل شيء، والزخرف: الذهب والزينة، ثم قال: ويجوز أن يكون الأصل سقفاً من فضة وزخرفاً يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب، فنصب عطفاً على محل من فضة اهـ.

وفي القرطبي: وزخرفاً الزخرف هنا الذهب، وعن ابن عباس وغيره نظيره أو يكون لك بيت من زخرف وقد تقدم، وقال ابن زيد: هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الأمتعة والأثاث، وقال الحسن: النقوش وأصله الزينة يقال: زخرفت الدار أي: زينتها، وتزخرف فلان أي: تزين وانتصب زخرفاً على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، وقيل: بنزع الخافض والمعنى لجعلنا لهم سقفاً وأبواباً وسرراً من فضة ومن ذهب، فلما حذف من قال وزخرفاً فنصب اهـ.

قوله: (والمعنى لولا خوف الكفر الخ) أي: معنى قوله ولولا أن يكون الناس الخ.

ذلك، لقلة حظ الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ بالتخفيف فما زائدة، وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: وهي هنا مهملة لوجود اللام في خبرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ أي: وبهذا يتبين أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: والآخرة عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن اتقى وخاف، وقال كعب: إني لأجد في بعض كتب الله المنزلة: لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس عبدي الكافر بالإكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق بوجع. وفي صحيح الترمذي، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وعن سهل بن سعد قال، قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» اهـ.

وفي القاموس: نبض العرق من باب ضرب نبضاً ونبضاناً تحرك. وفي الخطيب: قال البقاعي: ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادىء الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال، لأن من يبقى إذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث أنه لا عداد له في جانب الكفرة، لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه اهـ.

قوله: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ هذه الآية متصلة بقوله أول السورة: ﴿فنضرب عنكم الذكر صفحاً﴾ [الزخرف: ٥] أي: لا نضربه عنكم بل نواصله لكم، فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض عنه إلى تأويل المضلين وأباطيلهم نقيض له شيطاناً أي: نسبب له شيطاناً جزاء له على كفره فهو له قرين في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية وهو معنى قول ابن عباس، وقيل: في الآخرة إذا قام من قبره قاله سعيد الجريري. وفي الخبر: إذا قام من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه ذكره المهدوي، وقال القشيري: والصحيح فهو له قرين في الدنيا والآخرة اهـ قرطبي.

قوله: (يعرض) أي: يتعامى ويتجاهل ويتغافل. يقال: عشا يعشو كدعا يدعو ما ذكر، ويقال: عشي يعشى كرضي يرضى إذا أصاب عينه الداء الذي يمنع إبصارها ليلاً اهـ شيخنا.

وفي القاموس: العشي مقصور سوء البصر في الليل والنهار والعمى عشي كرضي ودعا اهـ.

وفي المختار: وعشا عنه أعرض وبابه عدا، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ قلت: وفسره بعضهم في الآية بضعف البصر اهـ.

وفي القرطبي: وقال أبو الهيثم والأزهري: عشوت إلى كذا أي: قصدته. وعشوت عن كذا أي: أعرضت عنه فيفرق بين إلى وعن مثل ملت إليه وملت عنه اهـ.

أي القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ لا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ في الجمع رعاية معنى من ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَٰلَيْتَ﴾ للتنبيه ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي مثل بعدما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ أنت لي، قال تعالى

قوله: ﴿فهو﴾ أي: الشيطان وفي هذا الضمير مراعاة لفظ الشيطان. وقوله: وإنهم ليصدونهم في الضميرين مراعاة معناه أي: جنسه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويحسبون﴾ أي العاشون والجملة حالية. أي: يعتقدون أنهم على هدى اهـ شيخنا.

قوله: (في الجمع) أي: في مواضع ثلاثة، الأول: الهاء في قوله: ليصدونهم. والثاني: الواو في قوله: ويحسبون. والثالث: الهاء في قوله: أنهم وقوله رعاية معنى من أي: بعد أن روعي لفظها في ثلاثة مواضع أيضاً، الأول: المستتر في يعش. والثاني والثالث: المجروران باللام في نقيض له فهو له وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء والمستتر في قال ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع في: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم. والحاصل أنه روعي لفظها أولاً في ثلاثة مواضع، ثم معناها في ثلاثة، ثم لفظها في موضعين، ثم معناها في ثلاثة اهـ شيخنا.

وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله: حتى إذا جاءنا فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتماً أن تكون غاية لأمر ممتد كما مرَّ مراراً اهـ أبو السعود.

قوله: (العاشي) أشار إلى أن فاعل جاءنا العاشي المأخوذ من يعش المتقدم ومفعوله محذوف كما قدره، وهذا على قراءة أبي عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص بإسناد الفعل إلى الضمير مفرد يعود على لفظ من هو العاشي، والباقون جاءنا مسند إلى ضمير التثنية وهما العاشي وقرينه جعلا في سلسلة واحدة اهـ كرخي.

قوله: (بقرينة) أي: مع قرينة.

قوله: ﴿قال﴾ أي: العاشي. يا ليت بيني وبينك أي: يا ليت كان في الدنيا بيني وبينك الخ.

قوله: ﴿بعد المشرقين﴾ اسم ليت مؤخر وفيه تغليب كالقمرين والعمرين اهـ شيخنا.

قوله: (أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب) أي: في أنهما لا يجتمعان أبداً لما بينهما من التباعد، ومن رتب عليه فبئس القرين، وقريب منه ما قاله صاحب التفسير كأنه قال: ليتني لم أكن صحبتك ولا عرفتك ولا كانت بيني وبينك وصلة ولا تقارب حتى كنا في التباعد كأن أحدنا في المشرق والآخر بالمغرب لا يلتقيان ولا يتقاربان اهـ كرخي.

قوله: (قال تعالى) أي: يقول لأن هذا القول سيقال لهم في الآخرة، وقوله: أي: العاشين تفسير للكاف، وقوله: تمنيكم وندمكم تفسير للفاعل المستتر فهو عائد على معلوم من السياق دل عليه قوله: يا ليت بيني وبينك الخ اهـ شيخنا.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ علّة بتقدير اللام لعدم النفع، وإذ بدل من اليوم ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ بيِّن؟ أي فهم لا يؤمنون

وعبارة السمين: قوله: ولن ينفعكم اليوم الخ في فاعله قولان، أحدهما: أنه ملفوظ به وهو أنكم وما في حيزها، والتقدير ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب بالتأسي كما ينفع الاشتراك في مصائب الدنيا فيتأسى المصاب بمثله. والثاني: أنه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله: يا ليت بين وبينك أي: لن ينفعكم تمنيكم البعد، وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم، وبعضم ظلمكم وجحدكم. وعبارة من عبّر بأن الفاعل محذوف مقصوده الإضمار المذكور لا الحذف إذ الفاعل لا يحذف إلا في مواضع ليس هذا منها، وعلى هذا الوجه يكون قوله: إنكم تعليلاً أي: لأنكم فحذف الخافض فجرى في عملها الخلاف أهو نصب أم جر، ويؤيد إضمار الفاعل قراءة إنكم بالكسر فإنه استئناف مفيد للتعليل اهـ.

قوله: (أي تبين لكم) أي: الآن أي: في الآخرة، وأشار بهذا إلى أن في الكلام تقديراً يندفع به ما قيل. كيف قال اليوم ثم قال إذ ظلمتم، والظلم قد وقع في الدنيا، واليوم عبارة عن يوم القيامة، وإذ بدل من اليوم كما سيذكره، والماضي لا يبدل من الحاضر؟ وحاصل الجواب: أن المراد إذ تبين لكم ظلمكم والتبين والظهور والوضوح واقع يوم القيامة لا في الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: (إذ بدل من اليوم) أي: بدل كل إن قلت إذ للمضي واليوم للحال فكيف يبدل منه، فلا يجوز البدل ما دامت إذ على موضوعها من المضي، فإن جعلت لمطلق الزمان جاز لكنه لم يعهد فيها أن تكون لمطلق الزمان، بل هي موضوعة لزمان خاص بالماضي، ويجاب بأن الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله وعلمه، فتكون إذ بدلاً من اليوم حتى كأنها مستقبله وكأن اليوم ماض، وتقدم جواب هذا في تقرير الشارح. وفي الآية اشكال من وجه آخر وهو أن اليوم ظرف حال وإذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل، والظاهر أنه عامل في الظرفين، وكيف يعمل الحادث المستقبل الذي لم يقع بعد في ظرف حاضر وماض، وأجيب عن إعماله في الظرف الحالي بأنه لما قرب معه من حيث إن الحال قريب من الاستقبال جاز عمله فيه، وإلاّ فالمستقبل يستحيل وقوعه في الحال عقلاً اهـ سمين وكرخي.

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ الخ لما وصفهم في الآية المتقدمة بالعشو وصفهم هنا بالصمم والعمى بقوله: أفأنت أي: وحدك من غير إرادتنا تسمع الصم، وقد أصممناهم بأن صببنا في مسامع افهامهم رصاص الشقاء، أو تهدي العمي الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم. روي أنه ﷺ كان يجتهد في دعائهم وهم لا يزدادون إلا تصميماً على الكفر، فنزلت هذه الآية اهـ خطيب.

قوله: ﴿من كان﴾ الخ معطوف على العمي، والعطف للتغاير العنواني، وإلاّ فالما صدق واحد، وقوله: أي: فهم لا يؤمنون أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري أي: أنت لا تسمعهم أي: لا ينتفعون بسماعك اهـ شيخنا.

﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قادرون ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ عن القيام بحقه ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾؟ قيل هو

وفي البيضاوي: هذا إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى ومقروناً بالصمم اهـ.

قوله: (بأن نميتك قبل تعذيبهم) عبارة أبي السعود: فإما نذهبن بك أي: فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فإنا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة اهـ.

قوله: ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أي: فلا يعوقنا عائق لأنا عليهم مقتدرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: سواء عجلنا لك الموعود به أو أخرناه إلى يوم القيامة اهـ أبو السعود.

أي: دم على التمسك أو أنه أمر لأمته اهـ شهاب.

قوله: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ تعليل للاستمساك أو للأمر به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقومك﴾ أي: قريش خصوصاً لنزوله بلغتهم والعرب عموماً وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم اهـ خطيب..

قوله: ﴿من أرسلنا﴾ من موصولة أي: من أرسلنا، وقوله: من رسلنا بيان لها. قوله: ﴿أجعلنا من دون الرحمن﴾ أي: هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم اهـ بيضاوي.

قوله: (قيل هو) أي: التركيب على ظاهره من غير تقرير فهو مأمور بسؤال الرسل أنفسهم، وقوله: وقيل المراد الخ أي: أنه ليس على ظاهره، بل فيه مجاز بالحذف أي: حذف المضاف أي: واسأل أمم من أرسلنا أي: أمم المرسلين الذين خلوا قبلك. يدل على هذا الحذف قوله تعالى: ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ [يونس: ٩٤] فقوله: أمم من لفظ أمم هو المضاف المقدر ومن هي التي في الآية، وقوله: أي: أهل الكتابين تفسير لأمم، فلفظ أمم في كلامه يقرأ بالنصب لأنه مفعول لاسأل، وفائدة هذا المجاز أي: إيقاع السؤال على الرسل، مع أن المراد أممهم التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما تقوله علماؤهم من تلقاء أنفسهم اهـ شيخنا.

فعلى التقدير الأول هي مكية، وعلى الثاني تكون مدنية. وفي القرطبي: قال ابن عباس، وابن زيد: لما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين وجبريل مع النبي ﷺ فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال: يا محمد تقدم فصلِّ بهم، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال له جبريل عليه الصلاة والسلام: سل يا محمد

على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم

من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن الهة يعبدون فقال رسول الله ﷺ: لا أسأل قد اكتفيت. قال ابن عباس: وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام، فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم، وفي غير رواية ابن عباس: فصلّوا خلف رسول الله ﷺ سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف، وكان يلي ظهر رسول الله ﷺ إبراهيم خليل الله، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق ثم موسى ثم سائر المرسلين، فصلّى بهم ركعتين، فلما انفتل قام فقال: «إن ربي أوحى إليَّ أن أسألكم هل أرسل أحد منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى؟ »فقالوا: يا محمد إنا نشهد إنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين، قد استبان ذلك بإمامتك إيانا وأنه لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم، فإنه مأمور أن يتبع أثرك اهـ.

وفي الكرخي: قوله: قيل هو على ظاهره الخ أي: قال الزهري، وسعيد بن جبير، وابن عباس في رواية عطاء: إن الله تعالى لما جمع الرسل ليلة المعراج في بيت المقدس وفرغ من الصلاة نزلت هذه الآية، والأنبياء حاضرون لديه فقال بعد سلامه: لا أسأل فقد كفيت ولست شاكاً فيه، لأن المراد بالأمر بالسؤال التقرير والتفهيم لمشركي قريش إنه لم يأت رسول الله ولا كتاب بعبادة غير الله وعلى هذا تكون الآية مكية أي: نزلت قبل الهجرة. وقال ابن عباس في سائر الروايات عنه، ومجاهد، وقتادة: المراد أمم من أي أهل الكتابين يشهد له قوله: فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، والمراد الاستشهاد بإجماعهم على التوحيد، وحينئذ فلا يرد كيف قال: وأسأل من أرسلنا الآية، مع أن النبي ﷺ لم يلق أحد من الرسل حتى يسأله وهو مجاز عن النظر في أديانهم والبحث عن مللهم هل فيها ذلك اهـ.

وعلى هذا الثاني تكون الآية مدنية لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة اهـ.

ولم يسأل على واحد من القولين هذا أحد قولين والآخر أنه سأل الأنبياء في بيت المقدس كما تقدم تقريره. قوله: (لأن المراد من الأمر الخ) وقيل: لأنه علم أن الأمر ليس لإيجاب السؤال عليه اهـ.

قوله: (التقرير) أي: حملهم على الإقرار.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الخ لما طعن كفار قريش في نبوة محمد ﷺ بكونه فقيراً عديم الجاه والمال بيّن الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات القاهرة التي لا يشك في صحتها عاقل أورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش، فقال تعالى: ولقد أرسلنا موسى الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ الباء للملابسة، وقوله: فقال أي: قال موسى إني رسول موسى الخ.

قوله: ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ الخ مرتب على مقدر أي: فطلبوا منه الآيات الدالة على صدقه كما

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٤٨﴾﴾ عن

يدل عليه ما في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها﴾ [الأعراف: ١٠٦] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ أي: فاجؤوا المجيء، بها بالضحك سخرية من غير توقف ولا تأمل. قيل: لما ألقى عصاه وصارت ثعباناً وأخذها فصارت عصا كما كانت ضحكوا، ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا اهـ خطيب.

وفي السمين: إذا هم منها يضحكون أي: فاجؤوا وقت ضحكهم منها أي: استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها، وفيما ذكر إشارة إلى أن إذا اسم بمعنى الوقت فتنصب على المفعولية لفاجؤوا كما قال القاضي تبعاً لصاحب الكشاف، فلا يرد كيف جاز أن تجاب لما بإذا الفجائية. قال في الكشاف: فإن قلت: كيف جاز أن تجاب لما بإذا الفجائية؟ قلت: لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها، كأن قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكم اهـ.

قال الشيخ: ولا نعلم نحوياً ذهب إلى ما ذهب إليه من أن إذ الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ، بل المذاهب فيها ثلاثة، إما حرف فلا تحتاج إلى عامل، أو ظرف مكان أو ظرف زمان، فإن ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت، فإذا زيد قائم تقديره خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم أو ففي الوقت الذي خرجت فيه زيد قائم، وإن لم يذكر بعد الاسم خبر أو ذكر اسم منصوب على الحال، فإن كان الاسم جثة وقلنا إنها ظرف مكان كان الأمر واضحاً نحو: خرجت فإذا الأسد أي: ففي الحضرة الأسد أو فإذا الأسد أيضاً وإن قلنا أنها زمان كان على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو: خرجت فإذا الأسد أي ففي الزمان حضور الأسد، وإن كان الاسم حدثاً جاز أن تكون مكاناً أو زماناً ولا حاجة إلى تقدير مضاف نحو: خرجت فإذا القتال إن شئت قدرت فبالحضرة القتال أو ففي الزمان القتال، وفيه تلخيص وزيادة كثيرة في الأمثلة رأيت تركها مخلا اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ الجملة صفة لآية فهي في محل جر بالنظر للفظ آية، وفي محل نصب بالنظر لمحل آية اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ أي: إلا وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز بحيث بحسب الناظر فيها أنها أكبر من كل ما يقاس إليها من الآيات، فهي أكبر من أختها في زعم الناظر ورأيه، والمراد وصف الكل بالكبر كقولك: رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض، أو إلا وهي مختصة بنوع من إعجاز بنوع من إعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر اهـ أبو السعود.

الكفر ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من النيل ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أتحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ عظمتي ﴿أَمْ﴾ تبصرون؟ وحينئذ ﴿أَنَا

قوله: (أي العالم الكامل الخ) أي: أو نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم والأظهر أن النداء كان باسمه العلم كما في الأعراف في قوله: ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ [الأعراف: ١٣٤] لكن حكى الله سبحانه هنا كلامهم لا بعبارتهم، بل على وفق ما أضمرته قلوبهم من اعتقاد أنه ساحر لاقتضاء مقام التسلية ذلك، فإن قريشاً أيضاً سموه ساحراً وسموا ما أتى به سحراً كما مرَّ اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وقالوا يا أيها الساحر لما عاينوا العذاب قالوا يا أيها الساحر نادوه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك على حسب عادتهم وقيل: كانوا يسمون العلماء سحرة فنادوه وبذلك على سبيل التعظيم. قال ابن عباس: يا أيها الساحر، يا أيها العالم. وكان الساحر فيهم عظيماً يوقرونه ولم يكن السحر صفة ذم، وقيل: يا أيها الذي غلبنا بسحره يقال ساحرته فسحرته: أي: غلبته. كقول العرب خاصمته فخصمته أي: غلبته بالخصومه وفاضلته ففضلته ونحوها، ويحتمل أن يكون أرادوا به الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام فلم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا اهـ.

قوله: ﴿بما عهد عندك﴾ جعلها الشارح موصولة حيث بينها بقوله من كشف العذاب الخ. وجعلها البيضاوي مصدرية حيث قال: بما عهد عندك أي: بعهده عندك بالنبوة أو من أن يستجيبوا دعوتك، أو أن يكشف العذاب عمن أهتدى، أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة أننا لمهتدون أي: بشرط أن تدعوا لنا فيكشف عنا العذاب اهـ.

قوله: ﴿إننا لمهتدون﴾ مرتب على مقدر أي: إن كشفت عنا العذاب فإنا مؤمنون يدل عليه ما في سورة الأعراف من قوله: ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك﴾ [الأعراف: ١٣٤] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا هم ينكثون﴾ أي: فاجؤوا كشف العذاب بتجديد النكث أي: نقض العهد اهـ خطيب. وكانوا ينقضونه في كل مرة من مرات العذاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ [الأعراف: ١٣٣] الخ. فكانوا في كل واحدة يتوبون، فإذا انكشف عنهم نقضوا العهد تأمل.

قوله: ﴿ونادى فرعون﴾ أي: بنفسه أو بمناديه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهذه الأنهار﴾ هذه مبتدأ والأنهار بدل منه، وجملة تجري خبره، وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من الياء في لي، ويحتمل أن الواو حرف عطف وهذه معطوف على ملك مصر، وجملة تجري حال من اسم الإشارة اهـ سمين.

قوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ مفعوله محذوف قدره بقوله عظمتي، وقدره الخطيب بقوله الذي ذكرته

خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي موسى ﴿ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره ﴿فَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقاً ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ متتابعين يشهدون بصدقه ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون

فتعلمون ببصائر قلوبكم أنه لا ينبغي لأحد أن ينازعني اهـ شيخنا.

وقوله: أم تبصرون فيه إشارة إلى أن أم متصلة وهي التي يطلب بها وبالهمزة التعيين، وأن المعادل محذوف كما قدره، وهذا الوجه معترض إذ المعادل لا يحذف بعد أن إلا إن كان بعدها لفظ لا نحو: أتقول أم لا أي: أم لا تقول، أما حذفه بدون لا كما هنا فلا يجوز. والشارح تبع الزمخشري حيث قال: أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله: أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا أنت خير كانوا عنده بصراء، فهذا من إقامة السبب مقام السبب اهـ.

واعترضه أبو حيان بما تقدم، ويجاب: بأن ما قاله أبو حيان أكثري لا كلي، فالحق أنه يجوز حذف المعادل وأن لم تكن لا موجودة بعد أم هذا، وجوز بعضهم أن تكون أم هنا منقطعة فتقدر بل التي للانتقال وبهمزة الإنكار أو ببل فقط، وجوز آخر أن تكون منقطعة لفظاً متصلة معنى، قال أبو البقاء، أم هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها وهي في المعنى متصلة معادلة إذ المعنى أنا خير منه أم لا، وهذا الوجه غريب وذلك لأنهما معنيان مختلفان، لأن الانقطاع يقتضي إضراباً إبطالياً وانتقالياً والاتصال يقتضي خلافه اهـ من السمين.

قوله: (وحينئذ) أي: حين أبصرتم عظمتي، وأشار بهذا إلى أن جملة أنا خير مسببة عن المحذوف وهو تبصرون فأقيمت مقامه اهـ شيخنا.

قوله: (حقير) أي: لأنه يتعاطى أموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجري بها نهراً ولا ينفذ بها أمراً اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ هذه الجملة إما معطوفة على الصلة أو مستأنفة أو حال اهـ سمين.

قوله: (للثغته) أي: حبسته التي كانت في لسانه. وفي المختار: اللثغة بالضم أن تصير الراء غيناً أو لاماً أو السين ثاء، وقد لثغ من باب طرب فهو ألثغ اهـ.

قوله: ﴿فلولا ألقي عليه﴾ أي: من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك بالحقيقة اهـ خطيب.

قوله: (يسودونه) أي: يجعلونه سيداً معظماً مقدماً اهـ شيخنا.

قوله: (يشهدون بصدقه) أي: كما نفعل نحن إذا أرسلنا رسولاً في أمر يحتاج إلى دفاع وخصام اهـ خطيب.

قوله: (استفز فرعون) ﴿قومه﴾ في المختار: استفزه الخوف استخفه اهـ.

وفي البيضاوي: فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم اهـ.

﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالى ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله

وقوله: فطلب منهم الخفة أي: السرعة لاجابته ومتابعته، كما يقال: هم خفوف إذا دعوا وهو مجاز مشهور أو المعنى وجدهم خفيفة أحلامهم أي: قليلة عقولهم، فصيغة الاستفعال للوجدان وفي نسبته إلى القوم تجوز اهـ شهاب.

وفي المصباح: واستخف قومه حملهم على الخفة والجهل اهـ.

قوله: ﴿فلما آسفونا﴾ الهمزة للتعدية إلى المفعول لأنه في الأصل لازم تقول: أسف زيد أي: حزن. فلما دخلت همزة النقل اجتمع همزتان فقلبت الثانية ألفاً اهـ شيخنا.

قوله: (أغضبونا) أي: بالإفراط في الفساد والعصيان، واعمل أن ذكر لفظ الأسف في حق الله تعالى ذكر الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب تأويلها، فمعنى الغضب في حق الله تعالى إرادة العقاب، ومعنى الانتقام إرادة العقاب بجرم سابق اهـ كرخي.

وهذا مسلم في الغضب فإن حقيقته ثوران دم القلب لأجل الانتقام وهذا محال في حق الله تعالى، فيجب تأويله بما ذكر، وأما الانتقام فلا إشكال فيه لأن معناه في حق الله تعالى ظاهر. وفي المختار: انتقم الله من الكافر عاقبه اهـ.

فالانتقام في حق الله هو العقوبة. قوله: ﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ تفسير للانتقام، وإنما أهكلوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعززوا به وهو الماء في قوله: وهذه الأنهار تجري من تحتي، ففيه إشارة إلى أن من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به، وقد استضعف اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف، فسلطه الله تعالى عليه إشارة إلى أنه ما استضعف أحد شيئاً إلا غلبه أفاده القشيري اهـ خطيب.

قوله: ﴿سلفاً﴾ مفعول ثان أي جعلناهم سابقين، وقوله: عبرة مفعول من أجله أي: جعلناهم سلفاً لأجل الاعتبار بهم، وقوله: ومثلاً معطوف على سلفاً أي: وجعلناهم مثلاً للآخرين أي: المتأخرين في الزمان، وفي البيضاوي: ومثلاً للآخرين وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير سير الأمثال لهم، فيقال: مثلهم مثل قوم فرعون اهـ.

قوله: (أي سابقين) أي: في الزمان ليعتبر بهم من بعدهم، فقوله: عبرة مفعول لأجله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ أي: ضربه، وجعله ابن الزبعري حين جادل رسول الله لما نزلت الآية ذكرها الشارح، فقال: أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال اللعين: خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيراً، وبنوا مليح يعبدون الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن

حصب جهنم﴾ فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾

وآلهتنا معهم، ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿إذا قومك منه يصدرون﴾ اهـ أبو السعود.

وبه تعلم ما في الشارح من اختصار القصة. وابن الزبعري هو عبد الله الصحابي المشهور، والزبعري بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والألف المقصورة معناه سيىء الخلق، وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل إسلامه اهـ شهاب.

قوله أيضاً: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ أي: ضربه ابن الزبعري، أي: جعله مشابهاً للأصنام من حيث إن النصارى اتخذوه إلهاً وعبدوه من دون الله، وأنت تزعم أن آلهتنا ليست خيراً من عيسى، فإذا كان هو من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون اهـ زاده.

قوله: ﴿إذا قومك﴾ أي: فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم وسخريتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منه﴾ أي: من المثل: أي: من أجله إذ ظنوا أنه ألزم وأفحم النبي ﷺ به، وهو إنما سكت انتظاراً للوحي اهـ شهاب.

قوله: ﴿يصدون﴾ بضم الصاد وكسرها سبعيتان وهما بمعنى واحد، فالمكسور من باب ضرب كما في المصباح، والمضموم من باب رد كما في المختار، وفي السمين: قوله: يصدون قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي يصدون بضم الصاد، والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد وهو الصحيح. يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف، وقيل: المضموم من الصدود وهو الإعراض، وقد أنكر ابن العباس الضم وهذا والله أعلم قبل أن يبلغه تواتره اهـ.

قوله: (يضحكون فرحاً) أي: ارتفعت لهم جلبة وضجيج فرحاً بما سمعوا من ابن الزبعري لاعتقادهم وظنهم أن محمداً صار مغلوباً بهذا الجدال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالوا آلهتنا خير﴾ الخ حكاية لطرف آخر من المثل المضروب قالوه تمهيداً لما بنوه عليه من الباطل المموه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿آلهتنا خير أم هو﴾ أي: آلهتنا خير عندك أم عيسى، فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه اهـ بيضاوي.

وإنما قالوا عندك لأن كونها خيراً عندهم غني عن السؤال، وإنما المقصود التنزل للإلزام على زعمهم بلزوم دخول عيسى النار اهـ شهاب.

قوله: ﴿آلهتنا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها من غير إدخال ألف بينها وبين الأولى، فهما قراءتان سبعيتان فقط اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: أآلهتنا خير قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين

خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ شديدو الخصومة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ أي كالمثل لغرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾ بأن نهلككم ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى ﴿لَعِلْمٌ

بين، ولم يدخل أحد من القراء ألفاً بين الهمزتين كراهة لتوالي أربع متشابهات وأبدل الجميع الهمزة الثالثة ألفاً، ولا بد من زيادة بيان، وذلك أن آلهة جمع إله كعماد وأعمدة، فالأصل أألهة بهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة فوجب قلبها ألفاً كآمن وبابه، ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة فالتقى همزتان في اللفظ الأولى للاستفهام والثانية همزة أفعلة، فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما فأبقوهما على حالهما وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين، وأما الثالثة فألف محضة لم تغير البتة، وأكثر أهل العصر يقرأون هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر، ولم يقرأ به أحد من السبعة فيما قرأت به، إلا أنه قد روي أن ورشاً قرأ كذلك في رواية أبي الأزهري وهي تحتمل الاستفهام كالعامة، وإنما حذف أداة الاستفهام لدلالة أم عليها وهو كثير، ويحتمل أنه قرأه خبراً محضاً، وحينئذ تكون أم منقطعة فتقدر ببل والهمزة، وأما الجماعة فهي عندهم متصلة فقوله: أم هو على قراءة العامة عطف على آلهتنا وهو من عطف المفردات. التقدير: أآلهتنا أم هو خير أي أيهما خير، وعلى قراءة ورش يكون هو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: بل أهو خير ليست أم حينئذ عاطفة اهـ.

قوله: (فنرضى أن تكون الخ) تفريع على الشق الثاني.

قوله: ﴿إلاَّ جدلاً﴾ أي: لا لطلب الحق حتى يرجعوا له عند ظهوره وبيانه اهـ أبو السعود.
وفي السمين: إلا جدلاً مفعول من أجله أي: لأجل الجدل والمراء لا لإظهار الحق، وقيل: هو مصدر في موضع الحال أي: إلا مجادلين اهـ.

قوله: (لعلمهم أن ما) أي: الواقعة في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ [الأنبياء: ٩٨] الخ اهـ.

قوله: ﴿إن هو إلا عبد﴾ الخ ردّ عليهم أي: وما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة مرتفع المنزلة والذكر مشهور في بني إسرائيل كالمثل السائر، فمن أين يدخل في قولنا إنكم وما تعبدون الآية اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجعلنا مثلاً لبني إسرائيل﴾ أي: حيث خلقناه من غير أب كما خلقنا آدم من غير أبوين، فهو مثل لهم يشبهون به ما يريدون من عجائب صنع الله فلا ينكرونه، ثم خاطب كفار مكة فقال: ولو نشاء لجعلنا الخ فهو مرتبط بقوله: وجعلناه مثلاً أي ولو نشاء لجعلنا منكم عبرة أعجب من خلق عيسى من غير أب اهـ زاده.

قوله: (بوجوده) أي: بسبب وجوده من غير أب.

قوله: ﴿لجعلنا منكم﴾ خطاب لقريش أي: فنحن أغنياء عنكم وعن عبادتكم، بل لو نشاء

﴿لِلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ بين العداوة ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره، فبين لهم أمر الدين

لأهلكناكم وجعلنا بدلكم في الأرض ملائكة مكرمين يعمرونها ويعبدوننا، فهذا تهديد وتخويف لقريش اهـ شيخنا.

قوله: (بدلكم) حمل من هنا على البدلية والمشهور أنها تبعيضية، والمعنى عليه لو نشاء لجعلنا منكم يا رجال ملائكة بطريق التولد منكم من غير واسطة نساء، فهذا أمر سهل علينا مع أنه أعجب من حال عيسى الذي تستغربونه لأنه بواسطة أم وشأن الأم الولادة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: لجعلنا منكم ملائكة في من هذه أقوال، أحدهما: أنها بمعنى بدل أي: لجعلنا بدلكم، ومنه قوله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة: ٣٧] أي بدلها. والثاني: وهو المشهور أنها تبعيضية وتأويل الآية عليه لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الأرض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكر ذكره الزمخشري. والثالث: أنها تبعيضية قال أبو البقاء: وقيل: المعنى لحولنا بعضكم ملائكة، وقال ابن عطية: لجعلنا بدلاً منكم اهـ.

قوله: ﴿يخلفون﴾ أي: يخلفونكم في الأرض.

قوله: ﴿وإنه لعلم﴾ أي: وإن نزوله فالكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح، والعلم بمعنى العلامة، واللام بمعنى على في قوله للساعة على حذف مضاف أيضاً أي: على قربها، والمعنى وإن نزوله علامة على قرب الساعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واتبعون﴾ بحذف الياء خطاً لأنها من ياءات الزوائد، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها وصلاً ووقفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (قل لهم) ﴿اتبعون﴾ أي: قل يا محمد لقومك اتبعون الخ. وحذرهم أيضاً وقل لهم في التحذير لا يصدنكم الشيطان الخ. فهو معطوف على اتبعون الذي هو مقول القول فهو مقول أيضاً اهـ شيخنا.

وقيل: الكل من كلام الله تعالى أي: اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولما جاء عيسى﴾ أي: لبني إسرائيل كما سيأتي في سورة الصف في قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ [الصف: ٦] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولأبين لكم﴾ معطوف على الحكمة أي: وجئتكم لأبين لكم والإتيان بالعاطف للاهتمام بشأن العلة بتخصيصها بفعل على حدة اهـ كرخي.

وفي الشهاب: قوله: ولأبين لكم متعلق بمقدر أي: وجئتكم لأبين ولم يترك العاطف ليتعلق بما

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ﴾ في عيسى، أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ مؤلم ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي كفار مكة أي ما ينتظرون ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ بوقت مجيئها قبله ﴿ الْأَخِلَّاءُ ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة

قبله ليؤذن بالاهتمام بالعلة حتى جعلت كأنها كلام برأسه اهـ.

قوله: ﴿بعض الذي تختلفون فيه﴾ البعض هو أمر الدين، والذي تختلفون فيه مجموع أمر الدنيا، فقول الشارح من أمر الدين وغيره بيان لما اختلفوا فيه لكنه بين بعضه وهو أمر الدين، فلذلك قال: فبين لهم أمر الدين اهـ.

قوله: (من أحكام التوراة) بيان للذي تختلفون فيه قوله من أمر الدين، وغيره بيان لتلك الأحكام فهو بيان للبيان، وقوله: فبين لهم أمر الدين بيان للبعض، وإنما لم يبين لهم أمر الدنيا لأن الأنبياء لم يبعثوا لبيانها، ولذلك قال ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أي: فيما أبلغه عنه. إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما أمرهم بالطاعة وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الإشارة إلى مجموع الأمرين أي: اعتقاد التوحيد والعبد بالشرائع، وهو تتمة كلام عيسى أو استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من بينهم﴾ أي: من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى، وقوله: أهو الله قاله فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية، وقوله: أو ابن الله قاله فرقة منهم أيضاً تسمى المرقوسية، وقوله: أو ثالث ثلاثة قاله فرقة منهم أيضاً تسمى الملكانية. يعني: أو ليس ببني ولا رسول كما قالت اليهود فيه حيث قالوا: إنه ابن زنا زنت فيه أمه اهـ شيخنا.

وهذا مبني على أنه بعث لجميع بني إسرائيل فتحزبوا في أمره، وقيل: الضمير في الآية لخصوص النصارى بناء على أنه بعث لهم فقط اهـ من البيضاوي.

وحواشيه فمن بينهم حال من الأحزاب، والمعنى: حال كون الأحزاب بعضهم أي بعض النصارى، إذ بقي منهم فرقة أخرى مؤمنة يقولون إنه عبد الله ورسوله. قوله: (كلمة عذاب) أي: كلمة معناه العذاب وهي مبتدأ أي: فعذاب كائن وحاصل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم خبر ثان أو حال أي: حال كونه كائناً من عذاب يوم القيامة من عذاب الدنيا تأمل. قوله: (أي كفار مكة) لما بين الله فيما سبق أنهم جعلوا المسيح مثلاً، وأنهم فرحوا بذلك الجعل توعدهم بالعذاب، وأنه لاحق بهم لا محالة، وأنه يأتيهم في القيامة، وأنها آتية قطعاً فكأنهم ينتظرونها فقال: هل ينظرون الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ الجملة حال. قوله: (قبله) ظرف للنفي في قوله: وهم لا يشعرون أي: انتفى الشعور والعلم بوقت مجيئها قبل إتيانه، وإنما انتفى لغفلتهم وتشاغلهم بأمر دنياهم وإنكارهم لها اهـ شيخنا.

متعلق بقوله ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٦٩﴾ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ ۝٧٠﴾

قوله: (على المعصية) وهذا يكون الاستثناء منقطعاً، وبعضهم فسر الاخلاء بالأحباء مطلقاً أي: من غير تقييد بكون الخلة بينهم على المعصية فعليه يكون الاستثناء متصلاً قرره أبو السعود، والأخلاء: مبتدأ، وبعضهم مبتدأ ثان، وعدو: خبره، والثاني وخبره خبر الأول، وقوله: يومئذ التنوين فيه عوض عن جملة تقديرها يوم إذ تأتيهم الساعة، وقول الشارح يوم القيامة تفسير ليوم المذكور لا للمضاف إليه المقدر الذي ناب عنه التنوين كما علمت وإن كان ما صدقها واحداً اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الخليل الصديق والجمع أخلاء كأصدقاء اهـ.

ويجمع الخليل أيضاً على خلان كما في القاموس اهـ.

قوله: (متعلق بقوله) ﴿بعضهم﴾ الخ أي: والفصل بالمبتدأ لا يمنع هذا العمل، والمعنى الأخلاء يتعادون يومئذ لانقطاع العلق بينهم وظهور ما كانوا عليه في الدنيا حالة كونه سبباً لعذابهم اهـ كرخي.

قوله: (ويقال لهم) أي: تشريفاً لهم وتطييباً لقلوبهم، قال مقاتل: إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم، فإذا سمعوا النداء رفع الخلق رؤوسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا الخ اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قال مقاتل: ورواه المعتمر بن سليمان عن أبيه ينادي مناد في العرصات: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فيرفع أهل العرصة رؤوسهم فيقول المنادي الذي آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين، وذكره المحاسبي في الرعاية، وقد روي في هذا الحديث: أن المنادي ينادي يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرفع الخلائق رؤوسهم فيقولون: نحن عباد الله، ثم ينادي الثانية الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، فينكس الكفار رؤوسهم ويبقى الموحدون رافعين رؤوسهم ثم ينادي الثالثة الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكبائر رؤوسهم ويبقى أهل التقوى رافعين رؤوسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لأنه أكرم الأكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة اهـ.

قوله: ﴿يا عباد لا خوف عليكم﴾ الخ الخطاب من الله لهم للتشريف، وناداهم بأربعة أمور، الأول: نفي الخوف. والثاني: نفي الحزن. والثالث: الأمر بدخول الجنة. والرابع: البشارة بالسرور في قوله: ﴿تحبرون﴾ اهـ شيخنا.

وقرأ أبو بكر، عن عاصم: يا عبادي لا خوف بفتح الياء، والأخوان، وابن كثير، وحفص بحذفها وصلاً ووقفاً، والباقون بإثباتها ساكنة، وقرأ العامة لا خوف بالرفع والتنوين إما مبتدأ وإما اسماً لها وهو قليل، وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره تقديره لا خوف شيء، والحسن وابن أبي إسحاق بالفتح لا على التبرئة وهي عندهم أبلغ اهـ سمين.

قوله: ﴿وكانوا مسلمين﴾ أي: مخلصين في أمر الدين، والجملة حال من الواو، وأنت خبير بأنه

تسرون وتكرمون خبر المبتدإ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تلذذاً ﴿وَتَلَذُّ

لا منع عن العطف على الصلة أي: الذين آمنوا مخلصين، غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ فإن كلمة كان تدل على الاستمرار اهـ كرخي.

قوله: (زوجاتكم) أي: المؤمنات. قوله: (تسرون) أي: سروراً يظهر حباره بفتح الحاء وكسرها أي: أثره على وجوهكم اهـ كرخي.

وفي القاموس: والحبر بفتحتين الأثر كالحباز بكسر أوله وفتح اهـ.

قوله: ﴿يطاف عليهم﴾ الخ قبله محذوف تقديره: فإذا دخلوها يطاف عليهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بقصاع) قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة وهي تشبع العشر، ثم الصحفة وهي تشبع الخمسة، ثم الميكلة وهي تشبع الرجلين أو الثلاثة اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ أي: لهم في الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب وأكواب ، ولم تذكر الأطعمة والأشربة لأنه يعلم أنه لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب عليهم من غير أن يكون فيها شيء، وذكر الذهب في الصحاف واستغنى به عن الإعادة في الأكواب كقوله: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وفي الصحيح عن حذيفة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنه لهم في الدنيا ولكم في الآخرة». وقد مضى في سورة الحج أن من أكل فيهما في الدنيا أو ليس الحرير في الدنيا ولم يتب حرم ذلك في الآخرة تحريماً مؤبداً والله أعلم. وقال المفسرون: يطوف على أدناهم في الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً، وأكواب أي: ويطاف عليهم بأكواب كما قال: ﴿يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ [الإنسان: ١٥]. وذكر ابن المبارك قال: أنبأنا معمر عن رجل عن أبي قلابة قال: يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك، ثم قرأ ﴿شراباً طهوراً﴾ [الإنسان: ٢١] وفي صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير» زاد في رواية كما يلهمون النفس اهـ بحروفه.

قوله: (جمع كوب) كعود وأعواد وأتى بالأكواب جمع قلة وبالصحاف جمع كثرة، لأن المعهود قلة أواني الشرب بالنسبة إلى أواني الأكل اهـ كرخي.

قوله: (لا عروة) أي: إيذاناً بأنه لا حاجة إلى تعليقه بشيء لتبريد أو صيانة عن أذى أو نحو ذلك. أي: وإيذاناً أيضاً بأن الشارب يسهل عليه الشرب منه من حيث شاء، فإن العروة تمنع من بعض الجهات اهـ من الخطيب.

ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ نظراً ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢﴾ ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا﴾ أي بعضها ﴿تَأۡكُلُونَ ۝٧٣﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ

وفي السمين: والأكواب جمع كوب، فقيل: كالإبريق إلا أنه لا عروة له، وقيل: إلا أنه لا خرطوم له، وقيل: إلا أنه لا عروة له ولا خرطوم معاً اهـ.

والعروة: ما يمسك منه ويسمى أذناً اهـ شهاب.

قوله: ﴿وفيها﴾ أي: الجنة. ما تشتهي الأنفس من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا أنفسهم عنه من الشهوات في الدنيا، وتلذ الأعين أي: من الأشياء المبصرة التي أعلاها النظر إلى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق.

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله أفي الجنة خيل فإني أحب الخيل، فقال: «إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت» فقال أعرابي: يا رسول الله أفي الجنة إبل فإني أحب الإبل. فقال: «يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» اهـ خطيب.

وقرأ نافع، وابن عامر وحفص: تشتهيه بإثبات العائد على الموصول كقوله: ﴿الذي يتخبطه الشيطان﴾ [البقرة:٢٧٥] والباقون بحذفه كقوله: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان: ٤١] وهذه القراءة شبيهة بقوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ [يس: ٣٥] وقد تقدم ذلك في يس، وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها اهـ سمين.

قوله: (تلذذاً) أي: فهي شهوة لذة لا شهوة جوع أو عطش، وقوله: نظراً أي: ومنه النظر إلى وجهه الكريم اهـ خطيب.

قوله: ﴿وتلك الجنة﴾ مبتدأ وخبر، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشريف والمخاطب كل واحد من أهل الجنة، فلذلك أفرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى أورثتموها إيذاناً بأن كل واحد مقصود بذاته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أورثتموها﴾ أي: أعطيتموها جزاء على عملكم وشبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه العامل أي: يذهب العمل ويبقى جزاؤه مع العامل اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وتلك الجنة أي: يقال لهم هذه تلك الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا، وقال ابن خالويه: أشار تعالى إلى الجنة بتلك وإلى جهنم بهذه ليخوف بجهنم، ويؤكد التحذير منها وجعلها بالإشارة القريبة كالحاضرة التي ينظر إليها،وقوله التي أورثتموها بما كنتم تعملون. قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة وناراً، فالكافر يرث نار المسلم والمسلم جنة الكافر، وقد تقدم هذا مرفوعاً في ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ من حديث أبي هريرة، وفي الأعراف أيضاً، انتهى.

قوله: ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ الفاكهة معروفة وجمعها فواكه، والفاكهاني الذي يبيعها، وقال ابن عباس: هي الثمار كلها رطبها ويابسها أي: لكم في الجنة سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة منها تأكلون اهـ قرطبي.

جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ساكتون سكوت يأس ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف

قوله: (يخلف بدله) وذلك لأنها على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شيء إلا خلف مكانه مثله في الحال اهـ خطيب.

فهي مزينة بالثمار أبداً موقرة بها من وقرت النخلة أي: كثر حملها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن المجرمين﴾ أي: الراسخين في الإجرام وهم الكفار حسبما ينبىء عنه إبراهيم في مقابلة المؤمنين اهـ أبو السعود.

وهذا شروع في الوعيد بعد ذكر الوعد على عادة القرآن اهـ خطيب.

قوله: ﴿لا يفتر عنهم﴾ جملة حالية، وكذلك وهم فيه مبلسون، وقرأ عبد الله وهم فيها أي: النار لدلالة العذاب عليها اهـ سمين.

من فترت عنه الحمى إذا سكنت، وفي القاموس: فتر يفتر فتوراً وفتاراً سكن بعد حدة، ولان بعد شدة وفترة تفتيراً، وفتر الماء سكن حره فهو فاتر اهـ.

قوله: ﴿وهم فيه مبلسون﴾ في المصباح: وأبلس الرجل إبلاساً سكت وأبلس سكن اهـ.

قوله: (سكوت يأس) أي: من رحمة الله ولا يشكل على هذا قوله: بعد ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك الدال على طلبهم الفرج بالموت، فالجواب أن تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج، ويشد عليهم العذاب تارة فيستغيثون اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ العامة على الياء خبراً لكان وهم إما فصل وإما توكيد، وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويان: الظالمون على أن هم مبتدأ، والظالمون خبر، والجملة خبر كان وهي لغة تميم اهـ سمين.

قوله: ﴿ونادوا﴾ أي: ينادون والإتيان بالماضي على حد أتى أمر الله اهـ شيخنا.

قوله: (هو خازن النار) أي: رئيس خزنتها الماضي عليهم كلامه ومجلسه في وسط النار، وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ليقض علينا ربك﴾ أي: سل ربك أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته، وهو لا ينافي إبلاسهم فإنه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة اهـ بيضاوي.

قوله: (ليمتنا) أي: لنستريح مما نحن فيه اهـ أبو السعود.

قوله: (بعد ألف سنة) وقيل: بعد مائة سنة، وقيل: بعد أربعين سنة اهـ خازن.

والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون اهـ قرطبي.

سنة ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ مقيمون في العذاب دائماً، قال تعالى ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا﴾ أي كفار مكة أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ٧٩﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ ٨٠﴾ ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ٨١﴾ للولد

قوله: (مقيمون في العذاب دائماً) أي: لا خلاص لكم منه بموت ولا غيره اهـ خطيب.

قوله: (أي أهل مكة) أي: الأعم من مؤمنهم وكافرهم، فصح قوله: ولكن أكثرهم الخ. وهذا الخطاب للتوبيخ والتقريع من جهته تعالى مقرراً لجواب مالك ومبيناً لسبب مكثهم اهـ أبو السعود.

ويحتمل أن يكون هذا من قول مالك لأهل النار. أي: إنكم ماكثون في النار لأنا جئناكم في الدنيا بالحق الخ. وقوله: كارهون أي: لما فيه من منع الشهوات فلذلك تقولون: إنه ليس بحق لأجل كراهتكم فقط لا لأجل أن في حقيقته نوعاً من الخفاء اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قال ابن عباس: ولكن أكثركم أي: ولكن كلكم، وقيل: أراد بالأكثر الرؤساء والقادة منهم، وأما الاتباع فما كان لهم أثر اهـ.

قوله: ﴿أم أبرموا أمراً﴾ كلام مستأنف ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله، وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة، فالأولى: للانتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حالهم إلى حكاية جناية هؤلاء المشركين. والثانية: للإنكار اهـ أبو السعود. أي: والتوبيخ اهـ خطيب.

قوله: (أحكموا) ﴿أمراً﴾ أي: فالإبرام الإتقان، وأصله الفتل المحكم. يقال: أبرم الحبل إذا أتقن فتله اهـ خطيب.

والمراد الفتل الثاني، وأما الأول فيقال له سحل اهـ سمين.

وفي القاموس: السجل ثوب لا يبرم غزله كالسحيل اهـ.

وفي المصباح: وأبرمت العقد إبراماً أحكمته فانبرم هو وأبرمت الشيء دبرته اهـ.

قوله: (في كيد محمد) أي: كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية اهـ شيخنا.

قوله: (محكمون كيدنا) أي: تدبيرنا.

قوله: ﴿أم يحسبون﴾ أي: بل أيحسبون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بلى﴾ (نسمع ذلك) أي: سرهم ونجواهم، وقوله: ورسلنا الخ الجملة حالية مرتبطة بما تفيده بلى، وهو الذي ذكره الشارح بقوله: نسمع ذلك، قوله: يكتبون ذلك أي: سرهم ونجواهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ لما قدم أول السورة تبكيتهم والتعجب منهم في ادعائهم لله

لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكل من الظرفين

ولداً من الملائكة، وهددهم بقوله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ [الزخرف: ١٩] أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: قل إن كان للرحمن ولد الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ أي: إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح، فإنا أول من يعظم ذلك الولد ويسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك، ومن المعلوم أن اللازم منتف فينتفي الملزوم اهـ زاده.

قوله: ﴿لكن ثبت أن لا ولد له الخ﴾ إيضاحه: أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محالة في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فصورة الكلام وظاهره إثبات الكينونة والعبادة والمقصود منه نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ذكره الزمخشري اهـ سمين.

وأشار الشارح بقوله: لكن ثبت الخ إلى أن هذا قياس استثنائي، وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فأنتج نقيض التالي وهو قوله: فانتفت عبادته، لكن هذا الإنتاج إنما هو لخصوص المادة، وإلاَّ بالمقرر أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئاً، لأن رفع الملزوم لا يوجب رفع اللازم لجواز كونه أعم من الملزوم اهـ.

قوله: (الكرسي) تقدم له هذا الصنيع غير مرة وهو معترض بما هو معلوم مشهور أن العرش غير الكرسي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يخوضوا ويلعبوا﴾ مجزومان في جواب الأمر اهـ شيخنا.

قوله: (العذاب) مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب، وقوله: وهو يوم القيامة الأظهر وهو يوم الموت فإن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي بيوم الموت اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهو الذي في السماء إله﴾ في السماء متعلق بإله لأنه بمعنى معبود أي معبود في السماء ومعبود في الأرض، وحينئذ فيقال الصلة لا تكون إلا جملة أو ما فيه تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شيء منهما هنا. والجواب: أن المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه، وذلك المحذوف هو العائد تقديره: وهو الذي هو في السماء إله وهو في الأرض إله، وإنما حذف لطول الصلة بالمعمول، فإن الجار متعلق بإله، ونظيره: ما أنا بالذي قائل لك سوءاً، ولا يجوز أن يكون الجار والمجرور خبراً مقدماً وإله مبتدأ مؤخراً، ولئلا تعرى الجملة من رابط، إذ تصير نظير: جاء الذي في الدار زيداً اهـ سمين.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) هذه قراءة واحدة، وقوله: وإسقاط الأولى أي: مع القصر بقدر ألف والمد بقدر ألفين أو ألف ونصف، وقوله: وتسهيلها أي: مع المد والقصر أيضاً، ففي عبارته التنبيه على ثلاث قراءات ولكنها ترجع لخمس كما علمت وبقي قراءتان لم ينبه عليهما وهما تسهيل الثانية

متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ بمصالحهم ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بالياء والتاء ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي قال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهو: عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه

وإبدالها ياء مع القصر لا غير، فالقراءات سبعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بما بعده) وهو إله لأنه بمعنى معبود، وتقديره: هو معبود في السماء معبود في الأرض، وبما تقرر من أن المراد بإله معبود اندفع ما قيل هذا يقتضي تعدد الآلهة، لأن النكرة إذا أعيدت نكرة تعود كقولك: أنت طالق وطالق، وإيضاح الاندفاع أن الإله بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة إنما هي بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الأرض، لأن المعبودية من الأمور الإضافية فيكفي التغاير فيها من أحد الطرفين، فإذا كان العابد في السماء غير العابد في الأرض صدق أن معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض مع أن المعبود واحد وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الألوهية فإن التقديم يدل على الاختصاص اهـ كرخي.

قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي: علم وقت قيامها كما أشار له بقوله متى تقوم اهـ شيخنا.

قوله: (والتاء) أي: على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتهديدهم وتقريعهم وتوبيخهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يملك الذين﴾ الذين: فاعل بيملك وهي عبارة عن مطلق المعبودات من دون الله أو عن خصوص الأصنام، فعلى الأول يكون الاستثناء متصلاً، وعلى الثاني يكون منقطعاً لأن المستثنى وهو قوله: ﴿إلا من شهد بالحق﴾ عبادة عن ثلاثة فقط كما بينها الشارح بقوله: وهم عيسى الخ. والظاهر من صنيع الشارح أنه متصل حيث لم يقصر الذين على الأصنام بل أبقاها على عمومها، وقوله: يدعون صلة الموصول العائد محذوف وإن لم يقدره الشارح، وقوله: أي الكفار تفسير للواو في يدعون، وقوله: لأحد أشار به إلى أن مفعول الشفاعة محذوف، وقوله: إلا من شهد بالحق مستثنى من الذين أي: إلا معبود شهد بالحق، وقوله: هم يعلمون الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها، وكذا الجمع في قول الشارح وهم عيسى الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ (بقلوبهم الخ) وقيل: وهم يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى والعزيز والملائكة يعلمون أنهم عباده اهـ خازن.

قوله: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي: العابدين مع ادعائهم الشريك من خلقهم أي: العابدين والمعبودين معاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿ليقولن الله﴾ جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة، وإنما يجيبون بذلك لتعذر الإنكار لغاية بطلانه، والاسم الكريم فاعل بدليل ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩]

نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يصرفون عن عبادة الله ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ قال تعالى ﴿فَٱصْفَحْ﴾ فأعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ بالياء والتاء، تهديد لهم.

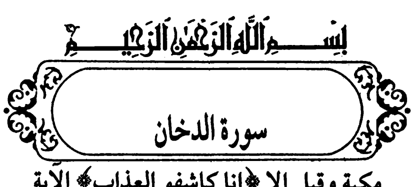
فما قيل من أنه مبتدأ خلاف الصواب اهـ كرخي.

قوله: (أي قوله محمد النبي) تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه، فالقليل بمعنى القول والضمير عائد على محمد، وقوله: ونصبه على المصدر فالقول والقيل والقال والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد جاءت على هذه الأوزان، وقوله: أي وقال يا رب الأوضح أن يقول وقال قيله يا رب والنداء وما بعده معمول للقيل أي: قال محمد قوله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، وقيل: إن النصب بالعطف على سرهم ونجواهم، وقيل: إنه بالعطف على محل الساعة كأنه قيل إنه يعلم الساعة ويعلم قيله يا رب. وقرأ حمزة، وعاصم بالجر وهو على وجهين، أحدهما: العطف على الساعة. والثاني: أن الواو للقسم، والجواب إما محذوف أي: لافعلن بهم ما أريد أو مذكور وهو قوله: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ذكره الزمخشري. وقرأ الأعرج، وأبو قلابة، ومجاهد، والحسن بالرفع وفيه أوجه، أحدها: الرفع عطفاً على علم الساعة بتقدير مضاف أي: وعنده علم قيله ثم حذف وأقيم هذا مقامه. الثاني: أنه مرفوع بالابتداء، والجملة من قوله يا رب إن هؤلاء الخ هو الخبر. الثالث: أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره: وقيله كيت وكيت مسموع أو متقبل اهـ من السمين.

قوله: ﴿وقل سلام﴾ سلام خبر مبتدأ محذوف أي: أمري سلام أي: ذو سلامة منكم. وفي الخطيب: وقل سلام أي: شأني الآن متاركتكم بسلامتكم مني وسلامتي منكم اهـ.

فهذا تباعد وتبرٍّ منهم فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما قيل، فقول الشارح منكم رد لهذا القيل، وقوله: وهذا أي: أي المذكور وهو قوله: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾ وقوله: قبل أن يؤمر بقتالهم أي: فهو منسوخ بآية السيف، وقوله: تهديد لهم أي: قوله فسوف يعلمون تهديد لهم أي: وتسلية له ﷺ. وفي الشهاب: هذا سلام متاركة لا سلام تحية، فإن أريد الكف عن القتال فهي منسوخة، وأن أريد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ اهـ.

قوله: (والتاء) أي: لزيادة التهديد والتقريع والله أعلم اهـ شيخنا.



سورة الدخان

مكية وقيل إلا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ الآية
وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ المظهر الحلال من

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وفي مسند الدارمي، عن أبي رافع قال: «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين» رفعه الثعلبي. من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». وعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله بيتاً له الجنة» اهـ قرطبي.

وعبارة الشهاب: في سورة الواقعة، ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثاً غير موضوع من أول القرآن إلى هنا غير ما هنا وما مرَّ في سورة يسٓ والدخان اهـ.

والذي ذكره البيضاوي في سورة يسٓ هو قوله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يسٓ نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ سورة يسٓ وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه، وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة هو ريان» اهـ.

والذي ذكر في الواقعة عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» اهـ.
قوله: (الآية) أي: إلى قوله: ﴿عائدون﴾.

قوله: ﴿والكتاب﴾ (القرآن) عبارة الخطيب: تنبيه ويجوز أن يكون المراد بالكتاب هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب﴾ [الحديد: ٢٥] ويجوز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ قال الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ [الزخرف: ٤]

الحرام ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أم

يجوز أن يكون المراد به القرآن، واقتصر على ذلك البيضاوي، وتبعه الجلال المحلي، وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن، فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم الرجل له إليه حاجة: أتشفع بك إليك وأقسم بحقك عليك وجاء في الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك» اهـ.

قوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ يجوز أن يكون جواب القسم وأن يكون اعتراضاً، والجواب قوله: إنا كنا منذرين، واختاره ابن عطية وقيل: إنا كنا مستأنف أو جواب ثان من غير عاطف اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: إنا أنزلناه قال الزمخشري وغيره: هذا جواب القسم، وقال ابن عطية: هو اعتراض متضمن تفخيم الكتاب، والجواب إنا كنا منذرين، ورجح الأول بالسبق بكونه من البدائع وبسلامته من الفك اللازم لما اختاره ابن عطية، فإن قوله: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ من بقية الاعتراض وقد تخلل بينهما المقسم عليه اهـ.

قوله: (هي ليلة القدر الخ) عبارة الخطيب: اختلف في قوله تعالى: في ليلة مباركة فقال قتادة، وابن زيد، وأكثر المفسرين هي ليلة القدر، وقال عكرمة، وطائفة أنها ليلة البراءة، وهي ليلة النصف من شعبان. واحتج الأولون بوجوه، الأول: قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] فقوله تعالى: إنا أنزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض. ثانيها: قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] فقوله تعالى هنا إنا أنزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبت أنها ليلة القدر. ثالثها: قوله تعالى: في صفة ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [القدر: ٤] وقال تعالى هنا: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾، وقال ههنا: ﴿رحمة من ربك﴾، وقال تعالى في ليلة القدر: ﴿سلام هي﴾ [القدر: ٥] وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى. رابعها: نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والتوراة بست ليال منه، والزبور لاثنتي عشرة ليلة مضت منه، والقرآن لأربع وعشرين ليلة مضت من رمضان، والليلة المباركة هي ليلة القدر. خامسها: أن ليلة القدر إنما سميت بهذا الاسم لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم أن قدرها وشرفها ليس بسبب نفس الزمان، لأن الزمان شيء واحد من الذات والصفات، فيمتنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته، فثبت أن تشريفه وقدره بسبب أنه حصل فيه أمور شريفة لها قدر عظيم، ومن المعلوم أن منصب الدين أعظم من مناصب الدنيا وأعظم الأشياء وأشرفها شعباً في الدين هو القرآن. لأنه ثبت به نبوة محمد ﷺ، وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل، كما قال تعالى في صفته: ﴿ومهيمنا عليه﴾ [المائدة: ٤٨] وبه ظهرت درجات أرباب السعادات ودركات أرباب الشقاوات، فعلى هذا لا شيء إلا والقرآن أعظم منه قدراً وأعلى ذكراً وأعظم منصباً، وحيث أطبقوا على أن ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا أن القرآن إنما أنزل في تلك الليلة وهذا أدلة ظاهرة واضحة. واحتج الآخرون على أنها ليلة النصف من شعبان بوجوه، أولها: أن لها أربعة أسماء الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة الرحمة. ثانيها: أنها مختصة بخمس خصال، الأولى: قوله

الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ مخوِّفين به ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ محكم من الأرزاق والآجال

تعالى ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾. والثانية: فضيلة العبادة فيها روى الزمخشري أنه ﷺ قال: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه أفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان». ثالثها: نزول الرحمة قال ﷺ: «إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب». رابعها: حصول المغفرة فيها قال ﷺ: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا». خامسها: أنه تعالى أعطى رسول الله ﷺ في هذه الليلة تمام الشفاعة في أمته. قال الزمخشري: وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر عن شعبان في أمته فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شرود البعير اهـ.

وفي القرطبي: وعن النبي ﷺ قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فإن الله ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدنيا يقول: ألا مستغفر فأغفر له ألا مبتلي فأعافيه، ألا مسترزق فأرزقه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر» ذكره الثعلبي اهـ.

قوله: (أو ليلة النصف من شعبان) قال النووي في باب صوم التطوع من شرح مسلم: أنه خطأ والصواب: وبه قال العلماء إنها ليلة القدر قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] فالآية الثانية بيان للأولى وسميت ليلة القدر لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق، حتى يكتب حجاج البيت بأسمائهم وأسماء آبائهم، ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام قاله سعيد بن جبير. وعن ابن عباس: أن الله يقضي الأقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم، وقال ابن عادل: إلى إسرافيل ونسخة المصائب إلى ملك الموت اهـ.

قوله: (نزل فيها) أي: جملة من أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف، وكانت عندهم في محل من تلك السماء يمسى بيت العزة، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث، وتقدم لهذا مزيد بسط في سورة البقرة، فراجعه إن شئت وسيأتي في سورة القدر أيضاً.

قوله: ﴿فيها يفرق﴾ الخ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة، وأن تكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض. قال الزمخشري: فإن قلت: إنا كنا منذرين فيها يفرق ما موقع هاتين الجملتين. قلت:

وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة ﴿أَمْرًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ الرسل محمداً ومن قبله ﴿رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ لأفعالهم ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ برفع رب خبر ثالث، وبجره بدل من ربك ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ بأنه تعالى رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله ﴿لَآ

جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسّر بهما جواب القسم الذي هو إنا أنزلناه، كأنه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً، لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم. قلت: وهذا من محاسن هذا الرجل اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: فيها يفرق كل أمر حكيم جملة مستأنفة تبين المقتضي للإنزال فيها، وكذا إنا كنا منذرين كما قرره القاضي، وقد تقدم عن ابن عطية أنها جواب القسم، وجعل الزمخشري الأول لبيان مقتضي الإنزال، والثاني لتخصيص إنزاله بتلك الليلة، وما ذكره القاضي ألصق بالذهن وأعلق بالقلب، وحمل كلام القاضي على ما قاله الزمخشري محوج إلى نوع تكلف، وأجاز أبو البقاء أن يكون فيها يفرق صفة لليلة، وإنا كنا اعتراض بين الموصوف وصفته، وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر. قوله: (يفصل) أي: يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف في العالم. قوله: (محكم) أي: مبرّم لا يحصل فيه تغيير ولا نقص، بل لا بد من وقوعه فيها من الأرزاق والآجال والنصر والهزيمة والخصب والقحط، وغيرهما من أقسام الحوادث وجزئياتها في أوقاتها وأماكنها، ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيماناً اهـ خطيب.

قوله: (إلى مثل تلك الليلة) فيه حذف المبتدأ كما صرح به غيره أي: من هذه الليلة إلى مثلها من قابل اهـ شيخنا.

قوله: (فرقا) أشار به إلى أنه منصوب على أنه مفعول مطلق باعتبار أنه يلاقي عامله في المعنى اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: أمراً من عندنا فيه أوجه، **أحدها**: أن ينتصب حالاً من فاعل أنزلناه. **الثاني**: أنه حال من مفعوله أي: أنزلناه آمرين أو مأموراً به. **الثالث**: أي يكون مفعولاً له وناصبه إما أنزلناه وإما منذرين وإما يفرق. **الرابع**: أنه مصدر من معنى يفرق أي: فرقاً اهـ.

وقوله: من عندنا صفة لأمراً اهـ.

قوله: ﴿رحمة من ربك﴾ فيها خمسة أوجه، **الأول**: المفعول له والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمراً وإما يفرق وإما منذرين. **الثاني**: أن مصدر منصوب بفعل أي: رحمنا رحمة. **الثالث**: أنه مفعول بمرسلين. **الرابع**: أنه حال من ضمير مرسلين أي: ذوي رحمة. **الخامس**: أنه بدل من أمراً فيجيء فيه ما تقدم، وتكثر الأوجه فيها حينئذ، ومن ربك متعلق برحمة أو بمحذوف على أنها صفة، وفي من ربك التفات من التكلم إلى الغيبة، ولو جرى على منوال ما تقدم لقال رحمة منا اهـ سمين.

قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ شرط جوابه محذوف كما قدره وقوله: لا إله إلا هو خبر رابع، فتكون

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، قال تعالى ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة

الجملة الشرطية معترضة، وإما خبر مقدم لقوله: ربكم ورب آبائكم الأولين، وعبارة السمين: قوله: ربكم ورب آبائكم العامة على الرفع بدلاً أو بياناً أو نعتاً لرب السموات والأرض على قراءة رفعه، أو على أنه مبتدأ والخبر لا إله إلا هو، أو خبر بعد خبر لقوله: إنه هو السميع العليم، أو خبر مبتدأ مضمر عند الجميع، انتهت.

قوله: (فأيقنوا بأن محمداً رسوله) يعني هذا المذكور من إنزال الكتب وإرسال الرسل رحمة، وانعام ممن تقرون به وتقولون إنه خالق السموات والأرض وما بينهما فما هذا التهاون، فايقنوا الخ لقيام الشكر على إنعامه والشرط يقتضي ذلك ثم ألزمهم بعد هذا التقرير والتبليغ كلمة التقوى وهي لا إله إلا الله إذ لا خالق سواه كرخي.

قوله: ﴿ربكم ورب آبائكم﴾ العامة على الرفع بدلاً أو بياناً أو نعتاً لرب السموات فيمن رفعه، وقرأ ابن محيصن، وابن أبي إسحاق وأبو حيوة، والحسن، بالجر على البدل أو البيان أو النعت لرب السموات، وقرأ الإنطاكي بالنصب على المدح اهـ سمين.

قوله: ﴿بل هم في شك﴾ إضراب عن محذوف كأنه قال: فليسوا موقنين بل هم في شك يعني بحسب ضمائرهم، وقوله: يلعبون حال أي: حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال. وفي القرطبي: بل هم في شك يلعبون أي: ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم: (إن الله خالقهم) وإنما يقولونه تقليداً لآبائهم من غير علم فهم في شك، وإن أوهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم مما يعن لهم من غير حجة، وقيل: يلعبون يضيفون إلى النبي ﷺ الافتراء استهزاء، ويقال لمن أعرض عن الذكر لاعب فهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته اهـ.

قوله: (فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي: من السنين المجدبة، وهذا مفرع على محذوف يقتضيه المقام أشار له الشارح بقوله استهزاء بك أي: فلما استهزؤوا به وكثر عنادهم له دعا عليهم فقال: اللهم أعني عليهم، وقوله: قال الله تعالى الخ أي: تبشيراً بإجابة دعوته، وقوله: (فأجدبت الأرض) أشار به إلى وقوع مطلوبه فيهم بالفعل، قوله: (كهيئة الدخان) مفعول لرأوا أي: شيئاً يشبه الدخان فالدخان في الآية ليس على معناه الحقيقي وإنما رأوا ذلك إما لضعف أبصارهم أو لأن في عام القحط يشتد يبس الأرض فيكثر غبارها فيحمله الهواء فيرى كالدخان اهـ شيخنا.

وفي زاده: والسماء لا تأتي بالقحط والمجاعة فإسناد إتيانهما إليها من قبيل إسناد الحكم إلى سببه لأنهما يحصلان بعدم إمطار السماء اهـ.

وفي أبي السعود: والفاء في قوله: فارتقب لترتب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها، فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتماً أي: فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين أي: يوم شدة ومجاعة اهـ.

قوله: ﴿يوم تأتي السماء﴾ مفعول به، وقوله: بدخان مبين في المختار: دخان النار معروف

الدخان بين السماء والأرض ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا

وجمعه دواخن كعثان وعواثن على غير قياس، ودخنت النار ارتفع دخانها وبابه دخل وخضع وأدخنت مثله، ودخنت النار إذا فسدت بالقاء الحطب عليها حتى هاج دخانها، ودخن الطبيخ إذا تدخنت القدر وبابها طرب اهـ.

وفي القاموس: والدخان كغراب وجبال ورمان الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخين اهـ.

قوله: (كهيئة الدخان بين السماء والأرض) هذا هو المراد بالدخان هنا وهو أحد أقوال ثلاثة ذكرها المفسرون.

أحدها: أن الدخان هو ما أصاب قريشاً من الجوع بدعاء النبي ﷺ، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً، فلما اشتد عليهم الجهد جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم، وهذا قول ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد، واختيار الفراء، والزجاج، وهو قول ابن مسعود وكان ينكر أن يكون الدخان غير هذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة في أبصارهم.

القول الثاني: ونقل عن علي وابن عباس أيضاً وابن عمر، وأبي هريرة، وزيد بن علي، والحسن: أنه دخان يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره، وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار.

القول الثالث: أنه الغبار الذي ظهر يوم فتح مكة من ازدحام الإسلام حتى حجب الأبصار عن رؤية السماء قاله عبد الرحمن الأعرج، واحتج الأولون بأنه تعالى حكى عنهم قولهم: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾ [الدخان: ١٢] ثم عللوا ذلك فقالوا: إنا مؤمنون أي: عريقون في وصف الإيمان، فإذا حمل على القحط الذي وقع بمكة استقام، فإنه نقل أن الأمر لما اشتد على أهل مكة مشى إليه أبو سفيان فناشده الله والرحم، وواعده إن دعا لهم وأزال عنهم تلك البلية أن يؤمنوا به، فلما أزالها الله عنهم رجعوا إلى شركهم. أما إذا حمل على أن المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لأن عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن يقولوا: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، ولم يصح أيضاً أن يقال: إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون اهـ ملخصاً من الخطيب والقرطبي.

وقوله: مشى إليه أبو سفيان الخ أي: في مكة قبل الهجرة، وقوله: فلما أزالها الله عنهم أي: بإجابة دعائه ﷺ لهم، فدعا له بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام تضرروا من كثرته، فجاءه أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع. وهذه القصة نظيرة القصة التي وقعت له بالمدينة حيث استسقى لهم فدام عليهم سبعة أيام ثم طلبوا رفعه فدعا به فارتفع هكذا حققه ابن حجر في شرح البخاري، ومثله الكرماني فتأمل.

قوله: ﴿يغشى الناس﴾ صفة ثانية للدخان، والمراد بهم قريش وأمثالهم ممن أصابه الجدب

﴿ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ مصدقون نبيك، قال تعالى ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ بين الرسالة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي يعلمه القرآن بشر ﴿مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

بدعوة النبي ﷺ، وهذا على القول الأول الذي جرى عليه الشارح في تفسير الدخان، وعلى القول الثاني الذي حكاه غيره يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكافرين على ما تقدم، وعلى القول الثالث يكون المراد بهم كل من كان بمكة يوم الفتح من المؤمنين والكافرين، فإن الغبار ارتفع على رؤوس الجميع اهـ من القرطبي.

قوله: (فقالوا) ﴿هذا عذاب أليم﴾ معطوف على قوله: فأجدبت الأرض ويشير بهذا التقرير إلى أن قوله: ﴿هذا عذاب أليم﴾ إلى قوله: ﴿مؤمنون﴾ في موضع نصب بقول محذوف اهـ كرخي.

قوله: ﴿أنّى لهم الذكرى﴾ خبر مقدم، ولهم تبين له، والذكرى مبتدأ مؤخر، وقوله: وقد جاءهم الخ حال من لهم اهـ سمين.

أي: كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويوفـون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم اهـ أبو السعود.

وهذا استبعاد لإيمانهم، وأما قول الشارح: أي لا ينفعهم الإيمان الخ ففيه شيء لأن انتفاء نفع الإيمان عند نزول العذاب إنمـا هو العذاب الذي يهلك كما وقع لبعض الأمم السابقين كقوم لوط، والعذاب هنا هو الجوع والقحط، وهم لم يموتوا منه فلو آمنوا في هذه الحالة لصح إيمانهم قطعاً تأمل اهـ.

قوله: (بين الرسالة) أشار به إلى أنه من أبان اللازم.

قوله: ﴿وقالوا معلم مجنون﴾ أي: قالوا في حقه تارة يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف، وتارة أخرى إنه مجنون، أو قال بعضهم: إنه معلم، وبعضهم إنه مجنون اهـ أبو السعود.

وعبارة الشارح في سورة النحل: إنما يعلمه بشر وهو قين نصراني كان النبي يدخل عليه.

واسمه جبر بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وهو غلام عامر بن الحضرمي، وقيل: جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه، وقيل: كان غلاماً لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كيد، وقيل: سلمان الفارسي اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ جواب من جهته تعالى عن قولهم: ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قليلاً﴾ قيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى ما بقي من أعمارهم اهـ خطيب.

فالمراد بالزمان القليل ما بين كشف هذا العذاب عنهم وحلول عذاب آخر بهم، إما في الدنيا على

إلى كفركم فعادوا إليه، اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ على الله تعالى ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ على ما أرسلت به ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾ تتجروا

القول الأول، أو في الآخرة على القول الثاني اهـ.

قوله: (فعادوا إليه) أي: بعد كشف العذاب عنهم اهـ خطيب.

والمراد بعودهم إليه عودهم إلى العزم على الاستمرار عليه، لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل، وإنما وجد منهم الوعد به إذا انكشف العذاب عنهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم نبطش﴾ قيل: هو بدل من يوم تأتي، وقيل: منصوب بإضمار اذكر، وقيل: بمنتقمون، وقيل: بما دل عليه منتقمون وهو ينتقم، ورد هذا بأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وبأنه لا يفسر إلا ما يصح أن يعمل اهـ سمين.

قوله: (والبطش الأخذ بقوة) في المصباح: بطش بطشاً من باب ضرب، وبها قرأ السبعة. وفي لغة من باب قتل، وبها قرأ الحسن البصري وأبو جعفر المدني، والبطش: هو الأخذ بعنف، وبطشت اليد إذا عملت فهي باطشة في اهـ.

قوله: (بلونا) أي: امتحنا أي: فعلنا بهم فعل الممتحن، وهو المختبر الذي يريد أن يعلم بحقيقة الشيء، وذلك الامتحان كان بزيادة الرزق والتمكين في الأرض وإرسال الرسل، فقوله: وجاءهم الخ من جملة ما امتحنوا به اهـ خطيب وكرخي.

وقوله: قبلهم أي: قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم اهـ خطيب.

قوله: (على الله) أي: أو على المؤمنين، والظاهر أن كريم على الوجه الأول بمعنى عزيز، وعلى الثاني بمعنى متعطف، ويجوز أن يكون على الوجهين بمعنى مكرم، أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه على أن المكرم بمعنى الخصلة المحمودة اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ومعنى كريم أي: كريم في قومه، وقيل: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح، وقال الفراء: كريم على ربه إذا اختصه بالنبوة وإسماع الكلام اهـ.

قوله: (أي بأن) ﴿أدوا﴾ أشار بتقدير الجار إلى أن أن مصدرية وهي الناصبة للمضارع. وقد وصلت بالأمر، ويجوز أن تكون مفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول، وأن تكون مخففة اهـ سمين.

قوله: ﴿عباد الله﴾ جرى الشارح على أنه منادي وأن مفعول أدوا محذوف، وعلى هذا يكون المراد بعباد الله القبط، وقيل: إن عباد الله مفعول لأدوا، وأن المراد بهم بنو إسرائيل، ففي الشهاب: والمراد بعباد الله بنو إسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم فأداؤهم استعارة بمعنى إطلاقهم وإرسالهم معه كما أشار إليه بقوله: وارسلوهم اهـ.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ بين على رسالتي، فتوعدوه بالرجم فقال ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ بالحجارة ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾ تصدقوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ مشركون، فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بِعِبَادِى﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتبعكم فرعون وقومه

وإليه الإشارة بقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٦].

قوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ تعليل للأمر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأن لا تعلوا﴾ معطوف على أن أدوا والعامة على كسر الهمزة من قوله: إني آتيكم على الاستئناف، وقرىء بالفتح على تقدير اللام أي وأن لا تعلوا لأني آتيكم اهـ سمين.

قوله: (تتجبروا) ﴿على الله﴾ الخ عبارة البيضاوي: ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله، انتهت وهي أوضح.

وفي القرطبي: وأن لا تعلوا على الله. قال قتادة: لا تبغوا على الله، وقال ابن عباس: لا تفتروا على الله والفرق بين البغي والافتراء أن البغي بالفعل والافتراء بالقول، وقال ابن جريج: لا تتعظموا على الله، وقال يحيى بن سلام: لا تستكبروا على عبادة الله، والفرق بين التعاظم والاستكبار أن التعاظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردي اهـ.

قوله: ﴿إني آتيكم﴾ تعليل للنهي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن ترجمون﴾ أي: من أن ترجمون، وقوله: فاعتزلون الياء لا ترسم في كل من هذين الموضعين لأنها من ياءات الزوائد، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها في الوصل، وأما في الوقف فيتعين حذفها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، فاللام في لي لام الأجل، وقيل: أي: وإن لم تؤمنوا بي كقوله: ﴿فآمن له لوط﴾ [العنكبوت: ٢٦] أي: به فاعتزلون اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فاعتزلون﴾ أي: فكونوا بمعزل مني لا عليَّ ولا لي، ولا تتعرضوا إليَّ بسوء فإنه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلا حكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فدعا ربه﴾ معطوف على مقدر قدره بقوله: فلم يتركوه، فقوله: أن هؤلاء هو الدعاء أي: تعريض بالدعاء، فكأنه قال: هؤلاء قوم مجرمون فافعل بهم يا رب ما يليق بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن هؤلاء﴾ العامة على الفتح بإضمار حرف الجر أي: دعاه بأن هؤلاء. وابن أبي إسحاق، وعيسى، والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين، وعلى إجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين اهـ سمين.

قوله: (بقطع الهمزة ووصلها) سبعيتان. قرأ بالوصل نافع وابن كثير، والباقون بقطعها وهما

﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكناً منفرجاً حتى يدخله القبط ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطمأن بذلك، فأغرقوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ تجري ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ مجلس حسن ﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ متعة ﴿ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ناعمين ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ خبر مبتدإ، أي

لغتان جيدتان، الأولى: من أسريت. والثانية: من سريت. قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] وقال ﴿الليل إذا يسر﴾ [الفجر: ٨٩] اهـ كرخي.

والإسراء: السير ليلاً فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ اهـ خطيب.

قوله: (إذا قطعته أنت وأصحابه) فهذا تعليم له بما يفعله في سيره قبل أن يسير وقبل أن يلج البحر، وعبارة الخطيب: واترك البحر أي: إذا سرت بهم وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر وأمرناك بضربه، ودخلتم فيه ونجوتم منه فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك ليلتئم، بل ابقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم، انتهت.

وهي مناسبة لصنيع الشارح، فما قيل من أنه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم خوفاً من أن يتبعه فرعون بجنوده أمره الله لقوله: واترك البحر الخ يقتضي أن هذا إنما قيل له بعد أن جاوز البحر وهو لا يناسب صنيع الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رهواً﴾ أي: حال كونه رهواً فهو منصوب على الحال من البحر، والرهو في الأصل مصدر رها يرهوا رهواً كعدا يعدو إما بمعنى سكن، وإما بمعنى انفرج وانفتح، والشارح جمع بين المعنيين، وأشار إلى أنه بمعنى اسم الفاعل ليصح وصف البحر به كما هو مقتضى الحالية بقوله ساكناً منفرجاً، وفي المختار: رها بين رجليه. أي: فتح، وبابه عدا ورها البحر سكن وبابه عدا أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مغرقون﴾ أي: متمكنون في هذا الوصف، وإن كان لهم وصف القوة والتجمع الذي شأنه النجدة الموجبة للعلو في الأمور اهـ خطيب.

قوله: (فاطمأن) أي: موسى، وقوله: (بذلك) أي: بقول الله له إنهم جند مغرقون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كم تركوا من جنات﴾ الخ مرتبط بمقدر قدره الشارح بقوله: فاغرقوا، وكم مفعول به أي: تركوا أموراً كثيرة، وقد بينها بقوله: من جنات الخ، وقوله: ونعمة من عطف العام على الخاص لأنها تشمل الأربعة قبلها اهـ شيخنا.

قوله: (مجلس حسن) عبارة البيضاوي: محافل مزيفة ومنازل حسنة. قوله: (متعة) أي: أمور يتمتعون وينتفعون بها كالملابس والمراكب اهـ شيخنا.

وفي المختار: والنعمة بالفتح التنعم اهـ.

وفي السمين: والنعمة بالفتح نضارة العيش ولذاذته اهـ.

قوله: ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ العامة على الألف أي: طيبين الأنفس أو أصحاب فاكهة كلابن

الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ أي أموالهم ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾

وتامر، وقيل: فاكهين لاهين، وقرأ الحسن وأبو رجاء فكهين أي: مستخفين مستهزئين بنعمة الله. قال الجوهري: يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان مزاحاً والفكه أيضاً الأشر اهـ سمين.

قوله: (ناعمين) أي: متنعمين. قوله: (خبر مبتدأ) أي: فالوقف على كذلك، والجملة اعتراضية لتقرير وتوكيد ما قبلها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: كذلك يجوز أن تكون الكاف مرفوعة المحل خبراً لمبتدأ مضمر أي: الأمر كذلك، وإليه نحا الزجاج، ويجوز أن تكون منصوبة المحل فقدرها الحوفي أهلكنا إهلاكاً وانتقمنا انتقاماً كذلك، وقال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني، وقيل: تقديره نفعل فعلاً كذلك، وقال أبو البقاء: تركاً كذلك فجعله نعتاً للترف المحذوف، وعلى هذه الأوجه كلها يوقف على كذلك ويبتدأ وأورثناها، وقال الزمخشري: الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورثناها قوماً آخرين ليسوا منهم، فعلى هذا يكون وأورثناها معطوفاً على تلك الجملة الناصبة للكاف، فلا يجوز الوقف على كذلك حينئذ اهـ.

قوله: (أي الأمر) وهو إهلاك فرعون وقومه وتخليفهم وراءهم ما ذكر، وهذه الجملة معترضة. وقوه: وأورثناها بني إسرائيل معطوف على كم تركوا أي: تركوا أموراً كثيرة وأورثناها تلك الأمور بني إسرائيل، وقوله: فما بكت الخ معطوف في المعنى على ما قدره الشارح بقوله: فاغرقوا اهـ شيخنا.

قوله: (أي بني إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وهذا قول الحسن، وقيل: إنهم لم يرجعوا إلى مصر والقوم الآخرون غير بني إسرائيل وهو قول ضعيف جداً اهـ كرخي.

قوله: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم، كقولهم: بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك، ومنه ما روي في الأخبار: أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه. تقديره: فما بكت عليهم أهل السماء والأرض اهـ بيضاوي.

يعني أن البكاء مجاز مرسل عن الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب وإرادة السبب، فإن الاكتراث المذكور سبب يؤدي إلى البقاء عادة وحمله على المجاز لأن مجرد عدم البكاء مع قطع النظر عن كونه مترتباً على عدم الاكتراث لا يدل على حساسة الهالكين، والآية مسوقة للدلالة عليها ولا بد من حمل نفي البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بأن شبهت السماء والأرض بمن يصح منه الاكتراث ونسبة الاكتراث إليهما تخييل، والتحقيق أن عدم بكاء السماء والأرض عليهم كناية عن أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي الأرض بانقطاعه، لأنه لا يصعد إلى السماء منهم عمل صالح فينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي السماء بانقطاعه اهـ زاده.

وفي القرطبي: وروى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فيبكيان عليه» وتلا: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ يعني أنهم لم يعملوا على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم

بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مؤخرين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل: بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب، وقيل: حال من العذاب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى

لأجله ولا صعد إلى السماء عمل صالح تبكي عليهم لأجله، وقال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل. وقال علي، وابن عباس رضي الله عنهما: إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، وتقرير الآية على هذا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض وهو معنى قول سعيد بن جبير. وفي معنى بكاء السماء والأرض وجهان، أحدهما أنه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان ويشبه أن يكون قول مجاهد، وقال شريح الحضرمي قال النبي ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ بطوبى للغرباء يوم القيامة قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين إذا فسد الناس صلحوا، ثم قال: ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غائباً عنه بواكيه إلا بكت عليه أهل السماء والأرض ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ثم قال: «إلا إنهما لا يبكيان على الكافر».

قلت: وذكر أبو نعيم محمد بن معمر قال: حدثنا أبو شعيب الحراني قال: حدثنا يحيى بن عبد الله قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثني عطاء الخراساني قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له الأرض يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت، وقيل: بكاؤهما حمرة أطرافهما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعطاء، والسدي، والترمذي، ومحمد بن علي وحكاه عن الحسن، وقال السدي: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء وبكاؤهـا حمرتها. وحكى جرير بن يزيد بن أبي زيادة قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد: واحمرارها بكاؤها، وقال محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم الحسين اهـ.

قوله: ﴿وما كانوا منظرين﴾ أي: لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا إلى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾ الخ لما كان انقاذ بني إسرائيل من القبط أمراً بعيداً من الوقوع فضلاً عن أن يكون بإهلاك أعدائهم. ذكره تعالى تنبيهاً على أنه تعالى قادر على أن يفعل بهذا النبي وأتباعه، كذلك وإن كانت قريش يرون ذلك محالاً فقال: ولقد نجينا الخ اهـ خطيب.

قوله: (وقيل حال من العذاب) أي: متعلق بمحذوف أي: واقعاً من جهة فرعون اهـ كرخي.

قوله: ﴿من المسرفين﴾ خبر ثان.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ أي عالمي زمانهم أي العقلاء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر، والمن والسلوى وغيرها ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿إِنْ

قوله: ﴿على علم﴾ على بمعنى مع وهو في موضع الحال من الفاعل كما أشار بقوله: منا وقوله: بحالهم وهي كونهم أحقاء بأن يختاروا أو كونهم يزيغون، وتحصل منهم الفرطات في بعض الأحوال، وقوله: على العالمين على على بابها، فلما اختلف معنى الحرفين جاز تعلقهما بعامل واحد كما ذكره الزمخشري اهـ من السمين.

قوله: (أي عالمي زمانهم) جواب عما يقال الآية تدل على كون بني إسرائيل أفضل من كل العالمين مع أن أمة محمد أفضل منهم اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ولقد اخترناهم أي: بني إسرائيل على علم أي: على علم منها بهم لكثرة الأنبياء منهم على العالمين أي: عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الأمة: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] وهذا قول قتادة وغيره. وقيل: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء، وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما، ويكون قوله: كنتم خير أمة أخرجت للناس أي بعد بني إسرائيل والله أعلم، وقيل: يرجع هذا الاختيار إلى تخليصهم من الغرق وإيراثهم الأرض بعد فرعون اهـ.

قوله: (أي العقلاء) في هذا التفسير نظر لشمول العقلاء للملائكة وبنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم، فالأولى التفسير بالثقلين، انتهى قاري.

قوله: ﴿من الآيات﴾ بيان مقدم، وقوله: نعمة تفسير للبلاء، فالمراد به ما يبتلى به ويختبر ويمتحن وهو يشمل النعم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ البلاء حقيقة في الاختيار، وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة أيضاً مجازاً من حيث أن كل واحد منهما يكون سبباً وطريقاً للاختيار يعامل الله بإصابة كل منهما للمكلف معاملة من يختبره ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان، فإن قيل: إن كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونحوها، فلا شك أنها في نفسها نعم جليلة فما معنى قوله: ما فيه بلاء مبين أي: نعمة جليلة؟ قلت: لعل الكلام من قبيل قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ [فصلت: ٢٨] من حيث إن كلمة في للتجريد اهـ زاده.

قوله: (أي كفار مكة) إشارة القريب إليهم للتحقير والازدراء، فالكلام والسياق فيهم، وقصة فرعون وقومه إنما ذكرت للدلالة على تماديهم في الإصرار على الضلال والتحذير من أن يحل بهم مثل ما حل بفرعون وقومه اهـ أبو السعود.

فهذا الكلام مرتبط بقوله: ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليقولون﴾ أي: جواباً لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك اهـ بيضاوي.

هِىَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أنا نبعث بعد موتتنا، أي نحيا، قال تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم

وأشار له الشارح بقوله التي بعدها الحياة فكأنهم قالوا: مسلم أن لنا موتة تعقبها حياة، لكن المراد بها الأولى وهي حال النطفة لا الثانية التي ينقضي بها العمر، فإنها لا تعقبها حياة، فلذلك قالوا: وما نحن بمنشرين، وقوله: فأتوا الخ من جملة مقولهم وخاطبوا به من وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين أي: إن صدقتم فيما قلتم من أننا نحيا بعد الموتة الثانية فأتوا بآبائنا أحياء بعد ما ماتوا ليكون ذلك شاهداً على صدقكم اهـ.

قوله: (ما الموتة التي بعدها الحياة) أي: التي من شأنها أن يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك، فقالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى فلا يرد أن القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية، وكان من حقهم أن يقولوا إن هي إلا حياتنا الدنيا اهـ كرخي.

قوله: (أي وهم نطف) فالآية مثل قوله: إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اهـ كرخي.

قوله: ﴿أهم خير﴾ أي: في القوة والمنعة اهـ بيضاوي.

والمنعة بفتح النون مصدر بمعنى العز الدنيوي أو جمع مانع ككتبة فهو بمعنى الأتباع والخدم، وإنما حمل الخيرية على أمور الدنيا لا الدين والآخرة لأنهم لا خيرية فيهم بهذا المعنى، إلاَّ أن يكون على ضرب من التأويل البعيد، وأيضاً هو لا يناسب ما بعده إلا بهذا المعنى إذ المراد أنهم مع قوتهم ومنعتهم أهلكناهم بجرمهم، فما بال قريش لا تخاف أن يصيبها ما أصابهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿أم قوم تبع﴾ هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل: هدمها وكان مؤمناً وكان قومه كافرين، ولذلك ذمهم الله دونه، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي» اهـ بيضاوي.

وأسلم وآمن بالنبي ﷺ قبل ولادته بتسعمائة سنة لما أخبرته اليهود بخبره على حسب ما هو في كتابهم اهـ شيخنا.

وقوله: الحميري منسوب إلى حمير، وهم أهل اليمن، وهذا تبع الأكبر أبو كرب واسمه أسعد، وإليه تنسب الأنصار ولحفظهم وصيته عن آبائهم بادروا إلى الإسلام وهو أول من كسا البيت، وقوله: حيَّرَ الحيرة بكسر الحاء المهملة وياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة مدينة بقرب الكوفة، ومعنى حيرها بناها ونظم أمرها وصيرها مدينة اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وتبَّع هو أبو كرب الذي كسا البيت بعد ما أرادَ غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها، ثم انصرف عنهم لما أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد، وقال شعراً أودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ فدعوه إليه، ويقال: كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه:

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ بخلق ذلك، حال ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وروى ابن إسحاق وغيره: أنه كان في الكتاب الذي كتبه أما بعد، فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء. وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام. ثم ختم الكتاب ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع الأول، وكان من اليوم الذي مات فيه تبّع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا يزد ولا ينقص. واختلف هل كان نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تبع نبياً: قال كعب: كان تبع ملكاً من الملوك وكان قومه كهاناً وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم، وقالت عائشة: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، وقال الكلبي: تبّع هذا أبو كرب أسعد بن ملكيكوب وإنما سمي تبّعاً لأنه تبع من قبله، وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت الحبرات، وقال كعب: ذم الله قومه ولم يذمه وضرب بهم لقريش مثلاً لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم، فلما أهلكهم الله تعالى ومن قبلهم لأنهم كانوا مجرمين كان من أجرم من ضعف اليد وقلة العدد أحرى بالهلاك، وافتخر أهل اليمن بهذه الآية إذ جعل الله قوم تبّع خيراً من قريش، وقيل: سمي أولهم تبعاً لأنه أتبع قرن الشمس وسافر في المشرق مع العساكر اهـ.

قوله: (هو نبي أو رجل صالح) الأول عن ابن عباس والثاني عن عائشة اهـ كرخي.

قوله: ﴿والذين من قبلهم﴾ معطوف على قوم تبع، وجملة أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه كما يشير له قوله والمعنى الخ، ويجوز أن تكون مستأنفة، وقوله إنهم الخ تعليل لإهلاكهم كما أشار له بقوله: لكفرهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: والذين من قبلهم يجوز فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون معطوفاً على قوم تبّع. الثاني: أن يكون مبتدأ خبره وما بعده من أهلكناهم، وأما على الأول فأهلكناهم إما مستأنف وإما حال من الضمير الذي استكن في الصلة. الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مقدر يفسره أهلكناهم ولا محل لأهلكناهم حينئذ اهـ.

قوله: ﴿وما خلقنا السموات والأرض﴾ الخ دليل على صحة الحشر ووقوعه، ووجه الدلالة أنه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثاً لأنه تعالى خلق نوع الإنسان وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش، وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الأحوال ثم كلفهم بالإيمان والطاعة، فاقتضى ذلك أن يتميز المطيع من العاصي بأن يكون المطيع

محقين في ذلك، ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا، وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ للعذاب الدائم ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي لا يدفع ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ يمنعون منه، ويوم بدل من يوم الفصل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون فإنه

متعلق فضله وإحسانه، والعاصي متعلق عدله وعقابه، وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بأنواع الآفات والمحن، فلا بد من البعث لتجزي كل نفس بما كسبت فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها، وهو أنه لما حكى مقالة منكري البعث والجزاء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء، فقال: وما خلقنا السموات الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿وما بينهما﴾ أي: ما بين الجنسين، وقرىء: وما بينهن أي: قرأ به عمرو بن عبيد، لأن السموات والأرض جمع اهـ كرخي.

والعامة بينهما باعتبار النوعين اهـ سمين.

قوله: (أي محقين في ذلك) أي: لنا فيه حكمة، وقد بينها بقوله ليستدل به الخ اهـ شيخنا.

وأشار بقوله: أي محقين إلى أن قوله إلا بالحق في محل نصب على الحال من الفاعل اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ أي: ليس عندهم علم بالكلية فنزل منزلة اللام اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: لا يعلمون أي: لقلة نظرهم ففيه تجهيل عظيم لمنكري الحشر وتوكيد لأن إنكارهم يؤدي إلى إبطال الكائنات بأسرها وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن يوم الفصل﴾ الإضافة على معنى في كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

والظاهر أنها بمعنى اللام لأن ضابط الأولى أن يكون الثاني ظرفاً للأول نحو: مكر الليل فتأمل.
قوله: ﴿ميقاتهم﴾ أي: كفار مكة وسائر الناس اهـ.

أي: وقت موعدهم الذي ضرب لهم في الأزل وأنزلت به الكتب على ألسنة الرسل اهـ خطيب.

قوله: ﴿يوم لا يغني مولى﴾ في المختار: المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف اهـ.

وفي القرطبي: أي: لا يدفع ابن عم عن ابن عمه، ولا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه شيئاً اهـ. وشيئاً مفعول به، ومولى الأول مرفوع بالفاعلية، والثاني مجرور بعن وإعرابهما إعراب المقصور كفتى وعصا ورحى.

قوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير لمولى وإن كان مفرداً في اللفظ لأنه في المعنى جمع اهـ كرخي.

يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾ بالمؤمنين ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ هي من أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ أي كدردي الزيت

والمراد المولى الثاني لأن المراد به الكافر، وأما الأول فالمراد به المؤمن، والمعنى يوم لا يغني مولى مؤمن عن مولى كافر شيئاً، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [البقرة: ٤٨] الآية وقوله: ولا هم ينصرون توكيد لقوله: لا يغني مولى عن مولى شيئاً، فالمعنى: لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما كما أشار له القرطبي.

قوله: (فإنه يشفع الخ) أشار إلى أن الاستثناء متصل، وعبارة السمين: يجوز فيه أربعة أوجه، أحدها: وهو قول الكسائي أنه منقطع أي: ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين. الثاني: أنه متصل تقديره: لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم. الثالث: أن يكون مرفوعاً على البدلية من مولى الأول ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي. الرابع: أنه مرفوع المحل أيضاً على البدل من واو ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله اهـ.

قوله: (بعضهم لبعض) أشار به إلى الاستثناء من مولى الأول والثاني خلافاً إن قصره على أحدهما. قيل: الأول وقيل: الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن شجرة الزقوم﴾ أي التي ثمرها الزقوم اهـ شيخنا.

وشجرت ترسم بالتاء المجرورة، ووقف عليها بالهاء أبو عمرو، وابن كثير، والكسائي، ووقف الباقون بالتاء على الرسم اهـ خطيب.

وفي القرطبي: كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء إلاَّ حرفاً واحداً في سورة الدخان إن شجرة الزقوم طعام الأثيم اهـ.

أي: فيجوز الوقف عليها بالتاء والهاء كما في عبارة الخطيب، وفي القاموس: الزقم اللقم والتزقم التلقم أزقمة فازدقمه أبلعه فابتلعه، والزقوم كتنور الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهير ياسميني الشكل وطعام أهل النار، وشجرة بأريحاء من الغور لها تمر كالتمر حلو عفص ولنواه دهن عظيم المنافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النساء والريح اللاحجة في حق الورك يشرب منه زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمني والمقعدين، ويقال: أصله الإهليلج الكابلي نقلته بنو أمية وزرعته بأريحاء ولما تمادى غيرته أرض أريحاء على طبع الإهليلج والزقمة الطاعون اهـ.

قوله: ﴿أي كدردي الزيت الأسود) للمهل معان غير هذا تليق بالمقام أكثر من هذا منها الصديد والقيح، ومنها النحاس المذاب، وعبارة الخطيب: هو ما يمهل في النار حتى يذوب من ذهب أو فضة،

الأسود خبر ثان ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية حال من المهل ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ الماء الشديد الحرارة ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها جرُّوه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ ويقال له ﴿ذُقْ﴾ أي العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ بزعمك

وكل منطبع سواء من صفر أو حديد أو رصاص وقيل هو عكر القطران، وقيل: عكر الزيت، انتهت.

وفي السمين: والمهل بالفتح التؤدة والرفق ومنه: ﴿فمهل الكافرين﴾ [الطارق: ١٧] وقرأ الحسن: كالمهل بفتح الميم فقط وهي لغة في المهل بالضم اهـ.

قوله: (حال من المهل) الأظهر أنه حال من الطعام أو الزقوم، وعلى الأول فالعامل معنى النسبة كأنه قيل: أنسبه إليه غالباً كما في قولك: زيد أخوك شجاعاً، وشرط مجيئه من المضاف إليه على الثاني موجود لأن المضاف إليه كالجزء من المضاف إذ يجوز إسقاطه والاستغناء بالمضاف إليه في استقامة الكلام، ولا يصح أن يكون حالاً من المهل، لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان لا وصف المهل المشبه به لأنه لا يتصف بهذا الوصف اهـ زاده وشهاب.

قوله: ﴿كغلي الحميم﴾ نعت لمصدر محذوف أي: تغلي غلياً مثل غلي الحميم اهـ كرخي.

قوله: (بكسر التاء وضمها) سبعيتان من باب ضرب ونصر كما في المختار اهـ شيخنا.

ولفظه عتل الرجل جذبه جذباً عنيفاً وبابه ضرب ونصر، والعتل الغليظ الجافي قال تعالى: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ [القلم: ١٣] اهـ.

وعبارة السمين: قوله: فاعتلوه قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر بضم التاء، والباقون بكسرها وهما لغتان في مضارع عتله أي: ساقه بخفاء، والعتل الجافي الغليظ اهـ.

وفي القاموس: العتلة محركة المدرة الكبيرة تنقلع من الأرض، وحديدة كأنها فأس، والعصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط اهـ.

قوله: ﴿ثم صبوا فوق رأسه﴾ أي: ليكون المصبوب محيطاً بجميع جسده اهـ خطيب.

وقوله: من عذاب الحميم من إضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب اهـ شيخنا.

قوله: (أي من الحميم الذي الخ) فإذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته، وقوله: فهو أبلغ الخ أي: فإن صب العذاب طريقه الاستعارة كقوله تعالى: ﴿أفرغ علينا صبراً﴾ [البقرة: ٢٥٠] فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب اهـ كرخي.

قوله: (ويقال له) ﴿ذق﴾ الأمر للإهانة به والوصف بالوصفين للتهكم والازدراء اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ قرأ الكسائي أنك بالفتح على معنى العلة أي: لأنك، وقيل: تقديره ذق عذاب إنك أنت العزيز، والباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة

وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني، ويقال لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فيه تشكون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ يؤمن فيه الخوف ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي ما رقَّ من الديباج وما غلظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾

فتتحد القراءتان معنى، وهذا الكلام على سبيل التهكم وهو أغيظ للمستهزأ به اهـ.

قوله: (وقولك) تفسير لقوله بزعمك، وقوله: ما بين جبليها أي: مكة اهـ.

قوله: ﴿ما كنتم به تمترون﴾ الجمع باعتبار المعنى، لأن المراد جنس الأثيم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن المتقين﴾ أي: للشرك، وقوله: فذي مقام بفتح الميم وضمها سبعيتان. قوله: (مجلس) يقال: كنا في مقام فلان أي: مجلسه. قال الزمخشري: المقام بفتح الميم هو موضع القيام، والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل مستعملاً في المعنى العام، وبالضم موضع الإقامة اهـ كرخي.

قوله: (يؤمن فيه الخوف) أي: فالإسناد مجاز عقلي، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويستعمل الأمان تارة اسماً للحالة التي عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤتمن عليه الإنسان كقوله: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ [الأنفال: ٢٧] أي: ما ائتمنتم عليه اهـ كرخي.

وعبارة البيضاوي: يؤمن فيه الخوف من الآفات والانتقال عنه اهـ.

قوله: ﴿في جنات وعيون﴾ بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب اهـ كرخي.

قوله: ﴿يلبسون﴾ إما حال من الضمير المستكن في الجار، وإما خبر آخر لإن وإما مستأنف اهـ سمين.

قوله: (أي مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب، فإن قلت: كيف وعد الله أهل الجنة بلبس الاستبرق وهو غليظ الديباج كما قرره مع أنه عند أغنياء أهل الدنيا عيب ونقص، والجواب أن غليظ ديباج الجنة لا يساويه غليظ ديباج الدنيا حتى يعاب، كما أن سندس الجنة وهو رقيق الديباج لا يساويه سندس الدنيا اهـ كرخي.

وفي المصباح: والديباج ثوب سداه ولحمته أبريسم ويقال هو معرب اهـ.

قوله: ﴿متقابلين﴾ (حال) أي: من الضمير في يلبسون، فإن قلت المقصود من جلوسهم متقابلين استئناس بعضهم ببعض والجلوس على هذه الصفة موحش لأنه يكون كل واحد منهم مطلعاً على ما فيه الآخر، فقيل الثواب إذا اطلع على حال كثيرة يتنغص، والجواب: أن أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا اهـ كرخي.

يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ من التزويج أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴿٥٤﴾﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ منها

قوله: (لدوران الأسرة) جمع سرير كأرغفة جمع رغيف اهـ شيخنا.

قوله: (يقدر قبله الأمر) أي: على أنه مبتدأ والجملة اعتراضية جيء بها للتقرير، وقوله: وزوجناهم معطوف على يلبسون اهـ شيخنا.

قوله: (من التزويج) أي: بالعقد وقوله: أو قرناهم أي: قرنا بينهم وبين الحور كالقران بين الزوجين في الدنيا، واستظهر بعضهم الثاني وضعف الأول بأن العقد فائدته الحال والجنة لا تكليف فيها اهـ شيخنا.

والذي رأيناه في التفاسير الاقتصار على قوله أي: قرناهم بهن ولم نر من حكي الخلاف إلا الخازن ونصه: أي: قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج، وقيل: جعلناهم أزواجاً لهن أي: جعلناهم اثنين اثنين اهـ.

فانظر قوله: أي: جعلناهم اثنين اثنين الصريح في أن المراد بالأزواج جمع زوج بمعنى الشفع ضد الوتر، ويمكن حمل كلام الشارح عليه بل هو متعين، فما قرره شيخنا كأنه فهمه بالعقل إذ لم نر له مستنداً في النقل، وفي القرطبي: وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز»، وعن أبي قرصافة سمعت النبي ﷺ يقول: «إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين» وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «كنس المساجد مهور الحور العين» ذكره الثعلبي رحمه الله تعالى، واختلف أيهما أفضل في الجنة أنساء الآدميات أم الحور. وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا رشدين، عن ابن أنعم، عن حبان بن أبي جبلة قال: إن نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا، وروي مرفوعاً: «أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف» وقيل: إن الحور العين أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام: «فابدله زوجاً خيراً من زوجه» والله أعلم اهـ.

وقول النبي ﷺ في هذه الأحاديث مهور الحور العين الخ لا يدل على أن في الجنة عقد نكاح لجواز أن يراد بالمهور الأمور، والأسباب التي توصل إلى نيل الحور العين.

قوله: ﴿عين﴾ جمع عيناء كحمراء على حد قوله: فعل لنحو أحمر وحمراً فعين أصله ضم العين بوزن فعل لكنها كسرت لتصح الياء، وكذا يقال في بيض اهـ شيخنا.

قوله: (بنساء بيض) تفسير للحور، وقوله: واسعات الأعين الخ تفسير لعين، وهذا على ما قاله القاضي من أن الحور البياض مطلقاً، وجعل الزمخشري الحور بمعنى شدة بياض العين وشدة سوادها، وفي القاموس: الحور بالتحريك أن يشتد بياض العين ويسود سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها اهـ كرخي.

قوله: ﴿يدعون﴾ حال من الهاء في زوجناهم ومفعوله محذوف كما قدره اهـ شيخنا.

وقوله: لا يذوقون حال من الضمير في آمنين اهـ سمين.

﴿ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف. حال ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم: إلا بمعنى بعد ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾ ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدراً ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ

قوله: (قال بعضهم) هو الطبري إلا بمعنى بعد، وبهذا يحصل الجواب عن السؤال المشهور كيف يصح الحمل على الاتصال، والاستثناء المتصل هو المنع من دخول بعض ما تناوله صدر الكلام في حكمه بإلاّ وأخواتها والموتة الأولى غير داخلة في حكم الصدر ممنوعة الدخول فيه أي: كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم يذوقوه فيها قطعاً، وبعضهم جعله منقطعاً أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وهذا أحسن من الأول اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: إلا الموتة الأولى فيه أوجه، أحدها: استثناء منقطع أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. الثاني: أنه متصل وتأولوه بأمن المؤمن عند موته في الدنيا بمنزلته في الجنة لمعاينة ما يعطاه منها أو لما يتيقنه من نعيمها. الثالث: أن إلا بمعنى سوى نقله الطبري وضعفه. قال ابن عطية: وليس تضعيفه بصحيح، بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق. الرابع: أن إلا بمعنى بعد، واختاره الطبري وأباه الجمهور، لأن مجيء إلا بمعنى بعد لم يثبت. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها في الجنة. قلت: وهذا عند علماء البيان يسمى نفي الشيء بدليله، وقال ابن عطية: بعد ما قدمت حكايته عن الطبري: فتبين أنه نفى عنهم ذوق الموت، فإنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدّم في الدنيا يعني أنه كلام محمول على معناه اهـ.

قوله: (منصوب بتفضل) أي: على أنه مفعول مطلق اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: فضلاً مفعول من أجله وهو مراد مكي حيث قال: مصدر عمل فيه يدعون، وقيل: العامل فيه ووقاهم، وقيل: آمنين، فهذا إنما يظهر على كونه مفعولاً من أجله، على أنه يجوز أن يكون مصدراً لأن يدعون وما بعده من باب التفضيل فهو مصدر ملاق لعامله في المعنى، وجعله أبو البقاء منصوباً بمقدر أي: تفضلنا بذلك فضلاً أي تفضلاً اهـ.

قوله: ﴿الفوز العظيم﴾ أي: لأنه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب اهـ.

قوله: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ الباء للمصاحبة، وهذا فذلكة للسورة أي: إجمال لما فيها من التفصيل، وقد مرَّ أنه من قول الحساب فذلك كذا فيكون تذكيراً أو شرحاً لما مضى اهـ شهاب.

لأنه تعالى بعدما أقسم بالكتاب المبين على أنه أنزله في ليلة مباركة وبيَّن ما يقتضي إنزاله بأن شأنه إرسال الرسل مؤيدين بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم عما يشقيهم، ثم فصل ذلك وشرحه إلى آخر السورة، ثم أجمل ذلك بما معناه ذكر الكتاب المبين قومك، فإنا سهلنا عليك تلاوته

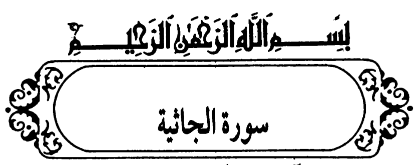
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ انتظر هلاكهم ﴿ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

وتبليغه إليهم منزلاً بلغتك ولغتهم اهـ زاده.

قوله: (لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله: فارتقب، وعبارة الخطيب: فإن لم يتعظوا ولم يؤمنوا به فارتقب الخ، انتهت.

قوله: ﴿فارتقب أنهم مرتقبون﴾ أشار الشارح إلى أن مفعول كل منهما محذوف اهـ كرخي.

قوله: (وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم) أي: فهو منسوخ تأمل. هكذا قال بعضهم وليس بصحيح، لأن رفع الإباحة الأصلية ليس نسخاً إنما النسخ رفع حكم ثبت في الشرع بحكم آخر، كذلك فقول الشارح وهذا قبل الأمر أو قبل النهي لا يريد به النسَخ لأن الشيء قبل الأمر به أو النهي عنه ليس فيه حكم شرعي حتى يرفع بالنسخ فتأمل.



مكية إلا ﴿قل للذين آمنوا﴾ الآية. وهي ست سبع وثلاثون آية

. . . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى: الشريعة اهـ خازن.

قوله: (مكية) عبارة القرطبي: مكية في قول الحسن، وجابر، وعكرمة، وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية ﴿للذين آمنوا﴾ إلى ﴿أيام الله﴾ نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذكره الماوردي، وقال المهدوي، والنحاس، عن ابن عباس: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به فأنزل الله: ﴿قل للذين آمنوا﴾ الآية ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥] فالسورة كلها مكية على هذا من غير استثناء اهـ.

قوله: (الآية) أي: إلى قوله: ﴿أيام الله﴾ كما تقدم في عبارة القرطبي قوله: ﴿أي في خلقهما) القرينة على تقدير هذا المضاف التصريح به في سورة البقرة في قوله: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ [البقرة: ١٦٤] وأيضاً التصريح به في المعطوف وهو قوله: ﴿وفي خلقكم﴾ وحاصل ما ذكر هنا من الدلائل ستة على ثلاث فواصل، الأولى: للمؤمنين. والثانية: يوقنون. والثالثة: يعقلون. ووجه التغاير بينها أن المنصف من نفسه إذا نظر في السموات والأرض وأنه لا بد لهما من صانع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد إيماناً فأيقن، وإذا نظر في سائر الحوادث عقل واستحكم علمه اهـ من الخطيب.

وفي البيضاوي: ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور اهـ.

فأظهرها السموات والأرض، والنظر الصحيح فيها يفيد العلم بأنها مصنوعة لا بد لها من صانع فيؤدي إلى الإيمان بالله وأدق منها خلق الإنسان وانتقاله من حال إلى حال، وخلق ما على الأرض من صنوف الحيوانات من حيث إن التفكر فيها وأحوالها يستلزم ملاحظة السموات والأرض لكونها من أسباب تكون الحيوانات وانتظام أحوالهم، ولما كانت هذه الآية أدق بالنسبة إلى الأولى كان التفكر فيها مؤدياً إلى مرتبة اليقين وأدق منها سائر الحوادث المتجددة في كل وقت من نزول المطر وحياة الأرض بعد موتها، وغير ذلك من حيث إن استقصاء النظر في أحوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ في صنعه ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي في خلقهما ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنساناً ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ بالبعث ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ﴾ مطر لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾

السموات والأرض لكونها من أسباب هذه الحوادث ومحالها، وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الأرض من حيث إن تجدد هذه الحوادث إنما هو لانتظام أحوالها وتحقق أسباب معاشها، ولما كانت هذه أدق بالنسبة إلى الأولين وكانت متجددة حيناً فحيناً بحيث تبعث على النظر والاعتبار كلما تجددت كان النظر فيها مؤدياً إلى استحكام العلم وقوة اليقين، وذلك لا يكون إلا بالعقل الكامل، فظهر بهذا التقدير أن المراد بالمؤمنين والموقنين والعاملين من يؤول حالهم إلى هذه الأوصاف اهـ زاده.

قوله: ﴿لآيات للمؤمنين﴾ بالنصب بالكسرة باتفاق القراء، لأنه اسم إن، وأما قوله: ﴿آيات لقوم يوقنون﴾، وقوله: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ ففي كل منهما قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة. فأما الرفع فله وجهان، أحدهما: أن يكون في خلقكم خبراً مقدماً، وآيات مبتدأ مؤخراً، والجملة معطوفة على جملة إن في السموات الخ، فالمعطوف غير مؤكد والمعطوف عليه مؤكد بإن. الثاني: أن يكون آيات معطوفاً على آيات الأولى باعتبار المحل قبل دخول الناسخ عند من يجوز ذلك. وأما النصب فمن وجهين أيضاً، أحدهما: أن يكون آيات معطوفاً على آيات الأول الذي هو اسم إن وقوله: وفي خلقكم الخ معطوفاً على خبر إن كأنه قيل: وإن في خلقكم وما يبث من دابة آيات. والثاني: أن يكون آيات كررت تأكيداً لآيات الأولى، ويكون وفي خلقكم معطوفاً على في السموات كرر معه حرف الجر توكيداً اهـ من السمين.

قوله: ﴿وما يبث من دابة﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه معطوف على خلقكم المجرور بفي على تقدير مضاف كما قدره الشارح. الثاني: أنه معطوف على الضمير المخفوض بالخلق على مذهب من يجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار اهـ من السمين.

وصنيع الشارح محتمل لكل من الوجهين اهـ شيخنا.

قوله: (هي ما يدب) أي: يتحرك على الأرض.

قوله: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أشار الشارح إلى أن قوله: واختلاف الليل ليس مجروراً بواو العطف على إن في السموات، بل مجرور بفي المقدرة كما في قراءة عبد الله مصرحاً بها وحسن حذفها تقدمها في قوله: وفي خلقكم وهذا ما جرى عليه أبو حيان اهـ كرخي.

قوله: ﴿بعد موتها﴾ أي: بعد يبسها. قوله: (وباردة وحارة) لف ونشر مشوش، وترك اثنين وهما الصبا والدبور، لأن الرياح أربعة بحسب جهات الأفق اهـ شيخنا.

تقليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً وباردة وحارة ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ۝٥﴾ الدليل فيؤمنون ﴿تِلۡكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتۡلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بنتلو ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي حديثه وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حججه ﴿يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ أي كفار مكة أي لا يؤمنون، وفي قراءة بالتاء ﴿وَيۡلٞ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٖ ۝٧﴾ كثير الإثم ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨﴾ مؤلم ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ أي مهزوءاً بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي

قوله: (الآيات المذكورة) وهي السموات والأرض وما بعدها، فلذلك قال حججه أي: دلائله، ويصح أن يراد بها الآيات القرآنية المذكورة من أول السورة كما أشار إليه في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: ﴿نتلوها عليك﴾ الخ يجوز أن يكون خبراً لتلك، وآيات الله بدل أو عطف بيان، ويجوز أن يكون تلك آيات مبتدأ وخبراً ونتلوها حال. قال الزمخشري: والعامل فيها ما دل عليه تلك من معنى الإشارة اهـ سمين.

قوله: (متعلق بنتلو) أي: على أنه عامل فيه مع كونه حالاً من الفاعل أو المفعول، والباء للملابسة اهـ شيخنا.

قوله: (وهو القرآن) وسمي حديثاً لقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ [الزمر: ٢٣].

قوله: (أي لا يؤمنون) أي: فالاستفهام إنكاري، وقوله: وفي قراءة أي: سبعية بالتاء أي: مناسبة لقوله: وفي خلقكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿يسمع آيات الله﴾ يجوز فيه أن يكون مستأنفاً أي: هو يسمع أو من غير إضمار هو وأن يكون حالاً من الضمير في أثيم، وأن يكون صفة وقوله: تتلى عليه حال من آيات الله، وقوله: ثم يصر الخ ثم للتراخي الرتبي عند العقل أي إصراره على الكفر بعدما قررت له الأدلة المذكورة وسمعها مستبعد في العقول، وقوله: كأن لم يسمعها مستأنف أو حال اهـ سمين.

قوله: ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي: كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن، والجملة في موضع الحال أي: يصر حال كونه مثل غير السامع اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي: على إصراره والبشارة على الأصل، فإنها بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في بشرة الوجه سروراً أو عبوساً أو على التهكم إن أريد المعنى المتعارف وهو الخبر السار اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾ أي: إذا بلغه شيء وعلم أنه من آياتنا اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً نحو قوله في الزقوم: إنه الزبد والتمر، وقوله في خزنة جهنم: إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي اهـ.

قوله: ﴿اتخذها هزواً﴾ في الضمير المؤنث وجهان، أحدهما: أنه عائد على آياتنا يعني القرآن.

الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ ذو إهانة ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي أمامهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي عذاب ﴿أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ موجع ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر

والثاني: أنه عائد على شيئاً وإن كان مذكراً لأنه بمعنى الآية، والمعنى اتخذ ذلك الشيء هزواً إلا أنه تعالى قال: اتخذها للإشعار بأن هذا الرجل إذا أحس بشيء من الكلام، وعلم أنه آية من جملة الآيات المنزلة على محمد ﷺ خاض في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد اهـ خطيب.

وفي الكرخي: اتخذها هزواً الضمير لآياتنا وفائدة جعله له، مع أن الظاهر أن يجعل لشيئاً الإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه، ويجوز أن تكون فائدته الإشارة إلى أن اتخاذ واحدة منها هزواً اتخاذ للكل لما بينهما من التماثل اهـ.

قوله: (أي الأفاكون) فيه مراعاة معنى أفاك بعد مراعاة لفظه اهـ شيخنا.

قوله: (أي أمامهم) فالوراء مستعمل بمعنى الأمام، كما يستعمل بمعنى الخلف كما قدمه في سورة إبراهيم وغيرها، وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل في الشيء وضده كالجون يستعمل في الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يغني﴾ أي: يدفع. قوله: ﴿ولا ما اتخذوا﴾ عطف على ما كسبوا وما فيهما إما مصدرية أو بمعنى الذي أي: لا يغني عنهم كسبهم ولا اتخاذهم أو الذي كسبوه، ولا الذي اتخذوه اهـ كرخي.

والشارح جرى على الثاني حيث بين الأولى بقوله: من المال والفعال، والثانية بقوله الأصنام اهـ شيخنا.

قوله: (أي عذاب) تقدم أن الرجز أشد العذاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلله كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه اهـ بيضاوي.

وقوله: أملس السطح لأنه لو لم يكن أملس السطح أي: أجزاء متساوية لم يمكن جري الفلك عليه ويطغو بمعنى يرتفع ويعلو اهـ شهاب.

قال تعالى: إنا لما طغى الماء ارتفع اهـ.

ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِّنۡهُۚ﴾ حال أي سخرها كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ فيها فيؤمنون ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ وقائعه أي اغفروا للكفار ما

قوله: (وغيره) أي: غير المذكور. قوله: (أي خلق ذلك الخ) تفسير لقوله: وسخر لكم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (تأكيداً) أي: لما على رأي ابن مالك حيث عدها من المؤكدات، وقوله: حال أي: من ما كما يشير له قوله: أي سخرها الخ اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: جميعاً إما حال من ما في السموات والأرض أو توكيد له وقوله: منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعاً أو حال من ما أي جميعاً كائناً منه تعالى، أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة اهـ.

قوله: ﴿قل للذين آمنوا﴾ الخ اختلف في نزول هذه الآية فقال ابن عباس: نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبي غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ، وقرب أبي بكر، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك، فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له، فأنزل الله هذه الآية، فعلى هذا تكون مدنية، وقال مقاتل: إن رجلاً من بني غفار شتم عمر بمكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فنزلت بالغفر والتجاوز. وروى ميمون بن خيران أن فنحاص اليهودي لما نزل قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل بسيفه وخرج في طلبه، فبعث النبي ﷺ إليه فرده. وقال القرطبي، والسدي: نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى كثير من المشركين قبل أن يؤمروا بالجهاد، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت ثم نسختها آية القتال اهـ خطيب.

فعلى هذا تكون مكية، وصنيع الشارح يناسب القول الأخير اهـ.

قوله: ﴿لا يرجعون أيام الله﴾ أي لا يتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم، أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها اهـ بيضاوي.

وقوله: لا يتوقعون إشارة إلى أن الرجاء مجاز عن التوقع لاختصاص الرجاء بالمحبوب وهو غير مناسب هنا واستعمال الأيام بمعنى الوقائع مجاز مشهور اهـ شهاب.

وقوله: أولا يأملون من أمل يأمل كنصر، وقوله: الأوقات إشارة إلى أن الأيام بمعنى مطلق الأوقات اهـ شهاب.

قوله: (أي اغفروا للكفار الخ) أي: فحذف المقول وهو اغفروا، لأن الجواب دال عليه أي: يغفروا دال على أن القول اغفروا، كقوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ [الحج: ٣٩] أي في

وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي الله وفي قراءة بالنون ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⁅١٤⁆﴾ من الغفر للكفار أذاهم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ⁅١٥⁆﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾

القتال فحذف لأن يقاتلون دال عليه اهـ كرخي.

وفي القرطبي: للذين آمنوا يغفروا جزم على جواب قل تشبيهاً بالشرط والجزاء كقولك: قم تصب خيراً، وقيل: هو على حذف اللام، وقيل: على معنى قل لهم اغفروا فهو جواب أمر محذوف دل عليه الكلام قاله علي بن عيسى، واختاره ابن العربي اهـ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بجهادهم) أي: فهو منسوخ بآية القتال قال الرازي: وإنما قالوا بالنسخ لأنه يدخل تحت الغفران لا يقاتلوا ولا يقتلوا، فلما أمر الله بالقتل كان نسخاً وإلا قرب أن يقال إنه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية اهـ خطيب.

قوله: ﴿ليجزي قوماً﴾ علة للأمر بالقول أو للقول المقدر الدال عليه الأمر، والقوم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما، فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع اهـ خطيب.

والشارح جرى على الأول حيث قال: (من الغفر للكفار أذاهم) والغافر للكافر هم المؤمنون اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: بما كانوا يكسبون من الغفر للكفار أذاهم فيه إشارة إلى أن ليجزي تعليل للأمر بالمغفرة أي: إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة والقوم هم المؤمنون فالتنكير للتعظيم: أي: هو مدح لهم وثناء عليهم وهو من باب التجريد كأنه قيل: ليجزي قوماً وأي قوم قوم من شأنهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن المؤذيات وتجرع المكروه، كأنه قيل: لا تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن فلا يرد السؤال ما وجه تنكيره، وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف، والباء يجوز أن تكون للسببية أو للمقابلة، وأن تجعل صلة يجزي على حذف مضاف أي: بمثل كسبهم اهـ.

قوله: (وفي قراءة بالنون) أي: سبعية قوله: (أذاهم) معمول المصدر.
قوله: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء اهـ شهاب.

وعبارة زاده: لما ذكر إجمالاً أن المرء يجزى بكسبه بيَّن أن من كسب صالحاً كالعفو عن المسيء فإنه يثاب وأنه هو المنتفع بكسبه ومن كسب الإساءة يعاقب ويتضرر به، ثم بيَّن أن ذلك النفع والضرر إنما يكون يوم الرجوع إلى الله، انتهت.

قوله: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل﴾ الخ بيَّن به أن طريقة قومه عليه الصلاة والسلام كطريقة من تقدم من الأمم، فإنه تعالى أنعم على بني إسرائيل نعماً كثيرة من نعم الدنيا، ومع ذلك لم يشكروا تلك النعم، بل اختلفوا في أمر الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل البغي والحسد، فطلب كل فريق أن يكون هو الرئيس المتبوع، فكذا كفار قومه جاءتهم أدلة واضحة دالة على حقيقة دينه، ثم أصرّوا على الكفر وأعرضوا عن الإيمان عداوة وحسداً اهـ زاده.

التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وهرون منهم ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ عالمي زمانهم العقلاء ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعثته

قوله: (التوراة) تبع في الكشاف كالقاضي، وقال بعضهم: لعل الأولى أن يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الإنجيل والزبور اهـ كرخي.

لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لأنه ذكر بعدها الحكم ونحوه، وما ذكر لا حكم فيه إذ الزبور أدعية ومناجاة، والإنجيل أحكامه قليلة جداً، وعيسى مأمور بالعمل بالتوراة اهـ شهاب.

قوله: ﴿والحكم﴾ (به) أي: الفصل بين الخصوم. قوله: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ هذه نعم دنيوية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية اهـ شيخنا.

قوله: (عالمي زمانهم العقلاء) عبارة البيضاوي: وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤته أحداً غيرهم، انتهت.

وقوله: حيث آتيناهم الخ إشارة إلى أنه لا حاجة إلى تخصيص العالمين بعالمي زمانهم بناء على الظاهر من أن المراد تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الأنبياء فيهم، وفلق البحر، وغرق عدوهم، وإنزال المن والسلوى، وانفجار اثنتي عشرة عيناً من جحر صغير في مدة التيه، وليس المراد تفضيلهم على العالمين بحسب الدين والثواب اهـ زاده.

وقوله: العقلاء فيه شيء، وتقدم بيانه في سورة الدخان فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿وآتيناهم﴾ في ذلك الكتاب الذي هو التوراة، أي: بيناً لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد ﷺ وأوصيناهم فيه بالإيمان به، فكانوا على ذلك العهد إلى أن بعث محمد ﷺ فحسدوه وكفروا به فقوله: إلا من بعد ما جاءهم العلم ومجيء العلم لهم كان ببعثه النبي ﷺ، فهذه الآية على حد قوله في سورة البقرة ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [البقرة: ٨٩] تأمل. قوله أيضاً: ﴿وآتيناهم ببينات من الأمر﴾ أي: أدلة واضحة في أمر الدين فمن بمعنى في ويندرج فيها المعجزات، وقيل: آيات من أمر النبي ﷺ مبينة لصدقه اهـ بيضاوي.

أي: علامات له مذكورة في كتبهم اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: وآتيناهم ببينات من الأمر أي دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة، وقال ابن عباس: هو العلم بمبعث النبي ﷺ، وما بين لهم من أمره، وأنه يهاجر من تهامه إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب اهـ.

قوله: ﴿فما اختلفوا﴾ (في بعثته الخ) فقد كانوا قبل ذلك وهم تحت أيدي القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة، فلما جاءهم العلم والشرع في كتابهم كان مقتضاه أن يدوموا على الاتفاق، بل كان ينبغي أن يزدادوا اتفاقاً لكنهم لم يكونوا كذلك، بل صار ما هو مقتض للاتفاق مقتضياً للاختلاف لسوء حالهم اهـ من الخطيب.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي لبغي حدث بينهم حسداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾ طريقة ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ في عبادة غير الله ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ المؤمنين ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ

قوله: ﴿يقضي بينهم﴾ أي: بالمؤاخذة والمجازاة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ ثم للاستئناف والكاف مفعول أول لجعل، وقوله: على شريعة هو المفعول الثاني، والشريعة في الأصل ما يرده الناس من المياه والأنهار يقال لذلك الموضع شريعة، والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لأن العباد يردون ما تحيا به نفوسهم اهـ سمين.

وفي القرطبي: ثم جعلناك على شريعة من الأمر الشريعة في اللغة المذهب والملة، ويقال لمشرعة الماء وهي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لأنه طريق إلى القصد، فالشريعة ما شرعه الله لعباده من الدين والجمع الشرائع، والشرائع في الدين المذاهب التي شرعها الله لخلقه، والمعنى ثم جعلناك على شريعة أي: على هدى من الأمر أي: على منهاج واضح من أمر الدين شرع بك إلى الحق، وقال ابن عباس: على شريعة أي: على هدى من الأمر، وقال قتادة: الشريعة الأمر والنهي والحدود والفرائض البينة لأنها طريق إلى الحق، وقال الكلبي: السنة لأنه يستن بطريقة من قبله من الأنبياء، وقال ابن زيد: الدين لأنه طريق إلى النجاة. وقال ابن العربي: والأمر يرد في اللغة بمعنيين، أحدهما: بمعنى الشأن كقوله: ﴿واتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ [هود: ٩٧] والثاني: أحد أقسام الكلام الذي يقابله النهي، وكلاهما يصح أن يكون مراداً هنا، وتقديره: ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الإسلام كما قال تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [النحل: ١٢٣] ولا خلاف أن الله تعالى يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى اهـ.

قوله: ﴿أهواء الذين لا يعلمون﴾ وهم رؤساء قريش، قالوا ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك وأسن قاله الكلبي، فنزلت هذه الآية وهي قوله: ﴿ثم جعلناك﴾ الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك﴾ الخ تعليل للنهي عن اتباع أهوائهم أي: إن اتبعت أهواءهم وملت إلى أديانهم الباطلة صرت مستحقاً للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شيء مما أراد الله بك من العذاب إن اتبعت أهواءهم، ثم بين أن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة يزيل العقاب عنهم، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فتكون من تتمة العلة للنهي المذكور، لأن بيان أن ولي الظالمين هو ظالم مثلهم بيان أن مثلك لا يوالي ظالماً فكيف تتبعه اهـ زاده.

قوله: ﴿أولياء بعض﴾ أي: لأن الجنسية علة الانضمام اهـ كرخي.

قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ، وبصائر خبره، وجمع الخبر باعتبار ما في المبتدأ من تعدد الآيات والبراهين اهـ سمين.

﴿يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالبعث ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ خبر ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ

وجعل الدلائل الواضحة بمنزلة البصائر في القلوب إذ يتوصل بكل واحد منهما إلى تحصيل العرفان واليقين اهـ زاده.

لكن في المختار والقاموس: أن من جملة معاني البصيرة الحجة، وعليه فلا تجوز عنا ونص الأول والبصيرة الحجة والاستبصار في الشيء اهـ.

ونص الثاني والبصيرة عقيدة القلب والفطنة والحجة اهـ.

قوله: (معالم) جمع معلم. وفي المختار: المعلم الأثر يستدل به على الطريق اهـ.

وفي أبي السعود: بصائر للناس فإن ما فيه من معالم الدين شعائر والشعائر بمنزلة البصائر في القلوب اهـ.

وفي البيضاوي: بصائر للناس أي: بينات تبصرتهم وجه الفلاح اهـ.

قوله: ﴿لقوم يوقنون﴾ أي: يطلبون اليقين اهـ بيضاوي.

وفسّره به لأن من هو على اليقين لا يحتاج لما يبصره به بخلاف الطالب، ولولا تأويله بما ذكر لكان تحصيلاً للحاصل اهـ شهاب.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: فهي منقطعة وأم المنقطعة تقدر تارة ببل التي للإضراب الانتقالي وهمزة الإنكار وتارة ببل فقط، وتارة بهمزة الإنكار فقط اهـ سمين.

والمراد إنكار الحسبان بمعنى أنه لا ينبغي أن يكون، فهذا هو محط الإنكار وإلاَّ فالحسبان قد وقع بالفعل اهـ من الكرخي.

وفي أبي السعود: أم حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين أثر بيان تباين حالي الضالمين والمتقين، وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثاني، والهمزة لإنكار الحسبان، لكن لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسرين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [صٓ:٢٨] بل بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب اهـ.

قوله: ﴿أم حسب الذين﴾ حسب: فعل ماض، والذين فاعله، وجملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أي: اكتسبوها، والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح، وقد تقدم في المائدة ﴿وأن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الجاثية: ٢١] قال الكلبي: الذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي وحمزة وعبيد بن الحرث رضي الله عنهم حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم، وقيل: نزلت في قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون في الآخرة خيراً مما يعطاه المؤمن كما أخبر الرب عنهم في قوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠] اهـ.

قوله: ﴿سواء﴾ (خبر) هذا على قراءة الرفع، وقرىء في السبع بنصبه على الحال من الضمير

ومعطوف، والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار، المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين أي في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون، قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي ليس الأمر كذلك فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا، من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وما مصدرية أي بئس حكماً حكمهم هذا ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلْأَرْضَ

المستتر في الجار والمجرور، وهما كالذين آمنوا، ويكون المفعول الثاني للجعل هو كالذين آمنوا أي: أحسبوا أن نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم ليس الأمر كذلك، ومحياهم فاعل بسواء لاعتماده اهـ.

قوله: (والجملة) أي: جملة المبتدأ والخبر وقوله: بدل من الكاف أي: الداخلة على الذين لأنها في محل نصب على أنها مفعول ثان للجعل، فهي اسم أي: أن نجعلهم أمثال الذين آمنوا الخ. ثم أدلت منها الجملة لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد، وهذا البدل بدل اشتمال أو بدل كل اهـ كرخي.

قوله: (أن نجعلهم في الآخرة في خير) هذا محط الإنكار والنفي. قوله: (أي ليس الأمر كذلك) أي: أنا نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين كما يظنون ويزعمون، وكان الأولى للشارح تقديم هذا على قوله ساء ما يحكمون، لأنه من تمام ما قبله كما صنع البيضاوي ونصه: والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة. ثم قال: ساء ما يحكمون اهـ.

وقوله: بعد الممات يقتضي أن المراد بالموت ما بعده من مدة القبر ومدة القيامة، وأن المراد بالمحيا حياة الدنيا، وفي أبي السعود: والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما، فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في المحيا، وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات، وأولئك في ذلك الكفر والمعاصي وهو إنهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما، وقد قيل: المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفرقون في الممات اهـ.

قوله: (وما مصدرية) هذا قول ابن عطية، وعليه فالمصدر المنسبك منها ومما بعدها هو الفاعل، وإذا كان الفاعل مذكوراً لم يكن هناك تمييز، فقول الشارح بئس حكماً الخ ليس على ما ينبغي إذا مقتضاه أنها تمييز، وإذا كانت تمييزاً كان الفاعل مستتراً وهذا ينافي كونها مصدرية، وعبارة السمين: وقال ابن عطية ما هنا مصدرية أي: الحكم حكمهم، انتهت.

فالحكم في كلامه فاعل وحكمهم المخصوص بالذم اهـ.

قوله: ﴿وخلق الله السموات﴾ الخ كالدليل لما قبله من نفي الاستواء، ولذلك قال الشارح: فلا يساوي الكافر المؤمن اهـ كرخي.

﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه تعالى، أي عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدي ولم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ ظلمة فلم يبصر الهدي ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ بعد

قوله: (متعلق بخلق) أي: على أنه حال من الفاعل أو المفعول. قوله: (ليدل على قدرته ووحدانيته) أشار إلى أن ولتجزى عطف على معلل محذوف كما قال الزمخشري. قال الطيبي: ولو قال على علة محذوفة كان أولى لأن المقدر هو قوله: ليدل الخ وقد تقدم نظائره، أو معطوف على بالحق لأن معنى الباء واللام هنا للتعليل، وجوز ابن عطية أن تكون لام الصيرورة أي: وصار الأمر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها آخرون اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهم﴾ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى، أو سماه ظلماً نظراً إلى صدوره منا كما الابتلاء والاختبار اهـ أبو السعود.

قوله: (أخبرني) أي: ففيه تجوزان إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار على طريق إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب لأن الرؤية سبب للإخبار، وجعل الاستفهام بمعنى الأمر مطلق الطلب، وقوله: من اتخذ مفعول أول لرأيت اهـ زاده.

قوله: ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ أي: ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده اهـ بيضاوي.

قوله: (أي عالماً بأنه من أهل الضلالة) جعل الشيخ المصنف قوله على علم حالاً من الفاعل، ويمكن أن يجعل حالاً من المفعول فيكون مثل قوله: ﴿فما اختلفوا إلا من بعده ما جاءهم العلم﴾ [الجاثية: ١٧] والمعنى أضله وهو عالم بالحق وهذا أشد تشنيعاً عليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿غشاوة﴾ قرأ الأخوان: غشوة بفتح الغين وسكون الشين، والأعمش، وابن مصرف كذلك إلا أنهما كسرا الغين، وباقي السبعة غشاوة بكسر الغين، وابن مسعود، والأعمش أيضاً بفتحها وهي لغة ربيعة، والحسن، وعكرمة، وقرأ عبد الله بضمها وهي لغة عكل، وتقدم الكلام في ذلك أول البقرة، وأنه قرىء هناك بالعين المهملة اهـ سمين.

قوله: (ويقدر هنا المفعول الثاني) أي: بعد تمام الصلات الأربع، فلا يصح تقديره في أثنائها، والأربع هي قوله: اتخذ الخ، وقوله: وأضله الخ، وقوله: وختم الخ، وقوله: وجعل الخ اهـ كرخي.

وحذف لدلالة فمن يهديه عليه زاده.

ودعوى الحذف غير لازمة إذ لا مانع من جعل جملة فمن يهديه من بعد الله هي المفعول الثاني اهـ.

إضلاله إياه لا يهتدي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين في الذال ﴿وَقَالُوا﴾ أي منكرو البعث ﴿مَا هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي مرور الزمان، قال تعالى ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات حال ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أنا نبعث

قوله: (إحدى التاءين) وهي الثانية، وقرىء أيضاً بترك الإدغام بتاء واحدة بعدها ذال مخففة اهـ شيخنا.

قوله: (أي يموت بعض الخ) جواب عما يقال أن قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع أنهم ينكرونها، فلذلك أوله بقوله: أي يموت بعض الخ، (بأن يولدوا) أي البعض فالضمير باعتبار معناه اهـ شخينا.

قوله: (إلا الدهر﴾ هو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه اهـ بيضاوي.

وفي القاموس: ودهرهم أمر كمنع نزل بهم مكروه فهم مدهور بهم ومدهورون اهـ.

قوله: (أي مرور الزمان) كان من شأن العرب إذا أصابهم سوء نسبوه للدهر اعتقاداً منهم أنه الفعال لما يريد، فقال ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أي: لأنه تعالى هو الفعال لما يريد الدهر، والحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة، وأصل الدهر مدة بقاء العالم فهو أعم من الزمان اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وما يهلكنا إلا الدهر قال مجاهد: السنين والأيام، وقال قتادة: إلا العمر والمعنى واحد، وقرىء إلا دهر يمر، وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا، فنزلت هذه الآية، وقال قطرب: وما يهلكنا إلا الموت، وقال عكرمة: أي: وما يهلكنا إلا الله. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر، فقال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم بسبب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر» وقد استدل بهاذا الحديث من قال: إن الدهر من أسماء الله تعالى اهـ.

ومرادهم بهذا الحصر إنكاراً أن يكون الموت بواسطة ملك الموت، وعبارة أبي السعود: وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى، ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان. اهـ.

قوله: ﴿وما لهم بذلك﴾ (المقول) وهو قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا الخ. وفي الكرخي: ما لهم بذلك من علم أي: بنسبه الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال اهـ.

قوله: (واضحات) أي: واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كان حجتهم﴾ بالنصب خبر كان، وقوله: إلا أن قالوا اسمها، وإنما سماه حجة مع

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ حين كنتم نطفاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ أحياء ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يبدل منه ﴿يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ

أنه ليس بحجة لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها، فسمي حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسابهم وتقديرهم حجة اهـ كرخي.

والمعنى ما كان لهم متشبث يتعلقون ويعارضون به إلا أن قالوا الخ.

﴿قل الله يحييكم﴾ الخ هذا رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر يعني أنه مما لا يمكن إنكاره وهم معترفون بأنه المحيي المميت، فكيون دليلاً إلزامياً على البعث، وقوله: إلى يوم القيامة إلى بمعنى في أو الفعل مضمن معنى منتهين ونحوه اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: قل الله يحييكم ثم يميتكم هذا رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر، وفيه رد للزمخشري في جعله إلزامياً يعني وجه مطابقة الجواب، وهو قل الله يحييكم الخ للسؤال وهو ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين أنهم ألزموا ما هم مقرون به من أن الله تعالى هو الذي أحياهم أولاً ثم يميتهم، ومن قدر على ذلك قدر على جمعهم يوم القيامة فيكون قادراً على إحياء آبائهم، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة، والوعد المصدق بالآيات دال على وقوعها حتمر والإتيان بآبائهم في الدنيا حيث كان مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه اهـ كرخي.

قوله: (وهم) أي: الأكثر فالجمع باعتبار المعنى اهـ.

قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ هذا تعميم للقدرة بعد تخصيصها، ووجهه أن المراد بملكه لها تصرفه فيها كما أراد وهو شامل للإحياء والإماتة المذكورين قبله وللجمع والبعث وللمخاطبين وغيرهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ في عامله وجهان، أحدهما: أنه يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم والتنوين على هذا تنوين عوض عن جملة مقدرة ولم يتقدم من الجمل إلا تقوم الساعة، فيصير التقدير ويوم تقوم الساعة يومئذ تقوم الساعة وهذا الذي قدروه ليس فيه مزيد فائدة فيكون توكيداً بدلاً توكيدياً. والثاني: أن العامل فيه مقدر وقالوا لأن يوم القيامة حالة ثالثة ليس بالسماء ولا بالأرض لأنهما يتبدلان، فكأنه قيل: ولله ملك السموات والأرض وملك يوم تقوم الساعة، ويكون قوله: يومئذٍ معمولاً ليخسر، والجملة مستأنفة من حيث اللفظ، وإن لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى اهـ سمين.

وقال العلامة التفتازاني: وهذا بالتأكيد أشبه وأنى يتأتى أن هذا مقصود بالنسبة دون الأول، وقال شيخنا: اليوم في البدل بمعنى الوقت، والمعنى وقت أن تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم تقوم الساعة فإنه يوم متسع مبدؤه من النفخة الأولى، فهو بلد البعض والعائد مقدر، ولما كان خسرانهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة اهـ كرخي.

قوله: (أي يظهر خسرانهم الخ) أي: وإلا فخسرانهم محكوم به أزلاً اهـ شيخنا.

أُمَّةٍ﴾ أي أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ كتاب أعمالها ويقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي جزاؤه ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ

قوله: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ إن كانت الرؤية بصرية فجاثية حال أو صفة، وإن كانت علمية فهي مفعول ثان وفيه بعد اهـ كرخي.

قوله: ﴿جاثية﴾ (على الركب) أي: باركة مستوفزة على الركب، وفي القاموس: استوفز في قعدته انتصب فيها غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع أليتيه واستقل على رجليه متهيئاً للوثوب، وقوله: أو مجتمعة من الجثوة مثلثة الجيم وهي الجماعة، ومنه حديث ابن عمر: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها أي: جماعة، وفي الفائق: والجثوة ما جمع من تراب وغيره فاستعيرت، فإن قيل: الجثو على الركب إنما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة؟ فالجواب: أن المحق قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة إلى أن يظهر كونه محقاً اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وفي الجاثية تأويلات خمسة، الأول: قال مجاهد: مستوفزة، وقال سفيان: المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله. قال الضحاك: وذلك عند الحساب. الثاني: مجتمعة قاله ابن عباس، وقال الفراء: المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين. الثالث: متميزة قاله عكرمة. الرابع: خاضعة بلغة. قريش. الخامس: باركة على الركب قاله الحسن، والجثو على الركب. يقال: جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثواً وجثياً على فعول فيهما، وقد مضى في مريم وأصل الجثوة الجماعة من كل شيء، ثم قيل: هو خاص بالكفار قاله يحيى بن سلام، وقيل: إنه عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب، وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «كأني أراكم بالركب جاثين دون جهنم» ذكره الماوردي، وقال سليمان: إن في يوم القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ينادي لا أسألك اليوم إلا نفسي اهـ.

قوله: ﴿كل أمة﴾ العامة على الرفع بالابتداء وتدعى خبرها، ويعقوب بالنصب على البدل من كل أمة الأولى بدل نكرة موصوفة من مثلها اهـ سمين.

قوله: ﴿تدعى إلى كتابها﴾ فإن قيل: كيف أضيف الكتاب إليهم في قوله إلى كتابها إلى الله في قوله هذا كتابنا، فالجواب لا منافاة بين الأمرين لأن كتابهم بمعنى أنه مشتمل على أعمالهم، وكتاب الله بمعنى أنه هو الذي أمر الملائكة بكتبه وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿اليوم تجزون﴾ هذه الجملة معمولة لقول مضمر، والتقدير: يقال لهم اليوم تجزون، واليوم معمول لما بعده وما كنتم تعملون هو المفعول الثاني اهـ سمين.

قوله: ﴿ينطق عليكم﴾ يجوز أن يكون حالاً، وأن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون كتابنا بدلاً وينطق خبر وحده وبالحق حال اهـ سمين.

وفي الكرخي: ينطق عليكم أي: يشهد عليكم بما عملتم بالحق بلا زيادة ولا نقصان اهـ.

وفي القرطبي: قوله هذا كتابنا قيل هذا من قول الله لهم، وقيل: من قول الملائكة لهم ينطق

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝٣٠﴾ البين الظاهر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي﴾ أي القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٣١﴾ كافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي

عليكم بالحق أي: يشهد وهو استعارة يقال: نطق الكتاب بكذا أي، بيّن، وقيل: إنهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكأنه ينطق عليهم دليله قوله تعالى: ﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [الكهف: ٤٩] وفي سورة المؤمنون: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ [المؤمنون: ٦٢] وقد تقدم وينطق في موضع الحال من الكتاب أو من هذا أو خبر ثان لهذا، أو يكون كتابنا بدلاً من هذا وينطق الخبر اهـ.

قوله: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي: نأمر بنسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه: إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء فيكتبون فيه أعمال بني آدم، وقال ابن عباس: إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم العباد فيعارضون الحفظة على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقة لما في أيديهم الذي استنسخوه من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان. قال ابن عباس: وهل يكون النسخ إلا من كتاب، وقال الحسن: تستنسخ ما كتبت الحفظة على بني آدم لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف، وقيل: تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا على العبد، ثم إذا عادوا إلى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات ولا تحول المباحات إلى النسخة الثانية، وقيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب اهـ قرطبي.

قوله: (نثبت ونحفظ) أي: نأمر الملائكة بنسخ ما كنتم تعملون وإثباته، فليس المراد بالنسخ إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، إذ ورد أن الملك إذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ الخ تفصيل للحمل المفهوم من قوله: ينطق عليكم بالحق أو لتجزون اهـ شهاب.

قوله: (جنته) قال البيضاوي: رحمته التي من جملتها الجنة كأنه قصد الرد على الزمخشري في تفسيره الرحمة بالجنة وأنت خبير بأن الدخول حقيقة في الجنة دون غيرها من أقسام الرحمة، فتفسير الشيخ المصنف كالزمخشري أظهر اهـ كرخي.

قوله: (البين الظاهر) أي: لخلوصه عن الشوائب التي تخالطه، والمراد بالشوائب الأكدار اهـ شهاب.

قوله: (فيقال لهم) أشار به إلى أن جواب أما محذوف تقديره ما قدره اهـ كرخي.

وقدر الزمخشري جملة بين الفاء والهمزة أي: ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتنا تتلى عليكم، فحذف ألم تأتكم رسلي المعطوف عليه لدلالة الكلام عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ الخ هذا من جملة ما يقال لهم، فالمعنى وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق الخ تأمل.

مَا ٱلسَّاعَةُ إن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝﴾ أنها آتية ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ أي العذاب ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في

قوله: ﴿إن وعد الله حق﴾ العامة على كسر الهمزة لأنها محكية بالقول، والأعرج، وعمرو بن فائد بفتحها، وذلك محرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقاً اهـ سمين.

قوله: (بالرفع والنصب) سبعيتان. أي: قرأ حمزة بالنصب عطفاً على وعد الله وقرأ الباقون بالرفع وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية خبرها. الثاني: العطف على محل اسم إن لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء. الثالث: أنه عطف على محل وإن واسمها معاً لأن بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون أن لإن واسمها موضعاً وهو الرفع بالابتداء اهـ سمين.

قوله: ﴿ما ندري ما الساعة﴾ أي: أي شيء الساعة؟ قالوا هذا استغراباً واستبعاداً وإنكاراً لها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ لعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوه من آبائهم وما تلي عليهم من الآيات في أمر الساعة اهـ بيضاوي.

وقوله: لعل ذلك الخ جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وبين قولهم إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين، فإن الأول يدل على أنهم قاطعون بنفي البعث، والثاني يدل على أنهم شاكون في إمكانه ووقوعه؟ وتقرير الجواب: أن القوم كانوا فرقتين في أمر البعث فرقه جازمة بنفيه وهم المذكورون في قوله: إن هي إلا حياتنا الدنيا الخ، وفرقة كانت تشك وتتحير فيه وهم المذكورون في هذه الآية اهـ زاده.

قوله: (قال المبرد الخ) أشار به إلى أن هذه الآية لا بد فيها من تأويل، لأن المصدر الذي وقع مؤكداً لا يجوز أن يقع استثناء مفرغاً فلا يقال ما ضربت إلا ضرباً لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة أن يقال ما ضربت إلا ضربت، وقد تقرر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات إلا المفعول المطلق، فلا يقال ما ظننت إلا ظناً لاتحاد مورد النفي والإثبات وهو الظن والحصر إنما يتصور حين تغاير مورديهما، فالمصنف ذكره في تأويل الآية مورد النفي محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الأفعال، فهذا هو مورد النفي ومورد الإثبات كونه يظن ظناً، فكلمة إلاَّ وإن كانت متأخرة لفظاً فهي متقدمة في التقدير، فمدلول الحصر إثبات الظن لأنفسهم ونفي ما عداه ومن جملة ما عداه اليقين، والمقصود نفيه لكنه نفي ما عدا الظن مطلقاً للمبالغة في نفي اليقين، ولذلك أكد بقوله: وما نحن بمستيقنين اهـ زاده.

قوله: (أي جزاؤها) يشير بهذا إلى حذف المضاف اهـ شيخنا.

قوله: (نترككم في النار) إشارة إلى أن النسيان أريد به الترك مجازاً إما لعلاقة السببية أو لتشبيهه به في عدم المبالاة، ويجوز أن يعتبر في ضمير الخطاب الاستعارة بالكلية بتشبيههم بالأمر المنسي في تركهم في العذاب وعدم المبالاة بهم، وتجعل نسبة النسيان قرينة الاستعارة، أو لأن من نسي شيئاً تركه

النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ مانعين منها ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ خالق ما ذكر، والعالم ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، ورب بدل ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال أي كائنة فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ تقدم.

فيكون من وضع اسم السبب على المسبب اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقاء يومكم﴾ فيه توسع في الظرف حيث أضيف ما هو واقع فيه كقوله: مكر الليل اهـ سمين.

وقد أشار إلى هذا الشارح بقوله: أي: تركتم العمل وهو الطاعة للقائه، فأشار إلى أن التعبير بالنسيان فيه تجوز كما سبق أو مشاكلة، وإلى أن الإضافة على سبيل التوسع من إضافة المصدر إلى ظرفه أي نسيتم لقاء الله وجزاءه في يومكم هذا، فأجري اليوم مجرى المفعول به، وإنما لم يجعل من إضافة المصدر إلى المفعول به حقيقة، لأن التوبيخ ليس على نسيان لقاء اليوم نفسه، بل على نسيان ما فيه من الجزاء فإنه المقصود اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: العذاب العظيم بأنكم أي: سبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً أي: بسبب استهزائكم بآيات الله الخ اهـ.

قوله: ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ الالتفات للغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم اهـ أبو السعود.

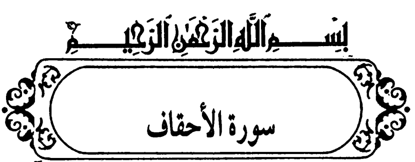
قوله: (بالبناء للفاعل) وللمفعول سبعيتان. قوله: (ورب بدل) أي: في المواضع الثلاثة. قال السمين: قرأ العامة رب في الثلاثة بالجر تبعاً للجلالة بياناً أو بدلاً أو نعتاً اهـ.

قوله: ﴿وله الكبرياء في السموات﴾ يجوز أن يكون في السموات متعلقاً بمحذوف حالاً من الكبرياء وأن يتعلق بما تعلق به الظرف الأول لوقوعه خبراً، يجوز أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر قال أبو البقاء: وأن يكون يعني في السموات ظرفاً والعامل فيه الظرف الأول، والكبرياء بمعنى العظمة ولا حاجة إلى تأويل الكبرياء بمعنى العظمة فإنها ثابتة المصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿في السموات والأرض﴾ أي: لظهور آثارها وأحكامها فيهما، فالمظروف فيهما هو آثار الكبرياء وهو القهر والتصرف لا نفسها لأنها صفة ذاتية للرب تعالى وإظهارهما في موضع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء اهـ أبو السعود.

قوله: (حال) أي: من الكبرياء كما أشار له في التقدير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي: الذي يضع الأشياء في مواضعها ولا يضع شيئاً إلا كذلك كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن جملاً وآيات وفواصل وغايات بعد أن حرر حانيه وتنزيله فصار معجزاً في نظمه ومعناه اهـ خطيب.



سورة الأحقاف

مكية إلا ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ الآية وإلا ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الآية وإلا ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ الثلاث آيات. وهي أربع أو خمس وثلاثون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ في صنعه ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ خوّفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

سيأتي في الشارح أن الأحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد، وسيأتي عن غيره أن الأحقاف جمع حقف وهو التل من الرمل اهـ.

قوله: (الثلاث آيات) آخرها قوله: ﴿إلا أساطير الأولين﴾ [الأنعام: ٢٥] اهـ شيخنا.

قوله: (وهي أربع أو خمس الخ) الاختلاف في عدد الآيات مبني على أن حم آية أو لا اهـ شهاب.

قوله: ﴿إلا بالحق﴾ صفة لمصدر محذوف أشار له بقوله: خلقاً، والباء للملابسة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأجل مسمى﴾ معطوف على الحق أي: وإلاّ بأجل مسمى، والباء للملابسة والمصاحبة، والكلام على حذف المضاف أي وإلاّ بتقدير أجل مسمى، وإنما احتيج لتقديره لأن الملابسة والمقارنة المستفادين من الباء إنما هما بتقدير الأجل، إذ هو المقارن للخلق، وأما الأجل نفسه فمتأخر الوجود على الخلق أفاده الكرخي. قوله: ﴿والذين كفروا﴾ مبتدأ، ومعرضون خبره، وقوله: عما أنذروا عائد ما محذوف قدره الشارح مجروراً بالباء وفيه تمسح لاختلاف الجار للموصول وللعائد حينئذ، والأولى تقديره منصوباً كما صنع غيره، وفي السمين: يجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم أو بمعنى الذي، والعائد محذوف أي: عن الذي أنذروه، وعن متعلقة بالإعراض ومعرضون خبر الموصول اهـ.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ تقدم حكمها ووقع بعدها أروني فاحتملت وجهين، أحدهما: أن تكون توكيداً لها لأنهما بمعنى أخبروني، وعلى هذا يكون المفعول الثاني لأرأيتم جملة قوله: ماذا خلقوا لأنه

مفعول أول ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثان ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان ما ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ بقية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها

استفهام، والمفعول الأول هو قوله ما تدعون. والوجه الثاني: أن لا تكون مؤكدة لها، وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع لأن رأيتم يطلب ثانياً وأروني كذلك، وقوله: ماذا خلقوا هو المتنازع فيه، وتكون المسألة من إعمال الثاني والحذف من الأول، وجوز ابن عطية في أرأيتم أن لا يتعدى حيث قال: وأرأيتم لفظ موضوع للسؤال، والاستفهام لا يقتضي مفعولاً وجعل ما تدعون استفهاماً معناه التوبيخ قال: وتدعون معناه تعبدون. قلت: وهذا رأي الأخفش، وفي قال بذلك في قوله قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة وقد مضى ذلك اهـ سمين.

قوله: (مفعول ثان) يعني أن جملة ماذا خلقوا ساده مسد المفعول الثاني وقوله: بيان ما يقتضي أن ما وحدها اسم استفهام، وذا اسم موصول خبرها، وخلقوا صلة الموصول، وعبارة غيره بيان لماذا، وهذا يقتضي أن ماذا برمتها اسم استفهام مفعول لخلقوا وكل من الاحتمالين صحيح تأمل. قوله: (مشارك) لو فسّر الشرك بالشركة لكان أوضح، وفي السمين: والشرك المشاركة. قوله: (في خلق) ﴿السموات﴾ (مع الله) تخصيص الشرك بالسموات دون أن يعمم بالأرض أيضاً احترازاً عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: وبمعنى بل الاضرابية فهي مقدرة بهما فهي منقطعة، وفي زاده: أم منقطعة اضراب عن الاستفهام الأول إلى الاستفهام عن أن لهم مشاركة مع الله في خلق السموات والأرض، فإن الشرك بمعنى المشاركة اهـ.

قوله: ﴿ايتوني بكتاب﴾ هذا من جملة القول والأمر للتبكيت، والإشارة إلى نفي الدليل المنقول بعد الإشارة إلى نفي الدليل المعقول اهـ شهاب.

تنبيه: أبدل ورش والوسي الهمزة الثانية من ائتوني في الوصل ياء، وحققها الباقون، ومن المعلوم أن الأولى همزة وصل تسقط في الوصل، وأما الابتداء بها فجميع القراء أبدلوها ياء بعد الابتداء بهمزة الوصل مكسورة اهـ خطيب.

قوله: ﴿من قبل هذا﴾ صفة لكتاب، وقدر الشارح متعلقة خاصاً بقوله منزلة تبعاً لأبي البقاء، والأحسن تقديره كوناً مطلقاً أي كائن من قبل هذا اهـ من السمين.

قوله: (بقية) فالاثارة معناها البقية وهي مصدر بوزن فعالة بفتح الفاء، والمعنى مما يؤثر، ويروى من خبر الأولين أي ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم، وهذا على سبيل التنزل للعلم بكذب المدعي، وقوله: من علم صفة لأثارة اهـ شيخنا.

وفي المختار: وأثر الحديث ذكره عن غيره فهو آثر بالمد وبابه نصر، ومنه حديث مأثور ينقله خلف من سلف اهـ.

تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ في دعواكم ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهم الأصنام لا

وفي السمين: قوله: أو أثارة العامة على أثارة وهي مصدر على فعالة كالغواية والضلالة ومعناها البقية، وتستعمل في غير ذلك، وقيل: اشتقاقها من أثر كذا أي أسنده، وقيل: فيها غير ذلك، وقرأ علي، وابن عباس، وزيد بن علي، وعكرمة: في آخرين أثرة دون ألف وهي الواحدة، وتجمع على أثر كشجرة وشجر، وقرأ الكسائي: أثرة وإثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء، وقتادة والسلمي بالفتح والسكون، والمعنى بما يؤثر ويروى أي ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم، وهذا على سبيل التنزل للعلم بكذب المدعيِ اهـ.

وعبارة الخطيب: أو اثارة أي بقية من علم يؤثر على الأولين بصحة دعواكم في عبارة الأصنام أنها تقربكم إلى الله تعالى، وقال المبرد: أثارة ما يؤثر من علم كقولك: هذا الحديث يؤثر عن فلان، ومن هذا المعنى سميت الأخبار آثاراً، يقال: جاء في الأثر كذا. وقال الواحدي: وكلام أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال، الأول: الاثارة واشتقاقها من أثرت الشيء أثيره أثارة كأنها بقية تستخرج فتثار. والثاني: من الأثر الذي هو الرواية. والثالث: من الأثر. بمعنى العلامة. وقال الكلبي في تفسير الإثارة أي: بقية من عمل يؤثر عن الأولين أي: يسند إليهم، وقال مجاهد، وعكرمة، ومقاتل: رواية عن الأنبياء، قال الرازي: وههنا قول آخر أو اثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل، والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور. روي أنه ﷺ قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه خطه علم علمه»، فعلى هذا الوجه معنى الآية ائتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الأصنام، فإن صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وأقوالهم ودلائلهم، انتهت.

وفي القرطبي: وحكى مكي في تفسير قوله: كان نبي من الأنبياء يخط أنه كان يخط بإصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يزجر اهـ.

قوله: (بصحة دعواكم) متعلق بكل من كتاب وأثارة، وقوله: إنها تقربكم معمول لدعواكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن أضل﴾ الخ مبتدأ وخبر وقوله: من لا يستجيب له من نكرة موصوفة أو موصولة وهي مفعول بيدعو اهـ سمين.

قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ ظاهر الغاية الدالة على انتهاء ما قبلها بها أن بعدها تقع الاستجابة مع أنه ليس كذلك ويمكن أن يجاب بأن المراد بها التأييد كقوله تعالى: ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [صٓ: ٧٨] اهـ شهاب.

وقال في الانتصاف: في هذه الغاية نكتة وهي أنه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيّي بيوم القيامة، فأشعرت الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجه أبلغ وأتم وأوضح وضوحاً ألحقه بالبين الذي لا يتعرض لذكره، إذ هناك تتجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها اهـ من الكرخي.

يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ لأنهم جماد لا يعقلون ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ جاحدين ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي للقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ بين ظاهر ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في

قوله: (وهم الأصنام) وإنما عبر عنهم بمن في قوله: من لا يستجيب، وبضمير العقلاء في قوله: وهم الخ، وذلك لأن عابديها كانوا يصفونها بالتمييز جهلاً وغباوة، فالكلام على سبيل المجاراة معهم، وأيضاً فقد أسند إليها ما يسند لأولي العلم من الاستجابة والغفلة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ الضميران عائدان على من من قوله: من لا يستجيب له وهم الأصنام، وعبر عنهم بمن لمعاملتهم معاملة العقلاء، وراعي معنى من فجمع في قوله وهم بعدما راعى لفظها في قوله: يستجيب أي: ليس لهم عقل يفهمون به دعاء الكفار اهـ سمين.

قوله: (لأنهم جماد الخ) أشار بهذا إلى أن الغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿وكانوا بعبادتهم﴾ المصدر مضاف لمفعوله أي بكونهم معبودين كما أشار له بقوله أي: بعبادة عابديهم اهـ.

قوله: (جاحدين).أي: مكذبين بلسان الحال أو المقال. أي: يقولون إنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم، لأنها الآمرة لهم بالإشراك، والآية نظير ما تقدم في يونس ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ [يونس: ٢٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿للحق﴾ أي: لأجله في شأنه، والمراد به الآيات كما قاله القاضي كالكشاف، وإليه أشار في التقرير ووضعه موضع ضميرها، ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة، كما يؤخذ ذلك من تقديره وإيضاحه؛ أنه هنا أقام ظاهرين مقام مضمرين إذ الأصل قالوا لها أي للآيات، ولكنه أبرزهما ظاهرين لأجل الوصفين المذكورين اهـ كرخي.

قوله: ﴿لما جاءهم﴾ أي حين جاءهم من غير نظر وتأمل اهـ كرخي.

قوله: (ظاهر) أي: ظاهر بطلانه اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى بل وهمزة الإنكار) وبل للإضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع، لأن في تسميتهم سحراً اعترافاً بعجزهم عنه، والظاهر أن كون الافتراء على الله أشنع من السحر لا يحتاج إلى البيان، وإن كان كلاهما كفراً والهمزة للإنكار والتعجيب، فإن القرآن كلام معجز خارج عن قدرة البشر اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي تندفعون فيه من القدح في آياته، كفى به شهيداً بيني

القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ به فلم يعاجلكم بالعقوبة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعاً ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي أول مرسل، قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ﴾ في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أم ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي القرآن ولا

وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والإنكار وهو وعيد بجزاء إفاضتهم، وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم اهـ بيضاوي.

وقوله: تندفعون فهي. الاندفاع الخوض والشروع والسرعة وكذا الإفاضة اهـ زاده.

وعبارة الشهاب: قوله: تندفعون تفسير لتفيضون مستعار من فاض الماء وأفاضه إذا سال للآخذ في الشيء قولاً كان أو فعلاً كقوله: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ [البقرة: ١٩٨] وهو المراد من الاندفاع وقوله: من القدح أي: الطعن فيها بيان لما اهـ.

قوله: ﴿الرحيم﴾ (به) أي: بمن تاب، والصواب الرحيم بعباده ليصح الترتيب عليه بقوله: فلم يعاجلكم بالعقوبة اهـ قاري.

قوله: ﴿بدعاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه على حذف مضاف تقديره ذا بدع قاله أبو البقاء، وهذا على أن يكون البدع مصدراً. والثاني: أن البدع بنفسه صفة على ما فعل بمعنى بديع كالخف والخفيف، والبدع والبديع ما لم ير له مثل وهو من الابتداع وهو الاختراع، وقرأ عكرمة، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: بدعاً بفتح الدال جمع بدعة أي ما كنت ذا بدع، وقرأ أبو حيوة أيضاً ومجاهد بدعاً بفتح الباء وكسر الدال وهو وصف كحذر اهـ سمين.

قوله: ﴿وما أدري ما يفعل﴾ العامة على بنائه للمفعول، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي مبنياً للفاعل أي الله تعالى، والظاهر أن ما في قوله ما يفعل به استفهامية مرفوعة بالابتداء وما بعدها الخبر وهي معلقة لأدري عن العمل فتكون سادة مسد مفعوليها، وجوز الزمخشري أن تكون موصولة منصوبة يعني أنها متعدية لواحد أي لا أعرف الذي يفعله الله اهـ سمين.

وقد جرى الشارح على كونها استفهامية كما أشار بقوله أأخرج الخ.

قوله: (في الدنيا) أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة وأن مكذبه في النار اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم يريد يوم القيامة، ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعله به، فنزلت: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار، وقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله لقد بيَّن الله لك ما يفعل بك، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الفتح: ٢] الآية. ونزلت ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ [الأحزاب: ٤٧] قاله أنس، وابن عباس، وقتادة، والحسن، وعكرمة والضحاك اهـ.

أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ بين الإنذار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبد الله ابن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي عليه أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان،

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ الخ لما حكى عنهم أنهم قالوا في حق القرآن هذا سحر هذا مفترى قال له عليه السلام: قل أرأيتم اهـ زاده.

قوله: (أخبروني ماذا حالكم) أشار بهذا إلى أن مفعولي أرأيتم محذوفان للدلالة عليهما اهـ كرخي.

وفي السمين: قل أرأيتم مفعولاها محذوفان تقديره: أرأيتم حالكم إن كان كذا ألستم ظالمين، وجواب الشرط أيضاً محذوف تقديره: فقد ظلمتم، ولهذا أتى بفعل الشرط ماضياً، وقدره الزمخشري: ألستم ظالمين، وردَّ عليه الشيخ: بأنه لو كان كذلك لوجبت الفاء لأن الجملة الاستفهامية متى وقعت جواباً للشرط لزمت الفاء، ثم أن كانت أداة الاستفهام همزة تقدمت على الفاء نحو: إن تزرنا أفما نكرمك، وإن كانت غيرها تقدمت الفاء عليها: نحو إن تزرنا فهل ترى إلا خيراً. قلت: والزمخشري ذكر أمراً تقديره تقديرياً فسّر به المعنى لا الإعراب، وقال ابن عطية: وأرأيتم لفظ موضوع للسؤال والاستفهام لا يقتضي مفعولاً، وإلى هذا القول ذهب القرطبي: ويحتمل أن تكون الجملة من إن كان وما عملت فيه سادة مسد مفعوليها. قال الشيخ: وهذا خلاف ما قرره النحاة. قلت: قد تقدم ما قرره، وقيل: جواب الشرط قوله: فآمن واستكبرتم، وقيل: هو محذوف تقديره فمن المحق منا والمبطل، وقيل: فمن أضل اهـ سمين.

قوله: (جملة حالية) أي: بتقدير قد وبعضهم لا يقدرها اهـ سمين.

وإذا جعلت الجملة حالية جعلت الجمل الثلاث بعدها كذلك، وبعضهم جعل الأربعة معطوفات على فعل الشرط، فقول الشارح بما عطف عليه يعني من الجمل الأربعة فيه تلفيق حيث ذكر العطف بعدما ذكر الحالية، ويمكن أن يجاب عنه بأن مراده العطف اللغوي، ومراده بما عطف عليه ما ذكر بعده وإن كان على سبيل الحال فتأمل.

قوله: (هو عبد الله بن سلام) وقيل: الشاهد هو موسى وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله ﷺ اهـ بيضاوي.

قوله أيضاً: (وعبد الله بن سلام) فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية مستثناة من السورة كما ذكره الكواشي، وكونه إخباراً وقيل: الوقوع خلاف الظاهر، ولذا قيل: لم يذهب أحد إلى أن الآية مكية إذ فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث، لأن قوله: وشهد شاهد معطوف على الشرط الذي يصير به الماضي مستقبلاً فلا ضرر في شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء أنه لم يقل به أحد مع ذكره في شروح لا وجه له، إلا أن يراد من السلف المفسرين اهـ شهاب.

قوله: (أي عليه) أشار به إلى أن مثل صلة، والمعنى وشهد شاهد عليه أي: على أنه من عند الله، وقيل: ليس مثل صلة، وكيفية شهادته على نزول مثله أن يقول: أن مثله قد نزل على موسى فلا تنكروا

وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين؟ دلّ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ أي القائلون ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَمِن

نزوله على رجل مثله في كونه مصدقاً بالمعجزات، فإن التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على أصول الشرع كالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب، وإن اختلفا في بعض الفروع اهـ زاده.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي: قال كفار مكة للذين آمنوا أي: لأجلهم وفي حقهم: لو كان أي: ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين خيراً ما سبقونا إليه فإن معالي الأمور لا تنالها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماً منهم أن الرئاسة الدينية مما تنال بأسباب دنيوية كما قالوا: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية والإقبال على الآخرة بالكلية، وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها، ومن حرمها فما له من خلاق، وقيل: قاله بنو عامر وغطفان وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار، وقيل: قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية فلا بد حينئذ من الالتجاء إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة اهـ أبو السعود.

قوله: (أي في حقهم) أشار به إلى أن اللام بمعنى في كما في قوله لا يجليها اهـ كرخي.

وعبارة السمين: قوله: للذين آمنوا يجوز أن تكون لام العلة أي: لأجلهم، وأن تكون للتبليغ ولو جروا على مقتضى الخطاب لقالوا ما سبقتمونا ولكنهم التفتوا فقالوا: ما سبقونا إليه، والضميران في كان وإليه عائداه على القرآن أو على ما جاء به الرسول، أو على الرسول، وقوله: وإذ لم يهتدوا به العامل في إذ مقدر أي: ظهر عنادهم وتسبب عنه قوله فسيقولون ولا يعمل في إذ فسيقولون لتضاد الزمانين ولأجل الفاء أيضاً، انتهت.

وفي الكرخي: قوله: وإذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم لا لقوله فسيقولون فإنه للاستقبال وإذ للمضي، ويجوز أن يقال: إن إذ للتعليل لا للظرف، أو يقال: فسيقولون للاستمرار في الأزمنة الثلاثة، والسين لمجرد التأكيد، وأما الفاء فلا تمنع من العمل فيما قبلها نص عليه الرضي وغيره، والتسبب يجوز أن يكون عن كفرهم اهـ.

وفي أبي السعود: وإذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أي: وإذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا إفك قديم، كما قالوا أساطير الأولين، وقيل: المحذوف ظهر عنادهم وليس بذلك اهـ.

قوله: ﴿قديم﴾ أي: من قول الأقدمين، فهذا على حد قولهم: ﴿هو أساطير الأولين﴾ وفي الخطيب: قديم أي: أفكه غيره وعثر عليه وأتى به ونسبه إلى الله تعالى كما قالوا أساطير الأولين اهـ.

قوله: ﴿من قبله﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، وكتاب مبتدأ مؤخر، والجملة حالية أو مستأنفة، وقوله: حالان أي من كتاب موسى والعامل فيه هو العامل في ومن قبله وهو الاستقرار أي: وكتاب

قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به حالان ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في مصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾

موسى كائن من قبل القرآن في حال كونه إماماً اهـ سمين.

وأياً ما كان فهذا رد لقولهم هذا إفك قديم وإبطال له أي كيف يصح كونه إفكاً قديماً وقد سلموا كتاب موسى ورجعوا إلى حكمه، مع أن القرآن مصدق له ولغيره من الكتب السابقة بمطابقته لها مع اعجازه وهو جار على إرادة أن القائل اليهود أو مطلق الكفرة من الذين كفروا اهـ شهاب.

قوله: ﴿مصدق﴾ (للكتب قبله) لم يقل مصدق له أي لكتاب موسى تعميماً وإيذاناً بأنه مصدق للكتب السماوية كلها لاسيما نفسه لكونه معجزاً اهـ كرخي.

قوله: (حال من الضمير في مصدق) عبارة السمين: لساناً حال من الضمير في مصدق، ويجوز أن يكون حالاً من كتاب، والعامل التنبيه أو معنى الإشارة، وعربياً صفة للساناً وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالاً وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولاً به ناصبه مصدق، وعلى هذا تكون الإشارة إلى غير القرآن، لأن المراد باللسان العربي القرآن وهو خلاف الظاهر، وقيل: هو على حذف مضاف أي: مصدق ذا لسان عربي وهو النبي ﷺ، وقيل: هو على اسقاط حرف الجر أي: بلسان وهو ضعيف اهـ.

قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بمصدق اهـ سمين.

قوله: ﴿وبشرى للمحسنين﴾ أشار الشارح إلى أن وبشرى في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كما قدره، وهذا أحد الأوجه في الآية، والثاني: أنه معطوف على مصدق فهو في موضع رفع، والثالث: أنه في محل نصب معطوفاً على محل لينذر لأنه مفعول له قاله الزمخشري وتبعه أبو البقاء وتقديره: للإنذار والبشرى، ولما اختلفت العلة والمعلول توصل العامل إليه باللام اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أي: حيث جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في الأمور التي هي منتهى العمل اهـ بيضاوي.

وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلا خوف عليهم﴾ أي: من لحوق مكروه في الآخرة، ولا هم يحزنون على فوات محبوب في الدنيا اهـ بيضاوي.

والفاء زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع إن من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكأن اهـ سمين.

قوله: (حال) أي من الضمير المستكن في أصحاب اهـ كرخي.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ لما كان رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما، كما

وفي قراءة إحساناً أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر، ومثله حسناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي على مشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ

ورد، في الحديث حث الله عليه بقوله: ووصينا الخ اهـ خطيب.

وفي القرطبي: ووصينا الإنسان بوالديه حسناً بين اختلاف حال الإنسان مع أبويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما. أي: فلا يبعد مثل هذا في حق النبي ﷺ وقومه حتى يستجيب له البعض ويكفر البعض، فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض قاله القشيري وقتادة اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية إحساناً، وقوله: أي أمرناه الخ تفسير لكل من القراءتين، وقوله: فنصب الخ بيان لإعراب القراءتين على اللف والنشر المشوش اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: حسناً قرأ الكوفيون إحساناً، وباقي السبعة حسناً بضم الحاء وسكون السين، فالقراءة الأولى يكون إحساناً فيها منصوباً بفعل مقدر أي: وصيناه أن يحسن إليهما إحساناً. وقيل: بل هو مفعول به على تضمين وصينا معنى ألزمنا فيكون مفعولاً ثانياً، وقيل بل هو منصوب على المفعول له أي وصيناه بهما إحساناً منا إليهما، وقيل: هو منصوب على المصدر لأن معنى وصينا أحسنا فهو مصدر صريح، والمفعول الثاني هو المجرور بالباء، وأما حسناً فقيل فيه ما تقدم في إحساناً، وقرأ عيسى، والسلمي: حسناً بفتحهما، وقد تقدم معنى القراءتين في البقرة اهـ.

وفي القرطبي: قوله: حسناً قراءة العامة حسناً وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام، وقرأ ابن عباس. والكوفيون: إحساناً وحجتهم في الأنعام وبني إسرائيل: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ [البقرة: ٨٣] وكذا هو في مصاحف أهل الكوفة، وحجة القراءة الأولى قوله في العنكبوت: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف القبيح، والإحسان خلاف الإساءة والتوصية الأمر اهـ.

قوله: ﴿حملته أمه﴾ الخ تعليل للوصية المذكورة، واقتصر في التعليل على الأم لأن حقها أعظم، ولذلك كان لها ثلثا البر اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: وهذا أي قوله حملته أمه الخ بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها اهـ.

قوله: ﴿كرهاً﴾ بفح الكاف وضمها سبعيتان، وقوله: أي على مشقة أي في أثناء الحمل إذ لا مشقة في أوله اهـ خطيب.

وانتصاب كرهاً على الحال من الفاعل أي: ذات كره، أو على النعت لمصدر مقدر أي حملاً كرهاً اهـ سمين.

قوله: ﴿وحمله﴾ أي: مدة حمله، وقرأ العامة: وفصاله مصدر فاصل كأن الأم فاصلته وهو فاصلها، والجحدري والحسن، وقتادة: وفصله قيل: والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف والقطاف، ولو نصب ثلاثين على الظرف الواقع موقع الخبر جاز وهو الأصل، هذا إذا لم تقدر مضافاً فإن قدرته أي: مدة حمله لم يجز ذلك وتعين الرفع لتصادق الخبر والمخبر عنه اهـ سمين.

﴿شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو كمال قوّته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن

وفي القرطبي: وروي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق فكان حمله وفصاله في ثلاثين شهراً حملته أمه تسعة أشهر، وأرضعته إحدى وعشرين شهراً. وفي الكلام حذف أي: ومدة حمله ومدة فصالة ثلاثون شهراً، ولولا هذا الاضمار لنصب ثلاثين على الظرفية وتغير المعنى اهـ.

قوله: ﴿وفصاله﴾ (من الرضاع) في المختار: الفصال هو الفطام، فحينئذ يكون في الآية تجوز من حيث إن المراد بالفصال فيها الرضاع أي: مدته التي يعقبها الفطام فهو مجاز علاقته المجاورة، وقول الشارح: من الرضاع نظر فيه إلى معنى الفصال الأصلي الذي هو الفطام، وقد علمت أنه غير مراد في الآية اهـ شيخنا.

قوله: (إن حملت به ستة) أي: من الشهور، وكذا يقال فيما بعده، وقوله: أرضعته الباقي أي: من الثلاثين شهراً وهو أربعة وعشرون أو وأحد وعشرون اهـ شيخنا.

لكن المقرر في الفروع أن مدة الرضاع حولان مطلقاً تأمل.

قوله: (غاية لجملة مقدرة) أي: معطوفة على قوله أو مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أشده﴾ كل من أشده، وأربعين مفعولاً للبلوغ أي: بلغ وقت أشده وتمام أربعين سنة فحذف المضاف. قال أكثر المفسرين في تفسير الأشد: إنه ثلاث وثلاثون سنة، لأن هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدن الإنسان اهـ زاده.

قوله: ﴿قال رب﴾ (إلى آخره) آخره هو قوله: إني من المسلمين اهـ شيخنا.

قوله: (نزل) أي المذكور من قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ. وعبارة الخازن: نزلت هذه الآية اهـ.

وقوله: لما أي حين ظرف لنزل أي نزلت هذه الآية في شأن أبي بكر حين بلغ أربعين سنة من عمره، وقوله: بعد سنتين أي كان استكماله للأربعين بعد سنتين مضتا من مبعث النبي ﷺ، ومعلوم أن مبعثه وإرساله كان على تمام الأربعين، فأبو بكر أصغر منه بسنتين، فوقت أن بعث محمد كان عمر أبي بكر ثمانية وثلاثين سنة، وأسلم في ذلك الوقت فقوله: آمن به ليس متعلقاً بقوله بلغ أربعين سنة، بل هو مستأنف. وعبارة الخازن: والأصح أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد النبي ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال له الراهب: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال الراهب: هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي آخر الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر. فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته

أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وهو التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُواْ

واختصه برسالته فآمن به أبو بكر الصديق وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال: رب أوزعني الآية، انتهت.

قوله: (آمن به) أي: وعمره إذا ذاك ثمان وثلاثون سنة، وعمر النبي أربعون سنة. وقوله: ثم آمن أبواه أي: أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو، وقوله: (وابن عبد الرحمن أبو عتيق) واسمه محمد كلهم أدركوا النبي، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبي بكر اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأولاده وبناته كلهم إلاَّ أبو بكر، ووالده هو أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمه أم الخير واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد، وأم أبيه أبي قحافة قيلة بالياء المثناة من تحت، وامرأة أبي بكر الصديق اسمها قتيلة بالتاء المثناة من فوق بنت عبد العزى اهـ.

قوله: (ألهمني) من أوزعته بكذا أي: جعلته مولعاً به راغباً في تحصيله، فالمعنى رغبني ووفقني اهـ شهاب.

قوله: (فأعتق تسعة الخ) أي: فأجاب الله دعاءه فأعتق الخ أي: افتداهم واستخلصهم من أيدي الكفار المعاقبين لهم فهو عتق صوري بصورة شراء ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه اهـ خازن.

قوله: ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ أي: اجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم اهـ بيضاوي.

يعني كان الظاهر أصلح لي ذريتي، لأن الإصلاح متعد كما في قوله تعالى: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ [الأنبياء: ٩٠] فقيل: إنه عدي بفي لتضمنه معنى اللطف أو الطف بي في ذريتي أو هو نزل منزلة اللازم، ثم عدي بفي ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظرف له لتمكنه فيهم، وهذا ما أراده المصنف وهو الأحسن اهـ شهاب.

قوله: ﴿يتقبل عنهم﴾ قرأ الأخوان وحفص نتقبل بفتح النون مبنياً للفاعل ونصب أحسن على المفعول به، وكذلك ونتجاوز الباقون ببنائهما للمفعول ورفع أحسن لقيامه مقام الفاعل، ومكان النون ياء مضمومة في الفعلين، والحسن والأعمش وعيسى بالياء من تحت والفاعل الله تعالى اهـ سمين.

قوله: (بمعنى حسن) أي: فالقبول ليس قاصراً على أفضل وأحسن عباداتهم، بل يعم كل طاعاتهم أفضلها ومفضولها اهـ شيخنا.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ حال أي كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ١٦﴾ في قوله تعالى ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمَآ﴾ أتضجر منكما

والقبول هو الرضا بالعمل والإثابة عليه. قوله: (حال) أي: من الضمير المجرور بعن في قوله: يتقبل عنهم اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿في أصحاب الجنة﴾ فيه أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنه في محل الحال أي: كائنين في جملة أصحاب الجنة كقولك: أكرمني الأمير في أصحابه أي: في جملتهم. والثاني: أن في بمعنى مع. والثالث: أنها خبر مبتدأ مضمر أي: هم في أصحاب الجنة اهـ.

قوله: ﴿وعد الصدق﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر. أي: وعدهم الله وعد الصدق أي: وعداً صادقاً، وهو مؤكد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله: أولئك الذين يتقبل عنهم في معنى الوعد اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: وعد الصدق مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، لأن قوله: أولئك الذين يتقبل عنهم في معنى الوعد، فيكون قوله: يتقبل ويتجاوز وعداً من الله لهم بالتقبل والتجاوز، والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء، وذلك وعد من الله فبين أنه صدق لا شك فيه اهـ.

قوله: ﴿الذي كانوا يوعدون﴾ أي: في الدنيا على لسان الرسول ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿والذي قال لوالديه﴾ أي: عند دعائهما له إلى الإيمان، أف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له، كما في ﴿هيت لك﴾ [يوسف: ٢٣] والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولذا أخبره عنه بالمجموع قيل: هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث، وعن قتادة: هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه، وما روي من أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قبل إسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم﴾ فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم، وقد كذبت الصديقة من قال ذلك اهـ أبو السعود.

والذي قال مبتدأ خبره أولئك الذي حق عليهم القول اهـ بيضاوي.

ولما كان المبتدأ مفرداً لفظاً، والخبر جمعاً أشار إلى تصحيح المطابقة بقوله: أريد به الجنس أي: فهو متعدد معنى وهو كاف في صحة الأخبار، وقوله: وفي قراءة أي: سبعية بالإدغام أي: إدغام لام قال في لام الجر الكائنة في لوالديه اهـ شيخنا.

قوله: (بكسر الفاء) أي: مع التنوين وتركه، وقوله: وفتحها أي: من غير تنوين، فالقراءات ثلاث سبعية والهمزة في الكل مضمومة اهـ شخينا.

قوله: (بمعنى مصدر) عبارة السيوطي في سورة الإسراء مصدر، وكتب عليه الكرخي هناك وهو مصدر أف يؤف أفاً بمعنى تباً وقبحاً أو هو صوت يدل على تضجر، أو اسم الفعل الذي هو أتضجر اهـ.

فجعل فيه احتمالات ثلاثاً، مصدر، واسم صوت، واسم فعل، والشارح أشار لاثنين منها بقوله: بمعنى مصدر، وبقوله: أتضجر منكما، فنبه أولاً على أنه مصدر، وثانياً أنه اسم فعل، فكأنه قال:

﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ من القبر ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ ﴾ الأمم ﴿ مِن قَبْلِي ﴾ ولم تخرج من القبور ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ ﴾ يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع ﴿ وَيْلَكَ ﴾ أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿ ءَامِنْ ﴾ بالبعث ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ ﴾ أي القول بالبعث ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ أكاذيبهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ ﴾ وجب ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ بالعذاب ﴿ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ فدرجات

يصح أن يفسر بهذا وبذاك فليتأمل. قوله: (أي نتناً) النتن: القذارة والرائحة الكريهة، وفي المختار: ما يقتضي أن أف معناه يرجع إلى النتن والقذارة، ولذلك فسر به الشارح، لكن المراد أي كلام يؤذيهما فيه كسر لخاطرهما، وقوله: أتضجر منكما يشير به إلى أن اللام بمعنى من اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بإدغام أي: إدغام نون الرفع في نون الوقاية اهـ شيخنا.

قوله: (أن أخرج) هذا هو الموعود به ليصح تقدير الباء قبل أن وعدم تقديرها اهـ سمين.

قوله: ﴿وقد خلت القرون﴾ جملة حالية، وكذا وهما يستغيثان الله أي يسألان الله، واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالياء تارة أخرى، وإن كان ابن مالك زعم أنه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به. قلت: لكنه لم يرد في القرآن إلا متعدياً بنفسه ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ [الأنفال: ٩٠] ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ [القصص: ١٥] و ﴿إن يستغيثوا يغاثوا﴾ [الكهف: ٢٩] اهـ سمين.

قوله: ﴿هما يستغيثان الله﴾ حال من قوه لوالديه، وقوله: يسألانه الغوث أي: غوث ذلك الولد برجوعه إلى الإسلام، وعبارة أبي السعود: يسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان اهـ.

قوله: ﴿ويلك﴾ معمول لمقدر قدره بقوله: ويقولان. وذلك المقدر حال من الفاعل في يستغيثان أي: يستغيثان حال كونهما قائلين الخ ويلك الخ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ويلك منصوب على المصدر بفعل ملاق له في المعنى دون اشتقاق، ومثله ويحه وويسه وويبه، وإما على المفعول به بتقدير الزمك الله ويلك، وعلى كلا التقديرين فالجملة معمولة لقول مقدر أي: يقولان: ويلك آمن، والقول في محل نصب على الحال أي: يستغيثان الله قائلين ذلك اهـ.

قوله: ﴿آمن﴾ أي: اعترف وصدق فهو فعل أمر من الإيمان وهو من جملة مقولهما، وكذا إن وعد الله حق اهـ شيخنا.

وإن مكسورة استئنافاً وتعليلاً قاله السمين.

قوله: (أكاذيبهم) أي: التي سطورها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في أمم﴾ حال من المجرورة بعلى، وقوله: إنهم كانوا خاسرين تعليل اهـ أبو السعود.

قوله: (من جنسي المؤمن والكافر) أي المشار إلى أولهما بقوله: ووصينا الإنسان الخ، وإلى ثانيهما بقوله: والذي قال لوالديه الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿درجات﴾ متقضاه أن مراتب أهل النار يقال لها درجات بالجيم، والذي في الحديث أنها

المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي الله، وفي قراءة بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ شيئاً، ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن تكشف لهم يقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة، وبهمزتين، وبهمزة ومدة، وبهما، وتسهيل الثانية

دركات بالكاف: وأجيب بوجوه، أحدها: أن ذلك على جهة التغليب. ثانيها: أن المراد بالدرجات المراتب مطلقاً أي: سواء كانت إلى علو وهي مراتب أهل الجنة أو إلى سفل وهي مراتب أهل النار اهـ خطيب.

وكأن الجواب الثاني يرجع للأول اهـ.

قوله: ﴿مما عملوا﴾ أي: من أجل ما عملوا. قوله: ﴿وليوفيهم﴾ معلله محذوف تقديره وجازاهم بذلك ليوفيهم فيهم الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ إما استئناف وإما حال مؤكدة اهـ سمين.

قوله: ﴿ويوم يعرض﴾ يوم منصوب بقول مقدر أي: يقال لهم أذهبتم في يوم عرضهم، وجعل الزمخشري هذا مثل عرضت الناقة على الحوض فيكون قلباً، وردّه الشيخ بأن القلب ضرورة، وأيضاً العرض أمر نسبي يصح نسبته إلى الناقة وإلى الحوض، وقد تقدم الكلام في القلب وأن فيه ثلاثة مذاهب اهـ سمين.

قوله: (بأن تكشف لهم) أشار به إلى أن الكلام من قبيل القلب، وأن الأصل تعرض النار عليهم، فعلى هذا القول المذكور يقال لهم قبل دخولها عندما يعاينوها، وسيذكر تفسيراً ثانياً بقوله: ويعذبون فهو معطوف على يعرض الخ عطف تفسير وهو مبني على عدم القلب، وأن المراد أنهم يدخلونها، ويقال لهم: القول المذكور وهم فيها. وعبارة الخطيب: ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي يصلون لهبها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى، وقيل: تعرض عليهم النار ليروا أهوالها، انتهت.

وعبارة زاده: العرض يتعدى باللام وبعلى. يقال: عرضت له أمر كذا وعرضت عليه الشيء أي: أظهرته له قال تعالى: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ [الكهف: ١٠٠] قال الفراء: أي: أبرزناها حتى نظر الكفار إليها، فالمعروض عليه يجب أن يكون من أهل الشعور والنار ليست منه، فلا بد أن يحمل العرض على التعذيب مجازاً بطريق التعبير عن الشيء باسم ما يؤدي إليه كما يقال: عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به أو يكون باقياً على أصل معناه ويكون الكلام محمولاً على القلب، والأصل: ويوم تعرض النار على الذين كفروا أي: تظهر وتبرز عليهم، والنكتة في اعتبار القلب المبالغة بالدعاء أن النار ذات تمييز وقهر وغلبة اهـ.

وأيضاً عرض الشخص على النار أشد في أهانته من عرض النار عليه، إذ عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق اهـ كازروني.

قوله: (يقال لهم) هذا المقدر ناصب ليوم على الظرفية وناصب الجملة أذهبتم الخ على المفعولية لأنها مقول القول، وهذا القول يقال: لهم تقريعاً وتوبيخاً وتشنيعاً اهـ شيخنا.

﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾ به وتعذبون بها

قوله: ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أي: أصبتموها واستوفيتموها فقوله: واستمتعتم بها عطف تفسير، وقول الشارح: باشتغالكم الخ الباء فيه للتصوير، فالاذهاب هو الاشتغال، والطيبات هي المستلذات. وعبارة الخطيب: والمعنى أن ما قدم لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه في الدنيا، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظوظكم في الدنيا شيء في الآخرة، انتهت.

وفي القرطبي: ومعنى أذهبتم طيباتكم أي: تمتعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات يعني المعاصي، وقيل: أذهبتم طيباتكم أي أفنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي. قال ابن بحر: الطيبات الشباب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب أطيباه أي شبابه وقوته قال الماوردي: ووجدت الضحاك قاله أيضاً: قلت: القول الأول أظهر اهـ.

قوله: (بهمزة الخ) في كلامه أربع قراءات، فقوله: بهمزة أي: لما عدا ابن عامر، وابن كثير من السبعة، وقوله: وبهمزتين أي: محققين من غير إدخال ألف بينهما لابن ذكوان. روى ابن عامر: وقوله وبهمزة ومدة في هذه العبارة نقص وحقها بهمزتين محققتين ومدّ بينهما أي: ألف لهشام راوي ابن عامر، وقوله: وبهما أي: بالهمزة والمدة، وتسهيل الثانية في قوة قوله: وبهمزتين ثانيتهما مسهلة وإدخال ألف بينهما وهذه أيضاً لهشام، فقرأ هشام بالوجهين أي: تحقيق الثانية وتسهيلها مدخلاً بينهما ألفاً على الوجهين، وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضاً لم يذكرها الشارح وهي لابن كثير تسهيل الثانية من غير إدخال ألف اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: أذهبتم قرأ ابن كثير أذهبتم بهمزتين الأولى محققة والثانية مسهلة بين بين، ولم يدخل بينهما ألفاً وهذا على قاعدته في أأنذرتهم ونحوه، وابن عامر قرأ أيضاً بهمزتين، لكن اختلف راوياه عنه، فهشام سهل الثانية وحققها وأدخل ألفاً في الوجهين وليس على أصله فإنه من أهل التحقيق، وابن ذكوان بالتحقيق فقط دون إدخال ألف، والباقون بهمزة واحدة فيكون إما خبراً وإما استفهاماً سقطت أداته للدلالة عليها والاستفهام معناه التقريع والتوبيخ اهـ.

وحاصل الخمسة تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه فهذه أربعة، والخامسة الاقتصار على همزة واحدة تأمل.

قوله: (أي الهوان) أي: فهو من إضافة الموصوف لصفته اهـ شيخنا.

قوله: (به) متعلق بتستكبرون وتفسقون، وأشار بتقديره إلى أن ما موصولة وإن عائدها محذوف وغيره جعلها مصدرية وهو أحسن اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: تفسقون به أي: بسبب الاستكبار الباطل فما مصدرية، والحاصل أنه تعالى علل ذلك العذاب بأمرين، أحدهما: الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب. والثاني: الفسق وهو ذنب الجوارح، وقدم الأول على الثاني لأن أحوال القلب أعظم وقعاً من أعمال الجوارح، ويمكن أن يكون المراد من الاستكبار أنهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكبرون عن الإيمان بمحمد ﷺ، والمراد بالفسق المعاصي اهـ.

﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذۡ﴾ الخ بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ﴾ خوَّفهم ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾

قوله: (ويعذبون بها) معطوف على يعرض الذين كفروا على النار عطف تفسير كما ذكره القاري فهو تفسير آخر غير الذي قدمه، ولو ذكره هناك لكان أحسن، وسيقتصر على هذا التفسير في قوله الآتي: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واذكر أخا عاد﴾ هو هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام كان أخاهم في النسب لا في الدين إذ أنذر قومه بالأحقاف أي: اذكر لهؤلاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها، وقيل: أمره بأن يتذكر في نفسه قصة هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له، والأحقاف: ديار عاد وهي الرمال العظام في قول الخليل وغيره، وكانوا قهروا أهل الأرض بفضل قوتهم، والأحقاف: جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم وأعوج ولم يبلغ أن يكون جبلاً، والجمع حقاف وأحقاف وأحقوقف الرمل والهلال أي: أعوج، وقيل: الحقف جمع حقاف والأحقاف جمع الجمع، ويقال: حقف وأحقف، وفي المراد بالأحقاف هنا خلاف، فقال ابن زيد: هي رمال مشرفة على البحر مستطيلة كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالاً وشاهد ما ذكرناه، وقال قتادة: هي جبال مشرفة بالشحر والشحر قريب من عدن، وعنه أيضاً ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياء باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر، وقال مجاهد: هي أرض حسمى تسمى بالأحقاف، وقال ابن عباس، والضحاك: الأحقاف جبل بالشام، وعن ابن عباس أيضاً: هو واد بين عمان ومهرة، وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضر موت بموضع ياقل له مهرة، وإليه تنسب الإبل المهرية، فيقال: إبل مهرية ومهاري اهـ قرطبي.

وفي القاموس: الشجر كمنع فتح الفم وساحل البحر بين عمان وعدن ويكسر اهـ.

قوله: ﴿واذكر أخاً عاد﴾ الخ آخره هو قوله: ﴿حاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ [هود: ٨] وقوله: بدل اشتمال أي: لأن أخا عاد وهو هود يلابس وقت إنذاره وما وقع له معهم، فإذا ظرف للماضي بمعنى الوقت مضافة لما بعدها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالأحقاف﴾ ليس صلة لانذر كما قد يتوهم، بل هو حال من عاد أي: حال كونهم كائنين بالأحقاف أي: نازلين به أو صفة أي: أخا عاد الكائنين بالأحقاف: أي: الوادي المعلوم اهـ شيخنا.

وأما صلة أنذر فهي قوله الآتي: أن لا تعبدوا إلا الله كما سيأتي. قوله: (مضت الرسل) المضي بالنسبة لزمن محمد ﷺ، فهذا كلام مستقبل على سبيل الاعتراض كما قال الشارح، وحينئذ خوطب به محمد وأخبر به لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل السابقين عليه والمتأخرين عنه، فأنذروا أممهم كما أنذر هود أمته فصح قوله: من بين يديه ومن خلفه، وقوله: أي: من قبل هود الخ لف ونشر مرتب، فالذي قبله أربعة آدم وشيث وإدريس ونوح، والذي بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وكذا سائر أنبياء بني إسرائيل، فلا يحتاج إلى تكلف في قوله الشارح ومن بعده بأن يراد به من هم في زمانه كما قال بعضهم، لأنه لا يحتاج إليه إلا على إعراب جملة وقد خلت حالاً، والشارح جعلها اعتراضية فاستغنى عن التكلف اهـ شيخنا.

واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿أن﴾ أي بأن قال ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجملة وقد خلت معترضة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٢﴾ في أنه يأتينا ﴿قَالَ﴾ هود ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ

وعبارة الكرخي: قوله: أي من قبل هود ومن بعده أفاد به أن المراد من بين يديه من تقدمه ومن خلفه من في زمانه، ومعنى من خلفه أي: من بعد إنذاره وهو على تنزيل الآتي منزلة الماضي كما في قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ [الأعراف: ٤٨] لكن فيه شائبة الجمع بين الحقيقة والمجاز في خلت، ويجوز أن يقال ذلك باعتبار الثبوت في علم الله تعالى أي: وقد خلت النذر في علم الله تعالى أي: وتحقق في علمه خلو الماضين منهم والآتين اهـ.

قوله: (إلى أقوامهم) متعلق بمضت على سبيل التضمين أي: حال كونهم مرسلين إلى أقوامهم، وقوله: أي بأن قال أشار به إلى أن مصدرية أو مخففة من الثقيلة، وأن الباء مقدرة معها، وأن الباء للتصوير والتفسير أي: صورة إنذار أن قال لا تعبدوا الخ ولا ناهية، وقوله: معترضة أي: بين المفسر بفتح السين وهو إنذار والمفسر بكسرها وهو قوله: أن لا تعبدوا، والقصد بالاعتراض بها الإشارة إلى أن الإنذار لم يكن خاصاً بهود عليه السلام اهـ شيخنا.

وإنما كان هذا إنذاراً لأن النهي عن الشيء إنذار وتخويف من مضرته اهـ بيضاوي

فصح أن قوله أن لا تعبدوا مفسر للإنذار ومتعلق به اهـ شهاب.

قوله: ﴿إني أخاف﴾ تعليل لقوله أن لا تعبدوا. قوله: ﴿عظيم﴾ أي: هائل بسبب شرككم قاله القاضي، وفيه إشارة إلى أن عظيم مجاز عن هائل لأنه يلزم العظم، ويجوز أن يكون من قبيل الإسناد إلى الزمان مجازاً وأن يكون الجر على الجوار اهـ كرخي.

قوله ﴿قالوا أجئتنا﴾ الخ أي: قالوه جواباً لإنذاره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما العلم﴾ أي: علم وقت إتيان العذاب كما أشار له لقوله متى يأتيكم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: قال إنما العلم عند الله أي: لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به، وفيما ذكر إشارة إلى أن نفي العلم عن نفسه وإثباته لله تعالى على ما يدل عليه القصر كناية عن نفي مدخليته فيه واستقلال الله تعالى به بهذا يظهر مطابقة قوله: إنما العلم عند الله جواباً لقوله: فأتنا بما تعدنا فلا حاجة إلى ما ذكره الزمخشري، فإنه يجر إلى سد باب الدعاء اهـ.

قوله: ﴿وأبلغكم﴾ أي: وأما أنا فإنما وظيفتي التبليغ لا الإتيان بالعذاب إذ ليس من مقدرتي بل هو من مقدرات الله تعالى اهـ شيخنا.

أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ باستعجالكم العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي ممطر إيانا، قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من ما ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ مؤلم ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ

فائدة:

قرأ أبو عمرو: وأبلغكم بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام، وقرأ نافع، والبزي، وأبو عمرو بفتح الباء من لكني، والباقون بسكونها، وأمال الألف بعد الراء ورش بين بين وأمالها أبو عمرو، وحمزة، والكسائي محضة، والباقون بالفتح اهـ خطيب.

قوله: (أي ما هو العذاب) أشار به إلى ضمير رأوه عائد على ما في قوله: ما تعدنا، وأجاز الزمخشري أن يكون مبهماً وقد رفع أمره بقوله عارضاً تمييزاً كان أو حالاً قال: وهذا الوجه أعرب وأفصح أي: لما فيه البيان بعد الإبهام، والإيضاح بعد التعمية، وعدل الشيخ المصنف عنه بأن رد الضمير الذي يفسره ما بعده محصور في أبواب ليس هذا منها وهي رب ونعم وبئس، ولا أحد يقول أن الحال أو التمييز يفسران الضمير، وفي كلام الشيخ المصنف دفع لما قيل كيف يجوز عوده إلى ما في ما تعد، ولا يصح أن يقال فلما رأوا تعدنا عارضاً، وإيضاح ما ذكره أن المراد معنى ما تعدنا وهو العذاب اهـ كرخي.

قوله: (سحاباً عرض الخ) قال في المختار: العارض السحاب يعرض في الأفق ومنه قوله تعالى: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ اهـ.

قوله: ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أي: متوجهاً وسائراً إليها اهـ بيضاوي.

قوله: (أي ممطر إيانا) أي: يأتينا بالمطر وأشار بهذا إلى أن إضافة كل من مستقبل وممطر لفظية فلم تفده التعريف، ولذلك وقع المضاف نعتاً للنكرة وهي عارضاً وعارض اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: مستقبل أوديتهم صفة لعارضاً وإضافته غير محضة، فمن ثم ساغ أن يكون نعتاً للنكرة، وكذلك ممطرنا وقع نعتاً لعارض اهـ.

قوله: (قال تعالى) ﴿بل هو﴾ الخ جعل القائل هو الله تعالى، ويحتمل أنه هود عليه السلام بدليل القراءة الأخرى قال هود بل هو الخ كما في الكشاف وغيره، ويدل لهذا الوجه أن الخطاب فيما سبق بين هود وبينهم ولو قدر قال تعالى: بل هو ما استعجلتم به كما قدره الشيخ المصنف تبعاً لما قاله محيي السنة لانفك النظم، لكن يؤيد هذا القول فاء التعقيب في قوله: فاصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لأنه ليس ثمة قول، بل هو عبارة عن سرعة استئصالهم وحصول دمارهم من غير ريب، وعلى تقدير الزمخشري وغيره الفاء فصيحة أي: قال هود ذلك ثم أدركتهم الريح فأبادتهم، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، ولا ارتياب في أن ذلك القول أبلغ وأجرى على قوانين البلاغة وأنسب للفصاحة التنزيلية قاله القرطبي اهـ كرخي.

قوله: (بدل ما) أي: أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي ريح، وقوله: فيها عذاب أليم الجملة صفة ريح وكذا قوله تدمر، أن يكون استئنافاً بل هو أحسن اهـ كرخي.

شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ غيرهم ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة ﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا

قوله: (فأهلكت رجالهم الخ) قدر ليعطف عليه، وقوله فأصبحوا الخ فهو معطوف على هذا المقدر اهـ شيخنا.

روي أن هوداً لما أحس بالريح أعتزل بالمؤمنين في الحظيرة، وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقذفتهم في البحر اهـ بيضاوي.

وقوله: وجاءت الريح فرأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطيرهم الريح بين السماء والأض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم، وأمالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم ورمتهم في البحر اهـ زاده.

قوله: (وبقي هود ومن آمن معه) وكانوا أربعة آلاف. وفي الخازن: وقيل أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط عن نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطاً، فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة، والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة، وهذه معجزة عظيمة لهود عليه الصلاة والسلام اهـ.

قوله: ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم اهـ بيضاوي.

يعني أن الخطاب له ﷺ على الفرض والتقدير، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يصلح للخطاب اهـ شهاب.

وفي الخازن: والمعنى لا ترى إلا آثار مساكنهم، لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن معطلة اهـ.

قوله: ﴿لا ترى إلا مساكنهم﴾ قرأ حمزة، وعاصم لا يرى بضم الياء من تحت مبنياً للمفول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل، والباقون من السبعة بفتح تاء الخطاب مساكنهم بالنصب مفعولاً به، والجحدري والأعمش، وابن أبي إسحاق، والسلمي، وأبو رجاء بضم التاء من فوق مبنياً للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل اهـ سمين.

قوله: (كما جزيناهم) أي: عاداً.

قوله: ﴿ولقد مكناهم﴾ أي: مكنا عاداً وقوله: في الذي أشار به إلى أن ما موصولة فالمد فيها منفصل لأن إن كلمة أخرى اهـ شيخنا.

قوله: (نافية) أي: بمعنى ما النافية ولم يؤت بلفظ ما لئلا يجمع بين كلمتين بلفظ واحد، وقوله:

لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعاً ﴿وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ قلوباً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيئاً من الإغناء، ومن زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي العذاب ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي من أهلها، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن

وزائدة فيه شيء لأنها إذا كانت زائدة يكون المعنى مكناهم في مثل ما مكناكم فيه، فيلزم تفضيل تمكين قريش على تمكين عاد، لأن المشبه به أقوى في وجه الشبه غالباً، فالأحسن الوجه الأول، والمعنى عليه ولقد مكناهم في أمور عظيمة لم نمكنكم فيها، وهذا أبلغ في الإنذار والموعظة اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: فيما ان مكناكم فيه ما موصولة أو موصوفة، وفي أن ثلاثة أوجه، شرطية وجوابها محذوف والجملة الشرطية صلة ما، والتقدير في الذي إن مكناكم فيه طغيتم، والثاني: أنها مزيدة تشبيها للموصولة بما النافية والتوقيتية، والثالث: وهو الصحيح أنها نافية بمعنى مكناكم في الذي ما مكناكم فيه من القوة والبسطة، وسعة الأرزاق، ويدل له قوله في مواضع كانوا أشد منهم قوة وأمثاله، وإنما عدل عن لفظ ما النافية إلى كراهية لاجتماع متماثلي لفظ اهـ.

قوله: ﴿وجعلنا لهم سمعاً﴾ الخ وحد السمع لأنه لا يدرك به إلا الصوت وما يتبعه بخلاف البصر حيث يدرك به أشياء كثيرة بعضها بالواسطة، والفؤاد يعم إدراكه كل شيء اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأفئدة﴾ أي: ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿من شيء﴾ مفعول مطلق بزيادة من، فهو منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد، وأشار لهذا بقوله أي شيئاً من الاغناء اهـ شيخنا.

قوله: (معمولة لأغنى) الاولى لنفي أغنى، فإن المعلل هو النفي أي: انتفى نفع هذه الحواس عنهم لأنهم يجحدون الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وأشربت معنى التعليل) أشار في الكشاف إلى تحقيقه بأنه طرف أريد به التعليل كناية أو مجازاً لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قوله: ضربته لاساءته وضربته إذ أساء لأنك إنما ضربته في هذا الوقت لوجود الاساءة فيه، إلا أن إذ وحيث غلبتا ان دون سائر الظروف في ذلك حتى كاد يلحق بمعانيها الوضعية اهـ.

قوله: (ما حولكم) الخطاب لأهل مكة اهـ بيضاوي.

قوله: (الذين اتخذوا) الذين واقعة على الأصنام، فقوله: وهم الاصنام، تفسير لها، والواو في اتخذوا عائدة على عبدة الاصنام اهـ شيخنا.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿قُرۡبَانًا﴾ متقرباً بهم إلى الله ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ معه وهم الأصنام، ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقرباناً الثاني وآلهة بدل منه ﴿بَلۡ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنۡهُمۡۚ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يكذبون، وما مصدرية أو موصولة، والعائد محذوف أي فيه ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿إِذۡ صَرَفۡنَآ﴾ أملنا ﴿إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ جن نصيبين باليمن أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان

قوله: (ومفعول اتخذوا الخ) عبارة السمين: قوله: قرباناً آلهة فيه أوجه، أوجهها: أن المفعول الأول لاتخذوا محذوف هو عائد الموصول، وقرباناً نصب على الحال، وآلهة هو المفعول الثاني للاتخاذ، والتقدير: فهلا نصرهم الذين اتخذوهم متقرباً بهم آلهة. الثاني: أن المفعول الأول محذوف أيضاً كما تقدم تقديره، وقرباناً مفعول ثان، وآلهة بدل منه وإليه نحا ابن عطية والحوفي وأبو البقاء. الثالث: أن قرباناً مفعول من أجله وعزاه الشيخ للحوفي. قلت: وإليه ذهب أبو البقاء ايضاً، وعلى هذا فآلهة مفعول ثان، والأول محذوف كما تقدم اهـ.

قوله: ﴿بل ضلوا عنهم﴾ اضراب انتقالي عن نفي النصرة لما هو أخص منه إذ نفيها يصدق بحضورها عندهم بدون النصرة، فأفاد بالاضراب أنهم لم يحضروا بالكلية فضلاً عن أن ينصروهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إفكهم﴾ العامة على كسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأفك إفكاً أي: كذبهم، وابن عباس بالفتح وهو مصدر له أيضاً، وعكرمة والصباح بن العلاء أفكهم بثلاث فتحات فعلاً ماضياً أي: صرفهم وأبو عياض وعكرمة أيضاً كذلك إلا أنه بتشديد الفاء للتكثير، وابن عباس أيضاً آفكهم بالمد فعلاً ماضياً أيضاً، وهو محتمل لأن يكون بزنة فاعل فالهمزة أصلية، وأن يكون بزنة أفعل فالهمزة زائدة، والثانية بدل من همزة، وابن عباس أيضاً آفكهم بالمد وكسر الفاء ورفع الكاف جعله اسم فاعل بمعنى صارفهم، وقرىء أفكهم بفتحتين ورفع الكاف على أنه مصدر لافك أيضاً فيكون له ثلاثة مصادر: الإفك والأفك بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الفاء، والأفك بفتح الهمزة والفاء وزاد أبو البقاء أنه قرىء آفكهم بالمد وفتح الفاء ورفع الكاف قال: بمعنى أكذبهم فجعله أفعل تفضيل اهـ سمين.

قوله: (مصدرية) أي: وافتراؤهم، وهذا الاحتمال هو الأحسن ليعطف مصدر على مثله، وقوله: أي فيه فحذف الجار أولاً ثم اتصل الضمير ثم حذف فهو من حذف المنصوب، ولو قال أي يفترونه لكان أوضح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ الخ عبارة المواهب: ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهراً يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ولما انصرف علية الصلاة والسلام عن أهل الطائف راجعاً إلى مكة نزل نخلة، وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين، وكان عليه الصلاة والسلام قد قام في جواف الليل ليصلي الخ اهـ.

ﷺ ببطن نخل يصلي بأصحابه الفجر رواه الشيخان ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا﴾ أي قال

قوله: (أملنا) ﴿إليك﴾ الخ عبارة أبي السعود أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك، انتهت.

قوله: ﴿نفراً﴾ في المختار: النفر بفتحتين عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة، وكذا النفير والنفر والنفرة بسكون الفاء فيهما اهـ.

قوله(جن نصيبين) هي قرية من اليمن، وجنها أشرف الجن وساداتهم، وقوله: أو جن نينوى بنون مكسورة بعدها ياء ساكنة، وبعد الياء نون مضمومة، وبعدها واو بعدها ألف مقصورة وهي قرية يونس عليه السلام قرب الموصل اهـ شيخنا

وفي بعض حواشي المواهب: أنه بفتح النون الثانية وضمها اهـ.

قوله: (من اليمن) هذا أحد قولين، والذي في شرح المواهب أنها بالجزيرة وهي بين الشام والعراق اهـ.

قوله: (وكانو سبعة الخ) وكان منهم زوبعة اهـ خطيب.

قوله: (وكان ﷺ ببطن نخل) فيه تسمح: لأن هذا المكان الذي هو على ليلة من مكة في طريق الطائف يقال له نخلة، ويقال له بطن نخلة وأما بطن نخل فهو المكان الذي صلى فيه ﷺ الصلاة المشهورة في صلاة الخوف، وهو على مرحلتين من المدينة، وقوله: بأصحابه فيه شيء أيضاً إذ لم يثبت أنه كان معه في تلك القصة إلا زيد بن حارثة، وقوله: الفجر فيه تسمح أيضاً لأن هذه الواقعة كانت قبل الصلوات، ولذلك حمل بعضهم الصلاة على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل فرض الخمس، وفي رواية: أنه كان يصلي في جوف الليل، وقوله: يستمعون القرآن قيل: كان يقرأ سورة الجن، وقيل: سورة الرحمن، وقيل: سورة اقرأ، واعترض البرهان القول بأنه كان يقرأ سورة الجن بما في الصحيح من أنها إنما نزلت بعد استماعهم، وجوابه أن الذي في الصحيح كان من المرة الأولى عند البعث كما هو صريحه. وهذه بعده بمدة فلا يعترض به، ويجمع بين هذه الأقوال بأنه قرأ اقرأ في الأولى. والرحمن في الثانية، والجن في الثالثة اهـ من المواهب وشروحه.

تنبيه: ذكروا في سبب هذه الواقعة قولين، أحدهما: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما رجموا من السماء حين بعث النبي قالوا: ما هذا إلا لشيء أحدث في الأرض، فذهبوا فيها يطلبون، وكان قد اتفق أن النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف راجعاً إلى مكة فقام ببطن نخلة يقرأ فمرَّ به نفر من جن نصيبين كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب، فسمعوا القرآن فعرفوا ذلك هو السبب، والقول الثاني أن الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفراً منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم، وذلك لأن الجن مكلفون لهم الثواب وعليهم العقاب، ويدخلون الجنة ويأكلون فيها ويشربون كالإنس، فانتهض النبي ﷺ ذات ليلة وقال: «إني أمرت أن أقرأ على الجنة الليلة القرآن، فأيكم يتبعني» فأطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود. قال عبد الله بن مسعود: ولم يحضر معه أحد غيري قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي شعباً يقال

بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُوا۟﴾ اصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا۟﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم

له شعب الحجون وخط لي خطاً، وأمرني أن أجلس فيه، وقال لي: «لا تخرج حتى أعود إليك»، فانطلق حتى وصل إليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه لم أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففزع النبي منهم مع الفجر فانطلق إلي فقال لي: «قد نمت؟» فقلت: لا والله ولكني هممت أن آتي إليك لخوفي عليك، فقال ﷺ لي: «لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك جن نصيبين» فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً فقال: «إن الجن اختصموا في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليَّ فقضيت بينهم بالحق، وكانت عدة هؤلاء الجن اثني عشر ألفاً» وروي عن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه، فقال النبي ﷺ: «إنها لمشية جني» ثم أتى فسلم على النبي، فقال النبي ﷺ: «إنها لنغمة جني»، فقال الشيخ: أجل يا رسول الله، فقال له النبي: من أي الجن أنت؟ قال: يا رسول الله إني هام بن هيم بن لاتيس بن إبليس، فقال له النبي: «لا أرى بينك وبين إبليس إلا أبوين» قال: أجل يا رسول الله فقال له النبي: «كم أتى عليك من العمر؟» قال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أشرف على الآكام واصطاد الهام وأورش بين الأنام، فقال النبي ﷺ: بئس العمل، فقال رسول الله: دعني من العتب فاني ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني، وقال: والله إني لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت هوداً فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني، وقال: والله إني لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت إبراهيم وآمنت به، وكنت بينه وبين الأرض إذ رمي في المنجنيق وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب فسبقته إلى قعره، ولقيت موسى بن عمران بالمكان الأثير، وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال لي: إن لقيت محمداً فاقرأ عليه السلام. قال أنس: فقال النبي عليه السلام: «وعليك السلام يا هام ما حاجتك؟» قال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الإنجيل فعلمني القرآن. قال: أنس: فعلمه النبي ﷺ سورة الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الاخلاص والمعوذتين اهـ من الخطيب والخازن.

قوله: ﴿يستمعون القرآن﴾ صفة أيضاً لنفراً أو حال لتخصصه بالقصة إن قلنا: إن من الجن صفة له وراعى معنى النفر فأعاد عليه الضمير جمعاً ولو راعى لفظه فقال يستمع لجاز اهـ سمين.

قوله: ﴿فلما حضروه﴾ يجوز أن تكون الهاء للقرآن وهو الظاهر، وأن تكون للرسول عليه السلام، وحينئذ يكون في الكلام التفات من قوله إليك إلى الغيبة في قوله حضروه اهـ سمين.

قوله: (اصغوا) بهمزة مكسورة وفتح الغين أو بهمزة مفتوحة وضم الغين اهـ شيخنا.

وفي المختار: صغى مال وبابه عدا وسما ورمى وصدى وصغياً أيضاً. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] قوله تعالى: ﴿ولتصغي إليه أفئدة الذي لا يؤمنون بالآخرة﴾ [الأنعام: ١١٣] وأصغى أليه مال بسمعه نحوه، وأصغى الإناء أماله اهـ.

قوله: ﴿فلما قضى﴾ العامة على بنائه للمفعول أي: فرغ من قراءة القرآن، وهو يؤيد عود الهاء

﴿مُنذِرِينَ ۝٢٩﴾ مخوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً وقد أسلموا ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾ أي طريقه ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي بعضها، لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ مؤلم ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾ لمن لا يجب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ بيِّن ظاهر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، أي منكرو

في حضروه على القرآن، وأبو مجلز، وأبو حبيب بن عبد الله قضى مبنياً للفاعل أي: أتم الرسول قراءته وهي تؤيد عودها على الرسول عليه السلام اهـ سمين.

قوله: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أي: بأمر رسول الله ﷺ فجعلهم رسلاً إلى قومهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿منذرين﴾ حال. قوله: (وكانوا يهودا وقد أسلموا) أي: الرسل في هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذروهم سبعون اهـ خطيب.

فالجن لهم ملل مثل الانس، ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفي مسلميهم مبتدعة، ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع. وروي أنهم ثلاثة أصناف، صنف لهم أجنحة يطيرون بها، وصنف على صورة الحياة والكلاب، وصنف يحلون ويظعنون. واختلف العلماء في مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة، وحكي عن الليث: نجاتهم من النار يقال لهم كانوا تراباً مثل البهائم، وقال آخرون: لهم الثواب على الاحسان كما عليهم العقاب على الإساءة، وهذا هو الصحيح وعليه ابن عباس والائمة الثلاثة فيدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وقال عمر بن عبد العزيز: إنهم حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها اهـ خازن.

قوله: (كالتوراة) والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وغيرها اهـ خطيب.

قوله: (أي طريقه) لعل المراد بالإسلام اللغوي أي الاستسلام والانقياد، والمرد بطريقة الأعمال كالصلاة والصوم. وفي البيضاوي: إلى العقائد وإلى طريق مستقيم أي: الشرائع الفرعية اهـ.

قوله: ﴿يغفر لكم﴾ جواب الأمر. قوله: (لأن منها المظالم) أي: مظالم العباد غير الحربيين، فهي كحقوق الله تغفر بمجرد الإسلام من المظالم ولا تتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربي اهـ شيخنا.

قوله: (إلا برضا أصحابها) في نسخة أربابها.

قوله: ﴿ومن لا يجب﴾ من شرطية. قوله: ﴿اولياء أولئك﴾ قد اجتمع ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس لها نظير في القرآن أي: وجود لهما في محل منه غير هذا اهـ خطيب.

قوله: ﴿أولئك﴾ الخ هذا آخر كلام الجن الذين سعوا القرآن، وأما قوله: أو لم يروا الخ فهو من كلام الله توبيخ لمنكري البعث اهـ شيخنا.

البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه ﴿بِقَادِرٍ﴾ خبر أن، وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، ومن للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ ولا

قوله: ﴿ولم يعى﴾ مجزوم بحذف الألف، وقوله: لم يعجز الأظهر لم يتعب ولم ينصب كما ذكره غيره اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد اهـ.

فعدم العي والتعب مجاز عن عدم الانقطاع والنقص اهـ شهاب.

قوله: (وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال إنها لا تزاد إلا في النفي وأن للاثبات وخبرها مثبت ومحصل الجواب أنها في خبر ليس تأويلاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بلى﴾ جواب للنفي بابطاله فهي تبطل النفي، وتقرر نقيضة بخلاف نعم فإنها تقرر النفي نفسه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه على كل شيء قدير﴾ تعليل لما أفادته بلى من تعليل الخاص بالعام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا﴾ الخ لما أثبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الأهوال، فقال: ويوم يعرض الخ اهـ خطيب.

قوله: (يقال لهم الخ) هذا المقدر هو الناصب اليوم على الظرفية وهو مستأنف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وربنا﴾ الواو للقسم، واكدوا جوابهم به كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقية ما هم فيه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كفركم اهـ.

قوله: ﴿فاصبر﴾ الخ لما قرر تعالى المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد، وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه، وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه فقال فاصبر الخ. قال القشيري: الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه اهـ خطيب.

وقوله: فاصبر جواب شرط مقدر أي إذا كان عاقبة أمر الكفار ما ذكر فاصبر على أذاهم وهذا تسلية له ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: (فكلهم ذوو عزم) أي: صبر على الشدائد، وعبارة الخازن: قال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال وعقل اهـ.

وقوله: وقيل للتبعيض أي: إن أولي العزم بعض مطلق الرسل، بالبعض ما عدا آدم ويونس بدليل قوله فليس منهم آدم الخ اهـ شيخنا.

. . . .

والذي في كلامه أشار إلى قولين في تفسير أولي العزم وبقي أقوال أخر تعلم من القرطبي ونصه: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. قال ابن عباس: ذوو العزم والصبر، قال مجاهد: وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وهم أصحاب الشرائع، وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ [الأحزاب: ٧] وفي قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾ [الشورى: ١٣] الآية. وقال أبو العالية: إن أولي العزم نوحاً وهود وإبراهيم فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعهم، وقال السدي: هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء، وقال مقاتل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه مدة، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر، وقال ابن جريج: إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم، وقال الشعبي، والكلبي، ومجاهد ايضاً الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاثرة وجاهدوا الكفرة، وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط واختاره الحسين بن الفضل لقوله في الآية عقبه ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] ثم قال ابن عباس ايضاً: كل الرسل أولو العزم، واختاره علي بن مهدي الطبري قال: وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما تقول: اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز أي: اصبر كما صبر الرسل، وقيل: كل الأنبياء أولو عزم إلا يونس بن متى، ألا ترى أن النبي ﷺ نهى عن أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى مغاضباً لقومه فابتلاه الله بثلاث، سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكله، وسلط عليه الحوت فابتلعه قاله أبو القاسم الحكيم. وقال بعض العلماء: أولو العزم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء إني مرسل عذابي إلى عصاة بني إسرائيل فشق ذلك على المرسلين، فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم نجيتم وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي الله بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل، وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشر، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من أحرق بالنار والله أعلم. وقال الحسن: أولو العزم أربعة إبراهيم وموسى وداود وعيسى فأما إبراهيم فقيل له: أسلم قال: أسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقاً وافياً في جميع ما ابتلي به وأما موسى فعزمه حين قال له قومه: ﴿إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ وأما داود فأخطأ خطيئة فنبه عليها فأقام يبكي أربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها، وأما عيسى فعزمه أنه لم يضع لبنه على لبنة

يونس لقوله تعالى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أي لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي الكافرون.

وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها، فكأن الله تعالى يقول لرسول الله ﷺ: اصبر إن كنت صادقاً فيما ابتليت به مثل صبر إبراهيم، واثقاً بنفس مولاك مثل موسى، مهتماً بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهداً في الدنيا مثل زهد عيسى. ثم قيل: في منسوخة بآية السيف محكمة والأظهر أنها منسوخة لأن السورة مكية، وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد فأمره الله أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل تسهيلاً عليه وتثبيتاً والله أعلم اهـ بحروفه.

قوله: (ولم نجد له عزماً) أي صبراً. قوله: (كصاحب الحوت) أي: في القلق والاستعجال. قوله: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أي: لأجلهم فاللام للتعليل والمفعول محذوف كما قدره اهـ شيخنا.

قوله: (قيل كأنه ضجر الخ) كذا في كثير من النسخ بلفظ كأنه وصوابه حذفها كما عبر غيره، فقال: قيل أنه ضجر الخ.

قوله: (فإنه نازل بهم) أي: ولو في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿يوم يرون﴾ ظرف معمول للنفي المفاد بلم. قوله: (لطوله) تعليل لقوله: لم يلبثوا مقدم عليه، وقوله: ولم يلبثوا خبر كأن. قوله: ﴿بلاغ﴾ العامة على رفعه وفيه جهان، أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف فقدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله: إلا ساعة من نهار، وقيل: تقديره هذا أي القرآن والشرع بلاغ. والثاني: أنه مبتدأ والخبر قوله لهم الواقع بعد قوله: ولا تستعجل أي: لهم بلاغ فيوقف على ولا تستعجل وهو ضعيف جداً للفصل بالجملة التشبيهية، ولأن الظاهر تعليق لهم بالاستعجال. وقرأ زيد بن علي، والحسن وعيسى بلاغاً نصباً على المصدر أي بلغ بلاغاً، ويؤيده قراءة أبي مجلز بلغ أمراً، وقرىء أيضاً بلغ فعلاً ماضياً، ويؤخذ من كلام مكي أنه يجوز نصبه نعتاً لساعة، فإنه قال: ولو قرىء بلاغاً بالنصب على المصدر أو على النعت لساعة جاز، قلت: قد قرىء به وكأنه لم يطلع على ذلك، وقرأ الحسن أيضاً بلاغ بالجر، وخرج على أنه وصف لنهار على حذف مضاف أي من نهار وذوي بلاغ أو وصف الزمان بالبلاغ مبالغة اهـ سمين.

قوله: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ هذا تطميع في صفة فضل الله. قال الزجاج: لا يهلك مع فضل الله ورحمته إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية اهـ خطيب.

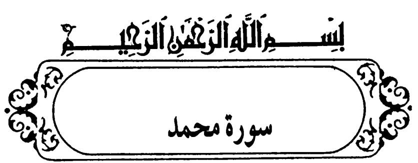
والعامة على بناء يهلك للمفعول، وابن محيصن يهلك بفتح الياء وكسر اللام مبنياً للفاعل، وعنه

. . . .

أيضاً فتح اللام وهي لغة والماضي هلك بالكسر. قال ابن جني: وهي مرغوب عنها، وزيد بن ثابت بضم الياء وكسر اللام والفاعل الله تعالى: القوم الفاسقين نصباً على المفعول به ونهلك بالنون ونصب القوم اهـ سمين.

خاتمة:

قال ابن عباس: إذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحفة ثم تغسل وتسقى منها وهي: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ الآية صدق الله العظيم والله أعلم اهـ قرطبي.



مدنية إلا ﴿وكأين من قرية﴾ الآية . أو مكية . وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا۟﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى: سورة محمد، وسورة الذين كفروا اهـ خطيب.

قوله: (مدنية) قال ابن عباس: هذه السورة مدنية إلا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً على فراقه وهي: ﴿وكأين من قرية﴾ [محمد: ١٣ والطلاق: ٨] الآية اهـ أبو حيان.

وهو مبني على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو في مكة، فعليه تكون هذه الآية مدنية اهـ شيخنا.

وهذا كله مبني على هذا النقل الذي نقله أبو حيان هنا، ونقله القرطبي أيضاً هنا، وهو أنها نزلت لما خرج من مكة بعد حجة الوداع، والذي نقله الخازن والخطيب وغيرهما بل والقرطبي أيضاً فيما سيأتي عند تفسير هذه الآية أنها نزلت بما خرج من مكة إلى الغار مهاجراً، والنقل الثاني هو الصحيح لأنه هو الذي يناسبه التوعد بقوله: وكأين قرية الخ، وأما على النقل الأول فلا يظهر هذا الوعيد لأنه في حجة الوداع فارقها مختاراً بعدما صارت دار إسلام، وأسلم جميع أهلها وبدىء فتحها في السنة الثامنة فليتأمل.

قوله: (أو مكية) كان هذا القول ينظر لأغلبها وأعظمها، وإلاَّ فقوله تعالى يما يأتي: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ [محمد: ٢٠] إلى آخر السورة إنما يظهر كونه مدنياً، لأن القتال لم يشرع إلا بها، وكذلك النفاق لم يظهر إلا فيها فتأمل. قوله: (وهي ثمان أو تسع الخ) وقيل: هي أربعون آية، والخلاف في قوله: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ [محمد: ٤] وقوله: ﴿لذة للشاربين﴾ [الصافات: ٤٦ ومحمد: ١٥] اهـ شهاب.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ مبتدأ، وقوله: أضل أعمالهم خبره: قال بعضهم. أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الأحقاف المتقدمة كأن قائلاً قال: كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال بر صالحة كإطعام الطعام ونحوه من الأعمال، والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال حبة من خير، فاخبر بأن

﴿أَعْمَالَهُمْ ۝١﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ أي حالهم فلا يعصونه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٣﴾

الفاسقين الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله. أضل أعمالهم يعني أبطلها لأنها لم تكن لله ولا بأمره، إنما فعلوه من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك، ولهذا السبب أبطلها الله تعالى اهـ خازن.

قوله: (ويجزون بها) أي: عليها في الدنيا كأن يعوضوا عنها زيادة مال أو ولد أو غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما نزل على محمد﴾ العامة على بناء نزل للمفعول مشدداً وزيد بن علي، وابن مقسم نزل مبنياً للفاعل وهو الله والأعمش أنزل بهمزة التعدية مبنياً للمفعول، وقرىء نزل ثلاثياً مبنياً للفاعل اهـ سمين.

قوله: (أي القرآن) أشار به إلى أن العطف من عطف الخاص على العام، وفي البيضاوي: وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه، وأنه الأصل فيه، ولذلك أكده بقوله: وهو الحق من ربهم الخ اهـ.

وقوله تخصيص للمنزل عليه يعني: أنه من عطف الخاص على العام المقدر بناء على أن قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ معناه آمنوا بجميع ما يجب الإيمان به بناء على حذف المفعول للتعميم مع الاختصار، ولا شك أن الإيمان بالقرآن المنزل على محمد ﷺ من جملة أفراد ما يجب الإيمان به اهـ زاده.

قوله: ﴿وهو الحق﴾ جملة اعتراضية وحقيقته بكونه ناسخاً لا ينسخ اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وأصلح بالهم﴾ قال مجاهد وغيره: أي: شأنهم وقال قتادة حالهم، وقال ابن عباس. أمورهم والثلاثة متقاربة، وحكى النقاش: أن المعنى أصلح نياتهم والبال كالمصدر ولا يعرف منه فعل، ولا تجمعه العرب إلا في ضرورة الشعر، وقد يكون البال بمعنى القلب يقال: ما يخطر فلان على بالي أي: على قلبي، وقال الجوهري: والبال أيضاً رخاء العيش يقال: فلان رخي البال أي: رخي العيش، والبال: الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي اهـ قرطبي.

والتبالة بالتاء القارورة والجراب ووعاء الطيب وموضع بالحجاز اهـ قاموس.

وفي البيضاوي: وأصلح بالهم أي: حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ وقوله: بأن الذين الخ خبر. قوله: (الشيطان) وقيل: الباطل الكفر والحق الإيمان التوحيد اهـ قرطبي.

قوله: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ الضمير راجع للفريقين كما أشار له بقوله كالكافر الخ اهـ شيخنا.

يبين أحوالهم، أي فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغفر زلله ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدُّوا ﴿ٱلْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله،

وفي السمين: قوله: كذلك يضرب الله الخ خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم، والضمير راجع إلى الفريقين أو إلى الناس على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا اهـ.

قوله: (أي مثل ذلك البيان) أشار به إلى جواب كيف قال تعالى: كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ولم يسبق ضرب مثل، ومعنى ضرب المثل استعمال القول السائر المشبه مضربه بمورده وأين ذلك ههنا، وإيضاحه: أن معناه كذلك يبين الله للناس أحوال الكافرين بإحباط أعمالهم لكفرهم وغفر ذنوب المؤمنين لإيمانهم الناشىء عنه التوبة وقبول الأعمال اهـ كرخي.

وعبارة زاده: قوله: يبين أحوالهم إشارة إلى أن المراد بالمثل ههنا الحالة العجيبة تشبيهاً لها بالقول السائر الذي شبه مضربه بمورده في الغرابة المؤدية إلى التعجب، والمشار إليه بقوله: كذلك هو معنى ما ذكر من أول السورة إلى قوله: وأصلح بالهم اهـ.

قوله: ﴿فإذا لقيتم﴾ الخ العامل في هذا الظرف فعل مقدر هو العامل في ضرب الرقاب تقديره: فاضربوا الرقاب وقت ملاقاتكم العدو، ومنع أبو البقاء أن يكون المصدر نفسه عاملاً قال: لأنه مؤكد، وهذا أحد القولين في المصدر النائب عن الفعل نحو: ضرباً زيداً هل العلم منسوب إليه أو إلى عامله اهـ سمين.

والفاء لترتيب ما في حيزها من الأمر على ما قبلها، فإن ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يترتب على كل من الجانبين ما يليق من الأحكام أي: فإذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتم في المحاربة الخ اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: ولما بين أن الذين كفروا أضل أعمالهم وإن اعتبار الإنسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج إعدامه خير من وجوه تسبب عنه قوله: فإذا لقيتم الخ، انتهت.

قوله: ﴿فضرب الرقاب﴾ الخ أشار به إلى أن ضرب مصدر نائب عن فعل الأمر، إذ أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه مضافاً إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، وضرب الرقاب عبارة عن القتل مطلقاً لا أن الواجب ضرب الرقبة خاصة، لأن هذا لا يكاد يتأتى حالة الحرب، وإنما يتأتى القتل في أي موضع كان من الأعضاء وهو الأكثر والغالب اهـ كرخي.

قوله: (بدل من اللفظ) أي: التلفظ بفعله. قوله: (أي اقتلوهم) أي: بأي طريق أمكنكم اهـ.

قوله: ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ حتى حرف ابتداء أي: حرف تبتدأ بعده الجمل فهي بمعنى فاء

. . . .

السببية أي: فإذا ترتب على قتالهم كثرة القتل فيهم فأسروهم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أثخن في الأرض إثخاناً سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً، وأثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته اهـ.

وفيه أيضاً: والوثاق القيد والحبل ونحوه بفتح الواو وكسرها، والجمع وثق مثل رباط وربط وعناق وعنق اهـ.

وفي القاموس: والأسير الأخيذ والمقيد والمسجون والجمع أسرى وأسارى بالضم وأسارى بالفتح اهـ.

وفي المختار: وأسرت قتب البعير شددته بالإسار بوزن الإزار، ومنه سمي الأسير وكانوا يشدونه بالقد فسمي كل أخيذ أسيراً، وإن لم يشد به، وأسره من باب ضرب أسراً وإساراً أيضاً بالكسر فهو أسير ومأسور اهـ.

وفيه أيضاً: والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ اهـ.

قوله: (أي فأمسكوا الخ) أشار إلى أن في الكلام تقدير جملتين وقوله: عنهم في نسخة عنه أي: عن القتل وقوله: ما يوثق به أي: من حبل وغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإمّا مناً بعد وإما فداء﴾ فيها وجهان، أشهرهما: أنهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز إظهاره، لأن المصدر متى سيق تفصيلاً لعاقبة جملة وجب نصبه بإضمار فعل، والتقدير فإما أن نمنوا مناً، وإما أن تفادوا فداء. والثاني: قاله أبو البقاء أنهما مفعولان بهما لعامل مقدر تقديره: أولوهم مناً واقبلوا منهم فداء. قال الشيخ: وليس بإعراب نحوي اهـ سمين.

قوله: ﴿بعد﴾ أي: بعد أسرهم وشد وثاقهم اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فأما مناً بعد وإما فداء أي: فإما تمنون بعد ذلك منا أو تفدون فداء، والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء، وهذا ثابت عند الشافعي، وعندنا منسوخ قالوا: نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما القتل أو الاسترقاق والمن والفداء، وهذا ثابت عند الشافعي، وعندنا منسوخ قالوا: نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما القتل أو الاسترقاق، وعن مجاهد: ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق، وقرىء فدى كعصا ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع أسند وضعها إليها وهو لأهلها إسناداً مجازياً، وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله لأحد الأمور الأربعة أو للمجموع، والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا يبقى لهم شوكة، وقيل: بأن ينزل عيسى، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله، فإن حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها، وإن حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد، والمعنى أنهم يقتلون ويؤشرون حتى تضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة، وقيل: أوزارها آثامها أي: حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا اهـ.

أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ أي أهلها ﴿أَوْزَارَهَاۚ﴾ أثقالها من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَۖ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ وفي قراءة قاتلوا، الآية نزلت يوم أحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في

قوله: (بإطلاقهم) وفي نسخة بالإطلاق.

قوله: ﴿حتى تضع الحرب﴾ في الكلام مجاز في الإسناد ومجاز في الظرف. أشار إلى الأول بقوله: أي أهلها، وإلى الثاني بقوله: بأن يسلم الكفار الخ، فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال ولو كان الشخص متقلداً بآلته اهـ شيخنا.

قوله: (وهذه غاية للقتل) أي: المذكور في قوله فضرب الرقاب، وقوله: والأسر أي: المذكور في قوله: فشدوا الوثاق أي: كل منهما يستمر إلى الإسلام أو عقد الأمان اهـ شيخنا.

قوله: (ما ذكر) أي: من القتل والأسر وما بعده من المن والفداء اهـ شيخنا.

قوله: (بغير قتال) كالخسف. قوله: ﴿ولكن﴾ (أمركم به) أي: بالقتال والحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض فيعلم المجاهدين والصابرين، كما سيأتي في قوله: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد: ٣١] اهـ قرطبي.

قوله: (إلى ما ينفعهم) فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والإخلاص فيه، والذي ينفعهم في الآخرة محاجة منكر ونكير وسلوك طرق الجنة. وفي القرطبي، قال ابن زياد: يهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر، وقال أبو العالية: وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنات والطريق المفضية إليها اهـ.

قوله: (وما في الدنيا) أي من الهداية وإصلاح الحال لمن لم يقتل أي: إنما يتأتى ويحصل لمن لم يقتل وهذا جواب عما يقال: كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم يعني في الدنيا كما قال الشارح، والغرض أنهم قتلوا في سبيل الله، وحينئذ فكيف يقال سيهديهم ويصلح بالهم في الدنيا؟ وحاصل الجواب: أن المراد بالذين قتلوا الذين قاتلوا بدليل القراءة الأخرى أعم من أن يقتلوا بالفعل أو لا، فمن قتل بالفعل يهديه الله ويصلح حاله في الآخرة، ومن لم يقتل يهديه ويصلح حاله في الدنيا فالكلام على التوزيع اهـ شيخنا.

قوله: (وأدرجوا) أي: من لم يقتل، والجمع باعتبار معنى من قوله من لم يقتل أي: أدرجوا في قوله: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ فالمراد به كل من قاتل سواء قتل أو لا، والحامل على هذا كله جعل

قتلوا تغليباً ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ بينها ﴿لَهُمْ ۝﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ اللَّهَ﴾ أي دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝﴾ يثبتكم في المعترك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه ﴿فَتَعْسًا

قوله سيهديهم الخ متناولاً للدنيا والآخرة كما صنع، ولو حمل على الآخرة فقط كما صنع غيره لم يحتج لهذا التكلف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عرفها لهم﴾ الجملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدون تقديرها اهـ سمين.

قوله: (بيّنها) ﴿لهم﴾ عبارة البيضاوي: عرفها لهم أي: في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق، أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة، أو حددها لهم بحيث يكون لكل واحد جنة مفرزة اهـ.

وفي القرطبي: ويدخلهم الجنة عرفها لهم أي: إذا دخلوها يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم قال معناه مجاهد وأكثر المفسرين، وفي البخاري ما يدل على صحة القول عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا». وقيل: عرفها لهم أي: بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال. قال الحسن: وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها، وقيل: فيه حذف أي: عرف طرقها ومساكنها وبيوتها لهم، فحذف المضاف، وقيل هذا التعريف بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى يأتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة، وحديث أبي سعيد الخدري يرده، وقال ابن عباس: عرفها لهم بأنواع الملاذ مأخوذ من العرف وهو الرائحة الطيبة، وطعام معرف أي مطيب، تقول العرب: عرفت القدر إذا طيبتها بالملح والأبازير، وقيل: هو من وضع الطعام بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس، أي: وفقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة، وقيل: عرف أهل السماء أنها لهم، وقيل: عرفها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها، وقيل: عرف المطيعين أعمالهم اهـ.

قوله: (يثبتكم في المعترك) أشار به إلى التجوز في قوله أقدامكم فالمراد بها الذوات بتمامها وعبّر بالقدم لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها اهـ شيخنا.

قوله: (مبتدأ خبره تعسوا) وهو الناصب لمصدره المذكور اهـ شيخنا.

والمناسب تقدير هذا الخبر بعد الفاء كأن يقول: فتعسوا تعساً. وفي السمين: وتعساً منصوباً بالخبر المقدر ودخلت تشبيهاً للمبتدأ بالشرط اهـ.

وفي المختار: التعس الهلاك وأصله الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس من باب قطع وأتعسه الله، ويقال تعساً لفلان أي: ألزمه الله هلاكاً اهـ.

وفي المصباح: وتعس تعساً من باب تعب لغة فهو تعس مثل تعب ويتعدى بالحركة وبالهمزة،

لَهُمْ ﴾ أي هلاكاً وخيبة من الله ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ عطف على تعسوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التعس والإضلال ﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ أي أمثال عاقبة من قبلهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين

فيقال: تعسه الله بالفتح وأتعسه، وفي الدعاء تعساً له وتعس وانتكس، فالتعس أن يخر لوجهه، والنكس أن لا يستقل بعد سقطته حتى يسقط ثانية وهي أشد من الأولى اهـ.

وفي الشهاب: والتعس في الأصل السقوط على الوجه كالكب، والنكس السقوط على الرأس وضده الانتعاش فهو قيام من سقط، فيقال في الدعاء على الشخص العاثر: تعساً له فإذا دعوا له قالوا لعا له الجار والمجرور بعده متعلق بمحذوف للتبيين كما في سقياً له، ولعا بلام وعين مهملة بعدها ألف مقصورة وهو منصوب بفتحة مقدرة ومعناه انتعاشاً وإقامة اهـ.

وفي القرطبي: وفي التعس عشرة أقوال، الأول: بعداً قاله ابن عباس وابن جريج. الثاني: خزياً لهم قاله السدي. الثالث: شقاء لهم قاله ابن زيد. الرابع: شتماً لهم من الله قاله الحسن. الخامس: هلاكاً لهم قاله ثعلب. السادس: خيبة لهم قاله الضحاك وابن زياد. السابع: قبحاً لهم حكاه النقاش. الثامن: رغماً قاله الضحاك أيضاً. التاسع: شراً لهم قاله ثعلب أيضاً. العاشر: شقوة لهم قاله أبو العالية، وقيل إن التعس الانحطاط والعثار قاله ابن السكيت اهـ.

قوله: ﴿ذلك بأنهم كرهوا﴾ يجوز أن يكون ذلك مبتدأ والخبر الجار بعده أو خبر مبتدأ مضمر أي: الأمر ذلك بسبب أنهم كرهوا أو منصوب بإضمار فعل أي: فعل بهم ذلك بسبب أنهم كرهوا، فالجار والمجرور في الوجهين الآخرين منصوب المحل اهـ سمين.

قوله: (المشتمل على التكاليف) هذا وجه كراهتهم، وذلك لأنهم كانوا قد ألفوا الإهمال وإطلاق العيان في الشهوات، فلما جاء القرآن بالتكاليف وترك الملاذ والشهوة كرهوه اهـ خازن.

قوله: ﴿دمر الله عليهم﴾ مفعوله محذوف كما أشار له الشارح، وهذه الجملة في الحقيقة جواب كيف، فكأنه قيل: عاقبتهم الدمار وقوله: عليهم أي: الذين من قبلهم اهـ شيخنا.

ويحتمل أنه ضمن دمر معنى سخط الله عليهم بالتدمير اهـ من السمين.

وفي البيضاوي: دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم اهـ.

وفي الشهاب: ومعنى دمره الله أهلكه ودمر عليه أهلك ما يختص به من المال والنفس، والثاني أبلغ لما فيه من العموم بجعل مفعوله نسباً فيتناول نفسه وكل ما يختص به من المال ونحوه، والإتيان بعلى لتضمينه معنى أطبق عليهم أي: أوقعه عليهم محيطاً بهم كما أشار إليه المصنف، إلا أنه كان عليه أن يوجه ذكر الاستعلاء لأن استأصل لا يتعدى بعلى، وكلامه موهم له لكن لما كان العذاب المطبق مستأصلاً كان فيه إيماء له في الجملة اهـ.

قوله: ﴿وللكافرين﴾ أي: ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرة من قبلهم من الكفار، وقوله:

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ أي منزل ومقام ومصير ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكة أي أهلها ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾

أمثالها ليس المراد أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل لهم مثله فقط، وإنما جمع باعتبار أن لكل واحد من هؤلاء الكفرة عاقبة كما أن من قبلهم كذلك، وقيل: يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين لأنهم قتلوا على يد من كانوا يستحقرون بهم، والقتلى بيد المثلى أشد منه بسبب عام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أمثالها﴾ أي: أمثال العاقبة المتقدمة وقيل: أمثال العقوبة، وقيل: التدميرة، وقيل: الهلكة، والأولى أولى لتقدم ما يعود على الضمير صريحاً مع صحة معناه، وقوله: ذلك بأن الله، كقوله: ذلك بأنهم فيما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ أي: لا ناصر لهم كما يؤخذ مقابله، وهذا لا يخالف قوله: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ [الأنعام: ٦٢] فإن المولى فيه بمعنى المالك أي: لا بمعنى الناصر، وقد تقدم في سورة الأنعام الجمع بينهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الخ بيان لحكم ولايته تعالى وثمرتها الأخروية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كما تأكل الأنعام﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف على مذهب أكثر المعربين تقديره أكلاً كما تأكل الأنعام، أو في موضع نصب على الحال من ضمير المصدر على مذهب سيبويه أي تأكلونه أي: الأكل مشبهاً كل الأنعام اهـ كرخي.

قوله: ﴿والنار مثوى لهم﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر.

قوله: ﴿كأين الخ﴾ لما ضرب لهم مثلاً بقوله: أفلم يسيروا الخ. ولم ينفعهم ما تقدم من الدلائل ضرب لنبيه مثلاً تسلية له فقال: وكأين الخ قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك» فأنزل الله تعالى هذه الآية اهـ خطيب.

وكأين: كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله: من قرية تمييز لها، وقوله: هي أشد الخ صفة لقرية، وقوله: التي أخرجتك صفة لقريتك وقوله: أهلكناهم خبر المبتدأ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قرية﴾ أي: كذبت رسلها وقوله: أريد بها أهلها أي: فالمجاز في الظرف لا بالحذف. هذا ما جرى عليه الشارح اهـ شيخنا.

روعي لفظ قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ روعي معنى قرية الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝﴾ من إهلاكنا ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حسناً وهم كفار مكة ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ۝﴾ في عبادة الأوثان، أي لا مماثلة بينهما ﴿مَّثَلُ﴾ أي صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ بالمد والقصر كضارب وحذر، أي

قوله: (روعي لفظ قرية) أي: الثانية. قوله: ﴿أهلكناهم﴾ أي: فكذلك نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل هؤلاء القرى اهـ خطيب.

قوله: ﴿فلا ناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم، والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على عدم ما بالذات وهو حكاية حال ماضية اهـ أبو السعود.

إذ كان الظاهر أن يقال فلم ينصرهم ناصر لأن هذا إخبار عما مضى اهـ.

قوله: ﴿أفمن كان على بينة﴾ الخ استفهام إنكار كما أشار له بقوله أي: لا مماثلة بينهما، وهذا شروع في تقرير وبيان حال فريقي المؤمنين والكافرين، وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين، وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، والتقدير: أليس الأمر كما ذكر فإن كان مستقراً على حجة ظاهرة وبرهان بيّن كمن زين له الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ روعي في هذين الضميرين معنى من، كما روعي فيما قبلهما لفظها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مثل الجنة﴾ الخ استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعود بها المؤمنين، وبيان كيفية أنهارها التي أشير إلى جريانها من تحتهم اهـ أبو السعود.

والمراد بالمتقين من اتقى الشرك من أي مؤمن كان اهـ عمادي.

قوله: (أي صفة) ﴿الجنة﴾ قال سيبويه: وحيث كان المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشبهاً به وقيل: الممثل به، وقيل: الممثل به محذوف غير مذكور، والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم، وقيل: الممثل به مذكور وهو قوله:﴿كمن هو خالد في النار﴾ اهـ خازن.

قوله: (مبتدأ خبره الخ) اعتراض هذا الإعراب بأن الخبر جملة ولا رابط فيها يعود على المبتدأ، ويمكن أن يجاب بأن الخبر عين المبتدأ لأن اشتمالها على أنهار من كذا وكذا صفة لها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: مثل الجنة فيه أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها أنهار مفسر له، وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضاً مفسر للمثل. الثاني: أن مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار.

غير متغير، بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ لذيذ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند

الثالث: أن مثل الجنة مبتدأ، والخبر قوله: فيها أنهار، وهذا ينبغي أن يمتنع إذ لا عائد من الجملة إلى المبتدأ ولا ينفع كون الضمير عائداً على ما أضيف إليه المبتدأ. الرابع: أن مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار، فقدره ابن عطية مثل أهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الإنكار ومضافاً ليصح وقدره الزمخشري كمثل جزاء من هو خالد، والجملة من قوله: فيها أنهار على هذا فيها ثلاثة أوجه، أحدها: هي حال من الجنة أي: مستقرة فيها أنهار. الثاني: أنها خبر لمبتدأ مضمر أي: هي فيها أنهار كأن قائلاً قال علام مثلها فقيل فيها أنهار. الثالث: أن يكون تكرير الصلة لأنها في حكمها. ألا ترى أنه يصح قولك التي فيها أنها وإنما عرى من حرف الإنكار اهـ.

قوله: ﴿غير آسن﴾ بالمد والقصر سبعيتان، وقوله: كضارب أي: ففعله أسن يأسن كضرب يضرب، وقوله: وحذر أي: ففعله أسن يأسن كحذر يحذر اهـ شيخنا.

وقوله: أي غير متغير أي: حتى في البطون اهـ كازروني.
وفي السمين: أنه من باب قعد أيضاً اهـ.

وفي المختار: الآسن من الماء مثل الآجن وزناً ومعنى، وقد أسن من باب ضرب ودخل وأسن فهو أسن من باب طرب لغة فيه اهـ.

وفيه أيضاً الآجن الماء المتغير الطعم واللون، وقد أجن الماء من باب ضرب ودخل، وحكى اليزيدي أجن من باب ظرف فهو أجن على فعل اهـ.

قوله: ﴿لم يتغير طعمه﴾ أي: فلا يعود حامضاً ولا قارصاً ولا ما يكره من الطعوم اهـ خازن.

قوله: ﴿لذة للشاربين﴾ أي: ليس فيها حموضة ولا غضاضة ولا مرارة، ولم تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدي بالعصر، وليس في شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار، بل هي لمجرد الالتذاذ فقط اهـ خازن.

واللذة مصدر بمعنى الالتذاذ، ووقعت صفة للخمر وهي عين، فلذلك أولها الشارح بالمشتق فقال: لذيذة على حد زيد عدل بمعنى عادل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: لذة يجوز أن يكون تأنيث لذ ولذ بمعنى لذيذ ولا تأويل على هذا، ويجوز أن يكون مصدراً به ففيه التأويلات المشهورة. قال الزمخشري: والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس مع ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر اهـ.

فكل هذا المعنى يعطيه الوصف بقوله: لذة للشاربين تعويضاً بخمور الدنيا كقوله تعالى: ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ [الصافات: ٤٧] ويدل على التعويض تفسيره المصفى بقوله: لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقرير اهـ.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة للشاربين، ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه

الشرب ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا، فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾

للطاعمين، ولا قال في العسل مصفى للناظرين؟ أجاب الرازي: بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يتلذذ به شخص ويعافه الآخر. فلذلك قال: لذة للشاربين بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة طعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فإن الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم أن له طعماً واحداً، وكذلك اللبن فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة اهـ خطيب.

قوله: ﴿من عسل مصفى﴾ نقلوا في العسل التذكير والتأنيث، وجاء القرآن على التذكير في قوله: من عسل مصفى اهـ.

وفي المصباح: العسل يذكر ويؤنث وهو الأكثر ويصغر على عسيلة على لغة التأنيث ذهاباً إلى أنها قطعة من الجنس وطائفة منه اهـ.

وفي المختار: العسل يذكر ويؤنث يقال منه عسل الطعام أي: عمله بالعسل وبابه ضرب ونصر، وزنجيل معتسل أي: معمول به، والعاسل الذي يأخذ العسل من بيت النحل، والنحلة عسالة اهـ.

قوله: (وغيره) كفضلات النحل وغيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولهم﴾ خبر مقدم وقوله: فيها متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار المحذوف، والمبتدأ محذوف قدره بقوله أصناف، وقوله: من كل الثمرات نعت للمبتدأ المحذوف اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: من كل الثمرات فيه وجهان، أحدهما: أن هذا الجار صفة لمقدر، وذلك المقدر مبتدأ وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به والتقدير: ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كأنه انتزعه من قوله تعالى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ [الرحمن: ٥٢] قدره بعضهم صنف والأول أليق. والثاني: أن من مزيدة في المبتدأ اهـ.

وقوله: ومغفرة معطوف على المبتدأ المحذوف، وخبره قوله لهم ولما ورد عليه أن المغفرة قبل دخول الجنة وهذه الآية تقتضي أنها فيها أشار الشارح إلى أن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون في الجنة حيث قال: فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر أي بالمشروبات والفواكه، وعبارة الخازن: فإن قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة، فكيف يكون له فيها المغفرة؟ قلت: ليس بلازم أن يكون المعنى ولهم فيها مغفرة لأن الواو لا تقتضي الترتيب، فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم فيها مغفرة قبل دخولهم إليها وجواب آخر وهو أن المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا، فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه، انتهت.

والثاني في كلامه هو مراد الشارح تأمل اهـ شيخنا.

خبر مبتدأ مقدر، أي أمن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ أي شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان ﴿وَمِنْهُم﴾ أي الكفار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ بالمد والقصر، أي الساعة، أي لا نرجع إليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟

قوله: (خبر مبتدأ مقدر) أي: أن قوله كمن هو خالد في النار مبتدأ محذوف وقدره بما ذكره، وإيضاحه أن كمن هو خالد في النار وإن كان ظاهره أنه إثبات فمعناه النفي، لأن الاستفهام حذفت همزته لزيادة الإنكار يدل لذلك مجيئه عقب قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله﴾ [محمد: ١٤] والتقدير أمن هو في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، وقدره الكواشي أمثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو مأخوذ من اللفظ فهو أحسن، وقيل: مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وما بينهما اعتراض اهـ.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى ﴿والنار مثوى لهم﴾ [محمد: ١٢] وقيل: هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذفاً تقديره أمثل الجنة مثل جزاء من هو خالد في النار، أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعرى عن حرف الإنكار وحذف ما حذف تصويراً لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار اهـ.

قوله: (أمن هو في هذا النعيم) هذا هو المبتدأ المقدر، والخبر هو المذكور في الآية، والاستفهام إنكاري، وقوله: وسقوا معطوف على هو خالد عطف صلة فعلية على صلة اسمية، وفي المعطوف مراعاة معنى من، وفي المعطوف عليه مراعاة لفظها اهـ شيخنا.

قوله: (في خطبة الجمعة) فحينئذ تكون هذه الآية مدنية، بل وكذا ما بعدها من الآيات الآتية فتكون مستثناة من القول بأن السورة مكية، وقوله: وهم المنافقون الضمير لمن، وقوله: حتى إذا خرجوا حتى بمعنى فإذا. قوله: (استهزاء) علة لقالوا، فالاستفهام إنكاري أي: أي شيء قال آنفاً، أي لم يقل شيئاً يعتد به. أي لا نرجع إلى قوله ولا نقول به لأنه قول ساقط، فقول الشارح أي: لا مرجع إليه أي إلى قوله الذي قاله آنفاً أي: لا نعمل به تأمل.

قوله: ﴿آنفاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الحال فقدره أبو البقاء ماذا قال مؤتنفاً، وقدره غيره مبتدئاً أي ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه. والثاني: أنه منصوب على الظرف. أي ماذا قال الساعة قاله الزمخشري، وأنكره الشيخ قال: لأنا لم نعلم أحداً عده من الظروف، واختلف عبارتهم في معناه، فظاهر عبارة الزمخشري أنه ظرف حالي كالآن ولذلك فسره بالساعة، وقال ابن عطية: والمفسرون يقولون آنفاً معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى، وقرأ البزي بخلاف عنه أنفاً بالقصر، والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر وآسن

﴿أَهْوَآءَهُمْ ۝١٦﴾ في النفاق ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ ألهمهم ما يتقون به النار ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون أي كفار مكة ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة، أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة

وأسن، إلا أنه لم يستعمل لهما فعل مجرد، بل المستعمل ائتنف يأتنف واستأنف يستأنف والائتناف والاستئناف الابتداء. قال الزجاج: هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته أي ماذا قال في أول وقت تقرب منا اهـ سمين.

قوله: (أي الساعة) أشار إلى أن آنفاً ظرف حالي بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه، والثاني أنه اسم فاعل اهـ سمين.

وفي الخطيب: ماذا قال آنفاً أي قبل افتراقنا وخروجنا عنه. روى مقاتل أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد آنفاً أي الساعة أي لا نرجع إليه اهـ.

قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، وقوله: الذين طبع الله الخ خبره قوله: ﴿اتبعوا أهواءهم﴾ المعنى أنهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل، فعند ذلك اتبعوا أهواءهم في الباطل اهـ خازن.

قوله: ﴿والذين اهتدوا﴾ يعني المؤمنين لما بين الله عز وجل أن المنافق يسمع ولا ينتفع، بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن الذي ينتفع بما يسمع، فقال: والذين اهتدوا الخ اهـ خازن.

والموصول مبتدأ، وقوله: زادهم خبر.

قوله: (ألهمهم ما يتقون به النار) أي: أعانهم على تقواهم بمعنى خلق التقوى فيهم أي أعطاهم جزاءها: والأول أوفق لتأليف النظم لما سبق أن أغلب آيات هذه السورة الكريمة روعي فيه التقابل، فقوبل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بقوله: والذين اهتدوا زادهم هدى، لأن الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف ما يزيد في الكفر، وقوبل قوله: اتبعوا أهواءهم بقوله: وآتاهم فيحمل على كمال التقوى وهو أن يتنزه العارف عما يشغل سره عن الحق، ويتبتل إليه بشراشره وهو التقي الحقيقي المعنى بقوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] فإن المزيد على مزيد الهدى مزيد لا مزيد عليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ تعليل لمفاجأتها اهـ أبو السعود.
أو لإتيانها من حيث هو اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: فقد جاء أشراطها كالعلة للفعل باعتبار تعلقه بالبدل، لأن ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره اهـ.

وعن حذيفة، والبراء بن عازب: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما تتذاكرون؟» قلنا: نتذاكر الساعة. قال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج

النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾ تذكرهم؟ أي لا ينفعهم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لتستنّ به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله

ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن» اهـ بيضاوي من آخر سورة الأنعام.

قوله: ﴿أشراطها﴾ الأشراط جمع شرط وهو العلامة. وفي المصباح: وجمع الشرط شروط مثل فلس وفلوس، والشرط بفتحتين العلامة والجمع أشراط مثل سبب وأسباب، ومنه أشراط مثل سبب وأسباب، ومنه أشراط الساعة أي علاماتها اهـ.

قوله: ﴿فأنّى لهم﴾ أنى خبر مقدم، وذكراهم: مبتدأ مؤخر أي أنّى لهم التذكر، وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف أي كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة، فكيف يتذكرون؟ ويجوز أن يكون المبتدأ محذوفاً أي أنّى لهم الخلاص ويكون ذكراهم فاعلاً بجاءتهم اهـ سمين.

وفي الخازن: يعني من أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة اهـ.

قوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله الخ﴾ أي: إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فإنه النافع يوم القيامة اهـ خطيب.

قوله: (أي دم يا محمد الخ) يدل على هذا قوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه مسلم اهـ كرخي.

قوله: (لتستن) أي: تقتديه به أمته هذا أحد وجوه في تأويل الآية. وفي القرطبي: واستغفر لذنبك يحتمل وجهين، أحدهما: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب. وقيل: لما ذكر الله حال الكافرين والمؤمنين أمره بالثبات على الإيمان، أي: اثبت على الإيمان أي: اثبت على ما أنت عليه من الإخلاص والتوحيد والحذر عما يحتاج معه إلى استغفار، وقيل: الخطاب له والمراد به الأمة، وعلى هذا القول توجب الآية استغفار الإنسان لجميع المؤمنين، وقيل: كان عليه الصلاة والسلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين فنزلت: أي فاعلم أنه لا كاشف يكشف ما بك إلا الله فلا تعلق قلبك بأحد سواه، وقيل: أمر بالاستغفار لتقتدي به الأمة للمؤمنين والمؤمنات أي ولذنوبهم وهي أمر بالشفاعة اهـ.

وفي الخازن: واستغفر لذنبك أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته وليقتدوا به في ذلك. رواه مسلم عن الأغر المزني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة» وفي رواية قال: «توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل في اليوم مائة مرة». وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة» وفي رواية: أكثر من سبعين مرة وقوله: إنه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى، وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم، وقيل: إنه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين

في كل يوم مائة مرة» ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرفكم لاشغالكم بالنهار ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ طلباً للجهاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي لم ينسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي طلبه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك وهم

ومصالحهم حتى يرى أنه قد شغل بذلك، وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبارة وأرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء سواه، فلهذا السبب كان ﷺ يستغفر الله فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقيل: هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشي السماء، فكان هذا الشغل ولهم يغشى قلبه ﷺ ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله عز وجل منه، وقيل: هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه ﷺ، وسبب استغفاره لها إظهار العبودية والافتقار إلى الله عز وجل.

وحكى الشيخ محيي الدين النواوي رضي الله عنه، عن القاضي عياض أن المراد به الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه ﷺ الدوام عليه، فإذا فتر وغفل عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه، وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره. وقال الحرث المحاسبي: خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى، وقيل: يحتمل أن هذا الغين حالة حسنة وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكراً كما قال: أفلا أكون عبداً شكوراً: وقيل في معنى الآية: استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات، يعني من غير أهل بيته، وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر الله أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم اهـ بحروفه.

قوله: (بالاستغفار لهم) أي واستغفاره ﷺ مقبول. قوله: (متصرفكم) أي تصرفكم كما في بعض النسخ، وقوله: لاشغالكم وفي الخازن: والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس، والضحاك: متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم يعني مصيركم إلى الجنة أو إلى النار، وقيل: متقلبكم في أشغالكم بالنهار، ومثواكم بالليل إلى مضاجعكم، وقيل: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور، والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وإن دق وخفي اهـ.

وفي المصباح: ثوى بالمكان وفيه ربما يتعدى بنفسه فثوى ثواء بالمد أقام فهو ثاو، وفي التنزيل: وما كنت ثاوياً في أهل مدين، وأثوى بالألف لغة وأثويته فيكون الرباعي لازماً ومتعدياً والمثوى بفتح الميم والواو المنزل، والجمع المثاوي بكسر الواو، وفي الأثر وأصلحوا مثاويكم اهـ.

قوله: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ الخ من هنا إلى آخر السورة لا يظهر إلا كونه مدنياً إذ القتال لم يشرع إلا بالمدينة وكذلك النفاق لم يظهر إلا بها، فيحمل القول فيما تقدم بأنها مكية على أغلبها وأكثرها، وكذا يحمل القول بأنها مدنية على البعض منها. قوله: (طلباً للجهاد) تعليل ليقولوا. قوله: (أي طلبه) أي: ذكر فيها الأمر بالجهاد والتحريض عليه. قوله: (أي شك) وقيل: ضعف في الدليل، وأصل

المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكراهية له، أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ مبتدأ خبره ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ وجملة لو جواب إذا ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب أي لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾

المرض الفتور فمرض القلوب فتورها عن قبول الحق، والأول هو الأظهر الموافق لسياق النظم الكريم اهـ كرخي.

قوله: ﴿نظر المغشي﴾ أي: نظراً مثل نظر المغشي عليه اهـ سمين.

أي تشخص أبصارهم جبناً وقلقاً كدأب من أصابته غشية الموت اهـ أبو السعود.

قوله: (خوفاً منه) أي: الموت. قوله: ﴿فأولى لهم طاعة﴾ الخ قال الجوهري، تقول العرب: أولى لك تهديد ووعيد، ثم اختلف اللغويون والمعربون في هذه اللفظة، فقال الأصمعي: إنها فعل ماض بمعنى قاربه ما يهلكه، والأكثرون إنها اسم، ثم اختلف هؤلاء فقيل: مشتق من الولي وهو القرب، وقيل: من الويل هذ ما يتعلق باشتقاقه ومعناه. وأما الإعراب فإن قلنا باسميته ففيه أوجه، أحدها: أنه مبتدأ ولهم خبره تقديره فالهلاك لهم. والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره العقاب أو الهلاك أولى لهم أي أقرب وأدنى، ويجوز أن تكون اللام بمعنى الباء أولى وأحق بهم. الثالث: أنه مبتدأ ولهم متعلق به واللام بمعنى الباء وطاعة خبره، والتقدير: فأولى بهم طاعة دون غيرها، وإن قلنا بقول الأصمعي فهو فعل ماض وفاعله مضمر يدل عليه السياق كأنه قيل فأولى هو أي الهلاك، وهذا ظاهر عبارة الزمخشري حيث قال: ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه اهـ سمين.

وفي القرطبي: قال الجوهري: وقولهم أولى لك تهديد ووعيد، وقال الأصمعي قاربه ما يهلكه أي نزل به، وقال المبرد: يقال لمن هم بالغضب ثم أفلت أولى لك أي قاربك الغضب اهـ.

قوله: ﴿طاعة﴾ فيه أوجه، أحدها: أنها خبر أولى على ما تقدم. الثاني: أنها صفة السورة أي: فإذا أنزلت سورة محكمة طاعة أي ذات طاعة أو مطاعة ذكره مكي وأبو البقاء وفيه بعد لكثرة الفواصل. الثالث: أنها مبتدأ وقول عطف عليها والخبر محذوف تقديره أمثل بكم من غيرهما، وقدره مكي مناطاً عنه فقدره مقدماً. الرابع: أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي أمرنا طاعة. الخامس: أن لهم خبر مقدم وطاعة مبتدأ مؤخر والوقف والابتداء يعرفان مما قدمته فتأمل اهـ سمين.

قوله: (أي حسن) تفسير لمعروف، وقوله: لك متعلق بكل من طاعة، وقول: أي طاعة لك، وقول معروف لك أي الأولى بهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن الخالي عن الأذية اهـ شيخنا.

قوله: (وجملة لو جواب إذا) نحو: إذا جاءني طعام فلو جئتني أطعمتك اهـ سمين.

قوله: (بكسر السين وفتحها) سبعيتان. قوله: (وفيه التفات) أي: لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اهـ أبو السعود. قوله: (أي لعلكم الخ) هذا تفسير لعسى ولم يفسر الاستفهام، وأشار البيضاوي لتفسير

أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ عن طريق الهدى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم

كل من الاستفهام والترجي ونصه: فهل عسيتم أي فهل يتوقع منكم إن توليتم الخ. وفي الكرخي: ومرجع معنى التوقيع إلى الخلق كقوله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧] فلا يرد كيف يصح في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون، وإيضاح الجواب قول القاضي، والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم، وبيانه أن مقصوده دفع ما عسى أن يقال إن الظاهر في مثله التوقع من المتكلم وكيف يصح ذلك من الله تعالى اهـ.

قوله: (إن توليتم) اختلف في معنى قوله إن توليتم أي: وإن توليتم الحكم فجعلتم حكاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا، وقال الكلبي: أي فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم. وقال: المعنى فهل عسيتم إن توليتم الأم أن يقتل بعضكم بعض، وقيل: معناه الإعراض عن الشيء. قال قتادة: أي فهل عسيتم إن توليتم عن كتاب الله عز وجل أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء الحرام وتقطعوا أرحامكم، وقال ابن جريج: فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام، وقال بعضهم: فهل عسيتم أي فلعلكم إن أعرضتم عن القتال وفارقتم أحكامه أن تفسدوا في الأرض فتعودوا إلى جاهليتكم اهـ قرطبي.

قوله: (أعرضتم عن الإيمان) أي: الذي تلبستم به ظاهراً شيخنا.

قوله: ﴿أن تفسدوا﴾ خبر عسى، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه أو هو نفس، فهل عسيتم عند من يرى تقديمه اهـ سمين.

قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ والموصول خبره، والتقدير: أولئك المفسدون يدل عليه ما تقدم، وقوله: فأصمهم لم يقل فاصم آذانهم كما قال وأعمى أبصارهم، ولم يقل وأعماهم لأنه لا يلزم من ذهاب الأذن ذهاب السماع فلم يتعرض لها، والأعين يلزم من ذهابها ذهاب الإبصار اهـ سمين.

وفي الإشارة التفات للإيذان بأن ذكر جناياتهم أوجب إسقاطهم على رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره، وأصل التدبر التفكير في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره، وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب وجمع الفهم وقت تلاوته، ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية اهـ خازن.

فإن قيل: قد أخبر تعالى بأنه أصمهم وأعمى أبصارهم، فكيف يوبخهم على ترك التدبر، فهذا كقولك للأعمى ابصر وللأصم اسمع؟ أجيب: بوجوه، الأول: إن التكليف بما لا يطاق جائز وقد أمر الله من علم أنه لا يؤمن بالإيمان، فلذلك وبخهم على ترك التدبر مع كونه أصمهم وأعمى أبصارهم.

﴿أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ فلا يفهمونه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾ بالنفاق ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي زين ﴿لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ بضم أوّله وبفتحه واللام، والمملي الشيطان بإرادته

الثاني: أن قوله أفلا يتدبرون راجع للناس لا يفيد كونه أعماهم وأصمهم. الثالث: أن يقال: إن هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة كأنه تعالى قال: ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ [النساء: ٥٢] أي أبعدهم عنه أو عن الصدق أو الخبر أو غير ذلك من الأمور الحسنة، فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام، وأعماهم لا يبصرون طريق الإسلام، فإذا هم بين أمرين، إما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه لأن الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما بل أشرف وأعلى منهما، وإما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة اهـ خطيب.

قوله: ﴿أم﴾ (بل) أشار به إلى أن أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر وتنكير القلوب إما لتهويل حالها وتفظيع شأنها، كأنه قيل: على قلوب منكرة لا يعرف حالها، وإما لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها اهـ أبو السعود.

قوله: (لهم) صفة لقلوب وأشار به إلى أن نعته محذوف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الذين ارتدوا﴾ وهم المنافقون كما أشار له بقوله بالنفاق، وفي أبي السعود: إن الذين ارتدوا على أدبارهم أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا بما سلف من مرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال، فإنهم قد كفروا به عليه السلام من بعدما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة، وقيل: هم اليهود، وقيل: أهل الكتابين جميعاً كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا نعته في كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك اهـ.

وفي البيضاوي: ارتدوا على أدبارهم أي إلى ما كانوا عليه من الكفر لأنه بمعنى الرجوع إلى الخلف من بعد ما تبين لهم الهدى من الدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿الشيطان سول لهم﴾ سهَّل لهم اقتراف الكبائر وأملى لهم أي مدّ لهم في الآمال والأماني، أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة اهـ.

قوله: ﴿الشيطان سول لها﴾ جملة من مبتدأ وخبر خبر إن الذين ارتدوا اهـ شيخنا.

قوله: (بضم أوله) أي: وكسر ثالثه وفتح الياء، والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور أو ضمير الشأن. ذكر الثاني أبو البقاء ولا معنى له اهـ سمين.

والجملة مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: (وبفتحه واللام) أي: وفتح اللام مبنياً للفاعل والفاعل ضمير يعود على الشيطان كما ذكره بقوله: والمملي الشيطان الخ والجملة معطوفة على ما قبلها أو مستأنفة. وقوله: بإرادته تعالى الخ جواب عن سؤال، وعبارة الخازن: فإن قلت: الإملاء والإمهال لا يكون إلا من الله لأنه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة. قلت: إن المسول والمملي هو الله في الحقيقة، وإنما

تعالى فهو المضل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً فأظهره الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ بفتح الهمزة جمع سرّ، وبكسرها مصدر ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال من الملائكة ﴿وُجُوهَهُمْ

أسند الفعل للشيطان من حيث إن الله قدر ذلك على يديه ولسانه، فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم: إن في أجلكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورئاستكم إلى آخر أعماركم، انتهت.

قوله: (أي للمشركين) أي: والقائل هم اليهود أو المنافقون اهـ بيضاوي.

وعبارة أبي السعود: للذين كرهو ما نزل الله أي: لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسداً وطمعاً في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل، فإن قوله سنطيعكم في بعض الأمر عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ [الحشر: ١١] وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم، وأرادوا بالبعض الذي أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه إظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم وإخراجهم من ديارهم، فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية وإعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم وإخراجهم من ديارهم، فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه لما كان لهم في إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية، وإنما كانوا يقولون لهم يقولون سراً كما يعرب عنه قوله تعالى: والله يعلم أسرارهم اهـ.

قوله: ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي في بعض أموركم، أو في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم إن أخرجوا والتظافر على الرسول عليه السلام اهـ بيضاوي.

قوله: (وتثبيط الناس) أي: تعويقهم. قوله: (وبكسرها) سبعيتان.

قوله: ﴿فكيف﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله حالهم وإذا ظرف للمبتدأ المحذوف، وفي السمين: قوله: فكيف إما خبر مقدم أي: فكيف علمه بأسرارهم إذا توفتهم، وإما منصوب بفعل محذوف أي فكيف يصنعون، وإما خبر لكان مقدرة أي فكيف يكونون والظرف معمول لذلك المقدر، وقرأ الأعمش: توفاهم دون تاء فاحتملت وجهين، أن يكون ماضياً كالعامة، وأن يكون مضارعاً حذفت إحدى تاءيه اهـ.

قوله: ﴿يضربون﴾ حال من الفاعل أو من المفعول فإنهم إنما كرهوا القتال وأطاعوا من أمرهم بتركه، والقعود عنه خوفاً من أن يضربوا من جهة وجوههم إن ثبتوا ومن جهة أدبارهم إن فروا فقال تعالى: إن كرهتم ما أمرتم به من قتال الكفار خوفاً من أن تضربوا من قبل وجوهكم وأدباركم، فكيف تحتالون في الخلاص مما تخافون منه إذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم وأدباركم، فإن كل من يتوفى على معصية الله فملائكة العذاب لا يقبضون روحه إلا بعد أن يضربوا وجهه ودبره كما روى ذلك ابن عباس اهـ زاده.

وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ظهورهم بمقامع من حديد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ عرّفناكهم وكررت اللام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي معناه: إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه

قوله: (على الحالة المذكورة) وهي التوفي مع ضرب الوجوه والأدبار، وقوله: بأنهم اتبعوا الخ راجع لضرب الوجوه، وقوله: وكرهوا رضوا به راجع لضرب الأدبار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما أسخط الله﴾ أي من الكفر وكتمان نعت الرسول ﷺ إن كان القائل هم اليهود وعصيان الأمر على أن يكون القائلون المنافقين اهـ كرخي.

قوله: (بما يرضيه) أي من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات اهـ كرخي.

قوله: ﴿أم حسب الذين الخ﴾ وهم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق بكونهم المدار في النعي عليهم قوله: ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ وأم منقطعة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، ولن وما في حيزها خبرها، وأن وصلتها سادة مسد مفعولي حسب أي: بل الذين في قلوبهم مرض الخ. والمعنى أن ذلك مما لا يكاد أن يدخل تحت الاحتمال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أضغانهم﴾ في المصباح: ضغن صدره ضغناً من باب تعب حقد، والاسم ضغن والجمع أضغان مثل حمل وأحمال اهـ.

وقوله: يظهر أحقادهم جمع حقد كحمل وأحمال. وفي المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء وحقد عليه من باب ضرب تعب والجمع أحقاد اهـ.

قوله: (عرفناكهم) أي: فالإرادة هنا من التعريف والعلم لا بصرية اهـ خازن.

قوله: (وكررت اللام الخ) أي في قوله: ﴿فلعرفتهم﴾ للمبالغة، فقوله: فلعرفتهم جواب لو، وقوله: ولتعرفنهم لام قسم محذوف كما قال الشارح، والمعنى: لو أردنا لدللناك على المنافقين فتعرفهم بسيماهم، وحذف الشيخ المصنف ذلك لوضوحه وفيه إشارة إلى أن المراد بسيماهم الجنس المتناول للكثير أي بأعيانهم. روينا في مسند أحمد بن حنبل، عن ابن مسعود خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين» اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: واللام في فلعرفتهم بسيماهم لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد، وأما اللام في قوله ولتعرفنهم فلجواب قسم محذوف والالتفات في نشاء إلى نون العظمة لابراز العناية بالإراءة اهـ.

قوله: ﴿في لحن القول﴾ في سببية أي بلحن القول، واللحن يقال على معنيين، أحدهما: الكناية

تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠﴾ ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ علم ظهور ﴿ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾ نظهر ﴿أَخۡبَارَكُمۡ ۝٣١﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن

بالكلام حتى لا يفهم غير مخاطبك. والثاني: صرف الكلام من الإعراب إلى الخطأ، ويقال من الأول لحنت بفتح الحاء ألحن فأنا لاحن، وألحنته الكلام أفهمته إياه فلحنه بالكسر أي فهمه فهو لاحن، ويقال من الثاني لحن بالكسر إذا لم يعرب فهو لحن اهـ سمين.

وفي الخازن: ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده، وألحن معنيان صواب وخطأ، فالصواب صرف الكلام وإزالته عن التصريح إلى المعنى والتعريض وهذا ممدوح من حيث البلاغة، ومنه قوله ﷺ: «فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» وإليه قصد بقوله: ولتعرفنهم في لحن القول، أما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة الإعراب أو التصحيف. ومعنى الآية أنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه اهـ.

وفي المصباح: اللحن بفتحتين الفطنة وهو مصدر من باب تعب والفاعل لحن ويتعدى بالهمزة فيقال: ألحنته فلحن أي: أفطنته ففطن وهو سرعة الفهم، وهو ألحن من زيد أي: أسبق فهماً، ولحن في كلامه لحناً من باب نفع أخطأ في العربية، قال أبو زيد: لحن في كلامه لحناً بسكون الحاء ولحوناً إذا أخطأ الإعراب، وخالف وجه الصواب، ولحنت بلحن فلان لحناً أيضاً تكلمت بلغته، ولحنت له لحناً: قلت له قولاً فهمه عني وخفي على غيره من القوم، وفهمته من لحن كلامه وفحواه ومعاريضه بمعنى. قال الأزهري: لحن القول كالعنوان وهو كالعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لغرضك اهـ.

قوله: (بأن يعرضوا الخ) فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعناً اهـ كرخي.

وقوله: بما فيه تهجين المسلمين. وفي القاموس: التهجين التقبيح والهجنة بالضم من الكلام وما تعيبه، وفي العلم إضاعته، والهجين اللئيم اهـ.

قوله: ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ أي: فيجازيكم بحسب قصدكم، وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين اهـ أبو السعود.

قوله: (علم ظهور) أي: علماً شهودياً يشهده غيرنا مطابقاً لما كنا نعلمه علماً غيبياً فنستخرج من سائركم ما جبلناكم عليه ما لا يعلمه أحد منكم، بل ولا يعلمونه حق علمه اهـ خطيب.

قوله: (في الأفعال الثلاثة) وفي نسخة في ثلاثتها وهي لنبلونكم ونعلم، ونبلوا أي: قرأ بتحتية في الثلاثة شعبة غيباً مسنداً لضمير والله يعلم وباق بنون العظمة على إخبار الله عن نفسه كقوله: ولو نشاء لأريناكهم، وعن الفضيل رحمه الله أنه كان إذا قرأها بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا اهـ كرخي.

سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ يبطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ بالمعاصي مثلاً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه وهو الهدى

قوله: ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ أي: بكفرهم وصدهم أو لن يضروا رسول الله ﷺ بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته اهـ بيضاوي.

وقوله: لتعظيمه أي: يجعل مضرته وما يلحقه كالمنسوب لله فيدل على التعظيم باتحاد الجهة، وكذا التفظيع أي: عده فظيعاً مهولاً حيث نسب لله ظاهراً اهـ شهاب.

قوله: (في المطعمين من أصحاب بدر) أي: في المطعمين الطعام للمحاربين للنبي يوم بدر، فكان أغنياء الكفار يجهزون الطعام يعاونون به المجاهدين منهم اهـ شيخنا.

وذلك أن قريشاً خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب، وكأن أغنياؤهم يطعمون الجيش، فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزائر، ثم صفوان تسعاً بعسفان، ثم سهل عشراً بقديد ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوماً، فنحر لهم شيبة تعساً ثم أصبحوا بالأبواء، فنحر مقيس الجمحي تسعاً، ونحر العباس عشراً، ونحر الحرث تسعاً، ونحر أبو البختري على ماء بدر عشراً، ونحر مقيس عليه تسعاً ثم شغلتهم الحرب فأكلوا من أزوادهم اهـ من المواهب وشارحه.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله ﷺ أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسول الله ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (بالمعاصي مثلاً) أشار به إلى شمول الآية لتحريم إبطال صوم التطوع وصلاته وبه قال أبو حنيفة، وقال الشافعي بخلافه، كما قرره الشيخ المصنف في شرح جمع الجوامع، والأولى كما أفاده شيخنا حمل كلام المفسر على إبطالها بالكفر والنفاق كما قاله عطاء، أو يكون المراد ببطلانها بطلان ثوابها بالعجب والرياء كما قاله الكلبي، أو بالمن والأذى وليس فيه دليل كما ظنه الزمخشري على إحباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة والخوارج، فجمهورهم على أن كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات، حتى أن من عبد الله طول عمره ثم شرب جرعة خمر فهو كمن لم يعبده قط اهـ كرخي.

وفي الخطيب: ولا تبطلوا أعمالكم قال عطاء: بالشرك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة، وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر، وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر أن تحبط الأعمال، وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد قال تعالى: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وعن حذيفة: كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا

﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ نزلت في أصحاب القليب ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها، أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

مقبولاً حتى نزل: ولا تبطلوا أعمالكم، فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقال: الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦] فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها، وعن قتادة: رحم الله عبداً لم يحبط علمه الصالح بعمله السيىء، وعن ابن عباس: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة، وعنه أيضاً بالشك والنفاق، وقيل: بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اهـ.

قوله: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ خبر إن. قوله: (في أصحاب القليب) بئر في بدر ألقي فيه القتلى من الكفار، لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره اهـ خازن.

قوله: ﴿فلا تهنوا﴾ من باب وعد، والخطاب لأصحاب النبي ﷺ والحكم عام لجميع المسلمين اهـ خازن.

والفاء فصيحة أي: إذا تبين لكم ما تلي عليكم فلا تهنوا، فإن من كان الله عليه لا يفلح اهـ كرخي.

وفي زاده: الفاء في جواب شرط محذوف أي: إذا علمتم وجوب الجهاد وتأكد أمره فلا تضعفوا اهـ.

وفي القرطبي: واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل: إنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ [الأنفال: ٦١] لأن الله تعالى منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى الصلح، وقيل: منسوخة بقوله: ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ [الأنفال: ٦١] الآية. وقيل: هي محكمة والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الأحوال، وقيل: إن قوله: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها مخصوص بقوم بأعيانهم والأخرى عامة، فلا تجوز معاهدة الكفار إلا عند الضرورة وذلك إذا عجزنا من مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى هذا المعنى مستوفى اهـ.

قوله: ﴿وتدعوا﴾ معطوف على المجزوم. قوله: (بفتح السين وكسرها) سبعيتان. قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ جملة حالية وكذا والله معكم اهـ سمين.

قوله: (لام الفعل) أي: هي لام الفعل وأصله الأعلوون بواوين: الأولى لام الكلمة، والثانية: واو جمع المذكر السالم فيقال: تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الألف، وقوله: القاهرون في نسخة الظاهرون. قوله: (ينقصكم) أي: أو يفردكم عنها أي: الأعمال، فهو من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو نهبت له ماله أو من الوتر وهو الانفراد، وقيل: كل من المعنيين يرجع للإفراد لأن من قتل له قتيل أو نهب له مال فقد أفرد عنه اهـ سمين.

وفي المختار: ووتره حقه يتره بالكسر وتراً بالكسر أيضاً نقصه، وقوله تعالى: ﴿ولن يتركم

أي ثوابها ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ جميعاً بل الزكاة المفروضة فيها ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾ البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ لدين الإسلام ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا

أعمالكم﴾ أي: في أعمالكم: دخلت البيت أي: في البيت وأوتره أفرده ومنه أوتر صلاته وأوترها توتيراً بمعنى اهـ.

وفي المصباح: يقال: وترت العدد وتراً من باب وعد أفردته وأوترته بالألف مثله وترت الصلاة وأوترتها جعلتها ووترت زيداً حقه أتره من باب وعد أيضاً نقصته، ومنه: من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله بنصبهما على المفعولية اهـ.

قوله: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ أي: باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته، واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل، ثم إذا استعمله الإنسان ولم يتنبه لأشغاله المهمة فهو اللعب، وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ أي: لا يأمركم بإخراج جميعها في الزكاة، بل يأمركم بإخراج البعض قاله ابن عيينة وغيره، وقيل: لا يسألكم أموالكم لنفسه أو لحاجة منه إليها وإنما يأمركم بالإنفاق في سبيله ليرجع ثوابه إليكم، وقيل: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله لأنه مالكها وهو المنعم بإعطائها، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فيحفكم﴾ عطف على الشرط، وتبخلوا جواب الشرط اهـ سمين.

قوله: (يبالغ في طلبها) أي: حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك، فالإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح، وأحفى شاربه استأصله اهـ خطيب.

قوله: ﴿ويخرج أضغانكم﴾ (لدين الإسلام) أي: أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام أي: من حيث محبة الأموال بالجبلة والطبيعة، ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ أي: يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون، وقوله: تدعون استئناف مقرر لذلك أو صفة لهؤلاء على أنه بمعنى الذي وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما اهـ بيضاوي.

وقوله: أي أنتم الخ أشار إلى أن هاء التنبيه مكررة للتأكيد داخلة على المبتدأ المخبر عنه باسم الإشارة وقوله: الموصوفون أي: بما تضمنه أن يسألكموها الخ، فإن الإشارة تفيده كما مر تحقيقه في أولئك هم المفلحون يعني: أن هؤلاء المخاطبين هم الذين إذا سئلوا لم يعطوا وأنهم المفتضحون، وجملة تدعون الخ مستأنفة مقررة ومؤكدة لاتحاد محصل. معناهما: فإن دعوتهم للإنفاق هي سؤال الأموال منهم اهـ شهاب.

ومحصل هذا الإعراب أن ها أنتم مبتدأ، وهؤلاء خبره، وجملة تدعون مستأنفة وهذا غير إعراب

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ما فرض عليكم ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ يقال بخل عليه عنه ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾ إليه ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ ﴾ عن طاعته ﴿ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ أي يجعلهم بدلكم ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عزّ وجلّ.

الجلال، ومحصل إعرابه إن أنتم مبتدأ وتدعون خبره، وهؤلاء منادى معترض بين المبتدأ والخبر. قوله: ﴿فمنكم من يبخل﴾ أي: ومنكم من يجود، وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل اهـ خطيب.

ومن موصولة. وقوله: ومن يبخل شرطية، وقوله: فإنما يبخل عن نفسه جوابه أي: فإنما يمنعها الأجر والثواب اهـ قرطبي.

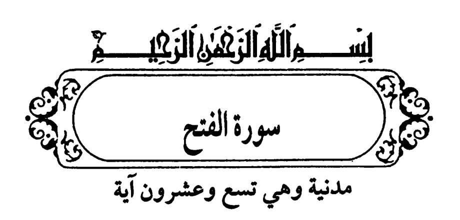
قوله: (يقال بخل عليه وعنه) أي: فيعدى بعلى وعن لتضمينه معنى الإمساك والتعدي اهـ أبو السعود.

وفي السمين: بخل وضمن يتعديان بعلى تارة وبعن أخرى، والأجود أن يكونا حال تعديهما بعن مضمنين معنى الإمساك اهـ.

قوله: ﴿وإن تتولوا﴾ الخ هذه الشرطية معطوفة على الشرطية قبلها أي: قوله وإن تؤمنوا الخ، وقوله: ثم لا يكونوا أمثالكم كلمة ثم للدلالة على أن مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الأحوال واشتراكهم في الميل إلى المال اهـ كرخي.

قوله: (أي يجعلهم بدلكم) يشير به إلى أن المراد استبدال الذات لا استبدال الوصف كما في قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] فهو كما في الكشاف كقوله: ﴿ويأت بخلق جديد﴾ [ابراهيم: ١٩] اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل مطيعين له) أي: بل يكونون مطيعين الخ، وفي القرطبي: وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم أي: أطوع منكم. روى الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قالوا: ومن يستبدل بنا، وكان سلمان جنب سول الله ﷺ. قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان فقال: «هذا وأصحابه والذي نفس محمد بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس» وقال الحسن: هم العجم، وقال عكرمة: هم فارس والروم، وقال المحاسبي: فلا أحد بعد من جميع أجناس الأعاجم أحسن ديناً ولا كانت منهم العلماء إلا الفرس، وقيل: إنهم أهل اليمن وهم الأنصار قاله شريح بن عبيد، وكذا قال ابن عباس: هم الأنصار، وعنه أنهم الملائكة، وعنه: هم التابعون. وقال مجاهد: إنهم من شاء من سائر الناس، وحكي عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «هي أحب إليَّ من الدنيا» والله أعلم اهـ.



سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ بيناً ظاهراً

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

سبب نزولها أنه ﷺ في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، وساق ﷺ سبعين بدنة هدياً للحرم، وساق القوم سبعمائة، فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة منعه المشركون من دخول مكة وصالحوه على أنه يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدي، ثم رجعوا يعلوهم ويخالطهم الحزن، والكآبة، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم، فأنزل الله عليه وهو سائر ليلاً في رجوعه وهو بكراع الغميم، وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ إلى آخر السورة، فقال ﷺ: «لقد أنزل عليَّ الليلة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. وفي رواية: «لقد أنزل عليَّ هي أحب إلي من الدنيا جميعاً»، ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، فقال المسلمون: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله لقد بيَّن لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الفتح: ٥] حتى بلغ ﴿فوزاً عظيماً﴾ [النساء: ٧٣] اهـ خازن.

قوله: ﴿إنا فتحنا لك﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بخراج أو بدونه، فإنه ما دام يظفر به فهو مغلق مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً اهـ أبو السعود.

قوله: (قضينا) أي: حكمنا في الأزل بفتح مكة وغيرها كخيبر وغيرها وحنين والطائف، وقوله: المستقل نعت للفتح، وهذا جواب عما يقال إن الآية نزلت في الطريق حين رجوعه من الحديبية عام ست، ومكة لم تكن فتحت إذ ذاك، فكيف قال فتحنا بلفظ الماضي؟ وحاصل الجواب: أن المراد بفتحنا قضينا في الأزل أن مكة ستفتح بعد الحديبية، فالماضي على حقيقته إخباراً عن القضاء الأزلي، وبعضهم أجاب بأنه بمعنى المضارع اهـ شيخنا:

وعبارة البيضاوي: هذا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه، أو وعيد بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك، أو هذا إخبار عن صلح الحديبية، وإنما سماه فتحاً لأنه كان بعد ظهوره

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه لترغيب أمتك في الجهاد، وهو مؤول

على المشركين حتى سألوه الصلح فكان سبباً لفتح مكة، وتفرغ به رسول الله ﷺ لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل في الإسلام خلقاً عظيماً وعلى هذا فمعنى فتحنا أوجدنا لك سبب الفتح، وذلك السبب هو صلح الحديبية، فإنه هو السبب في فتح مكة، وقيل: الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل، انتهت مع بعض تصرف.

وفي القرطبي: اختلف العلماء في هذا الفتح فالذي في البخاري أنه صلح الحديبية. قال موسى ابن عقبة: قال رجل: عند منصرفهم من الحديبية: ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت، فقال ﷺ: «بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا». وقال الشعبي في قوله: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، ففرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال الزهري: لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعلموا وسمعوا عن الله فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف. وقال مجاهد، والعوفي: هو فتح خيبر، والأول قول الأكثر، وخيبر إنما كانت وعداً وعدوه على ما يأتي بيانه في قوله: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم﴾ [الفتح: ١٥] وقوله: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ [الفتح: ٢٠] فعجل لكم هذه، انتهى.

قوله: (عنوة) هذا مذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحاً، وعبارة المنهاج: وفتحت مكة صلحاً. قال الرملي في شرحه كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ [الفتح: ٢٢] أي: أهل مكة، وقوله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ [الفتح: ٢٤] وإنما دخلها ﷺ متأهباً للقتال خوفاً من غدرهم ونقضهم للصلح الذي وقع بينه وبين أبي سفيان قبل دخولها. وفي البويطي: أن أسفلها فتحة خالد عنوة، وأعلاها فتحه الزبير رضي الله عنهما صلحاً، ودخل ﷺ من جهته فصار الحكم له وبهذا تجتمع الأخبار التي ظاهرها التعارض اهـ.

قوله: (بجهادك) متعلق بقول الشارح بفتح مكة، وهذا جواب عن إيراد حاصله أن الفتح مسند لله فهو من أفعاله، فكيف يترتب عليه قوله: ليغفر لك الله، والمغفرة للشخص إنما تكون لأجل شيء من أفعال غيره، وحاصل الجواب: أن الفتح وإن كان فعلاً لله لكنه لما ترتب على فعل النبي ﷺ وهو الجهاد صح أن يترتب عليه أي: على الفتح المغفرة للنبي ﷺ اهـ من حواشي البيضاوي.

قوله: ﴿لغفر لك الله﴾ الالتفات إلى الذات المستتبع لجميع الصفات كالغفر والإنعام والنصر لأجل الإشعار بأن كل واحد من الأمور الأربعة الداخلية تحت لام الغاية صادر عنه تعالى من حيثية الأخرى مترتب على صفة من صفاته تعالى اهـ أبو السعود.

فمغفرة الذنوب من حيث إنه تعالى غفار، وهداية الصراط من حيث انه هاد، وهكذا ويجمع الكل لفظ الله فإنه اسم للذات المستجمع للصفات اهـ شيخنا.

لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطًا﴾

قوله: (لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح أي إنما رتبنا عليه غفران الذنوب لترغب أمتك فيه اهـ شيخنا.

قوله: (هو مؤول) أي: بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين قاله شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه على الطوالع، وقيل: معنى الغفران الإحالة بينه وبين الذنوب فلا يصدر منه ذنب، لأن الغفر هو الستر والستر إما بين العبد والذنب وعقوبته، فاللائق به وبسائر الأنبياء الأول واللائق بالأمم الثاني قاله البرماوي، أو هو مبالغة كزيد يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه لا يمكن ضربه اهـ كلاخي.

قوله: (من الذنوب) أي: صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها اهـ شيخنا.

قوله: (للعلة الغائية) أي: لا للباعثة لأنه تعالى لا يبعثه شيء على اهـ شيخنا.

قوله: (لا سبب) السبب ما يضاف الحكم إليه كالزوال لوجوب الظهر، والمغفرة ليست كذلك كما هو مقرر في محله اهـ كرخي.

وفي الخطيب: واختلفت أقوال المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى، ليغفر لك الله، فقال البيضاوي: علة للفتح من حيث أنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في إعلاء الدين وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة، وقال البغوي: قيل اللام لام كي، ومعناه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح، وقال الجلال المحلي: اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب، وقال بعضهم: إنها لام القسم والأصل ليغفرن فكسرت اللام تشبهاً بلام كي وحذفت النون ورد هذا بأن اللام لا تكسر وبأنها تنصب المضارع قال ابن عادل: وقد يقال أن هذا ليس بنصب وإنما هو بقاء للفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكن هذا قول مردود، وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز، كأن قال: يسرنا لك مكة ونصرناك ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل، ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سبباً للمغفرة والثواب اهـ.

قال ابن عادل: وهذا الذي قاله مخالف لظهر الآية، فإن اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل لها، فكان ينبغي أن يقول: كيف جعل فتح مكة معللاً بالمغفرة، ثم يقول لم يجعل معللاً اهـ.

وقيل غير ذلك والأسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي اهـ بحروفه.

قوله: (بالفتح المذكور) هو فتح مكة وغيرها بجهادك اهـ.

قوله: ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ أي: في تبليغ الرسالة وإقامة مواسم الرئاسة اهـ بيضاوي.

طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ يثبتك عليه وهو دين الإسلام ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ ذا عزّ لا ذلّ معه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، منها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم

أي: فالهداية على حقيقتها فلا حاجة إلى ما قيل من أن المراد زيادة الاهتداء أو الثبات عليه اهـ شهاب.

قوله: (ذا عز) جواب عما يقال: كيف أسند العزيز إلى ضمير النصر مع أن العزيز من له النصر؟ وتقرير الجواب: أن صيغة فعيل هنا للنسبة، فالعزيز بمعنى ذو العز فالمعنى نصراً ذا عز ومنعة لا ذل فيه، وكونه ذا منعة يمنعه عن أن يصيبه سوء أو مكروه فإسناده العزيز بهذا المعنى إلى ضمير النصر حقيقة اهـ زاده.

قوله: ﴿في قلوب المؤمنين﴾ وهم أهل الحديبية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر مع أنه فاروق ومع وصفه في الكتب السالفة بأنه قرن من حديد، فما الظن بغيره وكان عند الصديق من القدم الثابت والأصل الراسخ ما علم به أنه لم يسابق ثم ثبتهم الله أجمعين اهـ خطيب.

وفي المواهب: قال في فتح الباري، قال في رواية البخاري: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا قال: فإنك آتيه وتطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه بفتح الغين وسكون الراء أي: تمسك بأمره ولا تخالفه، فوالله أنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنا تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه فتطوف به. قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين، وأما جواب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في ذلك على غيره اهـ.

قوله: (بشرائع الدين) متعلق بإيماناً ومتعلق قوله مع إيمانهم محذوف أي: بالله ورسوله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ في جنود السموات والأرض وجوه، الأول: أنهم ملائكة السموات والأرض. الثاني: أن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الحيوانات. الثالث: أن جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة، وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك اهـ خازن.

لفعل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ۝﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ

قوله: (الفعل) أي: لكنه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون إهلاك أعدائه بأيديهم فيكون لهم الثواب اهـ خطيب.

قوله: (متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد) فيه رد على من قال إنه متعلق بفتحنا. أي: لا يصح على أن ليغفر متعلق بفتحنا، لأن الفعل لا يعمل في حرفي جر معناهما واحد من غير عطف أو بدل أو توكيد، وفيه أيضاً بعد من جهة المعنى، وعلى من يقول إنه متعلق بقوله: ليزدادوا وجه الرد أن يعذب معطوف على ليغفر، ولا يناسب أن يكون ازدياد الإيمان علة ليعذب المنافقين وقال أبو حيان: الازدياد لا يكون سبباً لتعذيب الكفار. وأجيب: بأنه ذكر لكونه مقصوداً للمؤمن، كأنه قيل: بسبب ازديادكم في الإيمان يدخلكم الجنة ويعذب الكافرين بأيديكم في الدنيا اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أي: يغطيها ولا يظهرها وتقديم الإدخال في الذكر على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكان ذلك﴾ أي: المذكور من الإدخال والتفكير اهـ بيضاوي.

وعند الله حال من فوزاً لأنه صفة له في الأصل، فلما قدم عليه صار حالاً أي كائناً عند الله أي في علمه وقضائه، وجملة وكان الخ اعتراض مقرر لما قبله بين المعطوف وهو يعذب الخ، والمعطوف عليه وهو يدخل المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويعذب المنافقين﴾ قدمهم على المشركين لأنهم كانوا أشد على المؤمنين ضرراً من الكفار المجاهرين، لأن المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه إيمانه وكان يفشي إليه سره اهـ خطيب.

وفي قرطبي: ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أي بإيصال الهموم إليهم بسبب علو كلمة المسلمين، وبأن يسلط النبي ﷺ عليهم قتلاً وأسراً واسترقاقاً للظالمين بالله ظن السوء. يعني ظنهم أن النبي ﷺ لا يرجع إلى المدينة ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية، وأن المشركين يستأصلونهم كما قال: بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، وقال الخليل، وسيبويه: السوء هنا الفساد عليهم دائرة السوء في الدنيا بالقتل والسبي والأسر وفي الآخرة بجهنم اهـ.

قوله: ﴿ظن السوء﴾ الاضافة فيه ليست من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته، فإنها غير جائزة عند البصريين، لأن الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد، فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه، بل السوء صفة لموصوف محذوف أي: ظن الأمر السوء فحذف المضاف إليه وأقيمت صفته مقامه اهـ من بعض حواشي البيضاوي.

﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ أي مرجعاً ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ في الدنيا بالجنة

قوله: (بفتح السين وضمها) فالضم معناه العذاب والهزيمة والشر، والفتح معناه الذم كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: والفتح والضم لغتان غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر، وكلاهما في الأصل مصدر اهـ.

قوله: (في المواضع الثلاثة) أي هذين، والثالث قوله: وظننتم ظن السوء وهذا سبق قلم من الشارح، وصوابه أن يقول في الموضع الثاني إذ الموضع الأول والثالث ليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ إما إخبار عن وقوع السوء بهم أو دعاء عليهم، والدائرة مصدر بزنة اسم الفاعل أو اسم فاعل من دار يدور سمي به عاقبة الزمان أي حادثته اهـ شهاب.

وعبارة زاده: الدائرة الأصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز، ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه إلا أن اكثر استعمالها في المكروه والإضافة في دائرة السوء من إضافة العام للخاص، فهي للبيان كما في خاتم فضة. والمعنى أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفروا بالنصر أبداً، انتهت.

قوله: ﴿وغضب الله عليهم﴾ معطوف على عليهم دائرة السوء عطف فعلية على اسمية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ الخ ذكره سابقاً على أن المراد به أنه المدبر لأمر المخلوقات بمقتضى حكمته، فلذلك ذيله بقوله: عليماً حكيماً. وهنا أريد به التهديد بأنهم في قبضة قدرة المنتقم، فلذا ذيله بقوله: عزيزاً حكيماً فلا تكرار، وقيل: إن الجنود جنود رحمة وجنود عذاب، والمراد هنا الثاني ولذا تعرض لوصف العزة الدال على الغلبة فتأمل اهـ شهاب.

وعبارة الخازن: فإن قلت: قال في الآية الأولى: وكان الله عليماً حكيماً وقال في هذه: وكان الله عزيزاً حكيماً فما معناه؟ قلت: لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب، وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن يكون خاتمة الآية الأولى: وكان الله عليماً حكيماً، ولما بالغ في تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن يكون خاتمة الآية الثانية: وكان الله عزيزاً حكيماً، فهو كقوله: ﴿أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾ [الزمر: ٣٧] وقوله: ﴿أخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ [القمر: ٤٢] انتهت.

قوله: ﴿إنا أرسلناك﴾ هذا امتنان منه تعالى عليه ﷺ حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى الكافة شاهداً على أعمال أمته اهـ خازن.

قوله: (على أمتك) أي: بالطاعة والعصيان.

﴿وَنَذِيرًا ۝٨﴾ منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ينصروه وقرىء بزاءين مع الفوقانية ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ بالغداة والعشي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾

قوله: ﴿ليؤمنوا بالله﴾ متعلق بأرسلناك، وعبارة الخطيب: ثم بيّن تعالى فائدة الإرسال بقوله: ليؤمنوا بالله الخ اهـ.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان. قوله: (وقرىء) أي: شاذاً. قوله: (وضميرهما لله) الأظهر من الاحتمالين، أولهما: لتكون الضمائر على وتيرة واحدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ الخ لما بيّن تعالى أنه مرسل بين أن منزلته وقدره عند الله بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله حقيقة، لأن من بايعه عليه السلام على أن لا يفر من موضع القتال إلى أن يقتل أو يفتح الله لهم، وإن كان يقصد ببيعته رضا الرسول ظاهراً لكن إنما يقصد بها حقيقة رضا الرحمن وثوابه وجنته سميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التي هي مبادلة المال بالمال تشبيهاً لها بالمبايعة في اشتمال كل واحدة منهما على معنى المبادلة، لأن المعاهدة أيضاً مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات في محاربة الكافرين، وبين ضمانه عليه السلام لمرضاة الله تعالى عنهم وإثابته إياهم بجنات النعيم في مقابلة ذلك الثبات، فأطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة، ثم انه لما كان ثواب ثباتهم في الحرب إنما يصل إليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله، فإنه عليه السلام سفير، ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله وشبه تعالى بالمبايع أثبت له ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية اهـ زاده.

يعني في اسم الله استعارة بالكناية واليد تخييل مع أن فيها أيضاً مشاكلة لذكرها مع أيدي الناس اهـ شهاب.

فتلخص أن في هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية في الفعل ومكنية في الاسم الكريم وتخييلية في إثبات اليد له، وفيه مشاكلة في مقابلة يده بأيديهم. وفي الخازن: وأصله البيعة العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام والوفاء بالعهد الذي التزمه له، المراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك، وقد جاء في الحديث: أن الحديبية بئر. قال مالك: هي من الحرم، وقال ابن القصار: بعضها من الحل، ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها. روى الشيخان، عن يزيد بن عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ، قال: على الموت، وروى مسلم عن معقل بن يسار قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة. قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر. قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح، بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت، فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا، وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا اهـ.

بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بايعوا بها النبي، أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء والنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة، أي الذين

قوله: (بيعة الرضوان) سميت بذلك لقوله الله فيها ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ [الفتح: ١٨] الآية اهـ شهاب.

قوله: هو نحو (من يطع الرسول الخ) أي: نحوه من حيث إن معنى هذا يرجع لذلك، وأشار به إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح، وإنما المعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقدة مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ اهـ كرخي.

قوله: (أي هو تعالى مطلع الخ) أشار به إلى أي: إطلاق اليد على الله من قبيل المشاكلة، وأن المعنى المراد هو ما ذكره. قال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم في المبايعة، وذلك لأن المتبايعين إذا مدَّ أحدهما يده إلى الآخر في البيع وبينهما ثالث يضع على يده على يديهما ويحفظهما إلى أن يتم العقد، ولا يترك أحدهما يد الآخر كي يلزم العقد ولا يتفاسخان، فصار وضع اليد فوق الأيدي سبباً لحفظ البيعة، فقال: يد الله فوق أيديهم أي يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين اهـ خطيب.

وفي الكرخي: قوله: أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم يعني لما روعيت المشاكلة بين قوله: ﴿إن الذين يبايعون﴾ وبين قوله: ﴿إنما يبايعونك الله﴾ بنى عليها قوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ على سبيل الاستعارة التخييلية تتميماً لمعنى المشاكلة وهو كالترشيح للاستعارة أي: إذا كان الله مبايعاً ولا يد لنبايع كما تعورف واشتهر من الصفقة باليد فتتخيل له اليد لتأكيد معنى المشاكلة، وإلاَّ فجل جنابه الأقدس عن الجارحة. وهذا هو المراد من قول صاحب المفتاح، وأما حسن الاستعارة التخييلية فبأن تكون تابعة للكناية، ثم إذا انضم إليها المشاكلة كانت أحسن وأحسن، وظاهر أن المراد بلفظ التخييل الواقع في كلامهم التمثيل رعاية للادب، وقوله: إنما يبايعون الله خبر إن، ويد الله مبتدأ وما بعده الخبر، والجملة خبر آخر لإن أو حال من ضمير الفاعل في يبايعونك أو مستأنفة اهـ.

وفي القرطبي: يد الله فوق أيديهم قيل: المعنى يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنة عليهم في الهداية فوق أيديهم في الطاعة، وقال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة، وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم اهـ.

قوله: (يرجع وبال نقضه الخ) أشار به إلى تقدير مضافين في الضمير المستتر في ينكث اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء والنون) سبعيتان. قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾ هو الجنة.

قوله: ﴿سيقول لك المخلفون﴾ الخ لما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم إلى حضرة

خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفاً من تعرض قرش لك عام الحديبية إذا رجعت منها ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ عن الخروج معك ﴿ فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ الله من ترك الخروج معك، قال تعالى مكذباً لهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿ قُلْ فَمَن ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿ يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ أي لم

الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب، وأبطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله: سيقول آي: بوعد لا خلف فيه لك أي: لأنهم يعلمون شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطعمون في قبولك عذرهم الفاسد ما لا يطعمون فيه من غيرك من خلص المؤمنين اهـ خطيب.

قوله: (حول المدينة) حال من الاعراب أو صفة لهم أي: كائنين أو الكائنين والنازلين المقيمين حول المدينة اهـ شيخنا.

قوله: (أي الذين خلفهم الله الخ) وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت، فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه، وخافوا أن يكون قتال، وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه يعنون بأحد اهـ خازن.

قوله: (إذا رجعت منها) ظرف لسيقول.

قوله: ﴿وأهلونا﴾ أي: النساء والذراري، فانا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم، وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال اهـ خطيب.

قوله: (أي من طلب الاستغفار الخ) بيان لقوله ما ليس في قلوبهم مقدم عليه اهـ.

قوله: (فهم كاذبون في اعتذارهم) أي: وفي طلب الاستغفار، وكأنه إنما اقتصر على الأول، لأن الثاني انشاء والتكذيب في الإنشاء لا يصح إلا بتأويل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل فمن يملك لكم﴾ أي: فمن يقدر لأجلكم من الله، أي: من مشيئته أي ما يشاؤه ويقضي به من نفع أو ضر اهـ أبو السعود.

أي: فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه فما في النظم عن هذا اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن أراد بكم ضراً﴾ أي: ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال والأهل وعقوبة على التخلف اهـ بيضاوي.

قوله: (يفتح الضاد وضمها) سبعيتان. قوله: (للانتقال من غرض إلى آخر) فأضرب تعالى عن تكذيبهم في اعتذارهم إلى إبعادهم بأنه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار أمر وإخفاء غيره، فقال: بل كان الله بما تعلمون خبيراً، ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان ما حملهم على التخلف، فقال: بل ظننتم الخ اهـ زاده.

بزل متصفاً بذلك ﴿ بَلْ ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ أي إنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ هذا وغيره ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ جمع بائر، أي هالكين عند الله بهذا الظن ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ ناراً شديدة ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ

وعبارة الكرخي: قوله: من غرض إلى آخر إيضاح ذلك أنه نبيه ﷺ بأن يجيبهم بأجوبة ثلاثة على الترقي. يقول أولاً على سبيل الكلام المصنف تعريضاً بغيرهم من المحقين والمبطلين، فمن يملك لكم الخ، ثم أضرب عن الجواب إلى قوله: بل كان الله الخ، وفيه نوع تهديد، ولكن على الإبهام ثم ترقي، وصرح بمكنون ضمائرهم والكشف عن فضائحهم في قوله: ظننتم بل الخ اهـ.

قوله: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول﴾ الخ أي: ظننتم أن العدو يستأصلهم ولا يرجعون لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين، فحملكم ذلك على أن قلتم ما هم في قريش إلا أكلة رأس اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلى أهليهم﴾ جمع أهل اهـ.

قوله: (هذا) أي: ظن أنهم يستأصلون وغيره من كل ظن فاسد كظن أن محمداً غير رسول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ البور: الهلاك، وهو يحتمل أن يكون مصدراً أخبر به عن الجمع، ويجوز أن يكون جمع بائر كحائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح اهـ سمين.

وعائد وعوذ وهي من الإبل والخيل والحديث النتاج اهـ زاده.

وقوله عند الله أي في عمله.

قوله: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته، وقوله: للكافرين المقام للاضمار، وإنما أتى بالظاهر إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر مستوجب للسعير وتنكير سعيراً للتهويل اهـ أبو السعود.

ومن شرطية أو موصولة، والظاهر قائم مقام العائد على كل من التقديرين أي: فإنا أعتدنا لهم اهـ سمين.

وعبارة الخازن: ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً. لما بين الله تعالى حال المتخلفين عن رسول الله ﷺ وبيّن حال ظنهم الفاسد، وأن ذلك يفضي بصاحبة إلى الكفر حرضهم على الإيمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد، فقال تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ وظن أن الله يخلف وعده فانه كافر، فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً اهـ.

قوله: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ الخ هذا حسن لأطماعهم الفارغة في استغفاره ﷺ لهم، وقوله: وكان الله غفوراً رحيماً أي لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل عن ذلك قطعاً اهـ أبو السعود.

مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ أي لم يزل متصفاً بما ذكر ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ﴾ أي قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ

قوله: ﴿إذا انطلقتم﴾ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده. أي سيقولون عند انطلاقهم إلى مغانم اهـ أبو السعود.

وقوله: ذرونا مقول القول، وقوله: يريدون أن يبدلوا الخ يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون حالاً من الفاعل وهو المخلفون، وأن يكون حالاً من مفعول ذرونا اهـ سمين.

قوله: (هي مغانم خيبر) وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيئاً وعدهم الله عز وجل فتح خيبر، وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئاً اهـ خازن.

كما سيأتي في قوله: ﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ١٨] الخ. وفي القرطبي: سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر، لأن الله وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر، ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبدالله. فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضر. قال ابن إسحاق: وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار كانا حاسبين قاسمين اهـ سمين.

قوله: ﴿ذرونا﴾ أي: دعونا، يقال: ذره أي دعه وهو يذره أي يدعه، وأصله وذره يذره كوسعه، وقد أماتوا ماضية ومصدره واسم فاعله فلم ينطقوا بها، فلا يقال وذره ماضياً ولا يقال وذراً مصدراً ولا كوعد، ولا واذر بكسر الذال اسم فاعل، بل يقال تركه تركاً فهو تارك اهـ من القرطبي والقاموس.

قوله: (خاصة) فإنه ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست أقام بالمدينة بقيته وأوائل المحرم من سنة سبع، ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها، وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسبما أمره لله تعالى اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: يريدون أن يبدلوا كلام الله. قال ابن زيد: هو قوله تعالى: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة امنهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ [التوبة: ٨٣]. وأنكر هذا القول الطبري وغيره بسبب أن غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة، وقيل: المعنى يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعده لأهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً من فتح مكة حيث رجعوا من الحديبية على صلح قاله مجاهد وقتادة، واختاره الطبري، وعليه عامة أهل التأويل اهـ.

قوله: ﴿قل لن تتبعونا﴾ هذا النفي في معنى النهي للمبالغة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كذلكم﴾ أي: مثل هذا القول الصادر مني وهو لن تتبعونا قال الله: أي حكم بأن لا

﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منهم ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختباراً ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة هي المدعو

تتبعونا وبأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم منها نصيب، ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئاً بل يظنون أنها حيل على التوصل إلى المرادات الدنيوية تسبب عن قوله ذلك قوله تعالى تنبيهاً على جلافتهم وفساد ظنونهم، فسيقولون ليس الأمر كما ذكر مما ادعيت أنه قول الله تعالى، بل إنما قلتم ذلك لأنكم تحسدوننا اهـ خطيب.

فقوله: بل تحسدوننا اضراب عن محذوف هو مقول القول كما علمت. قوله: ﴿فسيقولون﴾ أي: عند سماعهم هذا النهي، وقوله: بل تحسدوننا أي: ليس ذلك النهي حكماً من الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم اهـ أبو السعود.

وقوله: فقلتم ذلك أي أن الله حكم بمنعنا من غنيمة خيبر وتخصيص أهل الحديبية بها. قوله: ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أي: لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلاً، أي: في أمر دنياهم ومن ذلك إقرارهم باللسان لأجلها، وأما أمور الآخرة فلا يفهمون منها شيئاً اهـ خطيب.

قوله: (من الدين) فيه إشعار إلى أن الإضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد، والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أعم منه، والجهل وهو قلة الفقه وفيه أن الجهل غاية في الذم وحب الدنيا ليس من شيمة العالم اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم وإشعاراً بشناعة التخلف أي فذمهم مرة بعد أخرى كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (قيل هم بنو حنيفة الخ) عبارة القرطبي: ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد. قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وابن أبي ليلى، وعطاء الخراساني: هم فارس، وقال كعب، والحسن، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى: هم الروم. وعن الحسن أيضاً: هم فارس والروم، وقال ابن جبير: هم هوازن وثقيف، وقال عكرمة: هم هوازن، وقال قتادة: هم هوازن وغطفان يوم حنين، وقال الزهري، ومقاتل: هم بنو حنيفة أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة، وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد، فلم نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم، وقال أبو هريرة: لم تأت هذه الآية بعد، وظاهر الآية يرده، وفي هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وأما قول عكرمة وقتادة: إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين، فلا لأنه لا يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنه قال: لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً، فدل على أن المراد بالداعي غير النبي ﷺ، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد لنبي ﷺ إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. قال الزمخشري: فإن صح ذلك عن قتادة فقوله: لن تخرجوا معي أبداً يعني ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطرابات في الدين اهـ.

إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ مؤلماً ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾

قوله: (أصحاب اليمامة) اليمامة: اسم لبلاد في اليمن، وإسم لامرأة كانت بها. وفي المختار: واليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام. يقال: أبصر من زرقاء اليمامة: واليمامة أيضاً بلاد وكان اسمها الجو فسميت باسم هذه الجارية لكثرة ما أضيف إليها، وقيل: جو اليمامة اهـ.

قوله: ﴿أو﴾ (هم) ﴿يسلمون﴾ أشار بهذا التقدير إلى أن الجملة مستأنفة، وعبارة السمين: العامة على رفعه بإثبات النون عطفاً على تقاتلونهم، أو على الاستئناف أي أو هم يسلمون، انتهت.

ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فإن الروم نصارى، وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية اهـ أبو السعود.

وأما بنو حنيفة؛ فكانوا مرتدين فلا يقبل منهم إلاَّ الإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن تتولوا﴾ الخ لما نزل هذا قال أهل الزمانة والعاهة والآفة: كيف بنا يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ الخ اهـ خطيب.

وقوله: كما توليتم من قبل أي: في الحديبية. قوله: (في ترك الجهاد) يعني في التخلف عن الجهاد، وهذه أعذار ظاهرة في ترك الجهاد لأن أصحابها لا يقدرون على الكر والفر، لأن الأعمى لا يمكنه الإقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الهرب، وكذلك الأعرج والمريض، وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير، والذي لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار. وهناك أعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج إليه من مصالح الجهاد والأشغال التي تعوق عن الجهاد، كتمريض المريض الذي ليس معه من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك، وإنما قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حراسة ولا غيرها بخلاف الأعرج، فإنه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها، وقدم الأعرج على المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب اهـ خازن.

قوله: (بالياء والنون) سبعيتان.

قوله: ﴿ومن يتولى يعذبه عذاباً أليماً﴾ فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة من دأبه بخلاف التعذيب، وكرر الوعيد لأن المقام أدعى للترهيب اهـ كرخي.

قوله: (بالياء والنون) سبعيتان.

قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ أي: الراسخين في الإيمان. أي: فعل بهم فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب، وأفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا

بالحديبية ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا

مع أعدلهم في الآخرة، فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بأمور شاهدة، ولأجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان اهـ خطيب.

وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش ابن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة وحمل على جملة ﷺ ليبلغ أشرافهم أنه ﷺ جاء معتمراً ولم يجيء محارباً، فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعهم الأحابيش فخلوا سبيله، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشاً وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتني عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزبها مني لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته وكتب له كتاباً بعثه معه، وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه. فخرج عثمان وتوجه إلى مكة فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام، وقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به. قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا هنيئاً لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا، فقال ﷺ: «إن ظني به أن لا يطوف حتى نطوف معاً». وبشّر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها. فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه، وقال: هذه عن عثمان. وفي البخاري فقال ﷺ بيده اليمنى: «هذه بيعة عثمان» فضرب بها على اليسرى الحديث. وهذا قد يشعر بأنه ﷺ علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه، فيكون هذا من معجزاته ﷺ، ويؤيده ما جاء أنه لما بايع الناس قال: اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك وضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يده لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم، ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة بإذنه ﷺ قيل: في جوار عثمان، وقيل: سراً اهـ من الخازن والمواهب وشرحه.

قوله: ﴿إذ يبايعونك﴾ منصوب برضى والمقام للماضي، وأتى بصيغة المضارع لاستحضاره صورة المبايعة وتحت ظرف ليبايعونك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تحت الشجرة﴾ معمول ليبايعونك أو حال من مفعوله، لأنه ﷺ كان تحتها جالساً اهـ كرخي.

قوله: (من سمرة) قال في المختار في باب الراء: والسمرة بضم الميم من شجر الطلع، والجمع سمر بوزن رجل وسمرات وأسمر في القلة اهـ.

قريشاً وأن لا يفرُّوا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم

وقال في باب الحاء الطلح بوزن الطلع شجر عظيم العضاه الواحدة طلحة، والطلح أيضاً لغة في الطلع. قلت: جمهور المفسرين على أن المراد من الطلح في القرآن الموزن اهـ.

وفي شرح المواهب، وفي الصحيح عن ابن عمر: أن الشجرة أخفيت والحكمة في ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضركما نشاهده الآن فيما دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله: كان خفاؤها رحمة من الله. وروى ابن سعد بإسناد صحيح، عن نافع: أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت اهـ من الفتح اهـ.

قوله: (أو أكثر) قيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة، والأصح وأربعمائة اهـ شيخنا.

قوله: (على أن يناجزوا قريشاً) في القاموس: المناجزة المقاتلة كالتناجز اهـ.

قوله: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ معطوف على يبايعونك لما علمت أنه بمعنى الماضي، وقوله: فأنزل معطوف على رضي اهـ أبو السعود.

قوله: (بعد انصرافهم من الحديبية) أي: في ذي الحجة، فأقام ﷺ بالمدينة بقيته وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع اهـ خازن.

قوله: ﴿ومغانم كثيرة﴾ معطوف على فتحاً قريباً.

قوله: ﴿وعدكم الله﴾ الالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان اهـ أبو السعود.

والخطاب لأهل الحديبية. قوله: (من الفتوحات) أشار بهذا إلى أن العطف للمغايرة، فقوله: ومغانم كثيرة المراد بها مغانم خيبر، وعدكم الله مغانم كثيرة المراد بها مغانم غير خيبر اهـ.

قوله: (غنيمة خيبر) إن كان نزول هذه الآية بعد فتح خيبر كما هو الظاهر لا تكون السورة بتمامها نازلة في رجوعه ﷺ من الحديبية، وإن كانت قبله على أنها من الإخبار عن الغيب، فالإشارة بهذه لتنزيل المغانم الغائبة منزلة الحاضرة المشاهدة والتعبير بالمضي للتحقق اهـ كرخي.

وقد تقدم التصريح بأن السورة كلها نزلت في رجوعه من الحديبية بقرب عسفان تأمل. قوله: (في عيالكم) أي: عن عيالكم وهذا الجار والمجرور بدل من قوله عنكم يشير به لتقدير مضاف في الآية، وقوله: لما خرجتم أي: إلى الحديبية، والمراد بالناس كما في البيضاوي أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان، وهذا هو المناسب لقول الشارح، وهمت بهم اليهود أي: يهود خيبر، وهذا هو المناسب لما تقدم من أن السورة نزلت بتمامها في رجوعه ﷺ من الحديبية بكراع الغميم بقرب عسفان، وفي الخازن: وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم اهـ.

وهمت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي المعجلة عطف على مقدر أي تشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ أي طرق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه تعالى ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة مغانم مقدراً مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ هي من

فالناس على هذا أسد وغطفان فتلخص أنه إن أريد يهود خيبر كان المراد بقول الشارح لما خرجتم خروجه ﷺ للحديبية، وإن أريد بالناس بنو أسد وغطفان كان المراد بقول الشارح لما خرجتم أي إلى خيبر، وفي القرطبي: وكف أيدي النـاس عنكم يعني أهل مكة كمهم عنكم، وقال قتادة: كف أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي ﷺ إلى الحديبية وهو اختيار الطبري، لأن كف أيدي الناس بالحديبية مذكور في قوله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم﴾ [الفتح: ٢٤] الخ اهـ.

قوله: (عطف على مقدر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعبارة القرطبي: ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتكون عزيمتهم وسلامتكم آية للمؤمنين، فيعلموا أن الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم، وقيل: ولتكون كف أيديهم عنكم آية للمؤمنين وقيل: أي ولتكون هذه التي عجلها لكم آية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم أن يصيبوها، والواو في ولتكون مقحمة عند الكوفيين، وقال البصريون: عاطفة على مضمر أي وكف أيدي الناس عنكم لتشكروها ولتكون آية للمؤمنين اهـ.

قوله: ﴿آية للمؤمنين﴾ أي: إمارة يعرفون بها صدق الرسول ﷺ في وعده إياهم عند الرجوع من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام اهـ أبو السعود.

قوله: (أي طريق التوكل عليه الخ) فسَّر الصراط المستقيم بما ذكر، لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك، ولأن أصل الهدي حاصل قبله اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأخرى﴾ يجوز فيها أوجه، أحدها: أن تكون مرفوعة بالابتداء ولم تقدروا عليها صفتها وقد أحاط الله بها خبرها. الثاني: أن الخبر محذوف مقدر قبلها أي: وثم أخرى لم تقدروا عليها. الثالث: أن تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير فيقدر الفعل من معنى المتأخر وهو قد أحاط الله بها أي: وقضى الله أخرى. الرابع: أن تكون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير بل لدلالة السياق. أي: ووعدكم أخرى أو وآتاكم أخرى. الخامس: أن تكون مجرورة برب مقدرة، وتكون الواو واو رب ذكره الزمخشري. وفي المجرور بعد الواو المذكورة خلاف مشهور أهو برب مضمرة أو بنفس الواو إلا أن الشيخ قال: ولم كانت رب جارة في القرآن على كثرة دورها يعني جارة لفظاً، وإلاَّ فقد قيل إنها جارة تقديراً هنا، وفي قوله ربما يود على قولنا أن ما نكرة موصوفة اهـ سمين.

وفي القرطبي: وأخرى معطوفة على هذه أي: فعجل لكم هذه المغانم وعجل أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها، وكونها معجلة وإن كانت لم تحصل إلا في عهد عمر بالنسبة لما بعدها من الغنائم الإسلامية. قال ابن عباس: هي الفتوحات التي فتحت على المسلمين كأرض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمين. قاله قتادة والحسن، ومقاتل، وابن أبي ليلى. وعن ابن عباس أيضاً. والضحاك، وابن زيد وابن إسحاق: هي خيبر وعدها الله نبيه قبل أن يفتحها، ولم يكونوا يرجونها حتى أخبرهم الله عنها، وعن الحسن أيضاً، وقتادة: هو فتح مكة، وقال عكرمة: حنين لأنه قال لم تقدروا

فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١)﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا (٢٢)﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ منه ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى

عليها، وهذا يدل على تقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة. قال القشيري، وقال مجاهد: هي ما يكون إلى يوم القيامة، ومعنى قد أحاط الله بها أي: أعدها لكم فهي كالشيء الذي أحيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت، فأنتم وإن لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم، وقيل: أحاط الله بها علم أنها ستكون لكم كما قال: ﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ [الطلاق: ١٢] وقيل: حفظها الله عليكم ليكون فتحها لكم اهـ بحروفه.

قوله: (مبتدأ) والمسوغ الوصل، وسكت عن الخبر وهو قوله: قد أحاط الله بها وما بينهما صفة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ ومنه تمكينكم من الأخرى.

قوله: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ وهم أهل مكة ومن وافقهم، وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم بعد اهـ خطيب.

وفي المواهب، وفي رواية للبخاري: حتى إذا كانوا ببعض الطريق قرب عسفان قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، وكانوا مائتي فارس فيهم عكرمة بن أبي جهل جاؤوا طليعة لقريش فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، والقترة هي الغبار الثائر من الجيش اهـ مع زيادة من الشارح.

قوله: ﴿لولوا الأدبار﴾ تولية الأدبار كناية عن الهزيمة اهـ زاده.

قوله: (من هزيمة الكافرين الخ) بيانية.

قوله: ﴿التي قد خلت﴾ أي: مضت من قبل فيمن مضى من الأمم كما قال: ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة: ٢١] اهـ كرخي.

قوله: ﴿لن تجد﴾ أي: أيها السامع اهـ خطيب.

قوله: ﴿تبديلاً﴾ (منه) أي: من الله تعالى، أي: أن الله لا يبدل سنته وطريقته. قوله: (بالحديبية) بيان لبطن مكة، فالمراد ببطنها الحديبية، والمراد بمكة الحرم والحديبية منه أو ملاصقة له، فعلى الأول التعبير عنه بالبطن ظاهر، وعلى الثاني يكون المراد بالبطن الملاصق والمجاور.

قوله: ﴿من بعد أن أظفركم﴾ أي أظهركم اهـ خطيب.

فصح تعديته بعلى اهـ شهاب.

وقد بيّن الشارح إظهاره عليهم بقوله: فإن ثمانين منهم الخ تأمل.

سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ بالياء والتاء، أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي عن الوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ معطوف على كم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان اهـ.

قوله: ﴿هم الذين كفروا﴾ الخ لما كان ما مضى من وصف الكفار يشمل كفار مكة وغيرهم عينهم بسبب كفهم النبي ﷺ والمؤمنين عن البيت الحرام بقوله: هم الذين كفروا الخ اهـ خطيب.

قوله: (معطوف على كم) عبارة السمين قوله: والهدي العامة على نصبه، والمشهور أنه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم، وقيل: نصب على المعية وفيه ضعف لامكان العطف، وقرأ أبو عمرو في رواية بجره عطفاً على المسجد الحرام، ولا بد من حذف مضاف أي: وعن نحر الهدي، وقرىء برفعه على أنه مرفوع بفعل مقدر لم يسم فاعله. أي: وصد الهدي، والعامة على فتح الهاء وسكون الدال. وروي عن أبي عمرو، وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء، وحكى ابن خالويه ثلاث لغات الهدي وهي الشهيرة لغة قريش والهدي والهدي اهـ.

قوله: (محبوساً) يقال: عكفت الرجل عن حاجته إذا حبسته عنها، وأنكر الفارسي تعدية عكف بنفسه وأثبتها ابن سيده والأزهري وغيرهما وهو ظاهر القرآن لبناء اسم المفعول منه اهـ سمين.

وفي المختار: عكفه حبسه ووقفه وبابه ضرب ونصر، ومنه قوله تعالى: ﴿والهدي معكوفاً﴾ ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس، وعكف على الشيء أقبل عليه مواظباً وبابه دخل وجلس. قال الله تعالى: ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ [الأعراف: ١٣٨] اهـ.

قوله: (وهو الحرم) فيه أن مطلق الحرم ليس مكان الذبح عادة، بل العادة في الحج منى، وفي العمرة المروة. وفي البيضاوي: والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي يجوز أن ينحر في غيره، وإلا لما نحره الرسول ﷺ حيث أحصر فلا ينهض حجة للحنفية على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم اهـ.

قوله: (بدل اشتمال) أي: من الهدي، والتقدير: وصدوا بلوغ الهدي محله اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: أن يبلغ محله فيه أوجه، أحدها: أنه على إسقاط الخافض أي: عن أن يبلغ أو من أن يبلغ، وحينئذ يجوز في هذا الجار المقدر أن يتعلق بصدوكم، وأن يتعلق بمعكوفاً أي: محبوساً عن بلوغ محله، أو من بلوغ محله. الثاني: أنه مفعول من أجله، وحينئذ يجوز أن يكون علة للصد، والتقدير: صدوا الهدي كراهة أن يبلغ محله، وأن يكون علة لمعكوفاً أي: لأجل أن يبلغ محله ويكون الحبس من المسلمين. الثالث: أنه بدل من الهدي بدل اشتمال أي: صدوا بلوغ الهدي محله اهـ.

قوله: (موجودون) خبر المبتدأ. قوله: (بدل اشتمال من هم) عبارة السمين: قوله: أن تطؤوهم يجوز أن يكون بدلاً من رجال ونساء وغلب الذكور كما تقدم وإن يكون بدلاً من مفعول تعلموهم،

بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ أي إثم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لِّيُدۡخِلَ

فالتقدير على الأول ولولا وطء رجال ونساء غير معلومين، وتقدير الثاني لم تعلموا وطأهم والخبر محذوف تقديره: ولولا رجال ونساء موجودون أو بالحضرة اهـ.

قوله: ﴿فتصيبكم﴾ أي: فيتسبب عن هذا الوطء أن تصيبكم منهم أي من جهتهم وبسببهم اهـ خطيب.

وقوله: (إثم) كوجوب الدية والكفارة بقتلهم اهـ كرخي.

أو المراد بالإثم حقيقته وهو الحرمة من حيث التقصير في عدم التأمل وتمييز المسلم من الكافر اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: فتصيبكم منهم أي: من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم، والمعرة مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه اهـ.

قوله: ﴿بغير علم﴾ (منكم به) أي: بالقتل وأشار بقوله: منكم إلى أن الجار والمجرور حال من الكاف في تصيبكم، وعبارة السمين: قوله: بغير علم يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لمعرة، وأن يكون حالاً من مفعول تصيبكم اهـ.

قوله: (وجواب لولا محذوف) والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم اهـ بيضاوي.

وعبارة السمين: وفي جواب لولا ثلاثة أوجه، أحدها: أنه محذوف لدلالة جواب لو عليه. والثاني: أنه مذكور وهو لعذبنا، وجواب لولا هو المحذوف فحذف من الأول لدلالة الثاني ومن الثاني لدلالة الأول. والثالث: أن قوله لعذبنا جوابهما معاً وهو بعيد إن أراد حقيقة ذلك، وقال الزمخشري قريباً من هذا، فإنه قال: ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما لمعنى واحد، ويكون لعذبنا هو الجواب، ومنع الشيخ رجوعهما لمعنى واحد قال: لأن ما تعلق به الأول غير ما تعلق به الثاني اهـ.

قوله: (حينئذ) أي: عام الحديبية. قوله: ﴿ليدخل الله﴾ الخ علة للاستثنائية التي قدرها بقوله: لكن لم يؤذن الخ كما أشار له السمين ونصه: قوله ليدخل الله الخ متعلق بمقدر أي: كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله الخ اهـ.

وفي البيضاوي: ليدخل الله علة لما دل عليه كف الأيدي المفهوم من السياق عن أهل مكة صوناً فيها من المؤمنين، أي: كان ذلك ليدخل الله في رحمته أي: في توفيقه لزيادة الخير في الإسلام من يشاء من مؤمنيهم أو مشركيهم اهـ.

اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ مؤلماً ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بعذبنا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فاعل ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ

وقوله: أي في توفيقه أشار به إلى أنه إن كان المراد بمن يشاء المؤمنين فالرحمة التي يريد أن يدخلهم فيها التوفيق لزيادة الخير والطاعة لا لأصله لئلا يكون تحصيلاً للحاصل، وإن كان المراد به المشركين فالمراد بالرحمة الدخول في الإسلام اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: كالمؤمنين المذكورين أي: وكالمشركين لأنهم إذا شاهدوا مراعاة المسلمين ورحمة الله في شأن طائفة من المؤمنين بأن منع من تعذيب أعداء الدين بعد الظفر بهم لأجل اختلاطهم بهم رغبوا في مثل هذا الدين والانخراط في زمرة المؤمنين اهـ.

قوله: ﴿لو تزيلوا﴾ أي: تميزوا قاله العتبي، وقيل: لو تفرقوا قاله الكلبي، وقيل: لو زال المؤمنين من بين أظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف قاله الضحاك، ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار. وقال علي رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا، فقال: «هم المشركون أجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في أصلابهم قوم مؤمنون، فلو تزيل المؤمنين عن أصلاب الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذاباً أليماً» اهـ قرطبي.

وفي المصباح: زاله يزاله وزان ناله يناله زيالاً نحاه وأزاله مثله، ومنه لو تزيلوا أي: لو تميزوا بافتراق، ولو كان من الزوال وهو الذهاب لظهرت الواو فيه وزيلت بينهم فرقت وزايلته فارقته اهـ.

قوله: ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ قال القاضي: بالقتل والسبي وهو الظاهر، لأن المراد من تعذيبهم التعذيب الدنيوي الذي هو تسليط المؤمنين عليهم وقتالهم، فإن عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب الآخرة اهـ قاري.

قوله: (من أهل مكة حينئذ) أي: حين إذ تميزوا اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بعذبنا) عبارة السمين: العامل في الظرف إما لعذبنا أو صدوكم أو اذكر مقدراً فيكون مفعولاً اهـ.

قوله: ﴿في قلوبهم﴾ يجوز أن يتعلق على أنه بمعنى ألقى فيتعدى لواحد أي: إذ ألقى الكافرون في قلوبهم الحمية أي: أضمروها وأصروا عليها، وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قدم على أنه بمعنى صير اهـ سمين.

قوله: (الأنفة) بفتحتين أي: التكبر والتعاظم اهـ شهاب.

قوله: ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية قبلها وهي فعيلة وهي مصدر، يقال: حميت من كذا حمية وحمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أم باطل، فتمنع من الإذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله، فتوجب تخطي حدود الشرع، ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء. قال مقاتل: قال أهل مكة:

﴿ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار

إنهم قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فيتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنوفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأنزل الله سكينته﴾ معطوف على شيء مقدر أي: فهم المسلمون أن يخالفوا كلام رسول الله في الصلح، ودخلوا من ذلك في أمر عظيم كادوا أن يهلكوا أو يدخل الشك في قلوبهم حتى أنه ﷺ قال ثلاث مرات: «قوموا وانحروا ثم احلقوا» فما قام منهم رجل ظناً منهم أن الأمر للإباحة أو الاستحباب أو من باب الشورى في أمر الحرب، وأرادوا أن ينشطوا على الكفار، فأنزل الله سكينته الخ اهـ قاري.

وفي أبي السعود: روي أن رسول الله ﷺ لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ما نعرف هذا. اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة، فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك. اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال النبي ﷺ: «اكتب ما يريدوه» فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحملوا اهـ.

قوله: (على أن يعودوا من قابل) أي: وعلى وضع الحرب عشر سنين. قال البراء: صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين مسلماً ردوه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح وكتب بذلك كتاباً، قيل: أمر علياً بكتابته، وقيل: كتبه بيده الشريفة ولم يكن يحسن الكتابة خرقاً للعادة، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم أحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد لما حصل لهم من الغم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل، فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضاً اهـ خازن.

قوله: ﴿وألزمهم﴾ أي: اختار لهم فهو الزام إكرام وتشريف، وقوله: كلمة التقوى أي من الشرك اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكانوا أحق بها﴾ أي: في علم الله لأن الله تعالى اختارهم لدينه اهـ كرخي.

﴿وَأَهۡلَهَاۚ﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٢٦﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة وهو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا، وشق عليهم ذلك، وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ﴾ أي

قوله: (تفسيري) أي: لاحق بها، أو الضمير في بها لكلمة التوحيد وفي أهلها للتقوى فلا تكرار، فلا يرد ما فائدة قوله وأهلها بعد قوله: أحق بها اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ أي: جعل رؤياه صادقة محققة ولم يجعلها أضغاث أحلام، وإن كان تفسيرها لم يقع إلا بعد ذلك في عمرة القضاء، وفي الخازن: أخبر تعالى أن الرؤيا التي أراها الله تعالى إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام حق وصدق اهـ.

وفي أبي السعود: ومعناه أراه الرؤيا الصادقة اهـ.

وعبارة البيضاوي: لقد صدق رسول الله الرؤيا بالحق أي: صدقه في رؤياه اهـ.

أي: حقق صدقها عنده، وفيه إشارة إلى أنه على الحذف والإيصال، والأصل في الرؤيا. وفي شارح الكرماني أن كذب يتعدى إلى مفعولين يقال: كذبني الحديث وكذا صدق كما في الآية، فعلى هذا لا حذف فيها لكنه غريب لأنه لم يعهد تعدي المخفف إلى مفعولين والمشدد إلى واحد اهـ شهاب.

قوله: (وراب) أي: ارتاب بعض المنافقين، فقال عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نفيل، ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام اهـ أبو السعود.

قوله: (متعلق بصدق الخ) عبارة السمين: قوله: بالحق فيه أوجه، أحدها: أن يتعلق بصدق. الثاني: أن يكون صفة لمصدر محذوف أي: صدقاً ملتبساً بالحق. الثالث: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أي: ملتبسة بالحق. الرابع: أنه قسم، وجوابه: لتدخلن فعلى هذا يوقف على الرؤيا ويبتدأ بما بعدها اهـ.

قوله: (للتبرك) أي: وتعليماً للعباد وإشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو غير ذلك اهـ قاري.

فإن الذين حضروا عمرة القضاء كانوا سبعمائة، ومنهم من لم يحضر الحديبية، وعبارة البيضاوي: تعليق الوعد بالمشيئة تعليماً للعباد وإشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا والنبي ﷺ لأصحابه اهـ.

وهذا جواب عما يقال من أنه تعالى خالق للأشياء كلها وعالم بها قبل وقوعها، فكيف وقع التعليق منه تعالى بالمشيئة، مع أن التعليق إنما يكون إذا كان المخبر متردداً وشاكاً في وقوع المعلق،

جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي الدخول ﴿فَتْحًا

والله منزه عن ذلك؟ فأجاب أولاً: بأنه تعليم للعباد لكي يقولوا مثل ذلك وفيه أيضاً تعريض بأن دخولهم مبني على مشيئة الله تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم، وهذا معنى ما قيل استثنى الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون. ثانياً: بأن الموعود دخولهم جميعاً وعلقه بمشيئته إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل، فكلمة إن ليست للشك بل للتشكيك. وثالثاً: يمنع أن يكون التعليق من كلام الله، بل يجوز أن يكون من قبل الملك الذي ألقى على النبي ﷺ كلام الله، وهو قوله: لتدخل المسجد الحرام آمنين الخ، فعلى هذا لا يكون قوله لتدخلن استئنافاً بل يكون تفسيراً للرؤيا، فإن ذلك الملك لما ألقى عليه السلام في رؤياه هذا الكلام أدخل فيه هذه الكلمة تبركاً، ولما رضي به تعالى ألقاه كذلك على لسان جبريل. ورابعاً: بأنه من كلام الرسول اهـ زاده.

ورد صاحب التقريب الجوابين الأخيرين بأنه كيف يدخل في كلامه تعالى ما ليس منه بدون حكاية، ويدفع بأن المراد أن جواب القسم بيان للرؤيا، وقائلها في المنام الملك، وفي اليقظة الرسول عليهما السلام فهي في حكم المحكي في دقيق النظر كأنه قيل: وهي قول الملك أو الرسول لتدخلن، ولا يخفى أنه وإن صح النظم لا يدفع البعد اهـ شهاب.

قوله: ﴿آمنين﴾ حال من الواو المحذوفة من لتدخلن لالتقاء الساكنين، أي: حال مقارنة للدخول والشرط معترض، والمعنى آمنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم أن يخرجكم في المستقبل اهـ كرخي.

وقول الشارح: حالان أي: من الواو المحذوفة أيضاً أو من الضمير في آمنين، فهي مترادفة على الأول ومتداخلة على الثاني، وقوله: لا تخافون يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون حالاً إما من فاعل لتدخلن، أو من الضمير في آمنين، أو في محلقين، أو في مقصرين، فإن كانت حالاً من آمنين أو من فاعل لتدخلن فهي للتوكيد اهـ سمين.

قوله: (مقدرتان) أي: فلا يرد أن حال الدخول هو حال الإحرام وهو لا يجامع الحلق والتقصير اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا تخافون﴾ (أبداً) أي: حتى بعد فراغ الإحرام، وأشار بهذا إلى أن قوله لا تخافون غير مكرر مع آمنين، وعبارة الخطيب: فإن قيل: قوله لا تخافون معناه غير خائفين، وذلك يحصل بقوله آمنين. وأجيب: بأنه فيه كمال الأمن، لأن التحلل من الاحرام لا يحرم القتال، وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال: لتدخلن آمنين وتحلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم من الاحرام اهـ.

قوله: (من الصلاح) ككونكم لو لم تصالحوهم على تأخير الدخول إلى السنة القابلة، ودخلتم عليهم في هذه السنة عنوة بالمقابلة لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم ولأصابتكم منهم معرة، والفاء في قوله: فعلم عاطفة على جملة لقد صدق الله الخ على أن المذكور بعدها كلام مرتب على ما

قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ﴾

قبلها في الذكر من غير أن يكون مضمون ما بعدها واقعاً عقيب مضمون ما قبلها في الزمان اهـ زاده.

قوله: ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي: من قبل ذلك فتحاً قريباً أي ليقويكم به فإنه كان موجباً لإسلام كثير تقوى بهم المسلمون، فكان ذلك سبباً لهيبة الكفار لهم مانعة من قتالهم حين رجع المسلمون العام القابل اهـ خطيب.

قوله: (هو فتح خيبر) وقيل: هو صلح الحديبية، وقيل: هو فتح مكة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ الخ تأكيد لبيان تصديق الله رؤياه، لأنه لما كان مرسلاً ليهدي إلى الحق لا يصح أن يريه في المنام خلاف الواقع فيحدث به الناس فيظهر خلافه فيكون سبباً للضلال، وقوله: بالهدى المراد به القرآن أو المعجزات اهـ خطيب.

والباء للملابسة أو سببية اهـ بيضاوي.

يعني أن الجار والمجرور حال من المفعول والتباسه بالهدى بمعنى أنه هاد اهـ شهاب.

وقوله: ودين الحق أي دين الإسلام. قوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أي: ليعليه على الدين كله بنسخ ما كان حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على أهله إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون، وفي هذا تأكيد لما وعده من الفتح اهـ بيضاوي.

قوله: (بما ذكر) أي: بالهدى ودين الحق، وقوله: كما قال الله تعالى أشار به إلى أن جملة محمد رسول الله مؤكدة لقوله: هو الذي أرسل رسوله الخ اهـ شيخنا.

قوله: (لا يرحمونهم) أي: لا تأخذهم بهم رأفة، بل هم معهم كالأسد على فريسته، لأن الله تعالى أمرهم بالغلظة عليهم فلا يرحمونهم، وعن الحسن، بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس ثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه، ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التذلل وهذا التعطف، فيشددوا على من ليس من دينهم، ويعاشروا إخوانهم المؤمنين في الإسلام متعطفين بالبر والصلة والمعونة وكف الأذى والاحتمال منهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿تراهم ركعاً﴾ الخ خبر آخر أو مستأنف اهـ أبو السعود.

وقوله: حالان أي من مفعول تراهم اهـ كرخي.

قوله: (مستأنف) أي: مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود، كأنه قيل:

علامتهم مبتدأ ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة، وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ مبتدأ وخبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمد

ماذا يريدون بذلك؟ فقيل: يبتغون الخ اهـ أبو السعود.

وقوله: فضلاً أي ثواباً. قوله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قيل: إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر، وقيل: هو صفرة الوجه من سهر الليل، وقيل: الخشوع حتى كأنهم. مرضى وما هم مرضى اهـ شهاب.

وفي الخطيب: قال البقاعي: ولا يظن أن من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة سجود من جبهته، فإن ذلك من سيما الخوارج. عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود» اهـ خطيب.

قوله: (من ضميره) أي: من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة، وقوله: إلى الخبر وهو الجار والمجرور اهـ شيخنا.

قوله: (أي الوصف المذكور) وهو كونهم أشداء رحماء سيماهم في وجوههم الخ اهـ كرخي.

مثلهم: أي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الأمثال اهـ أبو السعود.

قوله: (مبتدأ) أي: مثلهم مبتدأ، وخبره في التوراة يعني والجملة خبر عن ذلك فهو مبتدأ أول، وأعرب السمين ذلك مبتدأ ومثلهم خبره في التوراة حالاً من مثلهم والعامل معنى الإشارة اهـ.

قوله: ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ وخبره كزرع فيوقف على قوله في التوراة فهما مثلان، وإليه ذهب ابن عباس. والثاني: أنه معطوف على مثلهم الأول، فكون مثلاً واحداً في الكتابين، ويوقف حينئذ على في الإنجيل، وإليه نحا مجاهد والفراء. ويكون قوله: كزرع على هذا فيه أوجه، أحدها: أنه خبر مبتدأ مضمر أي مثلهم كزرع فسّر به المثل المذكور في الإنجيل. الثاني: أنه حال من الضمير في مثلهم أي: مماثلين زرعاً هذه صفته. الثالث: أنه نعت مصدر محذوف أي تمثيلاً كزرع ذكره أبو البقاء. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله: كزرع، وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء اهـ سمين.

قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اهـ خطيب.

قوله: (بسكون الطاء وفتحها) سبعيتان. وفي المختار: شطء الزرع والنبات فراخه، وقال الأخفش: طرفه. وأشطأ الزرع خرج شطؤه اهـ.

وفي القاموس: الشطء فراخ النخل والزرع أو ورقه، وشطأ كمنع شطأ وشطوءاً أخرجها ومن الشجر ما خرج حول أصله، والجمع أشطاء، وأشطؤ أخرجها والرجل بلغ ولده فصار مثله اهـ.

والقصر، قوّاه وأعانه ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ غلظ ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصوله جمع ساق ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ متعلق بمحذوف دلّ

قوله: (فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظاً ومعنى. يقال: فرخ الزرع إذا تهيأ للانشقاق اهـ شهاب.

وقال زاده: يقال أفرخ الزرع وفرخ إذا تشقق وخرج منه فرعه، فأول ما ينبت يكون بمنزلة الأم، وما تفرع منه بمنزلة أولاده وأفراخه، والفرخ في الأصل ولد الطائر اهـ.

قوله: (فآزره﴾ أصله أأزره بوزن أكرمه فمضارعه يؤزر بوزن يكرم، لكن قلبت الهمزة الثانية في الماضي ألفاً للقاعدة المشهورة، وأما أزره بالقصر فهو ثلاثي كضربه يضربه ومعناه أعانه وقواه اهـ شيخنا.

والضمير المستتر في آزر للزرع والبارز للشطء اهـ زاده.

وما صنعه النسفي أنسب، فإن العادة أن الأصل يتقوى بفرعه فهي تعينه وتقويه اهـ شيخنا.

قوله: (بالمد والقصر) سبعيتان كآجره في أجره. قوله: (غلظ) أي: فهو من باب استحجر الطين، ويحتمل أن يراد المبالغة في الغلظة كما في استعصم ونحوه، وإيثار الأول لأن بناء الساق على التدريج اهـ كرخي.

قوله: ﴿على سوقه﴾ متعلق باستوى، ويجوز أن يكون حالاً أي كائناً على سوقه أي قائماً عليها اهـ سمين.

قوله: (أصوله) أي قضبانه. قوله: ﴿يعجب الزراع﴾ حال أي: حال كونه معجباً وهنا تم المثل اهـ سمين.

قوله: (مثل الصحابة) أي في الإنجيل. قوله: (فكثروا) مأخوذ من قوله: أخرج شطأه، وقوله: وقووا مأخوذ من قوله فآزره فاستغلظ وقوله: على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله: فاستوى على سوقه يعجب الزراع اهـ شيخنا.

وفي الكشاف: هذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبي ﷺ قام وحده ثم قواه الله بمن معه كما يقوي الطبقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، وهذا ما قاله البغوي من أن الزرع محمد، والشطء أصحابه والمؤمنون، فجعل التمثيل له ولأمته، والمصنف جعله للصحابة فقط، ولكل وجهة، وعن بعض الصحابة أنه لما قرأ هذه الآية قال: تم الزرع وقد دنا حصاده اهـ شهاب.

قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وقوتهم كأنه قيل: إنما قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار، وإليه أشار الشيخ المصنف في التقرير حيث قال: أي شبهوا بذلك، وتبع فيه الكشاف أو متعلق بوعد، لأن الكفار إذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة

عليه ما قبله، أي شبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض، لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ الجنة، وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات.

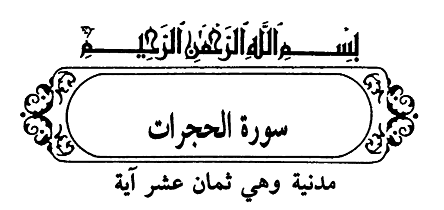
غاظهم ذلك، أو بما يدل عليه قوله أشداء على الكفار الخ. أي: جعلهم بهذه الصفات ليغيظ الخ اهـ كرخي.

قوله: (لا للتبعيض) أي: كما قاله بعضهم محتجاً بالآية على الطعن في بعض الصحابة اهـ شهاب.

قوله: (لمن بعدهم) أي بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، وقوله: في آيات متعلق بالاستقرار في قوله: لمن بعدهم أي ثبتاً في آيات لمن بعد الصحابة كقوله تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد: ٢١] إلى قوله: ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ [الحديد: ٢١] اهـ شيخنا.

خاتمة:

قد جمعت هذه الآية، وهي محمد رسول الله إلى آخر السورة جميع حروف المعجم، وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضي الله عنهم، واحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه. وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول، وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهراً، كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرة له ﷺ بالحال على من قصده بالضر باطناً اهـ خطيب.



مدنية وهي ثمان عشر آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مدنية) بالإجماع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيها المؤمنون، والمخاطب به أمر أو نهي وذكر فيها يا أيها الناس مرة، والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما أن المخاطب به وهو قوله: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣] يعمهما فناسب فيها ذكر الناس اهـ كرخي.

قوله: (من قدم بمعنى تقدم) عبارة السمين: العامة على ضم وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان، أحدهما: أنه متعد وحذف مفعوله إما اقتصاراً كقولهم: هو يعطي ويمنع وكلوا واشربوا، وإما اختصاراً للدلالة عليه أي: لا تقدموا ما لا يصح. والثاني: أنه لازم نحو وجه وتوجه، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الأحرف الثلاثة، والأصل لا تتقدموا فحذفت إحدى التاءين، وقرىء لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال من أقدم أي لا تقدموا على شيء اهـ.

قوله: (بقول ولا فعل) مثال القول ما ذكره في سبب النزول، ومثال الفعل ما قيل في سبب النزول أيضاً من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله. وفي الخطيب: واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الشعبي، عن جابر: إنه في الذبح يوم الأضحى قبل الصلاة، أي: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً ذبحوا قبله ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وقال: من ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء. وعن مسروق، عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم، وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين أي: لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله. قال الرازي: والأصح أنه إرشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالأمر وإقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة اهـ.

قوله: ﴿بين يدي الله ورسوله﴾ جرت هذه العبارة هنا على سنن من المجاز، وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلاً أي: استعارة تمثيلية. شبه تعجل الصحابة في إقدامهم على قطع الحكم في أمر من

وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه أي بغير إذنهما ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٞ ۝١﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن

أمور الدين بغير إذن الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدي متبوعه إذا سار في طريق، فإنه في العادة مستهجن، ثم استعمل في جانب المشبه ما كان مستعملاً في جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض تصوير كمال الهجنة وتقبيح قطع الحكم بغير إذن الله ورسوله، ومثله قوله تعالى في حق الملائكة: ﴿ولا يسبقونه بالقول﴾ [الأنبياء: ٢٧] أصله لا يسبق قولهم قوله، فنسب السبق إليهم وجعل القول محله تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله، أو المراد بين يدي رسول الله، وذكر لفظ الله تعظيماً للرسول وإشعاراً بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله، وعلى هذا فلا استعارة، وإليه يميل كلام الشيخ المصنف اهـ كرخي.

وفي الشهاب: في هذا الكلام تجوزان، أحدهما في بين اليدين فإن حقيقته ما بين العضوين فتجوز بهما عن الجهتين المقابلتين اليمين والشمال القريبتين منه بإطلاق اليدين على ما يجاورهما ويحاذيهما، فهو من المجاز المرسل، ثم استعير الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن تلزمه متابعته تصويراً لهجنته وشناعته بصورة المحسوس كتقدم الخادم بين يدي سيده في مسيره، فنقلت العبارة الأولى بما فيها من المجاز إلى ما ذكر على ما عرف في أمثاله، هذا محصل ما في الكشاف وشروحه اهـ.

وفي الخطيب: بين يدي الله ورسوله معناه بحضرتهما، لأن ما يحضره الإنسان فهو بين يديه ناظر إليه، وحقيقته: جلست بين يدي فلان أي نجلس بين الجبهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعاً، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع اهـ.

وفي الخازن: والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله أو قبل أن يفعل اهـ.

وفي البيضاوي: والمعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم الله ورسوله به اهـ.

وقطع الأمر الجزم به والجرأة على ارتكابه من غير إذن من له الإذن اهـ شهاب.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي في التقدم الذي نهى عنه أو في مخالفة الحكم المنهي عنه اهـ كرخي.

قوله: (على النبي) الأولى أن يقول عند النبي ﷺ، ففي الحديث أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ وطلبوا أن يؤمر عليهم واحداً منهم، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا أي تخاصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت اهـ قاري.

وقول عمر: ما أردت خلافك أي: ما أردت مخالفتك تعنتاً، وإنما أردت أن تولية الأقرع في هذا المكان أصلح ولم يظهر لك ذلك، فأمرت بتولية غيره اهـ شبراملسي على المواهب.

وقول القاري: فنزلت أي هذه الآيات الخمس آخرها قوله: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾

معبد. ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك

الآية كما أشار له البخاري، وصرح به القرطبي حيث قال بعد ما ذكر السبب المذكور: فنزل في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ إلى قوله: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ الآية. فكلها نزلت بسبب وفد تميم، فقول الشارح: ونزل فيمن رفع صوته كأبي بكر وعمر في القصة المذكورة، وقوله: ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي الخ، أي: بسبب ما وقع من أبي بكر وعمر من رفع صوتهما في القصة المذكورة حيث ترتب عليه نزول النهي عن رفع الصوت، فصارا يخفضان صوتهما عند النبي، وقوله: ونزل في قوم الخ وهم وفد تميم الذين تكلم في شأنهم أبو بكر وعمر فليتأمل. فتلخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر في تأمير الأمير على الوفد المذكور، ولم يصبروا حتى يكون رسول الله هو الذي يشير بذلك نزل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الآية. ولما رفعا أصواتهما في تلك القضية نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية. ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية. ولما نادى الوفد المذكور النبي ﷺ من وراء الحجرات نزل: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ [الحجرات: ٤] الآيتين تأمل. قوله: (ونزل فيمن رفع صوته الخ) كأبي بكر وعمر في القصة المذكورة كالوفد المذكور فإنهم رفعوا أصواتهم أيضاً اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الخ في إعادة النداء فوائد، منها: أن في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ [لقمان: ١٣] ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ [لقمان: ١٦] الخ ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ [لقمان: ١٧] لأن النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام، ويفهم ما له منه فإعادته تفيد تجدد ذلك، ومنها: أن لا يتوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً، فإن من الجائز أن يقول القائل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو، فإذا أعاد مرة أخرى وقال: يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم أن المخاطب أولاً هو المخاطب ثانياً، ومنها: أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيداً للأول، كقولك: يا زيد لا تنطق ولا تتكلم إلا بالحق، فإنه لا يحسن أن تقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين اهـ خطيب.

قوله: (إذا نطقتم) أي: تكلمتم، وقوله: إذا أنطق أي تكلم.

قوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ الخ لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع أن العطف يأباه أشار المصنف كالكشاف إلى أن المراد بالأول إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حداً يبلغه صوته، بل يكون كلامكم دون كلامه ليتميز منطقه، والمراد بهذا أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم فحصل التغاير. والبيضاوي: لما رأى أن تخصيص الأول بمكالمته معهم، والثاني بسكوته خلاف الظاهر، لأن الأول نهى عن أن يكون جهرهم أقوى من جهره كما هو صريح قوله فوق صوت النبي، وهذا نهي عن مساواة جهرهم لجهره عدل عنه، فحمل الأول على النهي عن زيادة صوتهم على صورته والثاني: على مساواة صوتهم لصوته فحصل التغاير أيضاً بهذا الاعتبار اهـ من الشهاب.

إجلالاً له ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين، ونزل

قوله: (إذا ناجيتموه) أي: كلمتموه. قوله: (بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين أي: بل اجعلوا أصواتكم دون ذلك، أي: دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض، وقوله: (إجلالاً له) تعليل ما تضمنه قوله بل دون ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ في المختار: حبط عمله بطل ثوابه وبابه فهم وحبوطاً أيضاً اهـ.

قوله: ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أي: بحبوطها اهـ بيضاوي.

قوله: (أي خشية ذلك الخ) أشار به إلى أن تحبط على حذف مضاف أي: خشية الحبوط، والخشية منهم وقد تنازعه لا ترفعوا و تجهروا، فيكون مفعولاً لأجله للثاني عند البصريين، وللأول عند الكوفيين، والأول أصح لأن إعمال الأول يستلزم الإضمار في الثاني اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: وقوله أن تحبط أعمالكم إما علة للنهي أي لا تجهروا خشية أن تحبط، أو كراهة أن تحبط كما في قوله تعالى: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦] أو للمنهي أن لا تجهروا لأجل الحبوط، فإن الجهر حيث كان بصدد الأداء إلى الحبوط، فكأنه فعل لأجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨] اهـ.

قوله: (بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الإشارة لأنه واقع على الحبوط، فكأنه قال: أي خشية الحبوط بسب الجهر والرفع، لأن في الرفع والجهر استخفافاً به قد يؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة اهـ قاري.

روى أنه لما نزل هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمرَّ به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيَّ وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار. فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي فشدي عليَّ الضبة بمسمار فضربته بمسمار فأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره قال: اذهب فادعه لي فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة فأتيا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال: أنا صيِّت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة» . فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبداً، فأنزل الله: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية. قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم. قال: أف لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله، وقد وضع على درعي برمة، فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي، وأت أبا بكر

فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾ اختبر ﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي لتظهر منهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ الجنة، ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهر والنبي ﷺ في منزله فنادوه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض

خليفة رسول الله ﷺ وقل له: إن عليَّ ديناً حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته. قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه اهـ خازن.

قوله: (فيمن كان يخفض صوته) أي: مخافة من مخالفة النهي السابق.

قوله: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الخ قال أبو هريرة، وابن عباس: لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار وقال ابن الزبير: لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين يغضون﴾ أي: يخفضون أصواتهم عند رسول الله أي: إجلالاً له ﷺ وتعظيماً اهـ خازن.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ الخ يجوز أن يكون أولئك مبتدأ، والذين خبره، والجملة خبره إن، ويكون لهم مغفرة جملة أخرى إما مستأنفة وهو الظاهر وإما حال، ويجوز أن يكون الذين امتحن صفة لأولئك أو بدلاً منه أو بياناً ولهم مغفرة جملة خبرية، ويجوز أن يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة فاعل به اهـ سمين.

قوله: ﴿امتحن الله قلوبهم﴾ الامتحان افتعال من محنت الأديم محناً حتى أوسعته، فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى اهـ قرطبي.

وفي القاموس: محنه كمنعه اختبره كامتحنه والاسم المحنة كالكسر اهـ.

قوله: (أي لتظهر منهم) أي: فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة، فالاختبار بالمحن سبب لظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها كما لا يخفى، فهو من إطلاق السبب على المسبب، ويجوز أن يكون تمثيلاً شبه خلوص قلوبهم عن شوائب الكدورات النفسانية ونصوع دواعيهم على اللذات الشهوانية بعد طول المجاهدات ومقاساة المكابدات بخلوص الذهب الإبريز الذي عرض على النار ونقي من الخبث والزبد الذي يذهب جفاء. قال الواحدي: تقرير الكلام امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه، ولهذا قال قتادة: أخلص الله قلوبهم اهـ.

وهذا الوجه أنسب، لأن الكلام وارد في مدح أولئك السادة الكرام أو في التعريض بمن ليسوا على وصفهم، ومن ثم قال في فاصلة الآية السابقة وأنتم لا تشعرون، وفي فاصلة اللاحقة أكثرهم لا يعقلون اهـ كرخي.

قوله: (ونزل في قوم) أي: من بني تميم على ما سيأتي.

قوله: ﴿من وراء الحجرات﴾ أي: من خارجها خلفها أو قدامها، لأن وراء من الأضداد يكون

بحائط ونحوه، كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أي حجرة، ومناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من

بمعنى خلف وبمعنى قدام ومن ابتدائية اهـ بيضاوي.

وقوله: خلفها أو قدامها الذي صرح به القرطبي أنهم نادوا من المسجد فيكونون قدامها لأن أبوابها كانت تفتح في المسجد ونصه: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. قال مجاهد وغيره: نزلت في أعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا، فإن مدحنا زين وذمنا شين، وكانوا سبعين رجلاً قدموا لفداء ذراري لهم، وكان النبي ﷺ نام للقائلة، وقال مقاتل: كانوا تسعة نفر، قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وسويد بن هاشم، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بن معبد، ووكيع ابن وكيع، وعيينة بن حصن وهو الأحمق المطاع. وسئل رسول الله ﷺ فقال هم جفاة بني تميم: لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم، وقيل: كانوا جاؤوا شفعاء في أسارى بني عنبر، فأعتق رسول الله ﷺ نصفهم وفادى النصف ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء اهـ.

وعبارة الخازن: قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر، وأمَّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاءه بعد ذلك رجالهم يفتدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله ﷺ قائلاً في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهضوا إلى آبائهم يبكون، وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ حجرة فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، فنزل عليه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال لهم رسول الله ﷺ: «أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم؟» قالوا: نعم، قال شبرمة: أنا لا أحكم وعمرو شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآية، اهـ.

قوله: (ما يحجر عليه) أي: يحوط عليه لمنعه من الدخور، فالحجرة القطعة من الأرض المحجورة بحائط أو نحوه فهي فعلة بمعنى مفعوله كالغرفة والقبضة اهـ بيضاوي.

قوله: (كأن كل واحد منهم الخ) هذه الصيغة لا جزم فيها، لأن المقام مقام تردد، وعبارة البيضاوي: ومناداتهم من وراء الحجرات إما بأنهم أتوها حجرة حجرة، فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له، فنادى كل واحد على حجرة، انتهت.

قوله: (مناداة الاعراب) معمول لينادونك. قوله: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ المراد بالأكثر الكل، لأن العرب قد تفعل هكذا أي تذكر الأكثر وتريد الكل اهـ شيخنا.

قوله: (محلك الرفيع) معمول ليعقلون، وفي نسخة بمحلك الرفيع معمول لفعلوه، فالمحل على الأول المكانة، وعلى الثاني المحسوس وهو داره ومكانه اهـ شيخنا.

التعظيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل بفعل مقدر أي ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ لمن تاب منهم ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه

قوله: ﴿أنهم﴾ (في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه اهـ قازي.

وعبارة الكرخي: والخبر محذوف فإنه يحذف وجوباً بعد لو، كما نقله ابن هشام عن أكثر البصريين، وتقدم في سورة البقرة لو أنه مبتدأ لا خبر له اكتفاء بجريان المسند والمسند إليه كما نقله ابن عصفور عن البصريين، وزعم أنه لا يحفظ عنهم غيره وهو قضية سكوت الشيخ المصنف عنه، انتهت.

قوله: (أي ثبت) أي صبرهم وانتظارهم، وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين، ورجح بأن فيه إبقاء لو على الاختصاص بالفعل ولذا اقتصر القاضي عليه اهـ قاري.

قوله: ﴿لكان﴾ أي الصبر خيراً لهم أي: من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب اهـ كرخي.

قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الأولى والعقبى اهـ خطيب.

قوله: (ونزل في الوليد بن عقبة الخ) عبارة الخطيب: واختلف في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ الخ. فقال أكثر المفسرين: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، وذلك أن النبي ﷺ بعثه إلى بني المصطلق بعد الوقعة معهم والياً مصدقاً، أي: يأخذ منهم الصدقة، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه، فأتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله! سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا أنه إنما ردّه من الطريق كتاب جاء منك فغضب غضبته علينا، وإنَّا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره، وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر منهم ذلك فافعل فيهم ما تفعل في الكفار، ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، ووجدهم مجتهدين أي باذلين وسعهم ومجهودهم في امتثال أمر الله، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، وانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ الآية. وقال الراوي: هذا ضعيف لأن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا والنبي ﷺ لم ينقل عنه أنه قال: وردت الآية لبيان ذلك فقط. غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الآية، ومما يصدق ذلك ويؤيده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطىء لا يسمى فاسقاً، فكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الإيمان كقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم

النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهمَّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة فتثبتوا من الثبات ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾ مفعول له أي خشية ذلك ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ حال من الفاعل أي جاهل ﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ﴾ من الخطإ بالقوم ﴿نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تقولوا الباطل،

الفاسقين﴾ [المنافقون: ٦] وقوله تعالى: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ [السجدة: ٢٠] الآية إلى غير ذلك اهـ.

وقال ابن الخازن في تفسيره: وقيل: هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق، وهذا أولى من حمل الأولى على رجل بعينه، انتهت.

قوله: (مصدقاً) بتخفيف الصاد أي ليأخذ الصدقات، وفي المختار: الصدق ضد الكذب، وقد صدق في الحديث يصدق بالضم صدقاً، ويقال أيضاً: صدق الحديث وتصادقاً في الحديث وفي المودة، والمصدق الذي يصدقك في حديثك والذي يأخذ صدقات الغنم، والمتصدق الذي يعطي الصدقة، وقوله تعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ [الحديد: ١٨] بتشديد الصاد أصله المتصدقين قلبت التاء صاداً وأدغمت في مثلها اهـ.

قوله: (لترة) بكسر التاء وفتح الراء أي: عداوة اهـ كرخي.

وتقدم لهذا المعنى مزيد بيان في قوله تعالى: ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ [محمد: ٣٥] اهـ.

قوله: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ سماه فاسقاً تنفيراً وزجراً عن المبادرة والاستعجال إلى الأمر من غير تثبت كما فعل هذا الصحابي الجليل، لكنه مؤول ومجتهد فيما فعله فليس فاسقاً حقيقة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تصيبوا قوماً﴾ أي: بالقتل والسبي اهـ خازن.

قوله: (أي خشية ذلك) قدر المضاف اختياراً لمذهب البصريين، والكوفيون يقدرون لئلا تصيبوا اهـ كرخي.

قوله: ﴿نادمين﴾ أي: مغتمين غماً لازماً، فالندم غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمني أنه لم يقع اهـ كرخي.

قوله: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ أي: لا تكذبوا عليه، فإن الله يعلمه أنباءكم فتفتضحون، وقوله: لو يطيعكم الخ معنى طاعة الرسول لهم الائتمار بما يأمرونه فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم اهـ قرطبي.

وأن بما في حيزها سادة مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله: لو يطيعكم الخ، فإنه حال من الضمير المجرور في فيكم أو المرفوع المستتر فيه، والمعنى أنه فيكم كائناً على حالة

فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، لأن من حبب إليه الإيمان الخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ الثابتون على دينهم ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل

يجب تغييرها أو كائنين على حالة كذلك، وهي أنكم تودون أن يتبعكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل والهلاك، وفيه إيذان بأن بعضهم زيّن لرسول الله ﷺ أن يقع في بني المصطلق وأنه لم يطع رأيهم. هذا ويجوز أن يكون لو يطيعكم مستأنفاً، إلا أن الزمخشري منع هذا الاحتمال لأدائه إلى تناقض النظم ولا يظهر ما قاله بل الاستئناف واضح أيضـاً، وأتى بالمضارع بعد لو دلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يريدون اهـ سمين وأبو السعود.

قوله: (فيرتب على ذلك مقتضاه) لما كان في الملازمة خفاء أشار إلى إيضاحها بتقدير هذه الجملة، وقوله: دونه أي فلا يأثم بعذره، وقوله: إثم التسبب أي: لا إثم الفعل لأنكم لم تفعلوا، وقوله: إلى المرتب أي الذي يرتبه النبي على إخباركم ويفعله كقتال بني المصطلق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حبب إليكم الإيمان﴾ أي: الكامل وهو عبارة عن التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، وإذا حبب إليهم هذا الإيمان المستجمع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لأضدادها، فلذلك قال: وكره إليكم الكفر الذي هو التكذيب، وهذا في مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذي هو الكذب كما قاله ابن عباس، وهذا في مقابلة الاقرار باللسان الصادق والعصيان الذي هو المعاصي، وهذا في مقابلة العمل الصالح بالأركان اهـ من الخطيب بإيضاح.

قوله: (استدراك من حيث المعنى الخ) فيه إشارة إلى وجه الارتباط بينه وبين ما قبله ويوضحه قول الكشاف، فإن قلت: كيف موقع لكن وشرطيتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً وإثباتاً؟ قلت: هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى، لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم، فوقعت لكن في موضعها من الاستدراك اهـ كرخي.

وهذا مبني على تقدير أن يكون المخاطبون بقوله: لو يطيعكم من اعتمد على نبأ الفاسق إلى العمل بمقتضاه، ويكون المخاطبون بقوله: حبب إليكم الإيمان المؤمنين الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ما سمعوه اهـ زاده.

ويؤيده ما في القرطبي ونصه: ولكن الله حبب إليكم الإيمان هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون على النبي ﷺ ولا يخبرونه بالباطل أي: جعل الإيمان أحب الأديان إليكم وزينه بتوفيقه في قلوبكم أي: حسنه إليكم حتى اخترتموه اهـ.

قوله: (مصدر منصوب بفعله المقدر) عبارة السمين: يجوز أن ينتصب على المفعول من أجله وفيما ينصبه وجهان، أحدهما: قوله ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وعلى هذا فما بينهما اعتراض من

﴿وَنِعْمَةً﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ ۝٨﴾ في إنعامه عليهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حماراً ومرَّ على ابن أبيّ فبال الحمار، فسدّ ابن أبيّ أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب من مسكك، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ جمع نظراً إلى المعنى، لأن كل طائفة جماعة، وقرىء اقتتلتا ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ تعدت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ

قوله: أولئك هم الراشدون. والثاني: أنه الراشدون ويجوز أن ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة لأنها فضلة أيضاً، إلا أن ابن عطية جعله من المصدر المؤكد لنفسه، انتهت.

قوله: (أي أفضل) في المختار: وأفضل عليه وتفضل بمعنى اهـ.

وعلى هذا فقول الشارح مصدر الخ فيه نوع مسامحة إذ مصدر أفضل إفضال ففضل اسم مصدر له اهـ شيخنا.

قوله: (هي أن النبي ﷺ ركب حماراً الخ) عبارة الخازن: روى الشيخان عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب على حمار عليه أكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: فسار النبي ﷺ حتى مرَّ على مجلس فيه عبد الله ابن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغير علينا فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فما لبث المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته وذكر الحديث، انتهت.

قوله: (ومرَّ على ابن أبي) وكان من الخزرج، وقوله: فقال ابن رواحة وكان من الأوس اهـ.

قوله: (فسد ابن أبي أنفه) أي: وقال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك اهـ خازن.

قوله: (فكان بين قوميهما) وهما الأوس والخزرج اهـ.

قوله: (والسعف) هو جريد النخل إذا كان عليه الخوص، فإن كان مجرداً منه قيل له عسيب اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء اقتتلتا) أي: شاذاً.

قوله: ﴿فإن بغت﴾ أي: تعدت إحداهما على الأخرى أي: لم تتأثر بالنصيحة وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء أي: ترجع إلى أمر الله أي: إلى كتابه الذي جعله حكماً بين خلقه، وقيل: ترجع إلى طاعته في الصلح الذي أمر به، فإن فاءت أي: رجعت إلى الحق فأصلحوا

تَفِيٓءَ﴾ نرجع ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الحق ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ في الدين ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ إذا تنازعا وقرىء إخوتكم بالفوقانية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ﴾ الآية، نزلت في

بينهما بالعدل، أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله، وأقسطوا أي اعدلوا إن الله يحب المقسطين أي العادلين اهـ خازن.

قوله: ﴿حتى تفيء﴾ يجوز أن تكون حتى هنا للغاية فالنصب بأن مضمرة بعدها، أي: إلى أن ويجوز أن تكون بمعنى كي فتكون للتعليل، والأول كما قال بعضهم هو الظاهر المناسب لسياق الآية اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأصلحوا بينهماب العدل﴾ أي: بالنصح والدعاء إلى حكم الله، ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر اهـ كرخي.

قوله: (بالانصاف) لما كان العدل مقولاً بالاشتراك نبه على المراد به هنا وتقييد الصلح هنا بالعدل، لأنه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة وهي تورث الحقد في الغالب اهـ كرخي.

قوله: (اعدلوا) أشار به إلى أن أقسط الرباعي معناه العدل وهمزته للسلب أي: أزيلوا الجور بخلاف قسط الثلاثي فمعناه الجور يقال: قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل. قال تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ [الجن: ١٥] وهذا هو المشهور خلافاً للزجاج في جعلهما سواء اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح، والفاء في قوله فأصلحوا بين أخويكم للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح اهـ أبو السعود.

قوله: (في الدين) أي: من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ وضع الظاهر موضع المضمر مضافاً إلى المأمورين بالإصلاح للمبالغة في التقرير والتحضيض، وخص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهما الشقاق، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم، لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين اهـ كرخي.

قوله: (وقرىء إخوتكم) أي: شاذاً. وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة اهـ كرخي.

قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي: على تقواكم، ولعل من الله في هذا المقام إطماع من الكريم الرحيم إذ الإطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا يخسر قوم﴾ الخ في المصباح: سخرت منه سخراً من باب تعب هزأت به،

وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين، كعمار وصهيب، والسخرية الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي رجال منكم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن

والسخري بالكسر اسم منه والسخري بالضم لغة فيه، والسخرة وزان غرفة ما سخرته من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن، والسخري بالضم بمعناه، وسخرته في العمل بالتنقيل استعملته مجاناً وسخر الله الإبل ذللها وسهلها اهـ.

وفيه أيضاً: لمزه لمزاً من باب ضرب عابه، وقرأ به السبعة ومن باب قتل لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها اهـ.

وفيه أيضاً: نبزه نبزاً من باب ضرب لقبه، والنبز اللقب تسمية بالمصدر وتنابزوا نبز بعضهم بعضاً اهـ.

قوله: (نزلت في وفد تميم الخ) عبارة القرطبي: اختلف في سبب نزولها، فقال ابن عباس: نزلت في ثابت بـن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فصف كل رجل بمجلسه وغضوا عنه فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلساً فيظل قائماً، فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطَّى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال الرجل: قد وجدت مجلساً فاجلس فيه، فجلس ثابت بن قيس من خلفه مغضباً ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة يعيره بها يعني أماً له في الجاهلية فاستحيا الرجل، فنزلت. وقال الضحاك: نزلت في وفد تميم الذين تقدم ذكرهم في أول السورة استهزؤوا بفقراء الصحابة مثل عمار، وخباب، وابن فهيرة، وبلال، وصهيب، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم، وقال مجاهد؛ سخرية الغني من الفقير، وقال ابن زيد لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه بمن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الآخرة، وقيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلماً، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت. وبالجملة فينبغي أن لا يجترىء أحد على الاستهزاء بأحد يعيبه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في حديثه، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء بمن عظمه الله، ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيرهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنع، وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلباً اهـ.

قوله: (والاحتقار) عطف تفسير. قوله: (أي رجال منكم) أشار به إلى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال خاصة واحده في المعنى رجل، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه، وهذا ما اقتصر عليه اللغويون والنحاة، ويدل لذلك المقابلة بقوله: ولا نساء من نساء، وأما ما جاء من قوم نوح ونحوه، فالمراد

يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا فتعابوا، أي لا يعب بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ لا

الأعم الشامل للنساء أي على سبيل التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها، ولهذا عبَّر عن الإناث بما هو مشتق من النسوة بفتح النون وهي ترك العمل، وفي كلام الشيخ المصنف إشارة إلى تنكير القوم للتبعيض، وأن المعنى على الإفراد وإن جاء النظم على الجمع، لأن السخرية تقع في الجامع، أي: أنه من نسبة فعل البعض إلى الجميع لرضاهم به في الأغلب ولوجوده فيما بينهم اهـ كرخي.

وقوله: منكم قيّد به قوم المرفوع وتركه في المجرور وغيره ذكر هذا القيد في كل منهما وكذا يقال في قوله: ولا نساء.

قوله: ﴿عسى أن يكونوا﴾ الخ عسى باسمها استئناف لبيان العلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لإغناء الاسم عنه اهـ بيضاوي.

وقوله: باسمها الأولى بفاعلها لأنها تامة تأمل. قوله: ﴿ولا نساء من نساء﴾ روي عن أنس أن هذه الآية نزلت في نساء رسول الله ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر، وعن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي ﷺ: يهودية بنت يهودي، وعن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي وعمك نبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك؟» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب﴾ عن أبي جبيرة بن الضحاك وهو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال: فينا نزلت هذه الآية بني سلمة قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا فلان»، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أخرجه أبو داود والترمذي قال: كان الرجل منا يكون الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ قال الترمذي حديث حسن، وقال ابن عباس: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها فنهى أن يعير بما سلف من عمله، وقيل: هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر، وقيل: كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك، وقيل: هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير. قال العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكره المنادي، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمداً ومدحاً وتكون حقاً وصدقاً فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق، ولعمر الفاروق، ولعثمان ذو النورين، ولعلي أبو تراب، ولخالد سيف الله ونحو ذلك اهـ خازن.

قوله: (لا تعيبوا فتعابوا) أشار إلى توجيه قول أنفسكم أي: فإن الإنسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير، فقد عاب الشخص نفسه بواسطة، وقوله: أي لا يعب بعضكم بعضاً أشار به إلى تفسير آخر فكان

يدعُ بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه يا فاسق يا كافر ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ بدل من الاسم، لإفادة أنه فسق لتكرره عادة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑪﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي مؤثم

الأول كما صنع غيره أن يقول أو لا يعب بعضكم بعضاً يعني: والمؤمنون كشخص واحد، فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه فصح قوله: ولا تلمزوا أنفسكم على كل من التفسيرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز بفتح الباء اللقب مطلقاً أي: حسناً أو قبيحاً، وخص في العرف بالقبيح وبسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه اهـ زاده.

وعبارة الشهاب: والنبز والنزب في الأصل اللقب، ثم خصه العرف بالتغليب بما يكرهه الشخص وهو المنهي عنه، فليس ذكر الألقاب معه مستدركاً كما يتوهم، انتهت.

وفي السمين: التنابز تفاعل من النبز وهو التداعي باللقب، والنزب مقلوب منه لقلة هذا وكثرة ذاك، ويقال: تنابزوا وتنازبوا إذا دعا بعضهم بعضاً بلقب سوء اهـ.

قوله: ﴿بئس الاسم﴾ ليس المراد بالاسم هنا ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف، بل المراد به الذكر المرتفع لأنه من السمو اهـ كرخي.

أي: لأن هذه الأمور الثلاثة ذكر معايب، وعبارة البيضاوي: أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الإيمان واستهتارهم به، والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين، أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح، انتهت.

قوله: (بدل من الاسم) وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره: هو ولو أعربه مخصوصاً بالذم لكان أحسن اهـ شيخنا.

قوله: (لافادة أنه) أي: ما ذكر من السخرية الخ فسق، وقوله: أنكروه عادة يعني أنه وإن كان المذكور صغيرة لا يفسق بها لكنه في العادة يتكرر فيصير كبيرة مفسقة اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل فيهيىء لهما ما يصلحهما من الطعام أو الشراب، فضم سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه، فنام ولم يهيىء لهما شيئاً فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا غلبتني عيناي. قالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ، فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك»، وكان أسامة خازن طعام رسول الله ﷺ وعلى رحله فأتاه، فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالوا لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما «مالي أرى خضرة اللحم في

وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حذف منه إحدى التاءين، لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم

أفواهكما». قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً. قال: ظلمتما بأكل لحم سلمان وأسامة، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ يعني أن يظن بأهل الخير سوءاً، فنهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً، وقيل: هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً فيراه أخوه فيظن به سوءاً، لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهياً ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال علماؤنا: الظن في الآية هو التهمة ومحل التحذير، والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا: ولا تجسسوا وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء، فيريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويسمع ليتحقق ما وقع له من تلك التهمة، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من أشهره الناس بتعاطي الريبة والتجاهر الخبائث، وعن النبي ﷺ حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء. وعن الحسن كنا في زمن الظن فيه بالناس حرام، وأنت اليوم أعمل واسكت وظن بالناس ما شئت اهـ.

قوله أيضاً: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ اتهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى، ومنه ما يحرم كالظن في الآلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين، ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: قال سفيان الثوري: الظن ظنان، أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم، وقيل: الظن أنواع، فمنه: واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل، ومنه مندوب إليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة، ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم اهـ.

قوله: (وهو) أي: بعض الظن كثير، وقوله: وهم أي: أهل الخير كثير، وقوله: بخلاف الفساق منهم أي المؤمنين، وقوله: في نحو ما يظهر منهم أي: في نحو المعاصي التي تظهر منهم بأن يتجاهروا بها ونحو المعاصي كخارم المروءات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تجسسوا﴾ قرأ أبو رجاء، والحسن باختلاف، وغيرهما ولا تجسسوا بالحاء، واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فقال الأخفش: ليس تبعد إحداهما من الأخرى، لأن التجسس البحث عما يكتم عنك، والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها، وقيل: إن التجسس

بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن

بالجيم هو البحث، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور، وبالحاء ما أدركه الإنسان ببعض حواسه، وقول ثالث في الفرق أنه بالحاء تطلبه لنفسه، وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره قاله ثعلب، والأول أعرف يقال: تجسست الأخبار وتجسستها أي: تفحصت عنها، ومنه الجاسوس، ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين أي: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله، وفي كتاب أبي داود عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» فقال أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها. وعن المقداد بن معد يكرب، وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» اهـ قرطبي.

قوله: (لا تتبعوا عورات المسلمين) في الحديث: «لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من يتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ نهى عز وجل عن الغيبة وهي أن تذكر الرجل بما فيه، فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان. ثبت معناه في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، فقال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» يقال: اغتابه اغتياباً إذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب. قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والافك والبهتان. فأما الغيبة؛ فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فهو أن تقول ما ليس فيه، ولا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وإن من أغتاب أحداً فليتب إلى الله عز وجل. وهل يستحل المغتاب؟ فيه خلاف، فقالت فرقة: ليس عليه استحلاله وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه واحتجت بأنه لم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه، فليس ذلك مظلمة يستحلها منه، وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن. وقالت فرقة: هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، واحتجت بحديث يروى عن الحسن قال: «كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته» وقالت فرقة: هي مظلمة وعليه الاستحلال منها، واحتجت بقول النبي ﷺ: «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليتحلله منها من قبل أن يأتي يوم ليس فيه هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته» خرجه البخاري من حديث أبي هريرة وغير ذلك من الأحاديث، وليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المتجاهر، فإن في الخبر: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، وقال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس» فالغيبة إذاً في المرء الذي يستر نفسه. وروي عن الحسن أنه قال: ثلاثة ليس لهم حرمة صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم، وتعليق المحبة بما هو في

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد، أي لا يحسن به لا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي عقابه

غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله: فكرهتموه تقريراً وتحقيقاً لذلك، والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته اهـ بيضاوي.

وعبارة القرطبي: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً مثَّل الله الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه، وقال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام في الدين وقبيح في النفوس، وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم من أن يأكل لحم أخيه كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً، واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة، لأن عادة العرب بذلك جارية، وقال النبي ﷺ: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس» فشبه الوقيعة في الناس بأكل لحومهم، فمن نقص مسلماً أو ثلم عرضه فهو كآكل لحمه حياً، ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتاً اهـ.

قوله: (بالتخفف والتشديد) سبعيتان. قوله: (لا يحس به) تفسير لميتاً، فالمراد بالميت من لا يحس لأنه في غيبته كالميت من حيث عدم إحساسه بما يقال فيه، وقوله: به أي يأكل لحمه، وقوله: لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري أي: لا يحب أكل لحم أخيه ولا يرضى به اهـ شخينا.

قوله: ﴿فكرهتموه﴾ الضمير عائد على الأكل المفهوم من يأكل بدليل قوله: بعد، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، وعبارة السمين: فكرهتموه قال الفراء: تقديره فكرهتموه فلا تفعلوه، وقال أبو البقاء: المعطوف عليه محذوف تقديره وعرض عليكم ذلك فكرهتموه، والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه، وقيل: إن صح ذلك عندكم فأنتم تكرهونه، فقيل: هو خبر بمعنى الأمر كقوله: اتقى الله امرؤ خيراً يثاب عليه اهـ.

قوله: (أي فاغتيابه في حياته الخ) أشار بهذا التقدير إلى الكلام من قبيل التمثيل أي التشبيه أي أنه من باب الاستعارة التمثيلية اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم، وهذا من باب القياس الظاهر، لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه، فإذا لم يحسن من العاقل آكل لحوم الإنسان لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك أشد ألماً، وقوله: لحم أخيه آكد في المنع، لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم عدوه، وفي قوله ميتاً إشارة إلى دفع واهم وهو أن يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم، فيقال: أكل لحم الأخر وهو ميت أيضاً لا يؤلم، ومع هذا هو في غاية القبح لما أنه لو اطلع لتألم، فإن الميت لو حس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف، وهو أن الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتاً ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة أو لحم الآدمي لم يأكل لحم الآدمي، فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته معدلاً غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب، انتهت.

في الاغتياب بأن تتوبوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَحِيمٌ ۝﴾ بهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله

قوله: (قبل توبة التائبين) يشير به إلى أن المبالغة في تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، أو لأنه ما من ذنب يقترفه إلا كان معفواً عنه بالتوبة، أو لأنه لما بولغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه، واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة، وقال: ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، وقال ههنا: إن الله تواب رحيم، لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ حكى النفي الذي هو قريب من النهي، وفي الثانية لما كان الابتداء بالأمر في قوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ ذكر الاثبات الذي هو قريب من الأمر تأمل اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ نزلت هذه الآية في أبي هند ذكره أبو داود في المراسيل عن الزهري رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: نزوج بناتنا موالينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً﴾ الآية. قال الزهري: نزلت في أبي هند خاصة، وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله: في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة، فقال ﷺ: «من الذاكر فلانة؟» قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «انظر في وجوه القوم» فنظر، فقال له النبي ﷺ: «ما رأيت؟» قال ثابت: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال النبي «لا تفضلهم إلا بالتقوى» فنزلت في ثابت هذه الآية، ونزل في الرجل الذي يفسح له: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ [المجادلة: ١١] الآية. قال ابن عباس: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحرث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهل بن عمر: وإن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يحبره به رب الأرض والسموات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فانزل الله هذه الآية زجراً لهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء، وإنما الفضل بالتقوى اهـ قرطبي.

قوله: (هو أعلى طبقات النسب) عبارة القرطبي: الشعوب رؤوس القبائل، انتهت.

قوله: (وبعدها العمائر الخ) أي: فهذه ست مراتب، وزاد بعضهم سابعة. وعبارة الخطيب: وطبقات النسب سبع الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة بوزن قبيلة والعشيرة، وكل واحدة تدخل فيما قبلها، فالقبائل تحت الشعوب، والعمارة تحت القبائل، والبطون تحت العمائر، والأفخاذ تحت البطون، والفصائل تحت الأفخاد، والعشائر تحت الفضائل، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وعبد مناف فخذ، وبنو هاشم فصيلة، والعباس عشيرة، وليس بعد العشيرة حي يوصف وسمي الشعب شعباً لتشعب القبائل منه، انتهت.

خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضاً لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ ١٣﴾ ببواطنكم ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾

قوله: (بكسر العين) هذا على القليل، والأفصح فتحها كما في القاموس ففيها لغتان اهـ.

قوله: (هاشم فخذ) في المصباح: الفخذ بالكسر وبالسكون للتخفيف والعرق دون البطن وفوق الفصيلة وهو مذكر لأنه بمعنى النفر، والفخذ بالكسر أيضاً وبالسكون للتخفيف من الأعضاء مؤنثة، والجمع فيها أفخاذ اهـ.

قوله: (ليعرف بعضكم بعضاً) أي فتصلوا أرحامكم وتنسبوا لآبائكم اهـ كرخي.

قوله: (نفر من بني أسد) قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة فأظهروا له الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلو أسعارها، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ، ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، ونحن قد جئناك بالأطفال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو وفلان يمنون على رسول الله ﷺ ويريدون الصدقة، ويقولون: اعطنا فأنزل الله هذه الآية اهـ خازن.

قوله: (صدقنا بقلوبنا) أشار به إلى جواب ما يقال أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ وإيضاحه: أن المنفي هنا الإيمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهراً، فهما في اللغة متغايران بهذا الاعتبار، كما أنهما في الشرع مختلفان مفهوماً متحدان ما صدقا، إذ الإيمان هو التصديق بالقلب بشرط التلفظ بالشهادتين والإسلام بالعكس، والظاهر أن النظم من الاحتباك حذف من الأول ما يقابل الثاني، ومن الثاني ما يقابل الأول، والأصل قل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا وهذا من اختصارات القرآن اهـ كرخي.

وفي الخازن: واعلم أن الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان والجنان لقوله عز وجل لابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة: ١٣١] ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله: ﴿ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ وقيل: الإيمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه، والإسلام هو الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمسلمين مع إظهار الشهادتين، فإن قلت: المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة، فكيف يفهم ذلك مع هذا القول؟ قلت: بين الخاص والعام فرق، فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب، والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان، فالإسلام أعم والإيمان أخص، لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص لا يكون أمراً غيره، فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود، فكذلك المؤمن والمسلم اهـ.

أي لم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ بالهمز وتركه وبإبداله ألفاً لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ أي من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ بهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

قوله: (إلى الآن) أخذه من لما لأن نفيها يختص بالحال، وقوله: لكنه يتوقع منكم أخذه منها أيضاً، لأن منفيها متوقع الحصول وقد آمنوا كلهم أو بعضهم اهـ شيخنا.

ويؤخذ منه جواب ما قيل في قله: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ بعد قوله: ﴿قل لم تؤمنوا﴾ شبه التكرار من غير استقلال بفائدة متجددة، وإيضاح الجواب ليس كذلك، فإن فائدة قوله: لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم، وقوله: لما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم: ولكن قولوا أسلمنا حتى تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا، وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد، وحاصل الجواب: أنه تكرار لكنه مستقل بفائدة زائدة، لأنه علم من الأول نفي الإيمان عنهم، وفي الثاني نفيه مع توقع حصوله اهـ كرخي.

قوله: (بالهمز) هي قراءة أبي عمرو من ألته يألته بالفتح في الماضي، وبالكسر والضم في المضارع، وقوله: وتركه من لاته يليته كباعه يبيعه وهي قراءة ما عدا أبا عمرو والسوسي، فحذفت منه عين الكلمة وهي الياء فصار بوزن يفلكم، وقيل: هو من ولته يلته كوعده يعده فحذفت منه الفاء التي هي الواو فصار وزنه يعلكم، وقوله: وبابداله أي الهمز ألفاً وهي قراءة السوسي اهـ من السمين بتصرف.

وفي الخطيب: قرأ الدوري عن أبي عمرو بعد الياء التحتية بهمزة ساكنة وأبدلها السوسي ألفاً، وقرأ الباقون بغير همز ولا ألف اهـ.

قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ الخ خبره.

قوله: (كما صرح به) أي: بهذا الوصف في قوله بعد: أولئك هم الصادقون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم لم يرتابوا﴾ أتى بثم التي للتراخي للإشارة إلى أن نفي الريب عنهم ليس وقت حصول الإيمان فيهم وانشائه فقط، بل هو مستمر به بعد ذلك فيما يتطاول من الأزمنة اهـ شيخنا.

فكأنه قال: ثم داموا على ذلك. قوله: ﴿في سبيل الله﴾ أي: في طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس، فشمل العبادات المالية والبدنية بأسرها اهـ بيضاوي.

يعني أنه ليس المراد بسبيل الله الغزو بخصوصه بل ما يعم الطاعات كلها لأنها في سبيله وجهته، ولذا قال أي في طاعته والمجاهدة الخ. فالمجاهدة بالأموال عبارة عن العبادات المالية كالزكاة، وقدم الأموال لحرص الإنسان عليها، فإن ماله شقيق روحه، وجاهدوا: بمعنى بذلوا الجهد أو مفعوله مقدر أي: العدو أو النفس والهوى اهـ شهاب.

فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مضعف علم بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٦﴾ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضعين ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ

قوله: (فجهادهم يظهر صدق إيمانهم) يؤخذ منه جواب سؤال، وهو أن العمل ليس من الإيمان، فكيف ذكر أنه منه في هذه الآية؟ وإيضاحه؛ أن المراد منها الإيمان الكامل أي: إنما المؤمنون إيماناً كاملاً كما في قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله ﷺ: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ فيه إشارة إلى أنه تعريض بكذب الأعراب في ادعائهم الإيمان، وأنه يفيد الحصر أي: هم الصادقون لا هؤلاء، وإيمانهم إيمان صدق انتهى شهاب.

وفي الخازن: فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك، فأنزل الله: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ الآية اهـ.

قوله: (ولم يوجد منهم غير الإسلام) أي: الاستسلام. قوله: (بمعنى شعر) وهو بهذا المعنى يتعدى لواحد فقط وبواسطة التضعيف كما هنا يتعدى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بحرف الجر اهـ شيخنا.

وهذا يرجع في المعنى إلى قولهم علم بمعنى عرف ينصب مفعولاً واحداً، فمعنى شعر عرف وتشعرون تعرفون. قوله: (أي أتشعرونه) أي: أتعلمونه أي: أتخبرونه بقولكم أمناً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿والله يعلم ما في السموات﴾ الخ الواو للحال.

قوله: ﴿يمنون عليك﴾ الخ المن تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى كما قال: بل الله يمن عليكم الخ اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: يمنون عليك أن أسلموا يعدون إسلامهم عليك منّة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها فمن بذلها إليه من المن بمعنى القطع، لأن المقصود بها قطع حاجة، انتهى.

قوله: (من غير قتال) أي: من غير قتالهم للنبي والمسلمين حيث قالوا: قد جئناك يا رسول الله بالأطفال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا اهـ.

قوله: (ويقدر) أي: الخافض الذي هو الباء فهو مقدر هنا في ثلاثة مواضع، وقوله: في الموضعين هما أن أسلموا وأن هداكم، فإن حذفه يكثر ويطرد مع أن وأن، وقال أبو حيان: أن أسلموا في موضع المفعول ولهذا عدى إليه في قوله: قل لا تمنوا علي إسلامكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن هداكم للإيمان﴾ أي: على حسب زعمكم، فكأنه يقول: إذا سلم لكم أنكم آمنتم

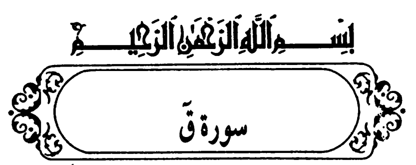
لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ في قولكم آمنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ بالياء والتاء لا يخفى عليه شيء منه.

فإيمانكم ووصولكم له منّة من الله عليكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي: فهو المانّ عليكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ أي: لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، فكيف يخفى عليه حالكم، بل يعلم سركم وعلانيتكم اهـ خازن.

قوله: (بالياء) أي لابن كثير نظراً لقوله: يمنون وما بعده، وقوله: والتاء بالخطاب للباقين نظراً إلى قوله: لا تمنوا علي الخ اهـ سمين.



سورة ق

مكية إلا ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض﴾ الآية فمدنية وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: كلها على أحد الأقوال. قوله: (إلا ولقد خلقنا السموات والأرض) أي: على القول الآخر، فلو قال: أو إلا ولقد خلقنا السموات والأرض لكان موفياً بذكر الخلاف، وعبارة القرطبي: مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨] وفي صحيح مسلم، عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد كان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ قال: كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر، وعن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ كان يقرأ في النحر بقاف والقرآن المجيد، وكانت صلاته بعد تخفيفاً، وقرأ العامة ق بالجزم. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم قاف بكسر الفاء، لأن الكسر أخو الجزم، فلما سكن آخره حركوه بحركة الخفض، وقرأ عيسى الثقفي بفتح الفاء لأنها أخف الحركات، وقرأ هارون ومحمد بن السميقع قاف بضم الفاء، لأنه في غالب الأمر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد. واختلف في معنى ق ما هو؟ فقال يزيد، وعكرمة، والضحاك؟ هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقبية، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل، ورواه أبو الجوزاء، عن عبد الله بن عباس وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل ق فرأى تحته جبالاً صغاراً فقال له: ما أنت؟ قال: أنا ق. قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزل تلك الأرض، فقال له: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله. قال: إن شأن ربنا لعظيم وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج بعضها يحطم بعضاً لولا هي لاحترقت من حرجهم، فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض، والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض، ثم قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في

﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم يخوِّفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين

الكلام قالوا لا إله إلا الله وهو قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [النبأ: ٣٨] يعني قول لا إله إلا الله، وقال الزجاج: معنى قوله ق أي قضي الأمر كما قيل في حم أي حم الأمر، وقال ابن عباس: اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، وعنه أيضاً: أنه اسم من أسماء القرآن وهو قول قتادة، وقال القرطبي: افتتاح أسماء الله عز وجل قادر وقاهر وقريب وقاض وقابض، وقال الشعبي: فاتحة السورة، وقال أبو بكر الوراق: معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما، وقال الانطاكي: هو قرب الله من عباده بيانه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وقال ابن عطاء: أقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله اهـ.

قوله: (الكريم) أي على الله الكثير الخير، فكل من طلب منه مقصوداً وجده فيه ويغني كل من لاذ به وإغناء المحتاج غاية الكرم أو وصف القرآن بالمجيد، لأنه ذو المجد على أن يكون للنسب كلابن وتامر، ثم إن وصف القرآن بالمجيد وهو حال المتكلم به مجاز في الإسناد أو لأنه من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد، فعلى هذا يكون مثل بنى الأمير المدينة في الإسناد إلى السبب اهـ كرخي.

قوله: (ما آمن من كفار مكة الخ) أشار بذلك إلى أن جواب القسم محذوف وقدره بما ذكر أخذاً مما بعده أو لقد أرسلنا محمداً بدليل قوله: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ وقيل: هو قد علمنا وحذفت اللام لطول الكلام، أو هو قوله: ﴿ما يلفظ من قوله﴾ [ق: ١٨] لأن ما قبلها عوض منها كما قال: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس: ١] إلى قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] وقد فيه للتحقيق بمعنى أن الفعل بعدها محقق الوقوع اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل عجبوا﴾ اضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان حالهم الزائدة في الشناعة على عدم الإيمان اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿أن حاءهم﴾ أي: من أن جاءهم، وقوله: ﴿منذر منهم﴾ أي: لا من الملائكة اهـ.

قوله: ﴿فقال الكافرون﴾ الخ حكاية لتعجبهم والفاء للتفصيل كما في قوله: ﴿ونادى نوح ربه فقال﴾ [هود: ٤٥] وإضمار ذكرهم ثم اظهاره للإشعار بتعنتهم في هذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بهذا المقال اهـ كرخي.

قوله: ﴿هذا شيء عجيب﴾ العجيب الأمر الذي يتعجب منه، وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه وكذلك الأعجوبة، وقال قتادة: عجبهم أن دعوا إلى إله واحد، وقيل: من انذارهم بالبعث والنشور والذي نص عليه القرآن أولى اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أئذا متنا﴾ الخ تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار، والعامل في أئذا مضمر غني عن البيان مع دلالة ما بعده عليه أي: أحين نموت ونصير تراباً نرجع اهـ أبو السعود.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ في غاية البعد ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ﴾ تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ مضطرب قالوا مرَّة ساحر وسحر، ومرَّة شاعر وشعر، ومرَّة كاهن وكهانة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنة ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن

وهذا كما قدره الشارح بقوله: نرجع اهـ شيخنا.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وترك الإدخال أيضاً على الوجهين، فالقراءات أربعة لا اثنتان كما توهمه عبارته وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بعيد﴾ أي: عن الوهم أو العادة أو الإمكان اهـ كرخي.

قوله: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ رد لاستبعادهم وإزاحة له، فإن من عمّ علمه ولطفه حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد أن يرجعهم أحياء كما كانوا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ الجملة حال، والمراد إما تمثيل لعلمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه، أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ اهـ بيضاوي.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب اهـ من الشارح في سورة البروج.

وقوله: ﴿فيه جميع الأشياء﴾ يحتمل أن فيه صلة المحفوظ، وجميع نائب فاعل به، ويحتمل أن فيه خبرمقدم، وجميع مبتدأ مؤخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل كذبوا بالحق﴾ الخ إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع وأقبح، وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿لما جاءهم﴾ أي: حين جاءهم. قوله: ﴿مريج﴾ أي: مختلط وأصله من الحركة والاضطراب ومنه مرج الخاتم في إصبعه اهـ سمين.

وفي المختار: مرج الأمر والدين اختلط وبابه طرب وأمر مريج مختلط اهـ.

قوله: ﴿أفلم ينظروا الخ﴾ شروع في بيان الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد، أي: أغفلوا أو أعموا، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها أي: أوجدناها كالخيمة إلاّ أنها من غير عمد اهـ من الخطيب وأبي السعود.

قوله: (كائنة) ﴿فوقهم﴾ أشار به إلى أن فوقهم منصوب على الحال من السماء وهي مؤكدة، وكيف منصوبة بما بعدها وهي معلقة بالنظر قبلها اهـ كرخي.

قوله: ﴿كيف بنيناها﴾ كيف مفعول مقدم، وجملة بنيناها بدل من السماء، وقوله: (بلا عمد) جمع عماد كأهب وإهاب اهـ شيخنا.

﴿فُرُوجٍ ۝٦﴾ شقوق تعيبها ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ معطوف على موضع إلى السماء كيف ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ۝٧﴾ يبهج به لحسنه ﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول له، أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ رجاع إلى طاعتنا ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾

قوله: ﴿وما لها من فروج﴾ الواو للحال. قوله: (معطوف على موضع إلى السماء) أي: المنصوب بينظروا فهو منصوب بذلك أي: أفلم ينظروا إلى الأرض ويجوز أن ينتصب على تقدير ومددنا الأرض اهـ كرخي.

قوله: (على موضع إلى السماء) وموضعه نصب على المفعولية، إذ التقدير أفلم ينظروا السماء، وقوله: كيف لا موقع له، فالصواب حذفه لأنه من الجملة التي قبلها في النظم اهـ شيخنا.

قوله: (يبهج به) أي: يسر، وأشار بهذا إلى أنه بمعنى فاعل، أي: يحصل به السرور اهـ شيخنا.

وفي المختار: البهجة الحسن، وبابه ظرف فهو بهيج به فرح وسر، وبابه طرب فهو بهج بكسر الهاء وبهجه الأمر من باب قطع وأبهجه أي: سره والابتهاج السرور اهـ.

قوله: ﴿تبصرة وذكرى﴾ العامة على نصبهما على المفعول من أجله أي: لتبصير أمثالهم وتذكير أمثالهم، وقيل: منصوبان بفعل من لفظهما مقدر أي: بصرناهم تبصرة وذكراهم تذكرة، وقيل: حالان أي: مبصرين ومذكرين، وقيل: حال من المفعول أي: ذات تبصرة وتذكير لمن يراها، وقرأ زيد بن علي: تبصرة وذكر بالرفع أي: هي تبصرة وذكر اهـ سمين.

قوله: (مفعول له) أي: والعامل فيه كيف بنيناها، وقوله: (أي: فعلنا ذلك الخ) تفسير للعامل أي: فعلنا البناء والتزيين وما بعدهما، وقوله: (تبصيراً منا) أي: تعليماً وتفهيماً واستدلالاً اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿لكل عبد﴾ متعلق بكل من المصدرين. وفي الخطيب تنبيه: قال الرازي: يحتمل أن يكون المصدران عائدين إلى السماء والأرض، خلقنا السماء تبصرة وخلقنا الأرض ذكرى، ويدل على ذلك أن السماء وزينتها غير متحدة في كل عام فهي كالشيء المرئي على مر الزمان، وأما الأرض فهي كل سنة تأخذ زينتها وزخرفها فتذكر، فالسماء تبصرة والأرض تذكرة، ويحتمل أن يكون كل واحد من المصدرين موجوداً في كل واحد من الأمرين، فالسماء تبصرة وتذكرة والأرض كذلك، والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي اهـ.

قوله: (رجاع) صفة نسب كتمار ولبان لا صيغة مبالغة، إذ المدار على أصل الرجوع وإن لم يكن فيه كثرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وحب﴾ (الزرع) أي: أو النبات الحصيد. أشار بهذا إلى أنه من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه للعلم به لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وهي ممتنعة، لأن الإضافة تقتضي المغايرة بين

الزرع ﴿ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ المحصود ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً حالاً مقدرة ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث

المضاف والمضاف إليه مع أنها جائزة إذا اختلف اللفظان، كحق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة اهـ كرخي.

وتخصيص الحب بالذكر لأنه المقصود بالذات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الحصيد﴾ أي: الذي من شأنه أي: يحصد كالبر والشعير، وفيه أنه مجاز باعتبار الأول اهـ.

قوله: ﴿والنخل باسقات﴾ البسوق الطول، يقول: بسق فلان على أصحابه من باب دخل أي: طال عليهم في الفضل، وبسقت الشاة ولدت، وأبسقت الناقة وقع في ضرعها اللبن قبل النتاج، ونوق بساق من ذلك اهـ سمين.

وفي المصباح: بسقت النخلة بسوقاً من باب قعد طالت فهي باسقة، والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل مهر في علمه اهـ.

قوله: (حال مقدرة) أي: لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً، وأفردها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها، ولذلك شبه ﷺ المسلم بها اهـ كرخي.

قوله: ﴿لها طلع نضيد﴾ الجملة حال من النخل الباسقات بطريق الترادف، أو من الضمير في باسقات على التداخل أو الحال هي الجار والمجرور، وطلع مرتفع به على الفاعلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رزقاً للعباد﴾ يجوز أن يكون حالاً أي: مرزوقاً للعباد أو ذا رزق، وأن يكون مصدراً من معنى أنبتنا لأن إنبات هذه رزق، ويجوز أن يكون مفعولاً وللعباد إما صفة، وإما متعلق بالمصدر، وإما مفعول للمصدر، واللام زائدة أي رزقاً للعباد اهـ سمين.

تنبيه:

لم يقيد هنا العباد بالإنابة وقيد به في قوله: ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾، لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب، والرزق يعم كل أحد غير أن المنيب يأكل ذاكراً وشاكراً للإنعام وغيره يأكل كما تأكل الأنعام، فلم يخصص الرزق بقيد اهـ خطيب.

قوله: ﴿وأحيينا به﴾ أي: بذلك الماء بلدة ميتاً أي: أرضاً جدبة لا نماء فيها أصلاً بأن جعلناها ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار، فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة، وتذكير ميتاً لأن البلدة بمعنى البلد والمكان اهـ أبو السعود.

قوله: (يستوي فيه المذكر والمؤنث) فيه نظر لأن ميتاً فعل وفعل لا يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما يستويان في فعيل، فالصواب أن التذكير باعتبار كون البلدة بلداً أو مكاناً كما في عبارة أبي السعود اهـ شيخنا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ ۝١٢﴾ قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ أي

قوله: ﴿كذلك الخروج﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى الحصر اهـ أبو السعود.

وصنيع الشارح يقتضي أن الكاف مبتدأ نظراً إلى المعنى والخروج خبر، ويكون من قبيل أبي يوسف أبو حنيفة اهـ كرخي.

وفي الخطيب: كذلك أي: مثل هذا الإخراج العظيم الخروج من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا إذ لا فرق بين خروج النبات بعدما انهضم وتفتت في الأرض وصار تراباً كما كان من بين أصفره وأبيضه وأحمره وأزرقه إلى غير ذلك، وبين إخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا اهـ.

قوله: (والاستفهام للتقرير) الأول أن يقول للإنكار والتوبيخ، وقوله: (والمعنى الخ) غير صحيح إذ لو نظروا وعلموا لآمنوا وصدقوا اهـ قاري.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب منكريها اهـ أبو السعود.

قوله: (لمعنى قوم) أي: لأنه بمعنى أمة أو جماعة كما مرَّ اهـ كرخي.

قوله: (هي بئر الخ) أي: فخسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم، كما ذكرت قصتهم في سورة الفرقان اهـ خطيب.

قوله: (وقيل غيره) وهو شعيب اهـ خطيب.

أو نبي أرسل بعد صالح لبقية من ثمود، وتقدم هذا مزيد كلام في سورة الفرقان. قوله: ﴿وثمود﴾ ذكروا بعد أصحاب الرس، لأن الرجفة التي أخذتهم مبدؤها الخسف بأصحاب الرس، ثم أتبع ثمود بعاد لأن الريح التي أهلكتهم صيحة ثمود اهـ خطيب.

قوله: ﴿وإخوان لوط﴾ تقدم أنه ابن أخي إبراهيم الخليل، وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسذوم، وأرسله الله إلى أهله فهو أجنبي منهم، لكنه عبَّر عنهم بإخوانه من حيث إنه صاهرهم وتزوج منهم. وفي الخطيب: وإخوان لوط أي: أصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بملوكهم وعمه خليل الله إبراهيم عليهما السلام.

قوله: ﴿وأصحاب الأيكة﴾ قد تقدم الكلام عليها في الشعراء، وقرأ هنا ليكة بوزن ليلة أبو جعفر وشيبة، وقال الشيخ: وقرأ أبو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الأيكة بكلام التعريف، والجمهور ليكة وهذا الذي نقله غفلة منه، بل الخلاف المشهور إنما هو في الذي في سورة الشعراء وص كما حققه ثمة، وأما هنا فالجمهور على أنه بلام التعريف اهـ سمين.

الغيضة قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضق صدرك من كفر قريش بك ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾

قوله: (أي الغيضة) تقدم أنها الشجر الملتف بعضه على بعض اهـ شيخنا.

قوله: (هو ملك الخ) وقيل: نبي وهو تبع الحميري واسمه أسعد، وكنيته أبو كرب اهـ خطيب.

وتقدم الكلام عليه مبسوطاً في سورة الدخان اهـ.

قوله: ﴿كل﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه، وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناءها على الضم كالعامة كقبل وبعد اهـ سمين.

قوله: ﴿كل كذب الرسل﴾ أي: كل واحد أو قوم منهم أي: جميعهم، وأفرد الضمير لإفراد لفظ كل اهـ بيضاوي.

وقوله: أي كل واحد فإن قيل: لم يكذب كل واحد من قوم نوح وعاد وثمود كما صرح به في غير آية كقوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾ [النمل: ٨٣] فإنها صريحة في أن كل أمة نبي فيها مصدق ومكذب. قلت: الكلية هنا المراد بها التكثير كما في قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٣] فهو باعتبار الأغلب، وقوله: أي جميعهم أي: فالتقدير كل هؤلاء، فكان حقه أن يقول كذبوا لكن أفرد الضمير مراعاة للفظ كل اهـ شهاب.

قوله: ﴿كذب الرسل﴾ أي: ولو بالواسطة، وذلك لأن قوم تبع كذبوا الرسول الذي دعاهم تبع إلى شريعته بواسطة تكذيبهم لتبع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فحق وعيد﴾ مضاف لياء المتكلم، وأصله وعيدي فحذفت الياء وبقيت الكسرة دليلاً عليها اهـ.

قوله: (فلا يضيق صدرك الخ) أي: فهو تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه علمه، والهمزة للإنكار كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

والفاء للعطف على مقدر بنبيء عنه العي من القصد، والمباشرة، أي: اقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجز عن الإعادة، وهذا استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت أحوال المنكرين له من الأمم المهلكة اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: عيي بالأمر وعن حجته يعيا من باب تعب عيا عجز عنه، وقد يدغم الماضي فيقال: عي فالرجل عي وعيي على فعل وفعيل، وعيي بالأمر لم يهتد لوجه وعياني بالألف أتعبني فأعييت يستعمل لازماً ومتعدياً، وأعيا في مشيه فهو معيي منقوض اهـ.

وفي المختار: التي ضد البيان وقد عيي في منطقة فهو عي على فعل وعيي يعيا بوزن رضي يرضى

شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ وهو البعث ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حال بتقدير نحن ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم

فهو عيي على فعيل، ويقال أيضاً عي عي وعيي إذا لم يهتد لوجهه والإدغام أكثر وأعياه أمره، انتهى.

قوله: ﴿بالخلق الأول﴾ الباء سببية أو بمعنى عن، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قال الكازروني: معناه لم نعجز عن الإبداء فلا نعجز عن الإعادة، لأن الظاهر أن معنى قوله: أفعيينا بالخلق الأول لم نعجز بسبب الخلق الأول اهـ.

قوله: ﴿بل هم في لبس﴾ الخ عطف على مقدر يقتضيه السياق يدل عليه ما قبله كأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلط وشبهة من خلق جديد مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات والإيذان بأنه حقيق بأنه يبحث عنه ويتهم بمعرفته اهـ أبو السعود.

قوله: (بتقدير نحن) أشار بهذا إلى أن نعلم خبر مبتدأ مقدر تقديره ونحن نعلم، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال المقدرة، ولا يصح أن يكون ونعلم حالاً بنفسه لأنه مضارع مثبت باشرته الواو اهـ كرخي.

قوله: (ما مصدرية) فالتقدير: ونعلم وسوسة نفسه إياه على زيادة الباء، أو وسوسة نفسه له على كونها للتعدية اهـ شيخنا.

ويصح أن تكون موصولة كما في البيضاوي، والضمير عائد عليها أي: ونعلم الأمر الذي تحدثه نفسه به اهـ.

قوله: (الباء زائدة) أي: مثل قولك صوت بكذا وهمس به، وقوله: (أو للتعدية) أي: فالنفس تجعل الإنسان قائماً به الوسوسة اهـ كرخي.

قوله: (والضمير للإنسان) أي: لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا، كما يقولون: حدثته به نفسه، فجعل الإنسان مع نفسه أي: ذاته شخصين تجري بينهما مكالمة ومحادثة تارة يحدثها وتارة أخرى هي تحدثه اهـ كرخي.

والوسوسة: الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي اهـ أبو السعود.

وهذا بيان لمعناه اللغوي لا بيان لمعناه ههنا، إذ المراد بها هنا حديث النفس وهو ليس فيه صوت بالكلية، لكن مناسبته للمعنى الأصلي الخفاء في كل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي: لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً ولا يحجب على الله شيء. قال القشيري: في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم اهـ خطيب.

قوله: ﴿أقرب إليه﴾ (بالعلم) أشار به إلى أن المراد بالقرب العلم به وبأحواله لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأن ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان أي بعلمه فإنه سبحانه وتعالى منزه عن الأمكنة، وحاصله أنه تجوز بقرب الذات عن قرب العلم اهـ كرخي.

﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ الإضافة للبيان، والوريدان عرقان بصفحتي العنق ﴿إِذْ﴾ ناصبه اذكر مقدراً ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله: ﴿من حبل الوريد﴾ هذا مثل في فرط القرب، والحبل العرق وإضافته بيانية أبو السعود.

وعبارة السمين: هذا كقولهم مسجد الجامع أي: حبل العرق الوريد، أو لأن الحبل أعم، فأضيف للبيان نحو: بعير ساقيه أو يراد حبل العاتق، فأضيف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لأنهما عضو واحد، والوريد إما بمعنى الوارد وإما بمعنى المورود، والوريد عرق كبير في العنق يقال: أنهما وريدان. قال الزمخشري: عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه. سمي وريداً لأن الروح ترد إليه وقال: وهو في القلب الوتين، وفي الظهر الأبهر، وفي الذراع والفخذ الأكحل والنساء في الخنصر الأسيلم اهـ.

وفي الخازن: والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلق والعلباوين، ومعنى الآية أن جزاء الإنسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضاً ولا يحجب عن علم الله شيء، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب إليه بنفوذ قدرتنا فيه، ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه اهـ.

قوله: (بصفحتي العنق) أي: مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وهو عرق متصل بالقلب إذا قطع مات صاحبه اهـ أبو السعود وخطيب.

قوله: (ناصبه اذكر مقدراً) أي: أو ناصبه أقرب كما في البيضاوي.

قوله: (يأخذ ويثبت) ﴿المتلقيان﴾ أي: يكتبان في صحيفتي الحسنات والسيئات، وقوله: ما يعمله مفعول يتلقى.

قوله: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ روي أن الملكين قاعدان على ثنيته لسانه قلمهما وريقه مدادهما اهـ أبو السعود.

قوله: (أي قاعدان) أشار به إلى أن قعيد مفرد أقيم مقام المثنى لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، والقعيد كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى، والإفراد في رقيب عتيد مع اطلاعهما معاً على ما صدر منه لما أن كلاًّ منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض لصاحبه، كما ينبىء عنه قوله ﴿عتيد﴾ أي: معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير والشر، وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص اهـ أبو السعود.

فعلم أن كلاًّ منهما يقال له رقيب عتيد. وفي المصباح: عند الشيء بالضم عتاداً بالفتح حضر فهو عتد بفتحتين وعتيد أيضاً ويتعدى بالهمزة والتضعيف. فيقال: اعتده صاحبه وعتده إذا أعده وهيأه، وفي التنزيل: ﴿وأعتدت لهم متكأ﴾ [يوسف: ٣١] اهـ.

قوله: (مبتدأ خبره ما قبله) أي: والجملة في محل نصب على الحالة من المتلقيان.

حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا، وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ تهرب وتفزع ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ للكفار بالعذاب ﴿وَجَآءَتْ﴾

قوله: ﴿ما يلفظ من قول﴾ الخ ما نافية ومن زائدة في المفعول أي: ما يقول قولاً، وقوله: لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب على الحال، فإن قيل: قد علم من قوله إذ يتلقى المتلقيان الخ أنهما يحفظان أعماله، فما فائدة قوله ما يلفظ من قول الخ؟ قلنا: يعلم من الآية الثانية أن الملكين معدان لذلك بخلاف الأولى، فإنه لا يعلم منها ذلك، وأيضاً يعلم من الآية الثانية صريحاً أن الملك يضبط كل لفظ ولا يعلم ذلك من الأولى اهـ كازروني.

قوله: (وكل منهما) أي: الرقيب والعتيد بمعنى المثنى، فالمعنى إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان، فكل منهما موصوف بأنه رقيب أي: حافظ للأعمال وعتيد أي: حاضر عند العبد لا يفارقه في نوم ولا يقظة، فالكاتبان اثنان فقط وإن كانا يتبدلان ليلاً ونهاراً، ولا حاجة إلى هذا كله بل الأولى جعل الوصفين لشيء واحد أي: إلا لديه ملك موصوف بأنه رقيب وعتيد. أي: حافظ حاضر، والمراد بذلك الملك اثنان كاتب الحسنات وكاتب السيئات فكل منهما يقال له رقيب عتيد.

قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ لما ذكر تعالى استبعادهم البعث والجزاء المذكور بقوله: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً﴾ [المؤمنون: ٨٢] الخ وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال، وقد عبَّر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي إيذاناً بتحققها وغاية اقترابها اهـ أبو السعود.

قوله: (بالحق) الباء للتعدية أي: أتت بالأمر الحق أي: أظهرته، والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة، ومعنى كونه حقاً أنه يقع ولا محالة، وقد أشار له بقوله من أمر الآخرة، والباء للملابسة أي حال كونها ملتبسة بالأمر الحق من حيث ظهوره ورؤيته عندها. وفي أبي السعود: والباء إما للتعدية كما في قوله: جاء الرسول بالخبر، والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي نطقت به كتب الله ورسوله أو حقيقة الأمر وجلية الحال في سعادة الميت وشقاوته، وقيل: الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء، فإن الإنسان خلق له، وإما للملابسة كالتي في قوله: ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي: ملتبسة بالحق أي: بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة اهـ.

قوله: (وهو نفس الشدة) قال القاري: لم يظهر لي معنى هذه العبارة اهـ.

ويمكن أن يقال الضمير في قوله وهو راجع لأمر الآخرة، والمراد بالشدة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة، فعلى هذا تكون هذه الجملة تفسيراً لقوله: (من أمر الآخرة) وقوله: ذلك ما كنت الخ على تقدير القول كما ذكره الخازن أي: ويقال له في وقت الموت ذلك الأمر الذي رأيته هولاً الذي كنت منه تحيد في حياتك فلم ينفعك الهرب والفرار اهـ شيخنا.

قوله: (حتى يراه المنكر لها) أي: للآخرة. قوله: (تهرب) بضم الراء من باب طلب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ عطف على وجاءت سكرة الموت والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه

فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ (٢١) يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢) حادّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملك الموكل به ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ (٢٣) حاضر فيقال

إسرافيل عليه السلام وهو من العظمة بحيث لا يعلم قدره إلا الله، وقد التقمه إسرافيل من حين بعث محمد ﷺ منتظراً للإذن بالنفخ اهـ خطيب.

قوله: (أي يوم النفخ) أي: فالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان اهـ خطيب.

وقوله: ﴿يوم الوعيد﴾ أي: يوم تحقق الوعيد وإنجازه اهـ بيضاوي.

قوله: (فيه) أي: في يوم الوعيد.

قوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾ أي: ملكان، أحدهما يسوقها، والآخر يشهد بعملها، أو ملك جامع بين الوصفين، وقيل: السائق كاتب السيئات، والشاهد كاتب الحسنات، وقيل: السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله، ومحل معها النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة اهـ بيضاوي.

وسائق فاعل به. وفي السمين: أن معها سائق جملة من مبتدأ وخبر في محل جر صفة لنفس، أو في محل رفع صفة لكل، أو في محل نصب على الحال من كل اهـ.

وفي القرطبي: واختلف في السائق والشهيد، فقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد نفسه، وقال الضحاك: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وقال ابن مسلم: السائق قرينها من الشياطين سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يجبها، وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنهما أنه قال وهو على المنبر: وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد سائق ملك يسوقها إلى أمر الله وشهيد ملك يشهد عليها بعملها. قلت: هذا أصح وفي الحديث. «إذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشط كتاباً معقوداً في عنقه ثم حضرا معه، واحدهما سائق والآخر شهيد». ثم في الآية قولان، أحدهما: أنها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور. والثاني: أنها خاصة بالكافر قاله الضحاك اهـ بحروفه.

قوله: (ويقال للكافر) أي: أو لكل نفس أي: ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الغطاء الحاجب لأمور المعاد، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والألف بها وقصور النظر عليها اهـ بيضاوي.

قوله: (حاد) أي: نافذ لزوال المانع للإبصار اهـ.

قوله: (الملك وكل به) عبارة البيضاوي: وقال قرينه أي: قال الموكل عليه هذا أي: عمله ما

لمالك ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أي ألق ألق، أو ألقين، وبه قرأ الحسن، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ كَفَّارٍ

لدي عتيد. أي: هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي، أو الشيطان الذي قيض له في الدنيا هذا أي: هذا الشخص ما عندي، وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي وإضلالي إياه، انتهت.

وفي أبي السعود: قال قرينه أي: الشيطان المقيض له مشيراً إليه: هذا ما لدي عتيد أي: هذا ما عندي في ملكي عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائي وإضلالي، وقيل: قال الملك الموكل به مشيراً إلى ما هو من كتاب عمله: هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض اهـ.

قوله: (الملك الموكل به) أي: في الدنيا لكتابة أعماله وهو الرقيب السابق ذكره، وتقدم أنه كاتب الحسنات وكاتب السيئات، وأن للإنسان رقيبين وهما العتيدان فإفراده لتأويله كما مرَّ في الرقيب اهـ شهاب.

وفي زاده: الظاهر أن الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة، وقد تقرر أن النفوس المؤمنة لها قرينان، أحدهما يكتب حسناته، والآخر يكتب سيئاته، فلم أفرد القرين في قوله: ﴿قال قرينه﴾؟ وتقرير الجواب: أن إفراد القرين لأن المراد به الجنس ولو جعلت الخطابات السابقة للكافر لكان وجه إفراد القرين ظاهراً اهـ.

قوله: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ يجوز أن تكون ما نكرة موصوفة، وعتيد صفتها، ولدي متعلق بعتيد أي: هذا شيء عتيد لدي أي: حاضر عندي، ويجوز على هذا أن يكون لدي وصفاً لهما، وعتيد صفة ثانية أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو عتيد، ويجوز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي، ولدي صلتها، وعتيد خبر الموصول، والموصول وصلته خبر اسم الإشارة ويجوز أن تكون ما بدلاً من هذا موصولة كانت أو موصوفة بلدي، وعتيد خبر هذا، وجوز الزمخشري في عتيد أن يكون بدلاً، أو خبراً بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف اهـ.

قوله: (أي ألق) لما جرى الشارح على الخطاب لواحد احتاج إلى هذا الاعتذار عن التثنية في اللفظ. وحاصله من وجهين، الأول: أن الألف ضمير التثنية في الصورة والأصل أن الفعل مكرر للتوكيد، وحذف الثاني وجمع فاعله مع فاعل الأول وعبّر عنهما بضمير التثنية، فعلى هذا يعرب بأنه مبني على حذف النون والألف فاعل ومدار الإعراب على اللفظ. والثاني: أن الألف ليست للتثنية لا حقيقة ولا صورة، بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة على حد قوله:

وأبدلنها بعد فتح ألفا وقفاً كما تقول في قفن قفا

وأجري الوصف مجرى الوقف اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله ﴿ألقيا في جهنم﴾ الخ إيضاحه أن الخطاب للمسلمين السائق والشهيد على ما عليه الأكثر وهو الظاهر، وقيل: لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره، فكأنه قيل ألق ألق للتأكيد اهـ.

وقيل في توجيه ذلك: أنه حذف الثاني ثم أتى بفاعله وفاعل الأول على صورة ضمير الاثنين

عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ معاند للحق ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ شاكٍّ في دينه ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ تفسيره مثل ما تقدم ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ فدعوته فاستجاب لي

متصلاً بالفعل الأول، وهذا ظاهر صنيع الشيخ المصنف أو الألف بدل من النون الخفيفة إجراء للوصل مجرى الوقف كلنسفعاً، ويؤيده قراءة الحسن في الشواذ ألقين بنون التوكيد الخفيفة اهـ.

فقوله: وبه قرأ الحسن أي البصري، ولم يقرأ بهذه القراءة أحد من السبعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كل كفَّار عنيد﴾ أي: معاند. قال مجاهد، وعكرمة، وقال بعضهم: العنيد المعرض عن الحق، يقال: عند يعند بالكسر عنوداً أي خالف وردّ الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند، وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف اهـ قرطبي.

وفي المختار: عند من باب جلس أي خالف وردّ الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند وعانده معاندة وعناداً بالكسر عارضه، وعند معناها حضور الشيء ودنوه وفيها ثلاث لغات كسر العين وفتحها وضمها اهـ.

قوله: (مبتدأ ضمن معنى الشرط) فيه تساهل، وصوابه: أن يقول مبتدأ يشبه الشرط في العموم، ولذا دخلت الفاء في خبره، وفي المسين: قوله الذي جعل يجوز أن يكون منصوباً على الذم أو علم البدل من كل، وأن يكون مجروراً بدلاً من كفار أو مرفوعاً بالابتداء والخبر فألقياه. قيل: ودخلت الفاء لشبهه بالشرط.

قوله: (تفسيره) أي: تخريجه مثل ما تقدم. أي: من حيث الاعتذار عن التثنية في اللفظ مع أن الخطاب لواحد وهو مالك وقد علمت إيضاحه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال قرينة﴾ الخ أي جواباً عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغاني، فالكفر أولاً قال الشيطان أطغاني، فأجابه الشيطان وقال: ربنا ما أطغيته الخ. فكان الأولى للشارح أن يقدم قوله: وقال هو أطغاني على قوله ربنا ما أطغيته فيقول: وقال قرينه جواباً لقوله هو أطغاني ربنا ما أطغيته الخ اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال قرينه يعني الشيطان الذي قيد لهذا الكافر ربنا ما أطغيته. قيل: هذا الجواب لكلام مقدر، وهو أن الكافر حين يلقى في النار يقول: ربنا أطغاني شيطاني، فيقول الشيطان: ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته، ولكن كان في ضلال بعيد أي: عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، وقال ابن عباس: قرينه يعني الملك يقول الكافر: رب إن الملك زاد عليَّ في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وإن كتبت إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد أي: طويل لا يرجع عنه إلى الحق، فيقول الله تعالى: ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي لا تعتذروا عندي بغير عذر، وقيل: هو خصماؤهم مع قرنائهم وقد قدمت إليكم بالوعيد أي بالقرآن، وأنذرتكم على ألسنة الرسل، وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر اهـ.

وجاءت هذه الجملة بلا واو لأنها قصد بها الاستئناف، كأن الكافر قال: رب هو أطغاني، فقال

وقال هو أطغاني بدعائه لي ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه ﴿ مَا يُبَدَّلُ ﴾ يغير ﴿ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ في ذلك ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ فأعذبهم بغير جرم، وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله ﴿لا ظلم اليوم﴾ ﴿ يَوْمَ ﴾ ناصبه ظلام ﴿ نَقُولُ ﴾ بالنون والياء ﴿ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها

قرينه: ما أطغيته بخلاف التي قبلها فإنها عطفت على ما قبلها بالواو الدالة على الجمع بين معناها وبين ما قبلها في الحصول. أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال اهـ سمين.

قوله: ﴿لا تختصموا﴾ خطاب للكافري وقرنائهم اهـ قرطبي.

قوله: (أي ما ينفع الخصام هنا) أي: في دار الجزاء وموقف الحساب اهـ كرخي.

قوله: ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ يرد عليه أن قوله: ﴿وقد قدمت﴾ واقع موقع الحال من لا تختصموا، والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب، وإيضاح الجواب: أن معناه لا تختصموا، وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الدار الآخرة، ويجوز أن يكون بالوعيد حالاً من الفاعل أو المفعول، والمعنى قدمت إليكم. موعداً لكم به، وقدمت إليكم هذا ملتبساً بالوعيد مقترناً به، كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

وفي السمين: أن الباء زائدة في المفعول اهـ.

قوله: (ولا بد منه) أي: لا تطمعوا أني أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل، فإن دلائل العفو في حق عصاة المذنبين تدل على تخصيص الوعيد ولا تخصيص في حق الكفار، فالوعيد على عمومه من حقهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاه العصاة على حسب استحقاقهم اهـ زاده.

قوله: (في ذلك) أي هنا أي في موقف الحساب والجزاء، فالإشارة راجعة إلى هنا اهـ شيخنا.

قوله: (لا ظلم اليوم) أي: وإذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره أحرى فلا مفهوم له اهـ كرخي.

قوله: (استفهام تحقيق لوعده بمثلها) فيه رد على كل من قال كالزمخشري سؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير في القلب وتبيينه، وجعله هذا من باب المجاز مردود لما ورد: تحاجت الجنة والنار واشتكت النار إلى ربها ولا مانع من ذلك، فقد سبح الحصى وسلم الحجر على النبي ﷺ، ولو فتح باب المجاز فيه لا تسع الخرق بخلاف الآيات الواردة في الصفات، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه اهـ كرخي.

قوله أيضاً: (استفهام تحقيق الخ) هذا بمعنى قولهم استفهام تقرير، فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت، ولما خاطبها بصورة الاستفهام أجابته بصورة الاستفهام أيضاً، ومرادها الإخبار عن امتلائها والاقرار به، ولذلك قال الشارح بصورة الاستفهام أي: أجابته جواباً صورته استفهام ومعناه الخبر كما

﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ أي فيَّ لا أسع غر ما امتلأت به أي قد امتلأت ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ منهم فيرونها ويقال لهم ﴿هَٰذَا﴾

أشار له بقوله: أي امتلأت، وإنما أجابه بصورة استفهام لكون جوابها طبق السؤال وهو قوله: هل امتلأت فلذلك قال كالسؤال اهـ شيخنا.

ومحل هذا التقرير أن الاستفهام منها للإنكار، ويحتمل أن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى الأمر فهو بمعنى زدني، ويدل عليه ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك» الخ أشار له البيضاوي. وفي صحيح مسلم، والبخاري، والترمذي عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوي بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» هذا لفظ مسلم. وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة: «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهناك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله تعالى ينشىء لها خلقاً». قال علماؤنا رحمهم الله: أما معنى القدم هنا فهم قوم يقدمهم الله إلى النار قد سبق في علمه أنهم من أهل النار، وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم. يقال: رأيت رجلاً من الناس ورجلاً من جراد، ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته، فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة: قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا، وحينئذ فتنزوي جهنم على من فيها وتنطبق إذا لم يبق أحد ينتظر، فعبَّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم، ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث: «ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لهم خلقاً فيسكنهم فضل الجنة».

فائدة:

في تذكرة القرطبي ما نصه: باب ما جاء أن جهنم في الأرض وأن البحر طبقها. روي عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يركب البحر رجل إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً» ذكره أبو عمر وضعفه، وقال عبد الله بن عمر: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم وضعفه أبو عمر أيضاً اهـ.

قوله: (بملئها) بفتح الميم مصدر من باب قطع، ففي المختار: وملأ الإناء من باب قطع فهو مملوء، والملء بالكسر ما يأخذه الإناء إذا امتلأ اهـ.

وقوله: (أي لا أسع الخ) أي: فالاستفهام للنفي كما في السين اهـ.

قوله: (مكاناً) ﴿غير بعيد﴾ فهو منصوب على الظرفية لقيامة مقام الظرف لأنه صفته، وفيه إشارة إلى جواب كيف قال غير بعيد، ولم يقل غير بعيدة لكونه وصفاً للجنة؟ وإيضاحه أنه صفة لمذكر محذوف، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنت، قال الزمخشري: أو لأن الجنة بمعنى البستان،

المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا، ويبدل من المتقين قوله ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ حافظ لحدوده ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ مقبل على طاعته، ويقال للمتقين أيضاً ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ الدوام في الجنة ﴿لَهُم مَّا

وفائدة قوله غير بعيد بعد قوله ﴿وأزلفت﴾ بمعنى قربت كما قرره التأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل، فإن قيل ما وجه التقريب مع أن الجنة مكان والأمكنة يقرب منها وهي لا تقرب؟ فالجواب من وجوه، الأول: أن الجنة لا تنقب ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال إليها مع بعدها، لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب، فإن قيل: فعلى هذا ليس إزلاف الجنة من المؤمن بأولى من إزلاف المؤمن من الجنة، فما فائدة قوله: ﴿وأزلفت الجنة﴾؟ فالجواب: أن ذلك اكرام للمؤمن وبيان لشرفه، وأنه ممن يمشي إليه. الثاني: أن المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى القرب المكاني. الثالث: أن الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء إلى الأرض فيقربها للمؤمن، ويحتمل أن أزلفت بمعنى جمعت محاسنها لأنها مخلوقة، أو أن المعنى قرب حصولها لأنها تنال بكلمة طيبة وخص المتقين بذلك لأنهم أحق بها اهـ كرخي.

قوله: (ويبدل من المتقين الخ) أي: بتكرير الجار كقوله: ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] فتكون جملة هذا ما توعدون اعتراضية فصل بها بين البدل والمبدل منه اهـ كرخي.

قوله: (حافظ لحدوده) أشار به إلى أن حفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ اهـ كرخي.

قوله: ﴿من خشي الرحمن﴾ بدل من كل بعد كون كل بدلاً من المتقين، لا أنه بدل من المتقين أيضاً، لأن تكرر البدل مع كون المبدل منه واحداً لا يجوز، ويصح كونه في موضع رفع أي هم من خشي الخ اهـ كرخي.

قوله: (خافه ولم يره) أشار به إلى أن بالغيب حال من المفعول أي خشية وهو غائب لا يعرفه اهـ كرخي.

قوله: (أي سالمين من كل مخوف) أشار به إلى أن بسلام حال من فاعل ادخلوها وهي حال مقارنة، وقوله: ﴿أو مع سلام﴾، وعليه فتكون حالاً مقدرة كقوله: فادخلوها خالدين، كذا قيل: قال أبو عادل: وفيه نظر إذ لا مانع من مقارنة تسليمهم لحال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فإنه لا يعقل الخلود إلا بعد الدخول اهـ كرخي ببعض تصرف.

قوله: (أي سلموا) أي ليسلم بعضكم على بعض، فالمراد السلام فيما بينهم وهو تحيتهم بعضهم لبعض، وقيل: المراد سلام الله وملائكته عليهم، فعلى هذا قوله بسلام معناه مسلماً عليكم، وتقدم هذا في قوله تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ [يونس: ١٠] الخ تأمل. قوله: (اليوم الذي حصل فيه الدخول) نبه به على أن ذلك إشارة إلى زمان الدخول المتحقق فيه تقديره الخلود إذا لا انتهاء له، فإن قيل: المؤمن قد علم في الدنيا أنه إذا دخل الجنة خلد فيها، فما فائدة هذا القول؟ فالجواب: من وجهين، الأول: إن الله تعالى قال ذلك يوم الخلود في الدنيا إعلاماً وإخباراً وليس ذلك قولاً يقوله عند

﴿يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قروناً كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوّة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ فتشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝﴾ لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ۝﴾ حاضر بالقلب ﴿وَلَقَدْ

قوله ﴿ادخلوها﴾. الثاني: أن اطمئنان القلب بالقول أكثر اهـ كرخي.

قوله: ﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ يجوز أن يتعلق فيها بيشاؤون، ويجوز أن يكون حالاً من الموصول أو من عائده، والأول أولى اهـ كرخي.

قوله: (زيادة على ما عملوا وطلبوا) قال أنس، وجابر: هي النظر إلى وجه الله الكريم. قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد اهـ خطيب.

وقيل: إن السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذي قال الله تعالى: ولدينا مزيد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ الخ لما ذكر تعالى في أول السورة تكذيب الأمم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية بقوله: وكم أهلكنا الخ. وكم: منصوبة بما بعدها وقدمت وإن كانت خبرية كما أشار له الشارح بقوله قروناً كثيرة، لأن الخبرية تجري مجرى الاستفهامية في التصدير: ﴿ومن قرن﴾ تمييز لها، وجملة هم أشد صفة ما لكم وإما لتمييزها، والفاء في قوله فنقّبوا عاطفة على المعنى، كأنه قيل: اشتد بطشهم فنقبوا، والضمير في فنقبوا راجع لقرن، ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وتفتيشهم توجه سؤال فيه تنبيه الغافل الذاهل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله: هل من محيص. أي: معدل ومهرب ومحيد من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما في ردّ أمرنا اهـ خطيب.

وهل حرف استفهام، ومن زائدة، ومحيص مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم أو لغيرهم، والجملة إما على إضمار قول هو حال من واو نقبوا أي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص، أو على اجراء التنقيب لما فيه من معنى الجمع والتفتيش مجرى القول، أو هو كلام مستأنف وارد لنفي أن يكون لهم محيص اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فنقبوا في البلاد﴾ في المختار: فنقبوا في البلاد ساروا فيها طلباً للهرب اهـ.

وفي القاموس: ونقب في الأرض ذهب كأنقب ونقب، وعن الأخبار بحث عنها وأخبر بها وفي البلاد سار فيها اهـ.

قوله: (لم أو لغيرهم) هذا يقتضي أن الجملة الاستفهامية مستأنفة وهي من كلام الله تعالى، إذ لو كانت من كلامهم لكان التقدير على من محيص لها فليتأمل.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ (المذكور) أي: في هذه السورة من أولها إلى هنا.

قوله: ﴿أو ألقى السمع﴾ أو: مانعة خلو لا مانعة جمع، فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله: وهو شهيد اهـ أبو السعود.

قوله: (استمع الوعظ) أي بغاية إصغائه حتى كأنه يرمي بشيء ثقيل من علو إلى سفل اهـ خطيب.

خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ تعب، نزل رداً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي اليهود وغيرهم من التشبيه

قوله: (حاضر بالقلب) حمل شهيد على تقرير كونه من الشهود على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية، لأن من ألقى السمع إلى ما تلى عليه يكون حاضراً بشخصه لا محالة وإطلاقه في الآية للاشعار بأن من لا يحضر بذهب فكأنه غائب اهـ زاده.

قوله: ﴿في ستة أيام﴾ الأرض في يومين ومنافعها في يومين والسموات في يومين، ولو شاء لخلق الكل في أقل من لمح البصر، ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأني في الأمور اهـ خطيب.

قوله: ﴿من لغوب﴾ من زائدة في، الفاعل، واللغوب مصدر لغب من دخل باب ومن باب تعب أيضاً كما في المختار ونصه: اللغوب بضمتين النصب والأعياء وبابه دخل ولغب بالكسر من باب تعب لغوياً أيضاً لغة ضعيفة اهـ.

وفي المصباح: أنه من باب قتل أيضاً اهـ.

وفي السمين: وما مسنا من لغوب يجوز أن تكون الجملة حالاً وأن تكون مستأنفة، والعامة على ضم لام اللغوب، وعلي طلحة والسلمي ويعقوب بفتحها وهما مصدران بمعنى، وينبغي أن يضم هذا إلى ما حكاه سيبويه من المصادر الجائية على هذا الوزن وهي خمسة، وإلى ما زاده الكسائي وهو الوروع فتصير سبعة، وقد أتقنت هذا في البقرة في قوله: ﴿وقردها﴾ اهـ.

قوله: (نزل رداً على اليهود الخ) عبارة الخازن: قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا: خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش، فلذلك تركوا العمل فيه، فأنزل الله هذه الآية رداً عليهم وتكذيباً لهم فيه قولهم استراح يوم السبت بقوله: وما مسنا من لغوب. قال الرازي: في الآية وقفة من حيث إن الأحد وغيره من الأيام أزمنة بعضها يعقب بعضاً، فلو كان خلق السموات والأرض قد ابتدىء يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام، فيلزم أن يكون قبل خلق الأجسام أجسام، لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب، وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر، ولكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين، وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت اهـ.

قوله: (ولعدم المماسة بينه وبين غيره) أي من الموجودات التي يوجدها، واللغوب والإعياء إنما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله كالنجار والحداد والخباز وغير ذلك، وهذا إنما يكون من أفعال المخلوقين.

قوله: (إنما أمره) أي: شأنه إيجاد الأشياء، وقوله: (أن يقول له كن) أي من غير فعل ولا معالجة عمل وهذا تقريب للعقول، وإلا ففي الحقيقة لا قول ولا كاف ولا نون اهـ شيخنا.

قوله: (من التشبيه) أي: تشبيه الله بغيره إذ نسبوا له الإعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم اهـ شهاب.

والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامداً ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ أي صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي صلّ العشاءين ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أي صلّ النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابساً للحمد ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ

وهذا قول اليهود وغيرهم كالمشركين قالوا بإنكار والإعادة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ الخ فقد كان النبي ﷺ مشتغلاً بأمرين أحدهما: عبادة الله، والثاني: هداية الخلق فلما لم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو العبادة اهـ خطيب.

قوله: (صل حامداً) أشار بهذا إلى أن سبح معناه صل قال بعضهم: على سبيل المجاز من اطلاق اسم الجزء على الكل، لكن في القاموس أن من جملة معاني التسبيح الصلاة، فعليه لا تجوز وإلى أن بحمد ربك في موضع الحال من فاعل سبح، وقوله: أي صلاة الصبح تفسير للمفعول المحذوف وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأدبار السجود﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة إدبار بكسر الهمزة على أنه مصدر قام مقام ظرف الزمان، كقولهم: آتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج، والمعنى وقت إدبار الصلاة أي: انقضائها وتمامها، والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الصلاة وعقبها اهـ سمين.

وفي البيضاوي: فتح الهمزة أي: أعقاب الصلاة جمع دبر من أدبرت الصلاة إذا انقضت، وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات، وقيل: الوتر بعد العشاء اهـ.

قوله: (جمع دبر) بضمتين كطنب وأطناب وبضم فسكون كقفل وأقفال اهـ قرطبي.

وفي المصباح الطنب بضمتين وسكون الثاني لغة الحبل تشد به الخيمة ونحوها، والجمع أطناب مثل عنق وأعناق اهـ.

قوله: (وقيل المراد حقيقة التسبيح) قاله مجاهد لخبر أبي هريرة في الصحيح مرفوعاً: «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبّر ثلاثاً وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» اهـ كرخي.

قوله: (مقولي) أشار به إلى أن مفعول أي استمع ما أقول لك في شأن أحوال القيامة فالوقف على استمع ويوم أول كلام مستأنف سيأتي التنبيه على عامله اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿واستمع﴾ هو استماع على بابه، وقيل: هي بمعنى الانتظار وهو بعيد، فعلى الأول يجوز أن يكون المفعول محذوفاً أي استمع نداء المنادي أو نداء الكافر بالويل والثبور، فعلى هذا يكون يوم ينادي ظرفاً لاستمع أي استمع ذلك في يوم، وقيل: استمع ما أقول لك، فعلى هذا يكون يوم ينادي منصوباً بيخرجون مقدراً مدلولاً عليه بقوله ذلك يوم الخروج وعلى الثاني يكون يوم ينادي مفعولاً به وي انتظر ذلك اليوم، ووقف ابن كثير على ينادي بالياء والباقون بدونها، ووجه إثباتها

﴿ٱلْمُنَادِ﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ﴾ بدل من يوم قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي الخلق كلهم ﴿ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور، وناصب يوم ينادي

أنه لا مقتضى لحذفها ووجه حذفها وقفاً اتباعاً للرسم والوقف محل تخفيف، وأما المنادي فأثبت ابن كثير أيضاً ياءه وصلاً ووقفاً، ونافع وأبو عمرو بإثباتها وصلاً وحذفها وقفاً، وباقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً، فمن أثبت فلأنه الأصل، ومن حذف فلاتباع الرسم، ومن خص الوقف بالحذف فلأنه محل راحة ومحل تغيير اهـ.

قوله: ﴿يوم يناد المناد﴾ أي: بالحشر اهـ خطيب.

قوله: (إسرافيل) يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر، وقيل: المنادي جبريل والنافخ إسرافيل. قال الشهاب: وهو الأصح كما دلت عليه الآثار اهـ.

قوله: (أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أي باثني عشر ميلاً وهي وسط الأرض اهـ خطيب.

وعبارة الخازن: أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقيل: هي وسط الأرض اهـ.

قوله: (والأوصال) أي العروق.

قوله: ﴿بالحق﴾ حال من الواو أي يسمعون ملتبسين بالحق، أو من الصيحة أي ملتبسة بالحق اهـ خطيب.

وصنيع الشارح يقتضي أن الباء للتعدية حيث فسر الحق بالبعث أي يسمعون الصيحة والصرخة بالبعث كما تقول صاح بكذا اهـ شيخنا.

قوله: (وهي النفخة الثانية من إسرائيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده) تأمل هذا الصنيع حيث فسر الصيحة بالنفخة الثانية التي هي نفخة البعث، ثم قال: ويحتمل الخ فهذا يقتضي أنها غير النداء المذكور، مع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة الثانية، فهذا الصنيع من الشارح غير مستقيم، وعبارة القرطبي: في سورة يس: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ [يس: ٢٩ و ٣٥] يعني أن بعثهم رإحياءهم كان بصيحة واحدة وهي قول إسرافيل: أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، وهذا معنى قوله: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج مهطعين إلى الداع﴾ على ما يأتي اهـ. فتأمل.

قوله: (وهذا معنى قوله الخ) حيث جعل النداء المذكور تفسيراً في قوله: يوم يسمعون الصيحة بالحق تأمل. قوله: (أي يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر، ولو قدره الشارح بجنب منصوبه لكان أسهل في الفهم لأن قوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من جملة الاعتراض الآتي التنبيه عليه، فالعامل في يوم ينادي يقدر قبله اهـ شخينا.

مقدراً أي يعلمون عاقبة تكذيبهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿يَوْمَ﴾ بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين وتشديدها، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع سريع، حال من مقدر، أي فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص، وهو لا يضر، وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي كفار قريش ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿إنا نحن نحيي﴾ الخ أي في الدنيا، وقوله: وإلينا المصير أي في الآخرة. قوله: (بدل من يوم قبله) عبارة السمين: قوله: يوم تشقق الأرض. يوم يجوز أن يكون بدلاً من يوم قبله، وقال أبو البقاء: إنه بدل من يوم الأول وفيه نظر من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد، وقد تقدم أن الزمخشري منعه، ويجوز أن يكون اليوم ظرفاً للمصير، وقيل: ظرفاً للخروج، وقيل: منصوب بيخرجون مقدراً اهـ.

قوله: (وما بينهما) وهو قوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (حال من مقدر) مبني على أن يوم معمول لمحذوف تقديره يخرجون يوم تشقق الأرض عنهم حال كونهم سراعاً، وقيل: إنه حال من الضمير في عنهم ولا تقدير اهـ.

قوله: (للاختصاص) أي لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده اهـ خطيب.

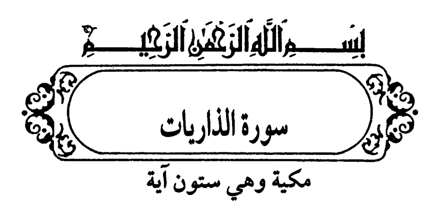
والمراد بالاختصاص الحصر لأن تقديم المعمول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ فيه تسلية له ﷺ اهـ خطيب.

قوله: ﴿بجبار﴾ صيغة مبالغة من جبر الثلاثي، فإن فعالاً إنما يبنى من الثلاثي. وفي المصباح: وأجبرته على كذا بالألف حملته عليه قهراً وغلبته فهو مجبر. هذه لغة عامة العرب، وفي لغة لبني تميم وكثير من أهل الحجاز جبرته جبراً من باب قتل حكاه الأزهري، ثم قال: جبرته وأجبرته لغتان جيدتان، وقال الخطابي: الجبار الذي جبر خلقه على ما أراده من أمره ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره بمعنى، ورأيت في بعض التفاسير عند قوله تعالى: ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أن الثلاثي لغة حكاها الفراء وغيره، واستشهد لصحتها بما معناه أنه لا يبنى فعال إلاّ من فعل ثلاثي نحو الفتاح والعلام، ولم يجىء من أفعل بالألف إلا دراك، فإن حمل جبار على هذا المعنى فهو وجيه. قال الفراء: وقد سمعت العرب تقول جبرته على الأمر وأجبرته، وإذا ثبت ذلك فلا يعول على قول من ضعفها اهـ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فهو منسوخ اهـ كازروني. قوله: ﴿من يخاف وعيد﴾ يرسم بدون ياء، وأما في اللفظ فقرأ ورش بإثباتها بعد الدال وصلاً لا وقفاً، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً اهـ خطيب.

قوله: (وهم المؤمنون) أي: فإنهم المنتفعون به، وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من أنواع العقاب وفنون العذاب اهـ كرخي، والله أعلم.



سورة الذاريات

مكية وهي ستون آية

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا ۝١﴾ مصدر، ويقال تذريه ذرياً: تهب به

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

في بعض النسخ سورة والذاريات بالواو.

قوله: (مكية) أي بإجماع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿والذاريات﴾ مفعوله محذوف أشار له بقوله التراب وغيره، وقوله: مصدر أي مؤكد وناصبه فرعه وهو اسم الفاعل، أي: الذاريات، وقوله: (تهب به) راجع لكل من الواوي واليائي اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿والذاريات ذروا﴾ يعني الرياح تذرو التراب وغيره، أو النساء الولود فإنهن يذرين الأولاد ﴿فالحاملات﴾، وقرأ فالسحب الحاملات للأمطار، أو الرياح الحاملات للسحاب، أو النساء الحوامل. ﴿فالجاريات يسراً﴾: فالسفن الجارية في البحر سهلاً أو الرياح الجارية في مهابها، أو الكواكب التي تجري في منازلها، ويسراً: صفة مصدر محذوف أي: جرياً ذا يسر ﴿فالمقسمات أمراً﴾: الملائكة تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرياح يقسمن الأمطار بتصرف السحاب اهـ.

والترتيب في هذه الأقسام ترتيب ذكري ورتبي باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على قدرته تعالى، وتوضيح المقام أن الأيمان الواقعة في القرآن وإن وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه، إلا أن المقصود الأصلي منها تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة، فيكون المقصود بالحلف الاستدلال به على المحلوف عليه وهو هنا صدق الوعد بالبعث والجزاء، فكأنه قيل: من قدر على هذه الأمور العجيبة يقدر على إعادة ما أنشأه أولاً، فإذا كان كذلك فالمناسب في ترتيب الأقسام بالأمور المتباينة أن يقدم ما هو أدل على كمال القدرة، فالرياح أدل عليها بالنسبة إلى السحب لكون الرياح أسباباً لها، والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذي هو الرياح أدل عليه بالنسبة إلى السفن، وهذه الثلاثة أدل عليه بالنسبة إلى الملائكة الغائبين عن الحس، إذ الخصم ربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال، وهذا على كون الترتيب على طريق التدلي والتنزل، ويصح أن

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا ۝٢﴾ ثقلاً مفعول الحاملات ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا ۝٣﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي ميسرة ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ ما مصدرية، أي إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ ۝٥﴾ لوعد صادق ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ لا

يكون على طريق الترقي لما في كل منها من الصفات التي تجعلها أعلى من وجه وأدنى من وجه آخر، فالملائكة المدبرات أعظم، وأنفع من السفن وهي باعتبار أنها بيد الإنسان يتصرف فيها كما يريد ويسلم بها من المهالك أنفع من السحب، والسحب لما فيها من الأمطار أنفع من الرياح ملخصاً من زاده والشهاب.

وفي الخازن: فالمقسمات أمراً يعني الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا، وقيل: هم أربعة، فجبريل صاحب الوحي إلى الأنبياء الأمين عليه وصاحب الغلظة، وميكائيل صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل صاحب الصور واللوح، وعزرائيل صاحب قبض الأرواح. وقيل: هذه الأوصاف الأربعة في الرياح لأنها تنشىء السحاب وتثيره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جرياً سهلاً ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته، والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الأشياء، وقيل: فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم، فقال: ﴿إنما توعدون﴾ الخ اهـ.

قوله: (فذرو التراب) من باب عدا، وقوله: ويقال تذريه من باب رمى كما في المختار. قوله: (تهب به) بضم الهاء، ففي المصباح: هبت الريح هبوباً من باب قعد هاجت اهـ.

قوله: ﴿وقراً﴾ الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ وزنها واحد ومعناها واحد وهو واحد الأحمال اهـ شيخنا.

قوله: (مفعول) أي: مفعول به للحاملات.

قوله: ﴿أمراً﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به وهو الظاهر، وأن يكون حالاً أي: مأمورة، وعلى هذا فيحتاج إلى حذف مفعول المقسمات، وقد يقال لا غرض في تقديره كما في الذاريات، وما في قوله إنما توعدون يجوز أن تكون اسمية وعائدها محذوف أي: توعدونه ومصدرية فلا عائد لها، وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنياً من الوعد، وأن يكون مبنياً من الوعيد، لأنه صالح أن يقال أوعدته فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلف، فالتقدير إن وعدكم أو إن وعيدكم اهـ سمين.

قوله: (أي إن وعدهم الخ) صوابه أي: إن وعدكم كما في عبارة غيره اهـ.

قوله: ﴿لواقع﴾ أي: حاصل. قوله: (في الخلقة) أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة كما ذكره بقوله كالطرق في الرمل لا المعنوية كما قاله بعضهم، وفي البيضاوي: والسماء ذات الحبك ذات الطرائق، والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها إلى المعارف أو النجوم، فإن لها طرائق، أو أنها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي

محالة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝﴾ جمع حبيكة كطريقة وطرق، أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝﴾ قيل: شاعر ساحر كاهن، شعر سحر كهانة ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ ۝﴾ صرف عن الهداية في علم الله تعالى ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝﴾ لعن الكذابون أصحاب القول المختلف ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ ۝﴾ غافلون عن أمر الآخرة ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝﴾ أي متى مجيئه، وجوابهم يجيء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ

جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل، وقرىء الحبك بالسكون، والحبك كالإبل، والحبك كالسلك، والحبك كالحبل، والحبك كالنعم، والحبك كالبرق اهـ.

وقوله: (كالبرق) بضم ففتح جمع برقة وهي أرض ذات حجارة اهـ.

قوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ جواب القسم. قوله: (قيل شاعر الخ) الأولى أن يقول قلتم أو فتقولون كما عبَّر اهـ شيخنا.

قوله: (عن النبي والقرآن) وقيل: الضمير للقول المذكور أي يرتد أن يصرف عن هذا القول من صرف عنه في علم الله وهم المؤمنون. وفي الخطيب: وقيل إن هذا القول مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد إلى المستوي اهـ.

قوله: ﴿قتل الخراصون﴾ الخ أصل هذا التركيب الوعد بالقتل أجري مجرى اللعن اهـ بيضاوي.

أي: استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيهاً للملعون الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة وكل نعمة اهـ زاده.

وفي القاموس: ما يقتضي أن قتل يأتي بمعنى لعن، ونصه: وقتل الإنسان ما أكفره أي: لعن، وقاتلهم الله أي: لعنهم اهـ.

وفي الخازن: قتل الخراصون يعني الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا أعتاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن الإسلام، وقيل هم الكهنة اهـ.

قوله: ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ سؤالهم هذا نشأ من قوله: وإن الدين لواقع، وقوله: أيان خبر مقدم، ويوم الدين مبتدأ مؤخر، ولما أورد عليه ما حاصله أن الزمان لا يخبر به عن الزمان، وإنما يخبر به عن الحدث أشار إلى أن الكلام على حذف مضاف ليرجع الأمر للاخبار بالزمان عن الحدث، فقال: أي متى مجيئه، فقوله: متى تفسير لأيان الذي هو الخبر، وقوله: مجيئه إشارة للمضاف المحذوف في المبتد وهو يوم الدين اهـ شيخنا.

قوله: (وجوابهم) أي: جواب سؤال محذوف تقديره يجيء وهو الناصب ليوم، فهو ظرف للمحذوف، وهم مبتدأ ويفتنون خبره وعلى بمعنى في، والجملة في محل جر بإضافة يوم إليها. هذا ما جرى عليه الشارح، لكن هذا الجواب لا يفيد إذ ليس فيه تعيين المسؤول عنه، بل هو أشد إبهاماً وخفاء منه، وإنما أجيبوا به لأن سؤالهم ليس حقيقياً قصدوا به العلم والفهم بل هو استهزاء فلذلك أجيبوا

﴿يُفۡتَنُونَ ۝١٣﴾ أي يعذبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا استهزاء ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ تجري فيها ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير في خبر إن ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡۚ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ أي دخولهم الجنة ﴿مُحۡسِنِينَ ۝١٦﴾ في الدنيا ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ ينامون، وما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلاً ظرف، أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ الذي لا

بصورة جواب لا بجواب حقيقي مقيد للتعيين اهـ شيخنا.

قوله: (أي يعذبون فيها) قيل: إن أصل معنى الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والإحراق اهـ شهاب.

وعدي يفتنون بعلى لتضمنه معنى يعرضون اهـ زاده.

قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ وقوله: ﴿الذي كنتم﴾ الخ خبر. قوله: (تجري فيها) فيه إشارة إلى جواب ما يقال كيف قال: إن المتقين في عيون مع أنهم لم يكونوا فيها؟ وإيضاح الجواب إنها تجري فيها وتكون في جهاتهم وأمكنتهم منها اهـ شيخنا.

قوله: (حال من الضمير في خبر إن) أي: كائنون في جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أي: راضين به ومسرورين ومتلقين له بالقبول اهـ شيخنا.

وقول الشارح: من الثواب بيان لما وعليه تكون الحال مقارنة ومعنى آخذين قابضين ما آتاهم شيئاً فشيئاً ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له، وقيل: قابلين قبول راض كقوله تعالى: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ [التوبة: ١٠٤] أي: يقبلها، قاله الزمخشري اهـ خطيب.

قوله: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ تفسير للإحسان. وفي المختار: الهجوع النوم ليلاً وبابه خضع والهجعة النومة الخفيفة، ويقال: أتيت فلاناً بعد هجعة أي: بعد نومة خفيفة من الليل اهـ.

قوله: ﴿وبالاسحار﴾ متعلق بيستغفرون المعطوف على ما يهجعون، والباء بمعنى في قدم متعلق الخبر على المبتدأ لجواز تقديم العامل اهـ سمين.

وفي الخطيب: قوله: ﴿وبالأسحار﴾ قال ابن زيد: السحر السدس الأخير من الليل. هم: أي: دائماً بظواهرهم وبواطنهم يستغفرون: أي يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين، ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وأنهم لا يقدرون على أن يقدروه حتى قدره وإن اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد ﷺ لا أحصي ثناء عليك اهـ.

وقيل: يستغفرون من تقصيرهم فهي العبادة، وقيل: يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل، وقيل: معناه يصلون بالأسحار لطلب المغفرة اهـ خازن.

قوله: ﴿وفي أموالهم حق﴾ أي: أوجبوه على أنفسهم بمقتضى الكرم يصلون به الأرحام والفقراء والمساكين اهـ شيخنا.

يسأل لتعففه ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَٰتٌ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آيات أيضاً، من مبدإ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ﴾ أي

والجملة معطوفة على خبر كان فهي خبر ثالث. قوله: (لتعففه) أي: فيظن غنياً فيحرم الصدقة اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، وقيل: معناه الذي حرم الخير والعطاء، وقيل: المحروم المتعفف الذي لا يسأل، وقيل: هو صاحب الحاجة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته، وقيل: هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة، وقيل: هو المملوك، وقيل: هو المكاتب، وأظهر هذه الأقوال أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وإنما يفطن له متيقظ اهـ.

قوله: ﴿وفي الأرض آيات﴾ الخ كلام مبتدأ قصد به الاستدلال على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وقد اشتمل على دليلين الأرض والأنفس، وأما قوله: وفي السماء رزقكم الخ، فهو كلام آخر ليس المقصود به الاستدلال، بل المقصود به الامتنان والوعد والوعيد اهـ شيخنا.

والجار والمجرور خبر مقدم، وآيات مبتدأ مؤخر، وقوله: وفي أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة سابقه عليه، ولذا قدره بقوله: آيات أيضاً، وقوله: من الجبال بيان للأرض، فالمراد بها ما في جهة السفل ولو كان فوق ظهرها اهـ شيخنا.

قوله: (من مبدأ خلقكم الخ) كالأطوار المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] الخ. وقوله: وما في تركيب الخ معطوف على مبدأ أي: ومما في تركيب خلقكم الخ كحسن القامة وحسن الشكل وغير ذلك اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وفي أنفسكم آيات إذ ما في العالم شيء إلا وفي الإنسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة، والمناظر البهية، والتركيبات العجيبة، والتمكن من الأفعال الغريبة، واستنباط الصنائع المختلفة، واستجماع الكمالات المتنوعة اهـ.

قوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ (ذلك) أي: الأرض وما فيها، والأنفس وما فيها فتعتبروا بها اهـ شيخنا.

قوله: (أي مكتوب ذلك) أي ما توعدون، فهذا تفسير لظرفية ما توعدون في السماء، وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطر كامن فيها بنفس حقيقه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فورب السماء والأرض﴾ الخ أقسم سبحانه وتعالى بنفسه، فقال: فورب السماء والأرض إنه لحق أي: ما ذكر من الرزق وغيره مثل ما أنكم تنطقون أي: بلا إله إلا الله، وقيل: شبه

ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ برفع مثل صفة، وما مزيدة، وبفتح اللام مركبة مع ما، المعنى: مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم، ضرورة صدوره عنكم ﴿هَلْ أَتَنكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وهم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم

تحقق ما أخبر به عنه بتحقق نطق الآدمي، ومعناه إنه لحق كما أنت تتكلم، وقيل: إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفونه ضرورة، وقال بعض الحكماء: معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره اهـ خازن.

قوله: (أي ما توعدِون) عبارة غيره: أي: رزقكم وما توعدون وهي أحسن اهـ.

قوله: (برفع مثل صفة) أي: حال كونه صفة أي: لحق، وقوله: مركبة مع ما أي: حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككلما وطالما وأينما وقلما، فيقال في الإعراب: مثلما مبني على السكون في محل رفع على أنه صفة لحق، ومثلما مضاف، وجملة أنكم تنطقون مضاف إليه في محل جر، فقوله: المعنى أي: معنى القراءتين مثل بالرفع، ولو على قراءة الفتح لأنها في محل رفع هذا ما أشار إليه ابن جزي خلافاً لما ذكره الحواشي من أن المراد التركيب الإضافي على أن مثل مضاف وما مضاف إليه على أنها نكرة موصوفة، وجملة أنكم تنطقون خبر مبتدأ محذوف أي هو أنكم الخ، والجملة صفة ما وحركة مثل على هذا بنائية وبنيت لإضافتها إلى المبنى، وهذا وإن كان صحيحاً في نفسه كما ذكره البيضاوي وغيره، لكنه غير متبادر من عبارة الشارح، فالأولى في فهمها ما تقدم الذي أشار له ابن جزي اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ونصبه على الحال من المستكن في لحق أو الوصف لمصدر محذوف، أي: أنه لحق حقاً مثل نطقكم، وقيل: إنه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت بمعنى شيء وإن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق اهـ.

قوله: (المعنى مثل نطقكم الخ) عبارة أبي السعود: أي: كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في أحقيته اهـ.

وقال يزيد بن مرثد: إن رجلاً جاع بمكان وليس فيه شيء فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، فشبع وروي من غير طعام ولا شراب. وعن أبي سعيد الخدري قال، قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم فرَّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» أسنده الثعلبي اهـ قرطبي.

قوله: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ أي: ألم يأتك حديث الخ، وقيل: هل بمعنى قد كما في قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ اهـ قرطبي.

وهذا تفخيم لشأن الحديث أي: القصة، وتنبيه على أنه مما لا يعلمه رسول الله إلا بالوحي، والضيف في الأصل مصدر ضاف، ولذلك يطلق على الواحد والجماعة اهـ أبو السعود.

قوله: (وهم) أي: الضيف ملائكة، وقوله: منهم جبريل أي: على جميع الأقوال اهـ.

جبريل ﴿إِذْ﴾ ظرف لحديث ضيف ﴿دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ سراً ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ وفي سورة هود بعجل حنيذ أي مشوي ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا

قوله: ﴿إذ دخلوا عليه﴾ في العامل في إذ أربعة أوجه، أحدها: أنه حديث أي: هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه. الثاني: أنه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لأنه في الأصل مصدر، ولذلك يستوي فيه الواحد المذكر وغيره، كأنه قيل: الذين ضافوه في وقت دخولهم عليه. الثالث: أنه منصوب بالمكرمين إن أريد بإكرامهم أن إبراهيم أكرمهم بخدمته لهم. الرابع: أنه منصوب بإضمار اذكر، ولا يجوز نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين اهـ سمين.

قوله: ﴿فقالوا سلاماً﴾ أي: نسلم عليك سلاماً قال: سلام أي: عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات، حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم اهـ بيضاوي.

والعامة على نصب سلاماً الأول ورفع الثاني، وقرئا مرفوعين، وقرىء سلاماً قال سلاماً قال سلماً بكسر سين الثاني ونصبه، ولا يخفى توجيه ذلك كله مما تقدم في هود اهـ سمين.

قوله: (أي هذا اللفظ) أي: الذي صدر منهم هو لفظ سلاماً، والذي صدر منه لفظ سلام، ولكن الصادر منهم منصوب بفعل مقدر والصادر منه هو مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قوم منكرون﴾ فإن قيل: قال تعالى في سورة هود: ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ [هود: ٧٠] فدل ذلك على أن إنكاره عليه السلام حصل بعد تقريب العجل إليهم، وقال ههنا: ﴿قوم منكرون﴾ ثم قال: ﴿فراغ إلى أهله﴾ بفاء التعقيب، وذلك يدل على أن تقريب الطعام إليهم بعد حصول إنكاره فما وجه التوفيق؟ فالجواب: أن الإنكار الذي كان قبل تقريب العجل غير الإنكار الحاصل بعده، فإن الإنكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بأنهم من أي بلدة، والإنكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر، فإن من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره اهـ زاده.

قوله: ﴿فراغ إلى أهله﴾ أي: الذين كان عندهم بقره وكان عامة ماله البقر اهـ خطيب.

فالمراد بأهله خدمه كالرعاة. قوله: (سراً) أي: في خفية من ضيفه، فإن من آداب المضيف أن يبادروا بالقرى حذراً من أن يكلفه الضيف أو يصيره منتظراً اهـ بيضاوي.

قوله: (سراً) أخذه من معنى الروغان في اللغة، وفي المصباح: وراغ الثعلب روغاً من باب قال، وروغاناً ذهب يمنة ويسرة في سرعة وخديعة فهو لا يستقر في جهة، وراغ فلان إلى كذا مال إليه سراً. وفي القرطبي: ويقال إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام اهـ.

قوله: ﴿فقربه إليهم﴾ معطوف على محذوف تقديره فشواه كما أشار له بقوله: في سورة هود

تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ ذي علم كثير، هو إسحق كما ذكر في هود ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٖ﴾ صيحة حال أي جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه

الخ. قوله: (عرض عليهم الأكل الخ) وفي السمين: والهمزة في ألا تأكلون للإنكار عليهم في عدم أكلهم أو للعرض أو للتحضيض اهـ.

قوله: ﴿فأوجس﴾ معطوف على ما قدره بقوله فلم يجيبوا قوله: خيفة أي: خوفاً، وقوله: قالوا لا تخف أي: قالوا ذلك لما ظهر لهم ولاح عليهم من أمارات الخوف اهـ شيخنا.

وقوله: إنا رسل ربك أي: إلى قوم لوط كما في سورة هود. وفي البيضاوي: قيل مسح جبريل العجل بجناحه، فقام يمشي حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم اهـ.

قوله: ﴿فأقبلت امرأته﴾ أي: لما سمعت البشارة المذكورة، وكانت في زاوية من زوايا البيت فجاءت عند الضيف وقالت ما ذكر، وقيل: لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان، وإنما المراد أنها شرعت في الكلام المذكور وصارت تتحدث به لأنها قد امتلأت عجباً، فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا إذا أخذ وشرع فيه اهـ شيخنا.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان اهـ.

قوله: ﴿في صرة﴾ قال عكرمة، وقتادة: إنها الرنة والتأوه، وقيل: أقبلت في صرة أي: في جماعة من الناس، وقال الجوهري: الصرة الضجة والصيحة، والصرة الجماعة، والصرة الشدة من حرب وغيره اهـ قرطبي.

قوله: (أي جاءت صائحة) لأنها لما بشرت بالولد وجدت حرارة الدم أي: دم الحيض، كما قال تعالى: ﴿فضحكت﴾ وكانت في زاوية تنظر إليهم اهـ كرخي.

وكان بين البشارة والولادة سنة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فصكت وجهها﴾ اختلف في صفة الصك، فقيل هو الضرب باليد مبسوطة، وقيل: هو ضرب الوجه بأطراف الأصابع مثل التعجب وهي عادة النساء إذا أنكرن شيئاً، وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض، وقيل: جمعت أصابعها وضربت جبينها عجباً، وذلك من عادة النساء أيضاً إذا أنكرن شيئاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقالت عجوز﴾ أي: أنا عجوز عقيم.

قوله: ﴿قالوا كذلك﴾ منصوب على المصدر يقال الثانية أي: مثل ذلك القول الذي أخبرناك به قال ربك أي: قضى وحكم في الأزل أي: إنه من جهة الله تعالى فلا تعجبي منه اهـ سمين.

﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ بخلقه ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ كافرين أي قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ مطبوخ بالنار ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لإهلاك الكافرين ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وهم لوط وبنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام، أي هم مصدقون بقلوبهم، عاملون

قوله: ﴿قال فما خطبكم﴾ أي: لما رأى من حالهم، وأن اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة فقط اهـ خطيب.

قوله: ﴿لنرسل عليهم﴾ أي: لننزل عليهم من السماء حجارة الخ استدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط اهـ زاده.

قال السدي ومقاتل: كانوا ستمائة ألف، فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلع قراهم وكانت أربعة، ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم، ثم قلبها ثم أرسل عليهم الحجارة، فتتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم اهـ زاده.

جمع شاذ أي: الخارجين منهم عن أرضهم اهـ.

قوله: ﴿مسومة﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على النعت لحجارة. والثاني: أنه حال من الضمير المستكن في الجار قبله. الثالث: أنه حال من حجارة وحسن ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها اهـ سمين.

وقوله: للمسرفين متعلق بمسومة أيضاً كما في الخطيب اهـ.

قوله: (ظرف لها) أي: لمسومة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال، بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم من الكلام، والفاء مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع أخر، كأنه قيل: فباشروا ما أمروا به فأخرجنا من كان فيها بقولنا: ﴿فأسر بأهلك﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (أي قرى قوم لوط) وهي وإن لم تذكر لكن دل عليها السياق اهـ شيخنا.

قوله: (غير بيت) أي: غير أهل بيت، وقوله: وهم لوط وابنتاه، وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: قال الأصفهاني وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر اهـ.

قوله: (وصفوا بالإيمان والإسلام الخ) فيه إشارة إلى ما قاله الخطابي وغيره: إن المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون المؤمن مسلم دائماً فهو أخص قال: وبهذا يستقيم تأويل الآيات والأحاديث اهـ كرخي.

بجوارحهم الطاعات ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٣٧﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على فيها، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ بحجة واضحة ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩﴾

قوله: ﴿وتركنا﴾ أي: أبقينا فيها أي: القرى، وقوله: آية وهي تلك الأحجار، أو صخر منضود، أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم اهـ كرخي.

وقوله: منضود أي: متراكب بعضه فوق بعض اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرى الخربة، وقيل: الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الآية اهـ.

قوله: (المعنى وجعلنا في قصة موسى آية) أشار به إلى تقدير مضاف وحذف مفعول من المعطوف، وكذا يقال فيما سيأتي، وقوله: إذا أرسلناه ظرف للعامل المقدر أو المفعول المقدر وهو آية اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: وفي موسى وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه عطف على فيها بإعادة الجار، لأن المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى، ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى آية وهذا معنى واضح. الثاني: متعلق بجعلنا مقدرة لدلالة وتركنا. قال الزمخشري: أو يعطف على قوله: وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله:

علفتها تبناً وماء بارداً

قال الشيخ: ولا حاجة إلى إضمار وجعلنا لأنه يمكن أن يكون العمل في المعطوف وتركنا. وقوله: إذ أرسلناه يجوز في هذا الظرف ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون منصوباً بآية على الوجه الأول أي تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه. والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه نعت لآية أي: آية كائنة في وقت إرسالنا. الثالث: أنه منصوب بتركنا اهـ.

قوله: (واضحة) وهي الآيات التسع. قوله: (كالركن) أي: كركن البيت الذي يعتمد عليه في التقوى بهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: فأعرض عن الإيمان به كقوله: ونأى بجانبه أي: فتولى بما تقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوى به اهـ.

وفي القاموس: ركن إليه كنصر وعلم ومنع ركوناً مال وسكن، والركن بالضم الجانب الأقوى والجانب العظيم وما يتقوى به من ملك وجند وغيرهما والعز والمنعة، انتهى.

قوله: ﴿وقال﴾ (لموسى) أي: في شأن موسى.

قوله: ﴿ساحر أو مجنون﴾ أو هنا على بابها من الإبهام على السامع أو للشك نزل نفسه مع أنه يعرفه نبياً حقاً منزلة الشاك في أمره تمويها على قومه، وقال أبو عبيدة: أو بمعنى الواو قال لأنه قد

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي فرعون ﴿مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ آت بما يلام عليه، من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية ﴿وَفِى﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ﴿مَا تَذَرُ مِن

قالهما قال تعالى: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ [الأعراف: ١٠٩] وقال في موضع آخر: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] وتجيء بمعنى الواو وردَّ الناس عليه وقالوا: لا ضرورة تدعو إلى ذلك، وأما الآيتان فلا يدلان على أنه قالهما معاً، وإنما يفيدان أنه قالهما أعم من أن يكونا معاً أو هذه في وقت وهذه في وقت آخر اهـ سمين.

قوله: ﴿وجنوده﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على مفعول أخذناه وهو الظاهر، وأن يكون مفعولاً معه اهـ سمين.

قوله: ﴿وهو مليم﴾ جملة حالية، فإن كانت حالاً من مفعول نبذناهم فالواو رزمة إذ ليس فيها ذكر ضمير يعود على صاحب الحال، وإن كانت حالاً من مفعول أخذناه فالواو ليست واجبة إذ في الجملة ذكر ضمير يعود عليه اهـ سمين.

قوله: (آت بما يلام عليه) عليه: ففي الإسناد تجوز على حدّ عيشة راضية اهـ.

وقوله: (من تكذيب الرسل الخ) إشارة إلى أن ما يلام عليه يختلف حاله باعتبار من وصف به، فلا يتوهم أنه كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون اهـ شهاب.

وفي المصباح: وألام الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم اهـ.

وفي المختار: اللوم العذل تقول لامه على كذا من باب قال؛ ولومه أيضاً فهو ملوم، واللائمة الملامة، وألام الرجل أتى بما يلام عليه اهـ.

قوله: ﴿وفي عاد﴾ أي: وجعلنا في إهلاك عاد إلى آخر ما تقدم من التقدير اهـ.

قوله: (هي التي لا خير فيها) فيه إيذان بأن العقم ههنا مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية شبه ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر أو القاح شجر بما في المرأة من الصفة المذكورة التي تمنع من الحمل، ثم قبل: العقيم وأريد به ذلك المعنى المعنى بقرينة وصف الريح به، أو سماها عقيماً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم اهـ كرخي.

وفي الشهاب: أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر كما قاله الراغب، وهو فعيل بمعنى أو مفعول كما من، فلما أهلكهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الإهلاك بعدم الحمل لما فيه من إذهاب النسل وهذا هو المراد هنا اهـ.

قوله: (ولا تلقح الشجر) من ألقح كأكرم أو لقح كعلم بالتشديد اهـ شيخنا.

قوله: (وهي الدبور) وقيل: هي الجنوب، وقيل: هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها وانحرافها عن مهاب الرياح المعروفة وهي رياح متعددة لا ريح واحدة اهـ شهاب.

وكونها الدبور أصح لحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» اهـ.

شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ كالبالي المتفتت ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ أي إلى انقضاء آجالكم كما في آية ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ ﴿فَعَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي بالنهار ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ على من أهلكهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالجر

قوله: ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ هذه الجملة في موضع المفعول الثاني كأنه قيل ما تترك من شيء إلا مجعولاً كالرميم نحو: ما تركت زيداً إلا عالماً، وأعربها الشيخ حالاً وليس بظاهر اهـ سمين.

وفي القرطبي: إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهشيم يقال للنبت إذا يبس وتفتت رميم وهشيم. قال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي، وقال قتادة: أنه الذي ديس من يابس النبات، وقال أبو العالية والسدي: كالتراب المدقوق، وقال قطرب: الرميم الرماد، وقال بعضهم: ما رمته الماشية من الكلأ، وأصل الكلمة من رم العظم إذا بلى. تقول: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم، والرمة بالكسر العظام البالية، والجمع رمم ورمام، ونظير هذه الآية تدمر كل شيء حسبما تقدم اهـ.

قوله: ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ هذا ترتيب إخباري وإلاَّ ففي الحقيقة عتوهم إنما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله: ﴿تمتعوا حتى حين﴾ على تفسيره إذ المراد به ما بقي من آجالهم وهو الثلاثة أيام التي ينزل بهم فيها العذاب، والمراد بأمر بهم هو المذكور في سورة هود بقوله: ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ [هود: ٦٤] الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي الصيحة المهلكة) هذا التفسير إنما يلائم قراءة الكسائي، فأخذتهم الصعقة إذ هي المرة من الصعق الذي هو الصباح، وأما الصاعقة فهي نار تنزل من السماء فيها رعد شديد، فكان عليه أن يفسر به إذ هو المناسب لقوله وهم ينظرون إذ الذي ينظر ويبصر إنما هو الصاعقة لا الصيحة لأنها صوت اهـ قاري بإيضاح.

وما ذكره من الاعتراض ناشيء عن القصور عما في اللغة، ففيها أن الصاعقة تطلق على الصيحة الشديدة، وفي المختار: الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد يقال: صعقتهم السماء من باب قطع إذا ألقت عليهم الصاعقة، والصاعقة أيضاً صيحة العذاب اهـ.

قوله: (أي بالنهار) أشار به إلى أن جملة وهم ينظرون من النظر وهو أحد التأويلين فيها، والثاني أنه من الانتظار أي ينتظرون ما وعدوه من العذاب اهـ كرخي.

قوله: (على أهلكهم) الأولى أن يقول أي: وما كانوا ممتنعين ممن أهلكهم إذ المراد به هو الله ولا يتوهم انتصارهم عليه، وإنما يتوهم الفرار والهرب منه اهـ قاري.

وفي الخازن: وما كانوا منتصرين أي: ممتنعين منا، وقيل: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله اهـ.

قوله: (بالجر عطف الخ) عبارة السمين: ﴿وقوم نوح من قبل﴾ قرأ الأخوان، وأبو عمرو بجر

عطف على ثمود، أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٤٦﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ قادرون، يقال: آد الرجل يئيد قوي، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة

الميم، والباقون بنصبها، وأبو السمال وابن مقسم وأبو عمر، وفي رواية الأصمعي بالرفع. فأما الجر ففيه أربعة أوجه، أحدها: أنه معطوف على وفي الأرض. الثاني: أنه معطوف على وفي موسى. الثالث: أنه معطوف على وفي عاد. والرابع: أنه معطوف على وفي ثمود. وهذا هو الظاهر لقربه وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره، فإنه قال قرىء بالجر على معنى، وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله، وفي قوم نوح ولم يذكر أبو البقاء غير الوجه الأخير لوضوحه. وأما النصب ففيه ستة أوجه، أحدها: أنه منصوب بفعل مضمر أي وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه. الثاني: أنه منصوب باذكر مقدراً ولم يذكر الزمخشري غيرهما: الثالث: أنه منصوب عطفاً على مفعول فأخذناه. الرابع: أنه معطوف على مفعول فنبذناهم في اليم، وناسب ذلك أن قوم نوح مغرقون من قبل، لكن يشكل بأنهم لم يغرقوا في اليم وأصل العطف يقتضي التشريك في المتعلقات. الخامس: أنه معطوف على مفعول فأخذتهم الصاعقة، وفيه إشكال لأنهم لم تأخذهم الصاعقة، وإنما أهلكوا بالطوفان إلا أن يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من أي نوع كانت فيقرب ذلك. السادس: أنه معطوف على محل وفي موسى نقله أبو البقاء وهو ضعيف، وأما الرفع فعلى الابتداء، والخبر مقدر أي: أهلكناهم وقال أبو البقاء: والخبر ما بعده يعني قوله: ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ اهـ سمين.

قوله: (أي وفي اهلاكهم) أي وجعلنا في اهلاكهم الخ.

قوله: ﴿والسماء بنيناها﴾ العامة على النصب على الاشتغال، وكذلك قوله: ﴿والأرض فرشناها﴾ والتقدير وبنينا السماء بنيناها. وقال أبو البقاء: أي ورفعنا السماء فقدر الناصب من غير لفظ الظاهر، وهذا إنما يصار إليه عند تعذر التقدير الموافق لفظاً نحو: زيداً مررت به وزيداً ضربت غلامه، وأما في نحو زيداً ضربته فلا يقدر إلا ضربت زيداً، وقرأ أبو السمال، وابن مقسم: برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما، والنصب أرجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها اهـ سمين.

قوله: ﴿بأيد﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال وفيه وجهان، أحدهما: أنه حال من فاعل بنيناها أي: ملتبسين بقوة. والثاني: أنه حال من مفعوله أي: ملتبسه بقوة، ويجوز أن تكون الباء سببية أي بسبب قدرتنا، ويجوز أن تكون معدية مجازاً على أن يجعل الأيد كالآلة المبني بها كقولك: بنيت بيتك بالآجر اهـ سمين.

قوله: ﴿وإنا لموسعون﴾ الجملة حال مؤكدة على تقدير الشارح حيث قرر أن موسعون معناه قادرون فهو من أوسع اللازم كأورق الشجر أي: صار ذا ورق، ويستعمل متعدياً محذوف أي لموسعون السماء أي: جاعلوها واسعة، وعليه تكون الحال مؤسسة أخبر أولاً أنه بناها بقوته وقدرته، وثانياً بأنه وسعها أي جعلها واسعة، فالأرض بالنسبة إليها كحلقة في فلاة كما نقله الخازن والخطيب. إذا علمت هذا علمت أن النسخ التي فيها لفظة بها بعد موسعون أو في آخر السوادة غير صحيحة لأنها لا تناسب إلا

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ مهدناها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ متعلق بقوله ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه، بأن

استعمال موسعون متعدياً، والشارح اعتبره لازماً حيث قال: وأوسع الرجل الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله وإنا لموسعون يجوز أن تكون الجملة حالاً من فاعل بنيناها، ويجوز أن تكون حالاً من مفعوله ومفعول موسعون محذوف أي موسعون بناءها، ويجوز أن لا يقدر له مفعول لأن معناه لقادرون من قولك: ما في وسعي كذا أي: ما في طاقتي وقوتي. اهـ.

وفي المصباح: وسع الله عليه رزقة يوسع بالتصحيح وسعاً من باب نفع بسطه وكثره وأوسعه ووسعه بالألف والتشديد مثله وأوسع الرجل بالألف صار ذا سعة وغنى اهـ.

قوله: (يقال آد الرجل الخ) والمختار آد الرجل اشتد وقوي وبابه باع، والأيد والآد بالمد القوة اهـ.

فالأيد مصدر لكن يكتب في المصحف بياءين بعد الهمزة وقبل الدال كما نبه عليه الخطيب ورسم المصحف سنة متبعة وأن لم يعلم له وجه اهـ شيخنا.

قوله: (مهدناها) أي: فالفرش كناية عن البسط والتسوية اهـ شهاب.

وفي المختار: المهد مهد الصبي والمهاد الفرش، ومهد الفراش بسطه ووطأه وبابه قطع، وتمهيد الأمور تسويتها واصلاحها وتمهيد العذر بسطه وقبوله اهـ.

قوله: (نحن) أي: فالمخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (متعلق بقوله) ﴿خلقنا﴾ الخ عبارة السمين: قوله: ومن كل شيء يجوز أن يتعلق بخلقنا أي: خلقنا من كل شيء زوجين، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من زوجين لأنه في الأصل صفة له إذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شيء، والأول أقوى في المعنى اهـ.

قوله: (صنفين) أي: أمرين متقابلين. قوله: (كالذكر والانثى) إشعاراً بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده فلا يرد كون كل من العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق من كل منها إلا واحد اهـ كرخي.

قوله: (بحذف احدى التاءين من الأصل) أي: أصل الكلمة قبل الحذف، وهذه إحدى القراءتين السبعيتين، والأخرى ادغام التاء الثانية في الذال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ففروا إلى الله﴾ أي: إذا علمتم أن الله تعالى فرد لا نظير له ففروا إليه ووحدوه لا تشركوا به شيئاً اهـ زاده.

وقوله: أي إلى ثوابه إشارة إلى تقدير مضاف في الآية وقوله: من عقابه متعلق بقوله ففروا اهـ شيخنا.

وفي المصباح: فرَّ من عدوه يفر من باب ضرب فراراً هرب وفر الفارس فرا أوسع الجولان

تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ بين الإنذار ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ يقدر قبل ففروا قل لهم ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ أي مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون، تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك ﴿أَتَوَاصَوْا﴾ كلهم ﴿بِهِ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ جمعهم على هذا القول

للانعطاف، وفرّ إلى الشيء ذهب إليه اهـ.

قوله: ﴿إني لكم منه﴾ أي: من الله أي من جهته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ تنصيص على أعظم ما يجب أن يفر منه وهو الشكر: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ تكرير للتأكيد، أو الأول مرتب على ترك الإيمان والطاعة، والثاني مرتب على الإشراك اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: قيل إنما كرر قوله ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا يفوز وينجو عند الله إلا الجامع بينهما اهـ.

قوله: (يقدر قبل ففروا قل هم) عبارة أبي السعود: وقوله تعالى: ففروا إلى الله مقدر بقول خوطب به النبي ﷺ بطريق التلوين والفاء إما لترتيب الأمر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها، ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه قيل: قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي هذه شؤونه بالإيمان والطاعة كي تنجو من عقابه وتفوزوا بثوابه، وإما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا إلى الله الخ. وقوله: إني لكم منه نذير مبين تعليل للأمر ﴿لعلكم تذكرون﴾ بالفرار إليه تعالى، أو لوجوب الامتثال به، انتهت.

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر والشأن والقصة، وقد فسرها بقوله ما أتى الذين من قبلهم الخ. والكاف بمعنى مثل هي في الحقيقة الخبر، ومعلوم أن الخبر عين المبتدأ فالتفسير المذكور تفسير لها أيضاً، واسم الإشارة عبارة عن تكذيب قوم محمد له، فالحاصل أنه شبه تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بتكذيب قوم محمد له، فقول الشارح أي: مثل بالرفع تفسير للكاف التي هي في الحقيقة الخبر، وقوله: تكذيبهم لك الخ تفسير لاسم الإشارة، وقوله: تكذيب الأمم قبلهم الخ تفسير للمبتدأ المحذوف الذي هو تفسير لقوله: ﴿ما أتى الذين﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ الجملة في محل نصب على الحال من الذي من قبلهم، ومن رسول فاعل أتى كأنه قبل: ما أتى الأولين رسول إلا في حال قولهم هو ساحر أو مجنون، والضمير في أتوا صوابه يعود على المقول المدلول عليه بقالوا أي: أتواصي الأولون والأخرون بهذا القول المتضمن لساحر أو مجنون والاستفهام للتعجب اهـ بيضاوي.

قوله: (بقولهم ذلك) أي: ساحر أو مجنون.

قوله: ﴿أتوا صوابه﴾ أي: بالقول المذكور أي أحملهم عليه وجمعهم عليه وصية بعضهم لبعض به لتباعد وتطاول الأزمان بينهم، ثم أضرب عن هذا النفي والتوبيخ وبين ما هو الحامل لهم عليهم

طغيانهم ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ لأنك بلغتهم الرسالة ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ من علم الله تعالى أنه يؤمن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم

بالحقيقة بقوله: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ فهو اضراب انتقالي اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى النفي) أي: ما وقع منهم وصية بذلك لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد اهـ كرخي.

قوله: ﴿فتولَّ عنهم﴾ أي: عن جدالهم، وعبارة البيضاوي: فتول عنهم فأعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الأصرار والعناد، فما أنت بملوم على الإعراض بعدما بذلت جهدك في البلاغ، وذكر ولا تدع التذكير والموعظة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، أي: من قدر الله إيمانه أو من آمن فإنه يزداد بها بصيرة اهـ.

قوله: ﴿فما أنت بملوم﴾ أي: لا لوم عليك في الاعراض عنهم، لأنك قد أديت الرسالة وبذلت المجهود ما قصرت فيما أمرت به. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ، واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فأنزل الله: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فطابت نفوسهم بذلك اهـ خازن.

وهذا يقتضي أن قوله: وذكر ناسخ لما قبله، وبه صرح القرطبي حيث قال: ثم نسخ هذا بقوله: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقيل: نسخ بآياته السيف اهـ.

قوله: ﴿وذكر﴾ أي ذكر جميعهم، فإن التذكير ربما انتفع به منهم من علم الله أنه يؤمن، فهذا معنى قوله: ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (ولا ينافي ذلك) أي الحصر المذكور عدم عبادة الكافرين الخ، وقوله: (لأن الغاية) أي المفادة باللام فهي للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة لما هو معلوم من أن الله لا يبعثه شيء على شيء، وقوله: فإنك قد لا تكتب به اعترضه القاري مبا حصاله أن هذا مسلم في أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور، وأما الله سبحانه وتعالى فلا يصح التخلف في فعله لأنه لما قال ليعبدون فمقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه، فينافي عدم العبادة من بعضهم. فالجواب الصحيح: أن معنى إلا ليعبدون أي: إلا مهيئين ومستعدين ليعبدون بأن خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التي تتحصل بها العبادة، وهذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم، لأن هذا البعض وإن لم يعبد الله لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة اهـ شيخنا.

وفي السمين: إلا ليعبدون متعلق بخلقت، واختلف في الجن والإنس قيل: المراد بهم العموم والمعنى إلا لآمرهم بالعبادة وليقربوا بها، وهذا منقول عن علي بن أبي طالب، أو يكون المعنى ليطيعوني وينقادوا لقضائي، فالمؤمن يفعل ذلك طوعاً والكافر يفعله كرهاً، أو يكون المعنى إلا معدين ومهيئين للعبادة ثم منهم من يتأتى منه ذلك، ومنهم من لا يتأتى منه كقولك: هذا القلم بريته للكتابة ثم تكتب به وقد لا تكتب، أو المراد بهم الخصوص، والمعنى: وما خلقت الجن والإنس المؤمنين، وقيل: الطائعين، والأول أحسن اهـ.

. . . .

وعبارة الكرخي: قوله: ولا ينافي في ذلك الخ هو جواب سؤال كيف قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، ولو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً والحال أنها لم توجد من الكل، وإيضاحه: أن خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة أي صالحة مستعدة حيث ركب فيهم عقولاً وجعل لهم حواس، ثم منهم من يتأتى منه ذلك، ومن لم يتأت منه ذلك إذ الغاية لا يلزم وجودها كما قرره الشيخ المصنف، أو لأن ذلك عام أريد به الخصوص بدليل قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة قاله شيخ الإسلام زكريا نقلاً عن الرازي، ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين، ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود اهـ.

وعبارة القرطبي: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبد فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى وما خلقت الجن والإنس أهل السعادة إلا ليوحدون. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة، وقد قال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم وهو كقوله: ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قال فريق منهم ذكره الضحاك والكلبي والفراء والعتبي. وفي قراءة عبد الله: وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة، واعتمد الزجاج هذا القول ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ [التوبة: ٣١] فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته؟ قلت: تذللوا لقضائه عليهم لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه، وإنما خالفه من كفر في العمل بما أمر به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه، وقيل: إلا ليعبدون إلا ليقروا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً رواه عثمان بن أبي طلحة عن ابن عباس، فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة، وقال مجاهد: إلا ليعرفون، قال الثعلبي: وهذا قول حسن لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [الزمر: ٣٨، لقمان: ٢٥] ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩] وما أشبه هذا من الآيات وعن مجاهد أيضاً: إلا لآمرهم وأنهاهم، وقال زيد بن أسلم: هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة، فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء منهم للمعصية، وعن الكلبي أيضاً: إلاّ ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾ [لقمان: ٣٢] الآية. وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد، وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم والمعنى متقارب اهـ.

قوله: (لأن الغاية لا يلزم وجودها) فيه إشارة إلى أن هذه اللام لام العاقبة والصيرورة وليست لام العلة الباعثة، لأن الرب لا يحمله شيء على شيء، قوله: (كما في قولك الخ) غير سديد، لأن اللام في

لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لي ولا لأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ الشديد ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيباً من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾

المثال المذكور لام العلة الباعثة لأنها في فعل المخلوق، وإذا كانت اللام هنا لام الصيرورة كان المعنى وما خلقت الجن والإنس إلاَّ وقد ترتب على خلقهم أن عبدوني، فيعود الاشكال وهو أن العبادة لم توجد من جميعهم وإنما وجدت من بعضهم، فما قصده الشارح من الجواب غير دافع للاعتراض وهذا ما أشار له القاري تأمل.

قوله: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ أي: ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي فليشتغلوا بما هم مخلوقون له ومأمورون به، والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم اهـ بيضاوي.

وقوله: في تحصيل معايشهم، منهم من يحتاج إلى كسب عبده في نيل الرزق، ومنهم من يكون له مال وافر يستغني به عن حمل عبده عن الاكتساب لكنه يستعين به في قضاء حوائجه بأن يستخدمه في طبخ الطعام وإحضاره بين يديه ونحو ذلك، وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك، فظهر فائدة تكرير قوله: وما أريد أن يطعمون، فإن الإرادة الأولى متعلقة باكتساب الرزق، والثانية: متعلقة باصلاحه، وخص الاطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالأرزاق، ونفي الأهم يستلزم نفي ما دونه بطريق الأولى قيل: ما أريد منهم من عين ولا عمل، قوله: ﴿إن الله هو الرزاق﴾ تعليل لعدم ارادته الرزق منهم، وقوله: ﴿ذو القوة المتين﴾ تعليل لعدم احتياجه إلى استخدامهم في تمامه في إصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك اهـ زاده.

قوله: ﴿المتين﴾ العامة على رفعه وفيه أوجه، إما النعت للرزاق، وإما النعت لذو، وإما النعت لاسم إن على الموضع وهو مذهب الجرمي والفراء وغيرهما، وإما خبر بعد خبر، وإما خبر مبتدأ مضمر، وعلى كل تقدير فهو تأكيد لأن ذو القوة يفيد فائدته، وقرأ ابن محيصن: الرزاق كما قرأ وفي السماء رازقكم كما تقدم، وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش: المتين بالجر على أنه صفة للقوة وإنما ذكر وصفها لكونها تأنيثها غير حقيقي اهـ سمين.

قوله: ﴿فإن للذين ظلموا﴾ الخ أي: إذا عرفت حال الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح، فإن لهؤلاء المكذبين نصيباً مثل نصيبهم عبر عن النصيب بالذنوب ليشبهه به في أنه يصب عليهم العذاب كما يصب الذنوب، قال تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ [الحج: ١٩] اهـ زاده.

قوله: ﴿ذنوباً﴾ قال الزمخشري: الذنوب الدلو العظيمة، وهذا تمثيل أصله في السقائين يقتسمون الماء، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، وقال الراغب: الذنوب الدلو الذي له ذنب اهـ.

فراعى الاشتقاق، والذنوب أيضاً الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول، ويقال: يوم ذنوب أي: طويل الشر استعارة من ذلك اهـ سمين.

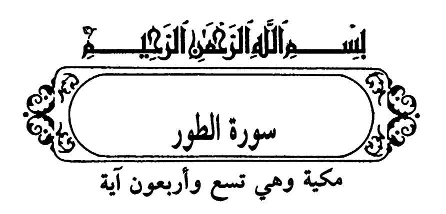
الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدَّة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن﴾ في ﴿يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي يوم القيامة.

قوله: ﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾ أي: نظرائهم من الأمم السابقة اهـ.

قوله: ﴿فويل للذين كفروا﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالكفر واشعاراً بعلة الحكم، والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً، كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك اهـ أبو السعود.

والويل: الشدة من العذاب، وقيل: واد في جهنم اهـ زاده.

قوله: ﴿الذين يوعدون﴾ أي: يوعدون العذاب فيه اهـ شيخنا والله تعالى أعلم.



سورة الطور

مكية وهي تسع وأربعون آية

﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وفي نسخة: والطور.

قوله: ﴿والطور. وكتاب مسطور﴾ الخ هذه أقسام خمسة جوابها: إن عذاب ربك لواقع، والواو الأولى للقسم، والواوات بعدها للعطف كما قاله الخليل اهـ خطيب.

أوكل واحدة منها للقسم كما قاله السمين، وفي القرطبي: الطور اسم من أسماء الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام أقسم الله به تشريفاً وتكريماً وتذكيراً بما فيه من الآيات، وهو أحد جبال الجنة، والمراد به طور سيناء قاله السدي: وقال مقاتل بن حبان: هما طوران يقال لأحدهما طور سيناء، والآخر طور زيتا، لأنهما ينبتان التين والزيت، وقيل: هو جبل بمدين واسمه زبير، قال الجوهري: والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام. قلت: ومدين بالأرض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام، وقيل: إن الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس اهـ.

قوله: ﴿وكتاب مسطور﴾ أي: متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة اهـ خطيب.

وفي المختار: السطر الصف من الشيء يقال: بني سطراً، والسطر أيضاً الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر وبابه نصر وسطر أيضاً بفتحتين، والجمع أسطار كسبب وأسباب، وجمع الجمع أساطير، وجمع السطر أسطور وسطور كأفلس وفلوس اهـ.

قوله أيضاً: ﴿وكتاب مسطور في رق منشور﴾ تنكيرهما للتفخيم والاشعار بأنهما ليس مما يتعارفه الناس اهـ أبو السعود.

وفي متعلق بمسطور أي: مكتوب في رق، والرق الجلد الرقيق الذي يكتب فيه، وقال الراغب: الرق كل ما يكتب فيه جلداً كان أو غيره وهو بفتح الراء على الأشهر، ويجوز كسرها كما قرىء به شاذاً،

أي التوراة أو القرآن ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبداً ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ أي السماء ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ أي المملوء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ لنازل بمستحقه

وأما الرق الذي هو ملك الارقاء فهو بكسر الراء لا غير، وقوله: منشور أي: مبسوط غير مطوي وغير مختوم عليه، وهو بالنسبة للتوراة الألواح التي أنزلت على موسى، وبالنسبة للقرآن المصحف اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وكتاب مسطور أي مكتوب يعني القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف، ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ، كما قال الله تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾ [الواقعة: ٧٧] وقيل: يعني سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وكان كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته، وقال الكلبي: هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم، وقال الفراء: هو صحائف الأعمال، فمن أخذ كتاب بيمينه ومن أخذ كتابه بشماله نظيره: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ [الإسراء: ١٣] وقوله: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ [التكوير: ١٠] وقيل: إنه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون، وقيل: المراد ما كتبه الله في قلوب الأولياء من المؤمنين بيانه ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة: ٢٢] اهـ.

قوله: (هو في السماء الثالثة الخ) وقيل: هو في الأول وقيل: هو في الرابعة وقيل: تحت العرش فوق السابعة فهذه أقوال ستة في محل البيت المعمور وقيل: البيت المعمور هو الكعبة نفسها وعمارتها بالحجاج والزائرين لها، وعن ابن عباس أيضاً قال: الله في السموات والأرض خمسة عشر بيتاً، سبعة في السموات، وسبعة في الأرضين والكعبة، وكلها مقابلة للكعبة، وقال الحسن: البيت المعمور هو الكعبة وهي البيت الحرام الذي هو معمور بالناس يعمره الله كل سنة بستمائة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة، وهو أول بيت وضعه الله للعبادة في الأرض اهـ من القرطبي.

قوله: (بحيال الكعبة) أي: على كل قول، وقوله: يزوره بيان لكونه معموراً اهـ شيخنا.

قوله: (أي السماء) لأنها للأرض كالسقف للبيت بيانه: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ [الأنبياء: ٣٢] وقال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء بالماء وهو البحر المحيط كما ذكره العمادي، وقيل: المسجور الممتلىء بالنار، وقيل: المسجور الفارغ الخالي. وفي الخازن: والبحر المسجور يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور، وهو قول ابن عباس، وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم. وجاء في الحديث، عن عبد الله بن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً». وقيل المسجور المملوء وقيل: هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وهو المختلط العذب بالملح. وروي عن علي أنه قال في البحر المسجور: وهو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان، يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً

﴿ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ عنه ﴿ يَوْمَ ﴾ معمول لواقع ﴿ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ تتحرك وتدور ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ تصير هباء منثوراً وذلك في يوم القيامة ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ شدة عذاب ﴿ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾

فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من عظيم قدرته اهـ.

قوله: ﴿من دافع﴾ يجوز أن يكون فاعلاً وأن يكون مبتدأ أو من مزيدة على الوجهين اهـ سمين.

قوله: (معمول لواقع) وعلى هذا فالجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله، وقيل: معمول لدافع اهـ سمين.

قوله: (تتحرك وتدور) أي: كدوران الرحى، وتجيء وتذهب، ويدخل بعضها في بعض، وتختلف أجزاؤها، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال البغوي: والمور يجمع هذه المعاني إذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب اهـ خطيب.

وفي المختار: مار من باب قال تحرك وجاء وذهب، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ قال الضحاك: تموج موجاً، وقال أبو عبيدة، والأخفش: تتكفأ اهـ.

قوله: (تصير هباء منثوراً) هذا ليس تفسيراً لتسير، بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير في الهواء ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل، ثم تصير كالعهن أي الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثوراً كما دل عليه كلامه في سورة النمل اهـ شيخنا.

ونصه هناك: وترى الجبال تبصرها وقت النفخة تحسبها تظنها جامدة واقفة مكانها لعظمها، وهي تمر مر السحاب المطر إذا ضربته الريح أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة، ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثوراً اهـ.

وفي الخازن: والحكمة في مور السماء وسير الجبال الإنذار والإعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا، وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك، فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة اهـ.

قوله: ﴿يومئذ﴾ منصوب بويل، والخبر للمكذبين، والفاء في فويل قال مكي: جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك لأن في الكلام معنى الشرط، لأن المعنى إذا كان ما ذكر فويل، ويوم يدعون يجوز أن يكون بدلاً من قوله: يوم تمور أو يومئذ قبله، والعامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه يدعه أي: دفعه في صدره بعنف وشدة، وقال الراغب: وأصله أن يقال للعاثر دع دع كما يقال له لعا وهذا بعيد من معنى هذه اللفظة، وقرأ علي رضي الله عنه، والسلمي، وأبو رجاء، وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف العين مفتوحة من الدعاء أي: يدعون إليها فيقال لهم هلموا فادخلوها، وهذه النار جملة منصوبة بقول مضمر أي: تقول لهم الخزنة هذه النار اهـ سمين.

وفي المختار: دعه دفعه وبابه رد، ومنه قوله تعالى: ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ [الماعون: ٢] اهـ.

الرسل ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾ باطل ﴿يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي يتشاغلون بكفرهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ يدفعون بعنف، بدل من يوم تمور، ويقال لهم تبكيتاً ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي جزاءه ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

قوله: (باطل) في حواشي الكشاف الخوض من المعاني الغالبة فإنه يصلح للخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الباطل كالاحضار فإنه عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب قال تعالى: ﴿لكنت من المحضرين﴾ [الصافات: ٥٧] ونظيره في الأسماء الغالبة دابة فإنها غلبت في ذوات الأربع والقوم غلبت في الرجال اهـ كرخي.

قوله: (يدفعون بعنف) وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار اهـ بيضاوي.

قوله: (كما كنتم تقولون في الوحي) أي: القرآن الجائي به أي: بالعذاب، فقولهم في القرآن الجائي بالعذاب سحر كأنه قول في العذاب إنه سحر ففي الكلام نوع تجوز اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ هذا بإزاء قولهم في الدنيا إنما سكرت أبصارنا الخ، وظاهر كلام الكشاف أن أم منقطعة حيث قال: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر أي: بل أنتم عمي عن المخبر عنه، وهذا تقريع وتهكم. وفي التفسير الكبير: هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل أي: لا واحد منهما ثابت فجعلها معادلة، وقال صاحب الكشف: أفسحر هذا كلام تام من مبتدأ وخبر، قال: أم أنتم لا تبصرون اهـ كرخي.

وعبارة زاده: أفسحر هذا أي: هل في المرئي تلبيس وتمويه حتى قيل لكم إنه نار مع كونه لي بنار في نفس الأمر أم هل في بصركم خلل، فكلمة أم متصلة والاستفهام للإنكار أي: ليس شيء منهما ثابتاً، فثبت أنكم قد بعثتم، وجوزيتم بأعمالكم وأن الذي ترونه حق فهو تقريع شديد وتهكم فظيع، وبعد هذا التقريع يقال لهم اصلوها الخ اهـ.

قوله: ﴿اصلوها﴾ في المصباح: صلى بالنار وصليها صلى من باب تعب وجد حرها، والصلاء وزان كتاب حر النار، وصليت اللحم أصليه من باب رمى شويته اهـ.

قوله: ﴿سواء عليكم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف أي: صبركم وتركه قاله أبو البقاء. والثاني: أنه مبتدأ والخبر محذوف أي: سواء الصبر والجزع قاله الشيخ، والأول أحسن لأن جعل النكرة خبراً أولى من جعلها مبتدأ، وجعل المعرفة خبراً. ونحا الزمخشري إلى الوجه الثاني فقال: سواء خبره محذوف أي: سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه اهـ سمين.

قوله: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء، فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع بحسب الوعد لامتناع الكذب على الله تعالى كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع اهـ كرخي.

﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ متلذذين ﴿ بِمَآ ﴾ مصدرية ﴿ ءَاتَىٰهُمْ ﴾ أعطاهم ﴿ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾ عطفاً على آتاهم، أي بإتيانهم ووقايتهم، ويقال لهم ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا ﴾ حال أي مهنئين ﴿ بِمَا ﴾ الباء سببية ﴿ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله تعالى ﴿في جنات﴾ ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم ﴾ عطف على في جنات أي قرناهم

قوله: ﴿إن المتقين في جنات﴾ الخ يجوز أن يكون مستأنفاً أخبر الله تعالى بذلك بشارة، ويجوز أن يكون من جملة المقول للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم اهـ سمين.

قوله: ﴿فاكهين﴾ أي: ذوي فاكهة كثيرة. يقال: رجل فاكه أي: ذو فاكهة، كما يقال: لابن وتامر أي: ذو لبن وتمر، وقرأ الحسن وغيره: فكهين بغير ألف ومعناه معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره. يقال ذلك الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً والفكه أيضاً الاشر البطر اهـ قرطبي.

وفي المختار: فكه الرجل من باب سلم فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً والفكه أيضاً البطر الأشر، وقرىء ونعمة كانوا فيها فكهين أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين والمفاكهة الممازحة وتفكه تعجب، وقيل: تندم، قال الله تعالى: ﴿فظلتم تفكهون﴾ [الواقعة: ٦٥] أي: تندمون وتفكه بالشيء تمتع به اهـ.

قوله: (مصدرية) فيه بعد من حيث المعنى إذ التفكه ليس بإعطاء الرب بل بالمعطي، والحامل له عليه أنه لو جعلها موصولة لزم خلو الصلة المعطوفة وهي قوله: ﴿ووقاهم﴾ عن العائد لأن الفعل قد استوفى مفعوله، ويمكن أن تكون موصولة وجملة ووقاهم مستأنفة أو حالية بتقدير قد اهـ شيخنا.

أو معطوفة على في جنات النعيم، وفي السمين: قوله: بما آتاهم يجوز أن تكون الباء على أصلها، وتكون ما حينئذ واقعة على الفواكه التي في الجنة أو متلذذين بفاكهة الجنة، ويجوز أن تكون بمعنى في أي: فيما آتاهم من الثمار وغير ذلك، ويجوز أن تكون ما مصدرية أيضاً. وقوله: ووقاهم يجوز فيه أوجه، أظهرها: أنه معطوف على الصلة أي: فكهين بإيتاء ربهم وبوقايته لهم عذاب الجحيم. والثاني: أن الجملة حال فتكون قد مقدرة عند من يشترط اقترانها بالماضي الواقع حالاً. والثالث: أن يكون معطوفاً على في جنات قاله الزمخشري يعني: فيكون مخبراً به عن المتقين أيضاً، والعامة على تخفيف القاف من الوقاية، وأبو حيوة بتشديدها اهـ.

قوله: ﴿متكئين على سرر﴾ جمع سرير، وفي الكلام حذف تقديره متكئين على نمارق على سرر مصفوفة قال ابن الأعرابي: أي: موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفاً، وفي الأخبار: أنها تصف في السماء تطول كذا وكذا، فإن أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت له، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها. قال ابن عباس: وهي سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة اهـ قرطبي.

قوله: (في قوله تعالى في جنات) أي: كائنون في جنات حال كونهم متكئين اهـ شيخنا.

قوله: (عطف على في جنات) أي: عطف على الخبر فهو خبر آخر، وزوج يتعدى بنفسه إلى

﴿بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ عظام الأعين حسانها ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ معطوف على آمنوا

المفعولين وعدي للثاني هنا بالباء لتضمينه معنى قرناهم كما قال الشارح اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: الباء لما في التزويج من معنى الوصل والإلصاق أو للسببية، إذ المعنى صيرناهم أزواجاً بسببهن أو لما في التزويج من الإلصاق والقرآن اهـ.

قوله: (أي قرناهم) أشار به إلى جواب كيف قال وزوجناهم، مع أن الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح؟ وإيضاحه؛ أن معناه قرناهم من قولك: زوجت إبلي أي: قرنت بعضها إلى بعض، وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح، ويؤيده أن التزويج بمعنى العقد يتعدى بنفسه لا بالباء اهـ كرخي.

قوله: (عظام الأعين) تفسير لعين جمع عيناء كبيضاء، ولم يفسر الحور وهو من الحور وهو شدة البياض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ والذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء أي: أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابناً كان أو أباً وهو منقول عن ابن عباس وغيره. الثاني: أنه منصوب بفعل مقدر قال أبو البقاء: على تقدير: وأكرمنا الذين آمنوا. قلت: فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال وأن ألحقنا بهم ذرياتهم مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى، وأن يريد أنه مضمر لدلالة السياق عليه فلا تكون المسألة من الاشتغال في شيء. والثالث: أنه مجرور عطفاً على بحور عين، وقال الزمخشري: والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور والذين آمنوا أي: بالرفقاء والجلساء منهم، كقوله: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين، وتارة بمؤانسة الإخوان، ثم قال الزمخشري: بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أي: بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجتهم ذرياتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم. قال الشيخ: ولا يتخيل أحد من قوله: والذين آمنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي ابن عباس وغيره. قلت: أما ما ذكره أبو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته، وليس في كلام العربي ما يدفعه، بل لو عرض على ابن عباس وغيره لأعجبهم وأي مانع معنوي أو صناعي يمنعه، وقوله: وأتبعناهم يجوز أن يكون معطوفاً على الصلة، ويكون والذين آمنوا مبتدأ ويتعلق بإيمان أتبعناهم يعني أن الله يلحق الأولاد الصغار وإن لم يبلغوا الإيمان بأحكام الآباء المؤمنين، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك، ويجوز أن يكون معترضاً بين المبتدأ والخبر قاله الزمخشري، ويجوز أن يتعلق بإيمان بألحقنا كما تقدم، فإن قيل قوله وأتبعناهم ذرياتهم يفيد فائدة قوله ألحقنا بهم ذرياتهم، فالجواب: أن قوله ألحقنا بهم أي: في الدرجات والإتباع إنما هو في حكم الإيمان وإن لم يبلغوه كما تقدم، وقرأ أبو عمرو: وأتبعناهم بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه، والباقون واتبعتهم بإسناد الفعل إلى الذرية وإلحاق تاء التأنيث اهـ سمين.

قوله: ﴿وأتبعتهم﴾ أي: في الحكم بالإيمان فغاير قوله ألحقنا بهم ذرياتهم إذ هو في الجنة والدرجة اهـ خطيب.

﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ الصغار والكبار ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ من الكبار ومن الآباء في الصغار، والخبر ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ بفتح اللام وكسرها نقصناهم ﴿مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَيۡءٖ﴾ يزاد في

قوله: ﴿بإيمان﴾ حال من ذرياتهم، أي: حال كون الذرية ملتبسة بإيمان استقلالي أو تبعي، أما الذرية فلا تتبع آباءها اهـ شيخنا.

وهذا على أن الباء للملابسة كما قال لكن جمهور المفسرين على أنها للسببية أو بمعنى في، وبهذا الاعتبار لا يظهر دخول الأولاد الكبار فإن إيمانهم استقلالي لا تبعي كالصغار، ويمكن أن يجاب بما أشار له أبو السعود من أن المراد ألحقنا الذرية بقسميها بآباء بسبب الإيمان الكامل الذي في الآباء فإذا كان الابن كبيراً مؤمناً وإيمان أبيه أقوى منه ألحقه الله بأبيه في إيمانه الكامل. وعبارة أبي السعود: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان﴾ في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً اهـ.

قوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ الذريات هنا تصدق على الآباء والأبناء، فإن المؤمن إذا كان عمله كثيراً ألحق به هو دونه في العمل أباً كان أو ابناً وهذا منقول عن ابن عباس وغيره، ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة، فإن كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر، فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة اهـ خطيب.

وفي القرطبي، وعن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله الآباء إلى الأبناء فالآباء داخلون في اسم الذرية، كقوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ [يسٓ: ٤١] وعن ابن عباس أيضاً يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت، فيقول: يا رب إني عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» اهـ.

قوله: (المذكورين) أي: الصغار والكبار اهـ شيخنا.

قوله: (بفتح اللام وكسرها) سبعيتان، وعبارة السمين: قرأ ابن كثير ألتناهم بكسر اللام والباقون بفتحها، فأما الأولى فمن ألت يألت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم، وأما الثانية فيحتمل أن تكون من ألت يألت كضرب يضرب، وأن تكون من ألات يليت كأمات يميت فألتناهم كأمتناهم، وقرأ ابن هرمز آلتناهم بألف بعد الهمزة على وزن أفعلناهم، يقال: آلت يؤلت كآمن يؤمن، وقرىء لتناهم كبعناهم يقال لاته يليته كباعه يبيعه، وقرىء أيضاً لتناهم بفتح اللام اهـ.

وفي المصباح: ألت الشيء ألتا من باب ضرب نقص ويستعمل متعدياً أيضاً فيقال ألته اهـ.

قوله: ﴿من﴾ (زائدة) أي: في المفعول الثاني، وقوله: يزاد في عمل الأولاد أي: لم نأخذ من عمل الآباء شيئاً نجعله للأولاد فيستحقون به هذا الإكرام، بل عمل الآباء باق لهم بتمامه وإلحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم اهـ شيخنا.

عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ﴾ عمل من خير أو شرّ ﴿رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ مرهون يؤاخذ بالشر، ويجازى بالخير ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي بسبب

وفي البيضاوي: وما ألتناهم أي: وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الإلحاق، فإنه كما يحتمل أن يكون ينقص مرتبة الآباء بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم يحتمل أن تكون بالتفضل عليهم، وهذا هو الأليق بكمال لفظه اهـ.

قوله: ﴿رهين﴾ أي: مرهون عند الله تعالى، فإن عمل صالحاً فك نفسه وإلا أهلكها اهـ بيضاوي.

وقوله: فك نفسه أي: خلصها كما يخلص المرهون من يد مرتهنه، ولذا قابله بقوله: وإلاَّ أهلكه اهـ شهاب.

وفي زاده: هذا تمثيل كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحاً على ما أمر به فكها أي: خلصها: فالعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المؤمن حيث إنه مطالب به اهـ.

فعلى هذا يكون المراد بما كسبه بالنسبة للخير ما أمر وكلف بكسبه وبالنسبة للشر ما كسبه الفعل من المعاصي، وفي الخازن: كل امرىء أي: كافر بما كسبه من عمل الشرك رهين أي مرتهن بعمله في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً لقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين﴾ [المدثر: ٣٨] اهـ.

قوله: (في وقت بعد وقت) أخذه من الإمداد اهـ شيخنا.

وفي أبي المسعود: وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون أي: وزدناهم على ما كان لهم من مبادىء التنعم وقتاً فوقعاً ما يشتهون من فنون النعماء وأنواع الآلاء اهـ.

قوله: (وإن لم يصرحوا بطلبه) بل بمجرد ما ينظر على قلوبهم يقدم إليهم اهـ كرخي.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيخر مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير» اهـ.

قوله: ﴿يتنازعون﴾ في موضع نصب على الحال من مفعول أمددناهم، ويجوز أن يكون مستأنفاً، وتقدم الخلاف في قوله لا لغو فيها في البقرة، والجملة في حل نصب صفة لكأساً، وقوله: فيها أي: في شربها، والجملة من قوله: ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ صفة ثانية لغلمان اهـ سمين.

قوله: (يتعاطون بينهم) أي: يتجاذب بعضهم الكأس من بعض ويناول بعضهم بعضاً تلذذاً وتأنساً اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: يتنازعون فيها كأساً أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في

شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ للخدمة ﴿غِلۡمَانٞ﴾ أرقاء ﴿لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ﴾ حسناً ولطافة ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ يسأل بعضهم بعضاً عمّا كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذاً واعترافاً بالنعمة ﴿قَالُوٓاْ﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ خائفين من عذاب الله ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ أي

الجنة، والكأس أناء الخمر وكل كأس مملوء من شراب أو غيره، فإذا فرغ لم يسم كأساً اهـ.

قوله: ﴿لا لغو فيها﴾ اللغو الكلام هو الذي لا نفع فيه ولا مضرة اهـ خطيب.

قوله: ﴿غلمان﴾ (أرقاء لهم) لم يضفهم لئلا يظن الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعاً اهـ كرخي.

قوله: (أرقاء) أي: كالأرقاء في الاستيلاء والحيازة، وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالحور. قال عبد الله بن عمر: ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على علم غير ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم وأما صفة المخدوم فروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قالوا: يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». وروي أنه ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك» اهـ خطيب.

وفي القرطبي: ويطوف عليهم غلمان لهم أي: بالفواكه والتحف والطعام والشراب. دليله: يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، يطاف عليهم بكأس من معين، ثم قيل: هم الأولاد من أطفالهم الذين سقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم، وقيل: إنهم من أخدمهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم، وقيل: هم غلمان خلقوا في الجنة. قال الكلبي: لا يكبرون أبداً كأنهم في الحسن والبياض لؤلؤ مكنون في الصدف، والمكنون المصون، ويطوف عليهم ولدان مخلدون قيل: هم أولاد المشركين وهم خدام أهل الجنة، وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر بأنهم على نهاية التنعم، انتهى.

قوله: (مصون في الصدف) جمع صدفة. وفي المصباح: صدف الدر غشاؤه الواحدة صدفة مثل قصبة وقصب اهـ.

قوله: (مما كانوا عليه) أي: في الدنيا من خير أو شر، وقوله: (وما وصلوا إليه) أي من نعيم الجنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي: قال المسؤول منهم للسائل، وقوله: إيماء أي: إشارة إلى علة الوصول لما هم فيه من النعيم ومحط العلة قوله: ﴿فمن الله علينا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (خائفين من عذاب الله) والمقصود إثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى، فإن كونهم بين أهليهم مظنة الأمن، فإذا خافوا في تلك الحال فلأن يخافوا دونها أولى، ولعل

النار لدخولها في المسام وقالوا إيماء أيضاً ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي نعبده موحدين ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافاً وإن كان تعليلاً معنى، وبالفتح تعليلاً لفظاً ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ العظيم الرحمة ﴿فَذَكِّرْ﴾ دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر ما ﴿وَلَا

الأولى أن يجعل إشارة إلى معنى الشفقة على خلق الله كما أن قوله: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله وترك العاطف يجعل الثاني بياناً للأول ادعاء للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر اهـ كرخي.

قوله: (لدخولها في المسام) توجيه لتسمية النار سموماً، فالسموم من أسماء جهنم وهي في الأصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم، وقيل: سم يومنا أي: اشتد حره، وقال ثعلب: السموم شدة الحر وشدة البرد في النهار، وقال أبو عبيدة: السموم بالنهار وقد يكون بالليل، والحرور بالليل وقد يكون بالنهار، وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس أكثر اهـ سمين.

قوله: (وقالوا إيماء) أي: إلى علة الوصول ومحط العلة قوله: ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (نعبده) وقيل: معناه نسأله الوقاية اهـ بيضاوي.

قوله: (وبالفتح تعليلاً لفظاً) أي: لأنه على تقدير كون اللام ملفوظاً بها أي: لأنه هو البر، فالقراءتان متحدتان معنى اهـ كرخي.

قوله: (لقولهم لك الخ) تعليل للمنفي.

قوله: ﴿بنعمة ربك﴾ الباء سببية متعلقة بالنفي الذي أفادته ما أي: انتفى كونك كاهناً أو مجنوناً بسبب إنعام الله عليك بالعقل الراجح وعلو الهمة وكرم الفعال وطهارة الأخلاق وهم معترفون بذلك قبل النبوة اهـ خطيب.

وفي السمين: قوله بنعمة ربك فيه أوجه أحدها: أنه مقسم به متوسط بين اسم ماَ وخبرها، ويكون الجواب حينئذ محذوفاً لدلالة هذا المذكور عليه، والتقدير ونعمة ربك ما أنت بكاهن ولا مجنون. الثاني: أن الباء في موضع نصب على الحال والعامل فيها بكاهن أو مجنون، والتقدير ما أنت كاهناً ولا مجنوناً. بل كونك متلبساً ربك قاله أبو البقاء، وعلى هذا فهي حال لازمة لأنه عليه السلام لم يفارق هذه الحال. الثالث: أن الباء سببية وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية وهذا هو مقصود الآية الكريمة، والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما أنا بمعسر بحمد الله وغناه اهـ.

قوله: ﴿بكاهن﴾ أي مخبر بالأمور المغيبة من غير وحي، وقوله: خبر ما أي: فهي حجازية اهـ شيخنا.

﴿مَجۡنُونٍ ۝٢٩﴾ معطوف عليه ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ هلاككم، فعذبوا بالسيف يوم بدر، والتربص الانتظار ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ أي قولهم له: ساحر

قوله: ﴿أم﴾ (بل) ﴿يقولون﴾ الأولى أن يقول بل أيقولون فيقدرها ببل والهمزة لأجل أن يكون بها استفهام مفيد للتوبيخ كما سيذكره بقوله: والاستفهام بأم في مواضعها الخ اهـ شيخنا.

أي: لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق، وعبارة الكرخي: أم بل يقولون أشار إلى أن أم منقطعة مقدرة ببل والأكثر أن تقدر بها وبالهمزة كما مرَّ غير مرة، قال الكواشي: وإنما قدرت ببل لأن ما بعدها متيقن أم بعد أم مشكوك فيه مسؤول عنه اهـ.

وذكرت أم هنا خمس عشرة مرة، وكلها إلزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب، لكن قال الثعلبي نقلاً عن الخليل: إن كل ما في سورة الطور من أم فهو استفهام ليس بعطف، وإنما استفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحاً عليهم وتوبيخاً لهم، كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت مع علمه بجهله اهـ.

قوله: ﴿نتربص به﴾ نعت لشاعر، وقد كانت العرب تتحرز عن أذية الشعراء فقالوا: لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما نتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء، وقوله: حوادث الدهر إطلاق الريب على الحوادث استعارة تصريحية شبهت بالريب أي: الشك لأنها لا تدوم ولا تبقى على حال كما أنه كذلك، وقوله: الدهر وسمي الدهر منوناً لأنه يقطع الأجل اهـ من الخطيب.

وفي السمين: والمنون في الأصل الدهر، وقال الراغب: المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿أجر غير ممنون﴾ [الانشقاق: ٢٥ والتين: ٦] أي: غير مقطوع، وقال الزمخشري: هو في الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع، ولذلك سمي شؤماً، وريب مفعول أي: ننتظر به حوادث الدهر أو المنية اهـ.

قوله: ﴿قل تربصوا﴾ أمر تهديد كقول السيد لعبده: افعل ما شئت فإني لست بغافل عنك اهـ خطيب.

وفي زاده: قوله: قل تربصوا ليس أمر إيجاب أو ندب أو إباحة، لأن تربصهم هلاكه حرام لا محالة فهو أمر تهديد اهـ.

قوله: ﴿ أم تأمرهم أحلامهم﴾ في القاموس: والحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع أحلام وحلوم، ومنه أم تأمرهم أحلامهم بهذا اهـ.

قوله: (أي قولهم له ساحر الخ) عبارة البيضاوي: أم تأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول، فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر، والمجنون مغطى على عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الأحلام به مجاز عن أدائها إليه، انتهت.

كاهن شاعر مجنون، أي لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ بعنادهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلق القرآن، لم يختلقه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ استكباراً، فإن قالوا اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في قولهم ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أنفسهم، ولا يعقل مخلوق بدون خالق، ولا معدوم يخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على

قوله: (أي لا تأمرهم بذلك) فالاستفهام المفاد بأم للإنكار، والمراد هنا إنكار الوقوع من أصله إذا لم يحصل أمر ومع كونه للإنكار هو للتوبيخ أيضاً كما سيأتي في كلامه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم﴾ (بل) ﴿هم قوم طاغون﴾ كان عليه أن يقول بل هم طاغون فيقدرها ببل والهمزة لأجل أن يكون فيها استفهام قوله، فيوافق قوله الآتي والاستفهام بأم في مواضعها الخ أي: لا ينبغي منهم هذا الطغيان ولا يليق اهـ شيخنا.

قوله: (لم يختلقه) أشار به إلى أن أم للاستفهام الإنكاري بواسطة تقديرها بالهمزة، ومع ذلك للتوبيخ أيضاً كما سيذكره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ جواب شرط مقدر قدره الشارح بقول: فإن قالوا اختلقه أي: فإن صدقوا في هذا القول بدليل قوله: ﴿إن كانو صادقين﴾ [القلم: ٤١] اهـ شيخنا.

قال الرازي: والظاهر أن الأمر هاهنا على حقيقته لأنه لم يقل فليأتوا مطلقاً، بل قال إن كانوا صادقين. أي: في أنه تقوّله من عند نفسه كما يزعمون فهو أمر معلق على شرط إذا وجد ذلك الشرط يجب الإتيان به والأمر للتعجيز، كقوله: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨] اهـ خطيب.

قوله: (ولا يعقل مخلوق بغير خالق) راجع لقوله: أم خلقوا من غير شيء، وقوله: ولا معدوم يخلق راجع لقوله: أم هم الخالقون، وأشار بهذا إلى أن الاستفهام المفاد بأم إنكاري مع كونه للتوبيخ كما سيأتي، وإيضاح قوله ولا معدوم يخلق أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولاً لزم أن يكونوا في حالة عدمهم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم، فيكون المعدوم خالقاً وهذا لا يعقل اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: أم خلقوا من غير شيء، أم صلة زائدة والتقدير أخلقوا من غير شيء. قال ابن عباس: من غير رب خلقهم وقدرهم، وقيل: من غير أم ولا أب فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقيم الله عليهم حجة ليسوا كذلك، أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى من غير شيء أي لغير شيء، فمن بمعنى اللام أم هم الخالقون أي أيقولون إنهم خلقوا أنفسهم فلا يأتمرون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك، فإن أقروا أن ثم خالقاً غيرهم، فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعباد دون قادر الأصنام، ومن الإقرار بأنه قادر على البعث اهـ.

قوله: (ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخ) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري على معنى نفي الحصول من أصله أي لم يخلقوهما اهـ شيخنا.

خلقها إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادَّعوا ذلك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾

قوله: ﴿وإلا لآمنوا بنبيه﴾ يعني أنه لما لم يترتب على إيقانهم بالله أثر وهو الإقبال على عبادته جعل إيقانهم كالعدم فنفى عنهم، وهذا فيه مزيد تسلية للنبي ﷺ يعني أنه كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم. ألا ترى كيف ختم السورة بقوله ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨] اهـ كرخي

وفي زاده: ولما كان إنكار كونهم خالقين لأنفسهم وللسموات والأرض متضمناً لإقرارهم بأن خالقهم وخالق السموات والأرض هو الله، فكان الظاهر من الإقرار أن يكون عن إيقان أضرب عنه بقوله: ﴿بل لا يوقنون﴾ اهـ.

قوله: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ الخ لم ينبه الشارح على أن الاستفهام هنا إنكار مع أنه كذلك على معنى نفي الحصول من أصله أي: ليس عندهم خزائن ربك وقوله: أم هي المسيطرون لم ينبه فيه أيضاً على أن الاستفهام الإنكاري مع أنه كذلك على معنى نفي الانبغاء واللياقة أي: لا ينبغي منهم هذا التحير ولا يليق لا على معنى نفي الحصول من أصله، لأن التحير حصل منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خزائن ربك﴾ أي مقدوراته، وضرب المثل بالخزائن لأن الخزانة بيت يهيأ لجميع أنواع مختلفة من الدخائر، ومقدرات الرب كالخزائن التي فيها من كل الأجناس فلا نهاية لها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أم هم المسيطرون﴾ المسيطر القاهر الغالب من سيطر عليه إذا راقبه وحفظه أو قهره ولم يأت على مفيعل إلا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم جبل وهو المحيمر، والعامة المصيطرون بصاد خالصة من غير إشمامها زاياً لأجل الطاء كما تقدم في صراط، وقرأ بالسين الخالصة التي هي الأصل هشام وقنبل من غير خلاف عنهما وحفص بخلاف عنه، وقرأ خلاد بصاد مشمة زاياً من غير خلاف عنه اهـ سمين.

وفي القرطبي: وفي الصحاح: المسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله وأحواله وأصله من السطر، لأن الكاتب يسطر أي أهم الحفظة اهـ.

قوله: (المتسلطون) أي الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا اهـ بيضاوي.

قوله: (ومثله بيطر) أي عالج الدواب، ومنه البيطار لأنه يعالج الدواب كما في القاموس، وقوله: (وبيقر) أي أفسد وأهلك ومشى مشية المتكبر كما في القاموس أيضاً اهـ

قوله: (أي عليه كلام الملائكة) أشار إلى أن مفعول يستمعون محذوف وأن في معنى على قاله الواحدي كقوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم عليه في جذوع النخل﴾ قال الحلبي: ولا حاجة لذلك بل هي على بابها من الظرفية، وقدره الزمخشري متعلقاً بحال محذوفة تقديره صاعدين فيه أي يشير إلى أن يستمعون ضمن معنى الصعود. قال الحلبي: والظاهر أنه لا حاجة إلى تقدير المفعول، بل المعنى يوقعون الاستماع فيه اهـ.

أي مدَّعي الاستماع عليه ﴿ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ بحجة بينة واضحة، ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله، قال تعالى ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ﴾ أي بزعمكم ﴿ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ تعالى الله عما زعموه ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ غرم ذلك ﴿ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ فلا يسلمون ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ أي علمه ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور

وعبارة الكواشي: أم لهم سلم منصوب يرتقون به إلى السماء يستمعون فيه الوحي وكلام الملائكة، وهو موافق له في أن في على بابها، وللشيخ المصنف في أن المفعول محذوف وهو أنسب بمرام المقام اهـ كرخي.

قوله: (بزعمهم) متعلق بقوله يستمعون فيه أي: هم قد زعموا أنهم يستمعون كلام الملائكة وهو الزعم على سبيل الفرض، والتقدير ولم يقع منهم بالفعل لأنهم لما كانوا على حالة وهي المعارضة والمعاندة كانوا كأنهم يدعون استماع الملائكة ويعارضون النبي ﷺ بما سمعوه يدل على أن الزعم فرضي، قوله: إن ادعوا ذلك أي: الاستماع من الملائكة أي: إن فرض أنهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ، فقوله: فليأت مستمعهم جواب شرط مقدر، وبهذا التقدير ظهر أن الاستفهام في قوله: أم لهم سلم انكاري على معنى نفي الحصول من أصله اهـ.

قوله: (عليه) أي السلم قوله: (ولشبه هذا الزعم الخ) أشار به إلى وجه المناسبة بين الآيتين ووجه الشبه بين الزعمين أن كلاً منهما فاسد غير مطابق لما في نفس الأمر وإن كان الزعم الأول المشبه فرضياً والثاني تحقيقياً لأنه قد وقع اهـ شيخنا

قوله: (أي بزعمكم) أي: بادعائكم واعتقادكم وهذا زعم حقيقي لأنه قد وقع منهم بخلاف الزعم في قوله سابقاً بزعمهم فهو أمر فرضي إذ لم يقع منهم بالفعل كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولكم البنون﴾ أي خاصة لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم اهـ خطيب.

قوله: (تعالى الله عما زعموه) أي: من هذه القسمة وأشار بهذا إلى أن الاستفهام في هذا إنكاري على معنى نفي الحصول من أصله أي هذه القسمة ليست مطابقة لما في نفس الأمر، وعلى معنى نفي اللياقة والانبغاء من حيث زعمهم واعتقادهم أي: لاينبغي ولا يليق هذا الاعتقاد أي: اعتقاد هذا التوزيع وهذه القسمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم تسألهم أجراً﴾ استفهام إنكاري على معنى نفي الحصول من أصله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مثقلون﴾ أي متعبون ومغتمون من أثقله الحمل أتبعه، ولكن هذا الثقل معنوي لأن العادة أن من غرم إنساناً ما لا يصير الغارم مغتماً منه وكارهاً له فلا يسمع قوله ولا يمتثله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم عندهم الغيب﴾ استفهام إنكاري بمعنى نفي الحصول من أصله أي هل عندهم علم ما غاب عنهم وقوله: فهم يكتبون ذلك أي الغيب أي ما غاب عنهم وقوله: (بزعمهم) متعلق بقوله (فهم يكتبون) أو بعندهم الغيب، وهذا الزعم فرضي إذ لم يقع منهم بالفعل لكنهم على كل حال من المكابرة

الآخرة بزعمهم ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم ببدر ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ به من الآلهة، والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ بعضاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

والمعارضة بحيث ينسب لهم هذا الزعم هـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿أم عندهم الغيب﴾ قال قتاده: هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون أي: أعندهم الغيب الذي كتب في اللوح المحفوظ حتى علموا أن الرسول يموت قبلهم، فهم يكتبون ذلك بعد ما وقفوا عليه، وقيل: هو ردّ لقولهم إنا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب، فعلى الأول يكون وجه اتصال قوله: أم يريدون كيداً بما قبله أنه يكون جواباً آخر له، والمعنى على الثاني بل أنهم لا يكتفون بهذه المقالة الفاسدة ويريدون مع ذلك أن يكيدوا بك فإن زعموا أن لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم عن أن يعود عليهم ضرر كيدهم وتعالى الله عن أن يكون له شريك يقاومه ويدفع ما أراده اهـ زاده باختصار.

قوله: (أي علمه) أي اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فالغيب بمعنى الغائب كما قاله ابن عباس والألف واللام في الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس، بل المراد نوع الغيب كما تقول: اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل اللحم ولا لحماً معيناً اهـ كرخي.

قوله: ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي: مكراً وتحيلاً في هلاكك، وفي المصباح: كاده كيداً من باب باع خدعه ومكر به والاسم المكيدة اهـ.

والاستفهام إنكاري على معنى نفي اللياقة والانبغاء أي: لا ينبغي ولا يليق منهم هذه الارادة أي: التشاور والاجتماع على كيدك كما ذكر في قوله تعالى﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ [الانفال: ٣٠] الآية. وكان هذا المكر في دار الندوة وهي دار من دور أهل مكة اهـ شيخنا.

قوله: (في دار الندوة) الظاهر أنه من الإخبار بالغيب، فإن السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فالذين كفروا﴾ هذا من وقع الظاهر موقع المضمر تنبيهاً الى اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والأصل أم يريدون كيداً فهم المكيدون أو حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون فيه اندراجاً لتوغلهم في هذه الصفة اهـ سمين.

قوله: (ثم أهلكهم ببدر) يعني عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من كلمة أم و«هي خمس عشرة، فإن بدراً كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة فتعبيره بثم أولى من تعبير غيره بالواو اهـ كرخي.

قوله: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ استفهام انكاري على معنى نفي الحصول من أصله أي ليس لهم في الواقع إله غير الله، وعلى معنى نفي الانبغاء واللياقة بالنظر لاعتقادهم أن هناك آلهة غيره كما أشير له بقوله﴿سبحان الله عما يشركون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (والاستفهام بأم) أي المقدرة ببل والهمزة، أو بالهمزة وحدها حتى يكون هناك استفهام،

سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء، أي تعذيباً لهم ﴿يَقُولُوا﴾ هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ متراكب نروى به ولا يؤمنوا ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يموتون ﴿يَوْمَ لَا

وأما تقديرها ببل وحدها فليس فيها استفهام، وقوله: في مواضعها أي التي هي خمسة عشر ومحصل كلامه أنها في المواضع كلها للاستفهام بواسطة تقديرها بالهمزة. إذا عرفت هذا عرفت أن الأولى له فيما سبق في قوله أم يقولون شاعر أن يقدرها ببل الهمزة أو بالهمزة وحدها على أنه قدرها ببل وحدها وهي لا تفيد الاستفهام فينافي ما ذكره هنا بقوله والاستفهام بأم في مواضعها الخ. وكان عليه أن يقول للتوبيخ والتقريع والانكار، لأنه صريح في بعض المواضع بالنفي كقوله في: أم تأمرهم أحلامهم أي لا تأمرهم، وأشار إلى النفي في موضع أخر كقوله في: خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ولا يعقل مخلوق بغير خالق الخ، فأشار إلى أن المعنى على النفي، وكقوله في: ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ [الطور: ٣٦] ولا يقدر على خلقهما إلا الله، فأشار به أيضاً إلى أن المعنى على النفي، فالحاصل أنها في المواضع كلها مفيدة للاستفهام المقصود منه التوبيخ والانكار إما بمعنى نفي الحصول أو بمعنى نفي الانبغاء والاستحسان أي: لا ينبغي ولا يحسن أن يكون كذا كما في قوله: أم يقولون شاعر أي لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق، وإن كان قد صدر منهم بالفعل فليس الانكار متوجهاً لحصوله ووقوعه بل لانبغائه ولياقته يأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن يروا كسفاً﴾ من المعلوم أن قريشاً لم ينزل عليهم قطع من السماء تعذيباً لهم كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية. فالكلام على سبيل الفرض والتقدير، كأنه يقول: لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا، ويقولون في هذا النازل عناداً واستهزاء وإغاظة لمحمد إنه سحاب مركوم اهـ شيخنا وأشار له الخطيب.

قوله: ﴿كسفاً﴾ أي: قطعة، وقيل: قطعاً واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر اهـ خطيب.

قوله: (كما قالوا فأسقط علينا كسفاً الخ) الآية التي ذكرها إنما وردت في قوم شعيب كما ذكر في سورة الشعراء فكان الأولى للشارح أن يستدل بما نزل فيهم أي: في قريش في سورة الإسراء، وهو قوله: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فذرهم﴾ جواب شرط مقدر أي إذا بلغوا في الكفر والعناد إلى هذا الحد، وتبين أنهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم حتى يموتوا عليه اهـ زاده.

قوله: ﴿يصعقون﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم بضم الياء مبنياً للمفعول، وباقي السبعة بفتحها مبنياً للفاعل وقرأ أبو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين، فأما الأولى فيحتمل أن تكون من صعق فهو مصعوق مبنياً للمفعول وهو ثلاثي حكاه الأخفش فيكون مثل سعدوا وأن يكون من أصعق رباعياً يقال أصعق فهو مصعق، والمعنى أن غيرهم أصعقهم، وقراءة السلمي تؤذن بأن أفعل بمعنى فعل اهـ سمين.

قوله: (يموتون) أي من شدة الأهوال كما صعق بنو إسرائيل في الطور، ولكن بنو إسرائيل قد أحياهم الله من هذه الصعقة، وأما هؤلاء فلا يقومون من صعقتهم إلا عند النفخ في الصور ليحشروا للحساب الذي كانوا يكذبون به. قال البقاعي: والظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فإنهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فما أغنى أحد عن أحد شيئاً اهـ خطيب.

﴿يُغۡنِي﴾ بدل من يومهم ﴿عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٦﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بكفرهم ﴿عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي في الدنيا قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧﴾ أن العذاب ينزل بهم ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ بمرأى منا، نراك ونحفظك ﴿وَسَبِّحۡ﴾ متلبساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾ من منامك أو من مجلسك ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ مصدر، أي عقب غروبها سبحه أيضاً، أو صلِّ في الأوّل العشاءين، وفي الثاني الفجر، وقيل: الصبح.

قوله: (يمنعون من العذاب في الآخرة) فيه شيء لأنه قد حمل يوم صعقهم على يوم موتهم وهو يو م بدر، فكان عليه أن يقول يمنعون من القتل والأسر النازلين بهم، كما أشار لذلك بعض حواشي البيضاوي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿دون ذلك﴾ أي غير ذلك، أو غير ذلك فدون بمعنى غير أو بمعنى أمام اهـ شيخنا.

قوله: (فعذبوا بالجوع والقحط) أي قبل يوم بدر، لأنه كان في ثانية الهجرة والقحط وقع لهم قبلهاشيخنا.

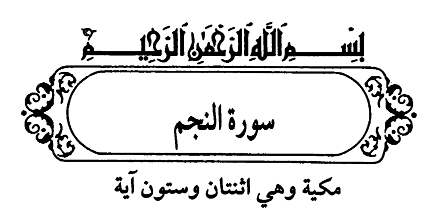
قوله: (بمرأى منا) أي: وإنما جمع لفظ الأعين مع أن مدلوله واحد وهو المصدر لمناسبة نون العظمة اهـ خطيب.

قوله: (من منامك) عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة بأي شيء كان يفتح رسول الله ﷺ إذا استيقظ من نومه؟ فقالت: ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبَّر عشراً وحمد الله عشراً، وسبح عشراً وهلل عشراً، واستغفر عشراً وقال: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني» وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي، وقوله: أو من مجلسك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما» في رواية كان كفارة له اهـ من الخازن.

قوله: (أي عقب غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوئها بغلبة ضوء الصبح عليه، وإن كانت باقية في السماء. وذلك بطلوع الفجر اهـ خطيب.

قوله: (أصل في الأول) أي الليل، فهذا راجع لقولهقوله: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ وأمه﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ فالمراد به قول سبحان الله لا غير، والوجهان إنما هما في قوله: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وفي الثاني والفجر) أي: الركعتين اللتين هما سنة الصبح، وقوله﴿وقيل الصبح﴾ أي فريضة صلاة الصبح اهـ من الخازن.



سورة النجم

مكية وهي اثنتان وستون آية

﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ غاب ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام عن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) عبارة القرطبي: مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس، وقتاده: إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾ [الشورى: ٣٧] [والنجم: ٣٢] الآية. وقيل: ان السورة كلها مدنية والصحيح أنها مكية لما روي عن ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة اهـ.

تنبيه:

أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها، فإنه تعالى قال في آخر تلك: ﴿وإدبار النجوم﴾ [الطور: ٤٩] وقال في أول هذه﴿والنجم إذا هوى﴾ قال الرازي: والفائدة في تقييد المقسم به بوقت هويه أنه إذا كان في وسط السماء يكون بعيداً من الأرض لا يهتدي به الساري، لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال اهـ خطبي.

قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: معنى النجم إذا هوى الثريا إذا سقطت مع الفجر، والعرب تسمي الثريا نجماً وإن كانت في العدد نجوماً. يقال: إنها سبعة أنجم، ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها أبصارهم، وفي الشفاء للقاضي عياض: أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجماً وعن مجاهد أيضاً أن المعنى والقرآن إذا نزل لأنه كان ينزل نجوماً وقاله الفراء، وعنه أيضاً: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب، وهي قول الحسن أقسم الله بالنجوم إذا غابت وليس يمتنع أن يعبر بلفظ واحد ومعناه جمع اهـ قرطبي.

وفي العامل في هذا الظرف أوجه ، وعلى كل منهما اشكال أحد الأوجه: أنه منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه قاله أبي البقاء وغيره وهو مشكل، فإن فعل القسم إنشاء والإنشاء حال وإذ لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان، الثاني: أن العامل فيه مقدر على أنه حال من النجم أي أقسم به حال كونه مستقراً في زمان هويه وهو مشكل من وجهين، أحدهما: إن النجم جثة

طريق الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ هوى نفسه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ إليه ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ إياه ملك ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾

والزمان لا يكونن حالا منها كما لا يكون خبراً. والثاني: أن إذا للمستقبل فكيف يكون حالاً، وقد أجيب عن الأول بأن المراد بالنجم القطعة من القرآن، والقرآن قد نزل منجماً في عشرين سنة، وهذا تفسير ابن عباس وغيره، وعن الثاني بأنها حال مقدرة. الثالث: أن العامل فيه نفس النجم إذا اريد به القرآن قاله أبو البقاء وفيه نظر لأن القرآن لا يعمل في الظرف إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص، وقد يقال: إن النجم بمعنى المنجم كأنه قيل: والقرآن المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في موضع منها﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس: ١] وما بعدها ومنها قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل: ١﴾ ومنها﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ [الضحى: ١] وسيأتي في الشمس بحث أخص من هذا تقف عليه إن شاء الله تعالى: وقيل: المراد بالنجم الجنس، وقيل: بل المراد نجم معين الثريا وقيل الشعرى لذكرها في قوله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ [النجم: ٤٩] وقيل: الزهرة لأنها كانت تعبد، والصحيح أنه الثريا لأنه صار علماً بالغلبة، وهوى يهوى إذا سقط من علو، وهوي يهوي هوى أي صباً، وقال الراغب: الهوي سقوط من علو، ثم قال: والهوي ذهاب في انحدار، والهوى ذهاب في ارتفاع، وقيل: هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصده اهـ سمين.

قوله: (الثريا) وسمي الكوكب نجماً لطلوعه، وكل طالع نجم يقال: نجم السن والنبت والقرن إذا طلع اهـ خطيب.

وبابه قعد كما في المصباح.

قوله: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ هذا جواب القسم وعبر بالصحبة لأنها مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم إليه، ومقبحة عليهم اتهامه في إنذاره وهم يعرفون طهارة شمائله اهـ خطيب.

قوله: (عن طريق الهداية) أشار به إلى أن الضلال معناه المخالفة، فيرجع الأمر إلى أنه فعل المعاصي، فحينئذ الفرق بينه وبين الغي التباين الكلي، فإن الضلال فعل المعاصي والغي هو الجهل المركب اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ما لابس الغي الخ. أشار به إلى تغاير الضلال والغي رداً على من زعم اتحادهما، أو المعنى ما ضل في قوله: ولا غوى في فعله، وبتقديره اتحادهما يكون ذلك من باب التأكد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى، وقيل: الغي الانهماك في الباطل، وفي كلامه إشارة أيضاً إلى أن الغي هو الجهل المركب فعطفه على ما ضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد، وإيضاحه: أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من اعتقاد بشيء فاسد، وهذا الثاني يقال له غي اهـ.

قوله: (وهو جهل من اعتقاد فاسد) أي: ناشىء من اعتقاد الخ أو من بمعنى مع.

قوله: ﴿عن الهوى﴾ عن على بابها متعلقة بينطق من نوع تضمين. أي: وما يصدر نطقه عن هوى نفسه ومثل النطق الفعل اهـ شيخنا.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة، أو منظر حسن، أي جبريل عليه السلام ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝﴾ استقر ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ

قوله: ﴿إن هو﴾ أي الذي يتكلم به من القرآن وكل أقواله وأفعاله وأحواله اهـ خطيب.

قوله: ﴿يوحى﴾ الجملة صفة لوحي، وفائدة المجيء بهذا الوصف نفي المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد التسمية، كما تقول: هذا قول يقال، وقيل: تقديره يوحى إليه ففيه مزيد فائدة اهـ سمين.

وقد أشار الشارح إلى الوجه الثاني اهـ.

قوله: ﴿علّمه﴾ الضمير المذكور وهو المفعول هو المفعول الأول عائد للنبي، والثاني محذوف كما قدره وهو عائد على الوحي اهـ شيخنا.

ومن شدة قوته أنه اقتلع قرى لوط ورفعها إلى السماء، ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده أسرع من رجعة الطرف، قوله: (قوة وشدة) أي قوة في العقل وحدة بحيث لا يدفع عما يزاوله دافع ولا يسأم من شيء يزاوله، فحصل الفرق بين القوة والمرة، ومن جملة شدته وقوته قدرته على التشكل، فلذلك قال فاستوى فهو معطوف على شديد القوى أي فتسبب على شدته أنه استوى اهـ من الخطيب.

وهذه القوة ثابتة له ولو كان على صورة الآدميين. وفي البيضاوي: ذو مرة أي حصافة في عقله ورأيه اهـ.

والحصافة: بفتح الحاء والصاد المهملتين وبالفاء بعد الألف مصدر. يقال: حصف بضم الصاد حصافة بمعنى الاستحكام وهي مخصوصة بالعقل والتدبير، وهذا بيان لما وضع له اللفظ، لأن العرب تقول لكل قوي العقل والرأي ذو مرة من أمررت الحبل إذا أحكمت فتله اهـ شهاب.

وأصله من شدة فتل الحبل كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يضعف معها الحبل اهـ قرطبي.

وفي السمين: والمرة بالكسر مزاج من أمزجة البدن وقوة الخلق وشدته والعقل والاصالة والاحكام والقوة وطاقة الحبل اهـ.

قوله: ﴿فاستوى﴾ معطوف على قوله: ﴿علمه شديد القوى﴾ كما يشير له صنيع القرطبي ونصه: فاستوى أي ارتفع جبريل وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن علّم محمداً ﷺ. قال سعيد بن المسيب، وابن جبير وقيل: فاستوى أي قام وظهر في صورته التي خلق عليها لأن كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين كما يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها، فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء، ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التي خلق عليها إلّا نبينا ﷺ، وقول ثالث: إن معنى فاستوى أي استوى القرآن في صدره وفيه على هذا وجهان، أحدهما: في صدر جبريل حين نزل به عليه السلام. الثاني: في صدر محمد ﷺ حين نزل عليه، وقول رابع: أن معنى فاستوى فاعتدل يعني محمداً في قوته، والثاني: في رسالته ذكره الماوردي: قلت: وعلى الأول يكون تمام الكلام ذو مرة، وعلى الثاني شديد القوى، وقول خامس: أن معناه فارتفع وفيه على هذا وجهان، أحدهما: أنه جبريل ارتفع إلى مكانة على ما ذكرناه آنفاً. الثاني: أنه النبي ﷺ ارتفع بالمعراج، وقول سادس: فاستوى يعني الله عز

﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سدّ الأفق إلى المغرب، فخرَّ مغشياً عليه، وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فواعده بحراء، فنزل جبريل له في صورة الآدميين ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ زاد في

وجل أي استوى على العرش على قول الحسن اهـ.

قوله: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أي الأعلى من الأرض اهـ قرطبي.

والواو للحال. وفي القرطبي: وهو بالأفق الأعلى جملة في موضع الحال، والمعنى فاستوى عالياً أي أستوى جبريل عالياً على صورته، ولم يكن النبي ﷺ قبل ذلك رآه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا، والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق، وقال قتاده: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس، وكذا قال سفيان هو الموضع الذي تطلع منه الشمس، ويقال: أفق مثل عسر وعسر.

قوله: (وكان) أي النبي بحراء، وقوله: وقد سد الأفق حال.

قوله: (وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله: فاستوى الخ، وقوله: فواعده معطوف على سأله، والضمير المستتر في واعده يرجع لجبريل والبارز للنبي ﷺ، وقوله: بحراء متعلق بحذوف أي فواعده أن يريه صورته الأصلية والنبي بخراء، وعبارة الخطيب: وقد واعده جبريل أن يأتيه وهو بحراء، انتهت.

قوله: (فنزل) معطوف على فخر مغشياً عليه وتوطئة لما بعده اهـ.

قوله: ﴿فكان قاب قوسين﴾ ههنا مضافات محذوفة يضطر لتقديرها، أي: فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين، والقاب القدر تقول هذا قاب هذا أي قدره، ومثله القيب والقاد والقيد والقيس. قال الزمخشري: وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والإصبع اهـ سمين.

وفي القرطبي: والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان، وقال بعضهم في قوله تعالى: فكان قاب قوسين أراد قابي فقلبه اهـ.

وفي المصباح: سية القوس خفيفة الياء ولامها محذوفة وترد في النسبة، فيقال: سوى والهاء عوض عنها طرفها المنحني. قال أبو عبيدة: وكان رؤبة يهمزه والعرب لا تهمزه، ويقال: لسيتها العليا يدها ولسيتها السفلى رجلها اهـ.

ثم قال القرطبي: وقال سعيد بن المسيب: القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد فأخبر أن جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوسين وقال سعيد ابن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمداني وغيرهم: فكان قاب قوسين أي قدر ذراعين، والقوس والذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين، والقوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال في تصغيرها قويسة، ومن ذكر قال قويس والجمع قسي وأقواس وقياس، والقوس أيضاً بقية التمر في الجلد أي الوعاء والقوس برج في السماء اهـ.

قوله: (زاد في القرب) في السمين: التدلي الامتداد من علو إلى سفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفراء وابن الأعرابي اهـ.

القرب ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قدر ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل ﴿مَآ أَوْحَىٰ ⑩﴾ جبريل إلى النبي ﷺ ولم يذكر الموحى به تفخيماً لشأنه ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد أنكر ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ ببصره من صورة

قوله: ﴿أو أدنى﴾ هذه الآية كقوله: ﴿أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧] لأن المعنى فكان بأحد هذين المقدارين في رأي الرائي لتقارب ما بينهما يشك الرائي أي في ذلك، وأدنى أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف أي أو أدنى من قاب قوسين اهـ سمين.

أو هي بمعنى بل أي بل أدنى. قوله: (حتى أفاق) غاية لمحذوف، وعبارة الخطيب: أو أدنى من ذلك وضمه إلى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه، انتهت.

فلما أفاق قال: «يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة». فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب، فقال ﷺ: «إن هذا لعظيم»، فقال جبريل: «وما أنا في جنب خلق الله إلا يسير، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وأنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع أي العصفور الصغير اهـ قرطبي.

والوصع: بسكون الصاد المهملة وبفتحها وبالعين المهملة طائر صغير أصغر من العصفور اهـ قاموس.

قوله: ﴿فأوحى إلى عبده﴾ الخ راجع لقوله: علمه شديد القوى أي بتعليم من الله لا من عند نفسه، وقوله: ﴿ما كذب الفؤاد﴾ الخ راجع لقوله: ﴿فاستوى﴾ الخ أي فرآه في هذه الواقعة رؤية حقيقية اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿فأوحى﴾ (تعالى الخ) هذا ما قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة، والأكثر على أن المعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد ما أوحى اهـ كرخي.

قوله: (تفخيماً لشأنه) أي: وإشارة إلى عمومه وهو جميع أحكام الشريعة اهـ خطيب.

وفي القرطبي: ثم قيل هذا الوحي هل هو مبهم لا نطلع عليه وتعبدنا بالإيمان به على الجملة أو هو معلوم مفسر قولان، وبالثاني قال سعيد بن جبير قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ ألم أجدك يتيماً فآويتك، ألم أجدك ضالاً فهديتك، ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ١ ـ ٤]، وقيل: أوحى الله تعالى أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان، فأما التشديد فعلى معنى أن ما رآه محمد بعينه صدقه بقلبه ولم ينكره أي: ما قال فؤاده لما رآه ببصره لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق، وما مفعول به موصولة والعائد محذوف، وفاعل رأى ضمير يعود على النبي ﷺ، وأما التخفيف فقيل فيه ما قيل في التشديد وكذب يتعدى بنفسه، وقيل: هو

جبريل ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي

على إسقاط الخافض أي فيما رآه اهـ من السمين.

قوله: ﴿ما رأى﴾ الفاعل المستتر يعود على النبي ﷺ، والمفعول محذوف قدره الشارح، وقوله: من صورة جبريل بيان لما رأى اهـ شيخنا.

وهذا أحد قولين في تفسير ما رأى، والثاني أن الذي رآه هو ذات الله تعالى، وعبارة الخازن: واختلفوا في الذي رأى، فقيل: رأى جبريل هو قول ابن مسعود وعائشة، وقيل: هو الله عز وجل، ثم اختلفوا على هذا في معنى الرؤية، فقيل: جعل بصره في فؤاد وهو قول ابن عباس. روى مسلم عن ابن عباس ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة، وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه عز وجل، روى عكرمة، عن ابن عباس قال: إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية، وقال كعب: إن الله قسّم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين، أخرجه الترمذي بأطول من هذا. وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله ﷺ ربه، وتحمل الآية على رؤية جبريل. وعن مسروق قال: قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد وقف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن، فقد كذب من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ١٥] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان: ٣٤] ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك عن ربك﴾ [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين اهـ.

وفي الخطيب: وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الامة، وهو الذي يرجع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر فأخبره بأنه رآه، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله ﷺ أنه قال لم أر وإنما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر، فإن الادراك هو الإحاطة، والله تبارك وتعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة. وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ [الشورى: ٥١] بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز بوجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة اهـ.

قوله: ﴿أفتمارونه﴾ قرأ الأخوان أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم، والباقون تمارونه، وعبدالله ابن مسعود والشعبي: تمرونه بضم التاء وسكون الميم فأما الأولى ففيها وجهان، أحدهما: أنها من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة. والثاني: أنها من مراه على كذا أي غلبه عليه فهو من المراء وهو الجدال وأما الثانية فهي من ماراه يماريه مراء أي جادله واشتقاقه من مري الناقة، لأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وكان من حقه أن يتعدى بفي كقولك: جادلته

ﷺ لجبريل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ على صورته ﴿نَزْلَةً﴾ مرَّة ﴿أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم ﴿عِندَهَا

في كذا، وإنما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها، وأما قراءة عبدالله فمن أمراه رباعياً اهـ سمين.

وقوله: على ما يرى أي على ما رآه وهو جبريل على تفسير الشارح وذات الله سبحانه وتعالى على تفسير غيره اهـ.

قوله: (تغلبونه) أشار به إلى تضمين تمارونه معنى الغلبة لأجل تعديته بعلى اهـ.

قوله: ﴿على ما يرى﴾ فإن قيل: الظاهر أن يقال أفتمارونه على ما رأى بصيغة الماضي، لأنهم إنما جادلوه بعدما أسري به، فما الحكمة ابرازه بصيغة المضارع؟ فالجواب: أنه على حكاية الحال الماضية استحضار للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين اهـ زاده.

قوله: ﴿ولقد رآه﴾ لام قسم، وقوله: نزلة أخرى مفعول مطلق، ، كما أشار له بقوله: مرة أي مرة من مطلق الرؤية وكانت هذه المرة بعد منصرفه من مكان المكالمة الذي فرض عليه فيه الصلوات الخمس، فلما توجه نازلاً ووصل إلى سدرة المنتهى رأى جبريل هناك على صورته الأصلية انتهى.

وفي السمين: قوله: ﴿نزلة أخرى﴾ فيها ثلاث أوجه، أحدهما: أنها منصوبة على الظرف، وقال الزمخشري: نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل، فكانت في حكمها. قلت: وهذا ليس مذهب البصريين، وإنما هو مذهب الفراء نقله عن مكي. الثاني: أنها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال. قال مكي: أي رآه نازلاً نزلة أخرى، وإليه ذهب الحوفي وابن عطية. الثالث: أنه منصوب على مصدر المؤكد، فقدره أبو البقاء مرة أخرى أو رؤية أخرى. قلت: وفي تأويل نزلة برؤية نظر وأخرى تدل على سبق رؤية قبلها.

قوله: ﴿عند سدرة المنتهى﴾ وهي في السماء السابعة اهـ بيضاوي.

وعند ظرف لرآه أو حال من الفاعل أو المفعول أو منهما، وقوله: عندها جنة المأوى حال من سدرة المنتهى اهـ شيخنا.

قوله: (لما أسري به) من المعلوم أن المعلوم أن الاسراء كما قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر أو بثلاث سنين على الخلاف والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة، فبيَّن الرؤيتين نحو عشر سنين. قوله: (وهي شجرة نبق) قال مقاتل: تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان، لو وضعت ورقة منها في الأرض الأضاءات لأهلها وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد اهـ خازن.

والنبق: بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال فيه: نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الإصلاح وهي لغة البصريين والأولى أفصح، وهي التي ثبتت عن النبي ﷺ اهـ قرطبي.

قوله: (لا يتجاوزها أحد الخ) أي: بل يقفون عندها وهو قول كعب وغيره، ونحوه قول ابن عباس لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها، وقال الضحاك: إن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها وهي في السماء السادسة أو السابعة كما روي مرفوعاً، وإضافة السدرة إلى المنتهى إما من

جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

إضافة الشيء إلى مكانه كقوله أشجار البستان، أو من إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه، والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم، أو من إضافة ملك إلى المالك على حذف الجار والمجزور أي سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ اهـ كرخي.

وفي القرطبي: واختلف لم سميت سدرة المنتهى على ثمانية أقوال، الأول: ما تقدم عن ابن مسعود أنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها. والثاني: أنه ينتهى علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها قاله ابن عباس. الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها قاله الضحاك. الرابع: لانتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها قاله كعب. الخامس: سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء قاله الربيع بن أنس. السادس: لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين قاله قتادة. السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنّة رسول الله ﷺ ومنهاجه قاله علي رضي الله عنه، والربيع بن أنس أيضاً. الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق قاله كعب أيضاً.

قلت: يريد والله أعلم أن ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش دليله ما تقدم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش والله أعلم، سميت بذلك لأن من رفع إليها فقد انتهى في الكرامة. وقال الماوردي في معاني القرآن له: فإن قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجرة؟ قيل: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. وروى أبو داود في سننه قال: حدثنا نصر بن علي قال: أنبأنا أبو أسامة، عن ابن جريج، عن عثمان بن أبي سليمان، عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن عبدالله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صوّب الله رأسه في النار» وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر. يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار اهـ.

قوله: (أو المتقين) هكذا في بعض النسخ والمعنى عليه أو التي تأوي إليها أرواح المتقين، وفيه قصور لأن أرواح المؤمنين مطلقاً تأوي إلى الجنة أي تنتهي وتسكنها، وفي بعض النسخ المتقون بالواو، والمعنى عليه أو التي يأوي إليها المتقون وفيه قصور أيضاً، وعبارة غيره التي وعد بها المتقون، والأمر في ذلك سهل. وعبارة القرطبي: قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون، وقيل: إنها جنة تصير إليها أرواح الشهداء قاله ابن عباس وهي عن يمين العرش، وقيل: هي الجنة التي أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها، وهي في السماء الرابعة، وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها يأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش يتنعمون بنعيمها، وقيل: لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها والله أعلم.

قوله: ﴿ما يغشى﴾ في إبهام الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغواشي التي تغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد أي أشياء لا يعلم وصفها إلا الله تعالى اهـ كرخي.

﴿يَغۡشَىٰ ۝١٦﴾ من طير وغيره، وإذ معمولة لرآه ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾ أي العظام أي بعضها، فرأى من عجائب الملكوت رفرفاً أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة

قوله: (من طير وغيره) عبارة الخطيب: واختلفوا فيما يغشاه فقيل: فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك. قال الرازي: وهذا ضعيف لأن ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعي، فإن صح فيه خبر وإلاَّ فلا وجه له اهـ.

وقال القرطبي: ورواه ابن مسعود، وابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقال أيضاً: وعن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قائل: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾» وقيل: ملائكة تغشاها كأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة. وروى في حديث المعراج عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ذهب بي جبريل إلى سدرة المنتهى وأوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كقلال هجر». قال: «فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها فأوحى إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة». وقيل: يغشاها أنوار الله تعالى، لأن النبي ﷺ لما وصل إليها تجلّى ربه لها كما تجلى للجبل، فظهرت الأنوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكاً ولم تتحرك الشجرة، وخر موسى عليه السلام صعقاً ولم يتزلزل محمد ﷺ، وقيل: أبهمه تعظيماً له، والغشيان يكون بمعنى التغطية اهـ.

قوله: ﴿ما زاغ البصر﴾ أي لم يلتفت إلى ما غشى السدرة من فراش الذهب، فلم يلتفت إليه، فغشيان الجراد والفراش في ذلك الوقت ابتلاء وامتحان لمحمد هذا بالنظر لكون الذي غشيها هو فراش من الذهب، وبالنظر لكونه أنوار الله يكون المعنى لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر اهـ شيخنا.

قوله: (المقصود له) أي المأذون له فيه، وقوله: ولا جاوزه أي إلى ما لم يؤذن له فيه اهـ خطيب

قوله: ﴿لقد رأى﴾ اللام في جواب قسم محذوف كما في البيضاوي. قوله: ﴿الكبرى﴾ فيه وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أن الكبرى مفعول به لرأى، ومن آيات ربه حال مقدمة، والتقدير: لقد رأى الآيات الكبرى حال كونها من جملة آيات ربه. والثاني: أن من آيات ربه مفعول لرأى، والكبرى صفة لآيات ربه، وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصله اهـ سمين.

والشارح جرى على الوجه الثاني فالعظام في كلامه مجرور تفسير للكبرى، وقوله: أي بعضهم بالنصب، وأشار به الشارح إلى أن من تبعيضية وأنها هي المفعول، وأشار بتفسير الكبرى بالعظام إلى أنه ليس المعنى على التفضيل حتى يراد أن في الملائكة من هو أعظم من جبريل فليس جبريل أكبر من غيره على الاطلاق اهـ شيخنا.

قوله: (رفرفا) الرفرف: إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة. قيل: هو ما تدلى على الأسرة من غالي الثياب، وقيل: هو ضرب من البسط، وقيل: الوسائد، وقيل: النمارق، وقيل: كل

جناح ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ اللتين قبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ صفة ذم للثالثة، وهي

ثوب عريض رفرف، وقيل: لأطراف البسط وفصول الفسطاط رفارف اهـ أبو السعود من سورة الرحمن.

وفي تذكرة القرطبي ما نصه: وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهي جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى العرش، فذكر أنه قال: طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي بين يدي ربي، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، والرفرف: خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي إلى حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان اهـ.

قوله: (له ستمائة جناح) حال من جبريل المنصوب بالعطف على رفرفاً.

قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ الهمزة للإنكار والفاء لترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤونه تعالى المنافية لها غاية المنافاة، والمعنى: عقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وذلها شركاء لله على ما تقدم من عظمته اهـ أبو السعود.

فان قيل: ما فائدة الفاء في قوله أفرأيتم، وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿أرأيتم شركاءكم﴾ [فاطر: ٤٠]؟ فالجواب: أنه لما تقدم عظمة الله في ملكوته وأن رسوله إلى الرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته، ولا يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال: أفرأيتم هذه الأصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء لله مع ما تقدم، فقال: بالفاء أي عقيب ما سمعتم عن عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ أمره في الملإ الأعلى وما تحت الثرى، انظروا إلى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿اللات﴾ اسم صنم قيل: كان لثقيف بالطائف قاله قتادة وقيل: بنخلة، وقيل: بعكاظ، ورجع ابن عطية الأول، والألف واللام في اللات زائدة لازمة، وهل هي العزى علمان بالوضع أو صيغتان غالبتان خلاف، ويترتب على ذلك جواز حذف أل وعدمه، فإن قلنا: إنهما ليسا وصفين في الأصل فلا تحذف منهما أل، وأن قلنا: إنهما صفتان وأن أل للمح الصفة جاز وبالتقديرين فأل زائدة، وقال أبو البقاء: هما صفتان غالبتان مثل الحرث، والعباس فلا تكون أل زائدة اهـ.

وهو غلط لأن التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى أنها لم تؤثر تعريفاً. واختلف في تاء اللات فقيل: أصلية وأصله من لات يليت فألفها عن ياء فإن مادة ل ي ت موجودة، وقيل: زائدة وهو من لوى يلوي لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها أو يلتوون أي يعتكفون عليها وأصله لوية فحذفت لامها على هذا من واو. وقد اختلف القراء في الوقف على تائها، فوقف الكسائي عليها بالهاء، والباقون بالتاء وهو مبني على القولين المتقدمين، فمن جعل تاءها أصلية أقرها في الوقف كتاء بيت، ومن جعلها

أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول أرأيت الأول اللات وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على

زائدة وقف عليها هاء، والعامة على تخفيف تائها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد ومنصور بن المعتمر، وأبو الجوزاء، صالح، وابن كثير في رواية بتشديد التاء، فقيل: هو رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فهي اسم فاعل في الأصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر، فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله، والعزى فعلى من العز وهي تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهو اسم صنم، وقيل: شجرة كانت تعبد اهـ سمين.

وقيل: إن اللات فيما ذكر بعض المفسرين أخذه المشركون من لفظ الله، والعزى من العزيز، ومناة من منى الله الشيء إذا قدره اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ومناة﴾ قرأ ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الألف، والباقون بألف وحدها وهي صخرة كانت تعبد من دون الله، فأما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء ووزنها حينئذ مفعلة، فألفها منقلبة عن واو، وهمزتها أصلية، وميمها زائدة، وقد أنكر أبو عبيد قراءة ابن كثير وقال: لم اسمع الهمز. قلت: قد سمعه غيره، وأما قراءة العامة فاشتقاقها من مني أي صب لأن دماء النسائك كانت تصب عندها، وقال أبو البقاء: وألفه من ياء كقولك: مني يمنى إذا قدر ويجوز أن تكون من الواو ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعلة اهـ سمين.

قوله: (اللتين قبلها) في نسخة للاثنين قبلها، ويشير بهذا إلى أن كونها ثالثة بالنظر للفظ، فالثالثة صفة مؤكدة، وبعضهم جعل كونها ثالثة بالنظر للرتبة أي رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها، وقوله: صفة ذم للثالثة وهي مناة أي لا للثلاثة، وإلاَّ لقال الأخريات اهـ شيخنا.

قوله: (صفة ذم للثالثة) أي لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى: ﴿وقالت أخراهم﴾ [الأعراف: ٣٨] وضعاؤهم ﴿لأولادهم﴾ أي لأشرافهم، وهذا للزمخشري. وقال ابن عادل وفيه نظر لأن الأخرى إنما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم، فإن جاء شيء من ذلك فلقرينة خارجية اهـ خطيب.

قوله: (وهي أصنام من حجارة) أي: الثلاثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة اهـ خطيب.

وقيل: اللات كان لثقيف بالطائف، أو لقريش بنخلة، والعزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف اهـ بيضاوي.

قوله: (والثاني محذوف) وهو جملة استفهامية استفهامها انكاري ذكرها بقوله الهذه الأصنام الخ المعنى أفرأيتموها قادرة على شيء اهـ شيخنا.

وقيل: إن الثاني هو المذكور بقوله: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ فإن قيل: لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول الأول، فالجواب: أن قوله: وله هذه الأنثى في قوة قوله: وله الأصنام، وكان

شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على تقدم ذكره، ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ جائرة من ضازه يضيزه إذا

أصل التركيب ألكم الذكر وله هن أي تلك الأصنام، وإنما أوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه رأس فاصلة اهـ.

قوله: (ولما زعموا أيضاً) أي: كما زعموا أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تلك﴾ إشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الأستفهامية، وقوله: إذاً أي إذ جعلتم البنات له والبنين لكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ضيزى﴾ قرأ ابن كثير ضئزى بهمزة ساكنة، والباقون بيان مكانها، وقرأ زيد بن علي: ضيزى بفتح الضاد والياء الساكنة. فأما قراءة العامة فتحتمل أن تكون من ضازه يضيزه إذا ضامه وجار عليه، فمعنى ضيزى أي جائرة. وعلى هذا فتحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون صفة على فعلى بضم الفاء وإنما كسرت الفاء لتصح الياء كبيض، فإن قيل: وأي ضرورة إلى أن يقدر أصلها ضم الفاء ولم لا؟ قيل: فعلى بالكسر، فالجواب أن سيبويه حكي أنه لم يرد في الصفات فعلى بكسر الفاء وإنما ورد بضمها: نحو حبلى وأنثى وربى وما أشبهه، إلا أن غيره حكى في الصفات ذلك حكى ثعلب ميتة حيكى ورجل كيسى، وحكى غيره امرأة عزهى ومرأة سعلى، وهذا لا ينقض على سيبويه لأنه سيبويه يقول في حيكى وكيسى كقوله في ضيزى لتصبح الياء، وأما عزهى وسعلى فالمشهور فيهما عزهاة وسعلاة. والوجه الثاني: أن تكون مصدراً كذكرى، قال الكسائي: يقال ضاز يضيز ضيزى كذكر يذكر ذكرى، ويحتمل أن يكون من ضأزه بالهمزة كقراءة ابن كثير، إلا أنه خفف همزها، وإن لم يكن من أصول القراء كلهم إبدال مثل هذه الهمزة ياء لكنها لغة التزمت فقرؤوا بها، ومعنى ضأزه يضأزه بالهمز نقصه ظلماً وجوراً وهو قريب من الأول، وضئزى في قراءة ابن كثير مصدر وصف به لا يكون وصفاً أصلياً لما تقدم عن سيبويه، فإن قيل: لم لا قيل في ضئزى بالكسر والهمز أن أصله ضيزي بالضم فكسرت الفاء لما قيل فيها مع الياء، فالجواب: أنه لا موجب هنا للتغيير إذ الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع الياء الساكنة وسمع منهم ضؤزى بضم الضاد مع الواو والهمزة وأما قراءة زيد فيحتمل أن تكون مصدراً وصف به كدعوى وأن تكون صفة كسكرى وعطشى اهـ سمين.

وفي المختار: ضاز في الحكم جاز وضازه فيه نقصه وبخسه وبابهما باع اهـ.

قوله: (إذا ظلمه) في نسخه إذا ضامه. قوله: (أي ما المذكورات) أي الأصنام المذكورات أي من حيث وصفها بالألوهية أي ليس لها من الألوهية التي أثبتوها لها إلا لفظها، وأما معناها فهي عرية عنه لأنها من أذل المخلوقات، والهاء في سميتموها هي المفعول الثاني، وأشار بقوله سميتم بها إلى أن الكلام من باب الحذف والإيصال، والمفعول الأول محذوف قدره بقوله أصناماً ما تعبدونها، وقوله: أنتم تأكيد للواو لأجل التوصل لعطف وآباؤكم عليها على حد قوله:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

اهـ شيخنا.

ظلمه وجار عليه ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي ما المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي لكل إنسان منهم ﴿مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ من أن الأصنام تشفع لهم. ليس الأمر كذلك ﴿فَلِلَّهِ

وقال أبو البقاء: إن هي إلا الأسماء يجب أن يكون المعنى ذوات أسماء لقوله: ﴿سميتموها﴾ لأن الرسم لا يسمى اهـ سمين. قوله: (أي سميتم بها) أي: سميتم الأصنام بها فاندفع بقوله بها أن الأسماء لا تسمى، وإنما يسمى بها، فكيف قيل سميتموها؟ وعبارة أبي السعود: سميتموها صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام، والمعنى جعلتموها أسماء، وإنما لم يتعرض للمسمى لتحقق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها﴾ [يوسف: ٤٠] لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية اهـ.

قوله: ﴿إن يتبعون الخ﴾ التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم إلى غيرهم اهـ أبو السعود.

وقوله: إلا الظن أي: ظن أنها تستحق العبادة، وبهذا مع تفسير الشارح ما تهوى الأنفس تبين لك أن العطف للمغايرة اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي: فلا تلتفت إلى قولهم، فإن من اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعد إنساناً ولا يعتد به اهـ زاده.

قوله: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي: البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار اهـ خازن.

والجملة اعتراض أو حال من فاعل يتبعون، وأياً ما كان ففيها تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح حالهم، فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله بإرسال وإنزال الكتب أقبح اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ولقد جاءهم من ربهم الهدى يجوز أن يكون حالاً من فاعل يتبعون أي: يتبعون الظن وهو النفس في حال تنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم، ويجوز أن يكون اعتراضاً فإن قوله أم للإنسان متصل بقوله وما تهوى الأنفس وهي أم المنقطعة، فتقدر ببل والهمزة على الصحيح. وقال الزمخشري: ومعنى الهمزة فيها للإنكار أي: ليس للإنسان ما تمنى اهـ.

قوله: (بالبرهان) حال من الهدى، والباء للملابسة والمراد بالبرهان المعجزات اهـ شيخنا.

ويصح أن يكون المراد بالهدى القرآن كما في البيضاوي اهـ.

قوله: (عماهم عليه) أي: من عبادة الأصنام اهـ.

قوله: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ أم منقطعة بمعنى بل، والهمزة التي للإنكار، وأشار الشارح إلى

﴿ٱلْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي وكثيراً من الملائكة ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ عنه لقوله: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ

معنى الهمزة التي تقدر بها بقوله ليس الأمر كذلك، وقوله: ﴿فللّه الآخرة والأولى﴾ تعليل لقوله: ليس الأمر كذلك المفاد بأم اهـ شيخنا.

وفي زاده: أم منقطعة ومعناها الإضراب عن إتباعهم التوهم الباطل والهوى إلى إنكار ما هو أفحش منه وهو أن يكون لهم ما يتمنونه من شفاعة آلهتهم مثلاً، والدليل عليه قوله: ﴿وكم من ملك﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿ما تمنى﴾ أي: الذي تمناه أي: ترجاه في الأصنام.

قوله: ﴿فللّه الآخرة﴾ أي: فهو لا يعطي ما فيها إلا لمن اتبع هداه وترك هواه، والأولى فهو لا يعطي جميع الأماني فيها لأحد أصلاً كما هو شاهد، ولكنه يعطي منها ما يشاء لمن يريد، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكم من ملك﴾ الخ إقناط مما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولى اهـ أبو السعود.

قوله: (أي وكثير من الملائكة الخ) أشار به إلى أن كم هنا خبرية بمعنى كثير، فتدل على الجمع المطابق بقوله: ﴿لا تغني شفاعتهم﴾ فلفظها مفرد ومعناها جمع، وهي في موضع رفع على الابتداء والخبر لا تغني، وقوله: لمن يشاء أي فيمن يشاء كما اقتضاه تقريره اهـ كرخي.

أي: إلا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة فيمن يشاء.

قوله: (وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية جيء بها للدلالة على زيادة تشريفهم، ومع ذلك لا تغني شفاعتهم شيئاً الخ اهـ.

قوله: ﴿شيئاً﴾ أي: شيئاً من الإغناء. قوله: (ومعلوم أنها لا توجد منهم الخ) راجع لقوله: ولا يشفعون الخ. وغرضه بهذا التطبيق بين الآيتين في توقف الشفاعة على إذنه تعالى لأن الآية المنظر بها ليس فيها تصريح بتوقف الشفاعة على الإذن فيها، فأفاد أن توقف الشفاعة على الإذن معلوم من خارج، بل من الآية الأخرى وهو قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الخ فإن قيل: كيف يصح أن يقال إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكان من عبادتهم أن يربطوا مركوب الميت على قبره زعماً منهم أنه يحشر عليه؟ أجيب: بأنهم ما كانوا يجزمون بل يقولون: لا حشر، ثم يقولون: وإن كان فلنا شفعاء بدليل أنه تعالى حكى عنهم ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿ولئن رجعت إلى

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ حيث قالوا: هم بنات الله ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ وهذا قبل

ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠] وأيضاً كانوا لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينه الرسل فهم لا يؤمنون بالآخرة، بل مما يزعمونه آخرة اهـ زاده.

قوله: ﴿ليسمون الملائكة﴾ أي: يصفونهم بوصف الإناث وهو البنتية، وقوله: تسمية الأنثى أي يسمون الملائكة بتسمية الإناث حيث قالوا: ﴿هم بنات الله﴾ اهـ شهاب.

وذلك أنهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث، وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة، فقالوا: الملائكة بنات الله فسموهم تسمية الإناث اهـ خطيب.

قوله: (بهذا المقول) أي: هم بنات الله، وقوله: من علم من زائدة في المبتدأ المؤخر اهـ.

قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي: لأنهم لم يشاهدوا خلقه الملائكة ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب أي: ما يتبعون إلا الظن في أن الملائكة إناث اهـ قرطبي.

قوله: ﴿لا يغني من الحق﴾ من بمعنى عن، والحق بمعنى العلم كما قرره الشارح، وقوله: فيما المطلوب فيه العلم هو الاعتقاديات بخلاف العمليات، فإن الظن يكفي بها اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: أي: عن علم فيما المطلوب فيه العلم يشير إلى أن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إدراكاً معتبراً إلا بالعلم، والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية، وإنما العبرة به في العمليات وما يكن وصلة إليها كمسائل علم الفقه. قال ابن الخطيب: المراد منه أن الظن لا يغني في الاعتقاديات شيئاً، وأما في الأفعال العرفية أو الشرعية فإن الظن فيها يتبع عند عدم الوصول إلى اليقين اهـ.

قوله: ﴿فأعرض عمن تولى﴾ الخ أي: فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه، فإن من تولى عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة إلا عناداً أو إصراراً على الباطل اهـ بيضاوي.

وقوله: عمن تولى المقام للضمير والإتيان بالموصول الظاهر للتوصل به إلى وصفهم بما في حيز الصلة من أوصافه القبيحة وتعليل الحكم بها، أي: فاعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني المنطوي على علوم الأولين والآخرين والمذكر لأمور الآخرة، وقوله ذلك مبلغهم من العلم الجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من قصر الإرادة على الحياة الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) قال الرازي: وأكثر المفسرين يقولون: إن كل ما في القرآن من قوله: فأعرض منسوخ بآية القتال، وهو باطل لأن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال، فكيف ينسخ بها، وذلك لأن النبي في الأول كان مأموراً بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بإزالة شبههم. والجواب عنها فقيل بها: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا ينتفعون به

الأمر بالجهاد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي طلب الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ أي عالم بهما فيجازيهما ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ أي الجنة، وبيَّن المحسنين بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا

وقاتلهم، والإعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة، فكيف يكون منسوخاً اهـ خطيب.

قوله: ﴿من العلم﴾ في تسميته علماً تهكم بهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن ربك هو أعلم﴾ الخ تعليل للأمر بالإعراض، وتكرير قوله هو أعلم لزيادة التقرير وللإيذان بكمال تباين المعلومين، والمراد بمن ضل من أصر على العناد ولم يرجع إلى الله أصلاً، وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة اهـ أبو السعود.

قوله: (ومنه الضال المهتدي الخ) أشار به إلى جواب كيف يصح تعليل ملك السموات والأرض بالجزاء مع أن هذا ثابت لله تعالى بالذات وما بالذات لا يعلل؟ وإيضاحه: أن التعليل لإضلال من شاء وهداية من شاء، فاللام متعلقة بما دل عليه معنى الملك أي: يضل ويهدي ليجزي، وفي الكشاف ما يقتضي أن اللام لام العاقبة لا التعليل، وبه صرح الواحدي بمعنى أن عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم محسن ومسيء، فللمسيء السوأى وللمحسن الحسنى وهو يدفع السؤال من أصله، والأول يلائم ما بعده اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليجزي الذين أساؤوا﴾ اللام متعلقة بما دل عليه معنى الملك في قوله: ﴿ولله ما في السموات﴾ الخ كما أشار له بقوله: ﴿فيضل الله من يشاء﴾ [إبراهيم: ١٤] الخ اهـ كرخي.

وعلى هذا فجملة ولله الخ مستأنفة على سبيل التعليل لما قبلها إذ كونه مالكاً لما فيهما يقتضي أنه عالم بأحواله، وقرر أبو السعود أنها اعتراضية، وقوله: ليجزي الخ متعلق بما قبلها، فقال: اللام متعلقة بما دل عليه أعلم الخ، وما بينها اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقاً له مما يقرر علمه بأحوالهم كأنه قيل: فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى فيحفظها ليجزي الخ اهـ.

واللام للصيرورة والعاقبة، أي: عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا قاله الزمخشري اهـ سمين.

قوله: ﴿بما عملوا﴾ أي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبّر عنه بالإساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا، وتكرير الفعل لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء أو للتنبيه على تباين الجزاءين اهـ أبو السعود.

قوله: (وبين المحسنين الخ) أي: فالذين يجتنبون منصوب بدلاً أو بياناً أو نعتاً للذين أحسنوا وبإضمار. أعني: أو هو مرفوع على خبر مبتدأ مضمر أي: هم الذين يجتنبون اهـ سمين.

قوله: ﴿كبائر الإثم﴾ ما يكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه، وقيل: ما

﴿ٱللَّمَمَۚ﴾ هو صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ بذلك وبقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صيامنا حجنا ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾ جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ لا تمدحوها أي على سبيل الإعجاب،

أوجب الحد، وقوله: والفواحش أي: ما فحش من الكبائر خصوصاً، وقوله: إلا اللمم أي: إلاَّ ما قلَّ وصغر، فإنه مغفور باجتناب الكبائر اهـ بيضاوي.

وفي السمين: وأصل اللمم ما قل وصغر منه وهو المس من الجنون، وألَّم بالمكان قل لبثه فيه، وألَّم بالطعام قلَّ أكله منه، وقال أبو العباس: أصل اللمم أن يلم بالشيء ولم يرتكبه. يقال: ألم بكذا إذا قاربه ولم يخالطه، وقال الأزهري: العرب تستعمل الإلمام في معنى الدنو والقرب اهـ.

وفي المصباح: واللمم بفتحتين مقاربة الذنب، وقيل: هو الصغائر، وقيل: هو فعل الصغيرة ثم لا يعاوده، ولَّم بالشيء يلم من باب رد اهـ.

قوله: ﴿والفواحش﴾ من عطف الخاص على العام، فالفواحش من جملة الكبائر، قوله: فهو استثناء منقطع تفريع على تفسير اللمم بالصغائر، وإنما كان منقطعاً لأنه ليس قبله ما يندرج فيه. قال السمين: وهذا هو المشهور، ثم قال: ويجوز أن يكون متصلاً عند من يفسر اللمم بغير الصغائر اهـ شيخنا.

قوله: (كالنظرة) أي: وكالكذب الذي لا حد فيه ولا ضرر، والإشراف على بيوت الناس، وهجر المسلم فوق ثلاث، والضحك في الصلاة المفروضة، والنياحة وشق الجيب في المصيبة، والتبختر في المشي، والجلوس بين الفساق إيناساً بهم وإدخال مجانين وصبيان ونجاسة إلى المسجد إذا كان يغلب تنجيسهم له، واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ هذه الجملة تعليلية لاستثناء اللمم، منبهة على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه عن الذنب في نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية اهـ أبو السعود.

قوله: (بذلك) متعلق بواسع أي: واسع المغفرة بسبب غفران الصغائر باجتناب الكبائر عقب به ما سبق لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته، ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم﴾ الخ أي: علم أحوالكم وتفاصيل أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الأرحام اهـ بيضاوي.

قوله: (جمع جنين) وسمي جنيناً لاستتاره في بطن أمه اهـ خازن.

قوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ قال ابن عباس: لا تمدحوها، وقال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرئوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال، وقيل في معنى الآية: هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم ما لكم من أول خلقكم إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء: ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك، فإن

أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ عن الإيمان، أي ارتد لما عير به وقال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر

العلم عند الله، وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة، فإن الله يعلم عاقبة من هو على التقوى، وهو قوله: هو أعلم بمن اتقى أي: بمن بر وأطاع وأخلص العمل، وقيل: في معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أي لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، وقيل: لا تنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها، فقد علم الله المزكي منكم والمتقي أولاً وآخراً قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم، وقيل: نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالاً حسنة، ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية اهـ خازن.

قوله: (أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر **لقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** [الضحى: ١١].

قوله: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي: فإنه يعلم المتقي منكم وغيره قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم، فمن جاهد نفسه وخلصت منه التقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين، فكيف بمن صارت له التقوى وصفاً ثابتاً اهـ خطيب.

فالمراد هو أعلم بمن اتقى أي: بمن أخلص في تقواه وطاعته وهو الذي ينتفع بها ويثاب عليها، وغيره لا ينتفع بها ولا يثاب عليها بل يعاقب لأن الرياء يحبط العمل وهو من الكبائر اهـ.

قوله: (أي ارتد) ظاهره أنه أسلم حقيقة ثم ارتد، وبعضهم قال: إنه قارب الإسلام ولم يسلم اهـ شيخنا.

وقوله: لما عيّر به أي: عيّره بعض المشركين.

قوله: (وأعطاه من ماله) الضمير المستتر في أعطى عائد على الذي تولى، والبارز عائد على الضامن له عذاب الله، فجعل ذلك الرجل الضامن على الذي تولى شيئين، وهما الرجوع إلى الشرك وأن يدفع من ماله كذا، وجعل على نفسه هو شيئاً واحداً وهو ضمان عذاب الله، فالضمير في قوله وأعطى قليلاً عائد على الذي تولى فذم أولاً بأنه ارتد عن دينه، وثانياً بأنه بخل ببعض ما التزمه فأخلف الوعد اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: منع الباقي أي: فليس ذمه بسبب البخل فقط كما توهم، لأن توليه عن الحق بالردة واعتقاده تحمل الغير لأوزاره وإعطاه في مقابلة التحمل ما أعطى ثم رجوعه المتضمن لبخله وكذبه كله قبيح مذموم اهـ.

قوله: ﴿وأكدى﴾ أصله من أكدى الحافر إذا حفر شيئاً فصادف كدية منعته من الحفر، ومثله أجبل أي: صادف جبلاً منعه من الحفر، وكديت أصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل من طلب

البئر إذا وصل إليها من الحفر ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة، لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦﴾ أسفار التوراة أو صحف قبلها ﴿وَ﴾ صحف ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ تمم ما أمر به نحو: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ وبيان ما

شيئاً فلم يصل إليه أو لم يتمه اهـ سمين.

قوله: (تمنع حافر البئر) اسم فاعل من الحفر اهـ.

قوله: ﴿فهو يرى﴾ قال أبو البقاء: فهو يرى جملة اسمية واقعة موقع الفعلية، والأصل أعنده علم الغيب فيرى، ولو جاء على ذلك لكان نصباً في جواب الاستفهام اهـ.

ولا ضرورة إلى دعوى وضع هذه الجملة الاسمية موضع الفعلية، بل هي معطوفة على قوله: أعنده علم الغيب فهي داخلة في حيز الاستفهام، وتكون استفهامية خرجت مخرج الإنكار قاله السفاقسي اهـ كرخي.

قوله: (أن غيره الخ) الجملة سادة مسد مفعولي يرى على ما جرى عليه من كونها علمية، وقوله: من جملته حال مقدمة من التحمل المفهوم من يتحمل أي: يعلم تحمل غيره عنه حال كون ذلك التحمل من جملته أي: من جملة الغيب اهـ شيخنا.

قوله: (وهو الوليد بن المغيرة) أي: كما قاله مقاتل وعليه الأكثر، وقوله: أي غيره أي: كما قاله السدي أنه العاصي بن وائل السهمي، أو أبو جهل كما قاله محمد بن كعب اهـ كرخي.

وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى، وأما الذي عيّره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكروا هنا تعيينه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما﴾ أي: بالخبر الذي في صحف الخ.

قوله: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ تخصيص إبراهيم بذلك أي: بالوصف بالوفاء لاحتماله ما لم يحتمله غيره، كالصبر على نار نمروذ حتى أتاه جبريل حيث ألقي في النار فقال له: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وعلى ذبح الولد، وعلى أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلاَّ نوى الصوم، وتقدم موسى لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكثر عندهم اهـ بيضاوي.

وإنما خص هذين النبيين بالذكر لأنه كان قبل إبراهيم وموسى يؤخذ الرجل بجريرة غيره، فأول من خالفهم إبراهيم اهـ سمين.

فقد روى عكرمة، عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره، فكان الرجل إذا قتل وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه، حتى جاءهم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ اهـ خطيب.

قوله: (تمم ما أمر به الخ) عبارة الخطيب: ﴿الذي وفى﴾ أتم ما أمر به من ذلك تبليغ الرسالة

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ الخ، وأن مخففة من الثقيلة، أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها ﴿وَأَن﴾ أي أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء ﴿وَأَنَّ

واستقلاله بأعباء النبوة وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه، وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه وإلاَّ نوى الصوم، وعن الحسن: ما أمره الله تعالى بشيء إلاَّ وفى به وصبر على ما امتحن به وما قلق من شيء وصبر على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق، بل قال لجبريل عليه السلام، لما قال له: ألك حاجة؟ أما إليك فلا. وقال الضحاك، وفي المناسك: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إبراهيم الذي وفى أربع ركعات من أول النهار. وهي صلاة الضحى» وروي: «ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول إذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون إلى تظهرون». وقيل: وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون، عشرة في التوبة ﴿التائبون العابدون﴾ [التوبة: ١١٢] وعشرة في الأحزاب ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ [الأحزاب: ٣٥] وعشرة في المؤمنون ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١]، انتهت.

قوله: (وبيان ما الخ) يعني أن قوله: أن لا تزر الخ في محل الجر بدلاً من ما فيه قوله: بما في صحف موسى، ويجوز رفعه خبراً لمبتدأ مضمر أي ذلك أن لا تزر أو هو أن لا تزر، ويجوز نصبه بفعل مضمر اهـ سمين.

وقوله: إلى آخره المراد به ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾ [النجم: ٥٥] وجملة أن التي ذكرت في هذا البيان إحدى عشرة مرة، وهذا على قراءة الفتح في قوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ [النجم: ٤٢] إلى آخر ما بعدها وهي مذكورة ثمان مرات، وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية فيكون المراد بقوله إلى آخره: ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم: ٤١] فيكون البيان بالثلاثة الأول فقط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وازرة﴾ أي: بلغت مبلغاً تكون فيه حاملة للوزر اهـ خطيب.

بأن تكون مكلفة، فليس المراد الوازرة بالفعل لأنه ليس قيداً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن مخففة من الثقيلة﴾ واسمها هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر وجيء بالنفي لكون الخبر جملة فعلية متصرفة غير مقرونة بقد كما تقدم تحريره في المائدة اهـ سمين.

قوله: (أي أنه) أي: الحال والشأن لا تحمل الخ.

قوله: (أي أنه) ﴿ليس للإنسان﴾ الخ هذه مخففة أيضاً ولم يفصل هنا بينها وبين الفعل لأنه لا يتصرف، ومحلها الجر أو الرفع أو النصب لعطفها على أن قبلها وكذلك محل وأن سعيه اهـ سمين.

ولما نفى أن يضره إثم غيره نفى أن ينفعه سعي غيره بقوله: وأن ليس للإنسان الخ. واستشكل هذا الحصر بالآية السابقة ﴿واتبعتهم ذرياتهم بإيمان﴾ [الطور: ٢١] الخ، وبالأحاديث الواردة كحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» إلى قوله: «أو ولد صالح يدعو له». وأجيب بأن ابن عباس قال: إن هذه الآية منسوخة بتلك وتعقب بأنها خبر ولا نسخ في الأخبار، وبأنها على ظاهرها، والدعاء من الولد دعاء من الوالد حيث اكتسابه للولد، وبأنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى

. . . .

لأنها حكاياتها لما فيه صحفهم، وأما هذه الأمة فلها ما سعت هي وما سعى لها غيرها، لما صح أن لكل نبي وصالح شفاعة وهو انتفاع بعمل الغير ولغير ذلك، ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فلا يجوز أن تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنّة واجتماع الأمة، وحينئذ فالظاهر أن الآية عامة قد خصصت بأمور كثيرة اهـ كرخي.

وفي الخازن: وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعاً، وقال أبو حنيفة: لا يصح حجه وإنما يكون ذلك تمريناً له على العبادة. وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو إجماع العلماء، وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك، ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام، وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي. واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه، والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصل للميت ثوابها، وقال جماعة من أصحابه: يصله ثوابها، وبه قال أحمد بن حنبل: وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا تصله، وعند الشافعي والجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع والله أعلم، وقيل: أراد بالإنسان الكافر، والمعنى ليس له من الخير إلا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافي في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير، وقيل: إن قوله: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى هو من باب العدل، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيد الله ما يشاء من فضله وكرمه اهـ.

وفي الخطيب: وقال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة أي: وإنما هو في صحف موسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، وقال عكرمة: إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم، لما روي أن امرأة رفعت صبياً لها، وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ فقال: «نعم ولك أجر» وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي قتلت نفسها فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم». قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة، أحدها: إن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها. ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير. رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير. خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم. سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير. سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما. ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل الغير، تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير. عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره

سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي يبصر في الآخرة ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفاً وقرىء بالكسر استئنافاً، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجمل

بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير. حادي عشرها: المدين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الأخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي ﷺ وهو من عمل الغير. ثاني عشرها: أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه» فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير. ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير. رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير. خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير. سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره. سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره. ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد كذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض. تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ [الفتح: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ [البقرة: ٢٥١ و الحج: ٤] فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير. عشروها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها. حادي عشريها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له. ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة اهـ.

قوله: (أي يبصر في الآخرة) أي يبصره هو في ميزانه من غير شك، فإن قيل: العمل كيف يرى؟ أجيب: بأنه يرى على صورة جميلة إن كان صالحاً فيريه الله أعماله الصالحة ليفرح بها، ويحزن الكافر بأعماله السيئة فيزداد غماً اهـ خطيب.

قوله: ﴿ثم يجزاه﴾ الضمير المرفوع عائد على الإنسان والمنصوب عائد على سعيه، والجزاء مصدر مبين للنوع، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب للجزاء، ثم فسَّر بقوله: الجزاء الأوفى فهو بدل منه أو عطف بيان له اهـ سمين.

قوله: ﴿الجزاء الأوفى﴾ تقدم أن الجزاء مصدر، وقال أبو البقاء: هو مفعول يجزاه وليس بمصدر لأنه وصفه بالأوفى، وذلك من صفة المجزي به لا من صفة الفعل. قال السفاقسي: لا يمنع ذلك من بقائه مصدراً لأن الفعل قد يوصف بذلك مبالغة اهـ كرخي.

قوله: (يقال جزيته سعيه الخ) أشار به إلى أن الجزاء يتعدى بنفسه وبحرف الجر اهـ كرخي.

قوله: (وكذا ما بعدها) أي من قوله: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ إلى قوله: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾، وقوله على الثاني أي الكسر أي لأنه ابتداء كلام، فيكون ما في الصحف قد تم بيانه وانتهى

في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ من شاء أحزنه ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ للبعث ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥﴾ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ تصب في الرحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ بالمد والقصر ﴿ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ أعطى المال المتخذ قنية ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ

عند قوله: ﴿الجزاء الأوفى﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلى ربك المنتهى﴾ أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم. وفي المخاطب بهذا وجهان، أحدهما: أنه عام تقديره: وأن إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائناً من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن، ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه. الوجه الثاني: أن المخاطب بهذا هو النبي ﷺ فيكون فيه تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى، وقيل: في معنى الآية منه ابتداء المنة وإليه انتهاء المآل اهـ خازن.

والمناسب لصنيع الشارح حيث قال فيجازيهم هو الثاني، وبعد ذلك في الكلام وقفة من حيث إن هذا الخطاب في جملة ما في صحف موسى أو إبراهيم فالمناسب أن يكون المخاطب به موسى وإبراهيم على التوزيع تأمل قوله: (المرجع والمصير) أي الرجوع فالمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء اهـ.

قوله: (أفرحه) أشار به إلى أن المراد الضحك حقيقة، وأنه الفرح، وأن البكاء كذلك وأنه الحزن، وأن كلاً من الفعلين حذف مفعوله. قال الحسن: أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار، وقيل: إن الفعلين من الأفعال اللازمة كقوله: ﴿والله يحيي ويميت﴾ [آل عمران: ١٥٦] وهذا يدل على أن ما يعمل الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء اهـ كرخي.

قوله: (الصنفين) ﴿الذكر والأنثى﴾ أي من كل حيوان، ولم يرد آدم وحواء لأنهما لم يخلقا من نطفة، وهذا أيضاً من جملة المتضادات الواردة على النطفة، فبعضها يخلق ذكراً، وبعضها يخلق أنثى، ولا يصل إليهم فهم الطبائعيين الذين يقولون من البرد والرطوبة في الأنثى، فرب امرأة أحر وأيبس مزاجاً من الرجل. فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿وأنه خلق﴾ ولم يقل: وأنه هو خلق كما قاله: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾؟ فالجواب: أن الضحك والبكاء ربما يتوهم أنهما بفعل الإنسان وكذا الإماتة والإحياء وإن كان ذلك التوهم فيهما أبعد، لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج إبراهيم ﴿أنا أحيي وأميت﴾ [البقرة: ٢٥٨] فأكد ذلك بالفصل، وأما خلق الذكر والأنثى من النطفة فلا يتوهم أحد أنه بفعل أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي بحكم الوعد، فإنه قال: إنا نحن نحيي ونميت لا بحكم العقل ولا الشرع اهـ خطيب.

قوله: (بالمد والقصر) سبعيتان.

قوله: ﴿وأقنى﴾ قال الزمخشري: أعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا يخرج من

ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همز هي قوم هود، والأخرى قوم صالح ﴿وَثَمُودَاْ﴾

يدك. قال الجوهري: قنى الرجل يقني قنى مثل غنى يغني غنى، ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال: قنيت له ما لا كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح، فإذا دخلت عليه الهمزة والتضعيف اكتسب مفعولاً ثانياً، فيقال: أقناه الله مالاً وقناه إياه أي أكسبه إياه وحذف مفعول أغنى وأقنى، لأن المراد نسبة هذين الفعلين إليه وحده وكذلك في باقيها، وألف أقنى عن ياء لأنه من القنية، وقيل: أقنى أرضى. قال الراغب: والحقيقة أنه جعل له مالاً قنية وقنيت كذا وأقنيته اهـ سمين.

قوله: (قنية) وهو الذي يدوم عند الإنسان اهـ.

قوله: ﴿رب الشعرى﴾ الشعرى في لسان العرب كوكبان، يسمى أحدهما الشعرى العبور وهو المراد في الآية الكريمة، فإن خزاعة كانت تعبدها وسن عبادتها أبو كبشة رجل من ساداتهم وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعرى تقطعها طولاً فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير، وأبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله تعالى وخالف أديانهم تشبيهاً بذلك الرجل في أنه أحدث ديناً غير دينهم، وهي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر، وتسمى الشعرى اليمانية، والثاني: الشعرى الغميصا بغين معجمة مضمومة وميم مفتوحة وصاد مهملة من الغمض بفتحتين، وهو سيلان دمع العين اهـ من الخطيب والشهاب.

قوله: (بادغام التنوين) أي بعد قلبه لاماً، وقوله في اللام أي لام التعريف، وقوله: وضمها أي بنقل حركة همـزة أولى إليها وحذفها، وقوله: بلا همز أي للواو التي بعد اللام المدغم فيها، وبقي قراءة ثالثة وهي هذه القراءة بعينها، ولكن تقلب الواو المذكورة همزة ساكنة، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، والتي في الشرح لنافع وأبي عمرو، والتي ذكرناها لقالون والقراءة المشهورة للباقي اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: وقرأ نافع، وأبي عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلاً، وهمز قالون الواو ساكنة بعد اللام، والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام بعدها همزة مضمومة، انتهت.

قوله: (هي قوم هود) وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي قوم صالح وهي ثمود، وفي القرطبي: قال ابن إسحاق هما عادان، فالأولى أهلكت بالريح الصرصر، ثم كانت الأخرى فأهلكت بصيحة، وقيل: عاد الأولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى والمعنى متقارب، وقيل: إن عاد الآخرة الجبارون وهم قوم هود اهـ.

وقال في سورة الفجر: وقيل هما عادان، فالأولى هي ارم قال الله عز وجل: ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد، ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى، وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عادا الأخيرة، وقال معمر: إرم إليه مجمع عاد وثمود، وكان يقال: عاد إرم عاد ثمود، وكانت القبائل تنسب إلى إرم ذات العماد اهـ.

بالصرف اسم للأب، وبلا صرف للقبيلة، وهو معطوف على عاداً ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ منهم أحداً ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ من عاد وثمود، لطول لبث نوح فيهم، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض، بأمره جبريل بذلك ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ أبهم تهويلاً

وهذا التقدير هو الموافق لظاهر الآية ولصنيع الشارح، وفي البيضاوي: وأنه أهلك عاداً الأولى القدماء لأنهم أول الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام، وقيل: عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى ارم اهـ.

وقوله: القدماء أشار به إلى أنه ليس هناك عادان إحداهما أقدم من الأخرى حتى يكون وصف أحداهما بالأولى للاحتراز من عاد الأخيرة، بل ليس هناك إلا عاد واحدة وهي أعقاب عاد بن عوص بن ارم بن سام بـن نوح، والمراد بأوليتهم تقدم هلاكهم على هلاك من بعدهم اهـ زاده.

وهذا الذي ذكره زاده بعيد من ظاهر الآية تأمل قوله: (وهو معطوف على عاداً) أشار به إلى رد قول من جعله منصوباً بقوله: فما أبقى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيداً فضربت، وأكثر النحويين ينصب ما قبل الفاء بما بعدها، وقال أبو البقاء: وثموداً منصوب بفعل مضمر أي وأهلك ثموداً كما صنع الشيخ المصنف فيما بعده ولا يعمل فيه فما أبقى لأجل حرف النفي لأنه له الصدر فلا يعمل ما بعده فيما قبله، ويجوز أن يعطف على عاداً اهـ كرخي.

قوله: (أهلكناهم) صوابه أهلكهم، ومراده بهذا التنبيه على أن نصب قوم نوح بفعل محذوف كما قيل ولا حاجة إليه فهو معطوف على ما قبله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنهم كانوا هم أظلم واطغى﴾ يحتمل أن يكون الضمير لقوم نوح خاصة، وأن يكون لجميع من تقدم من الأمم الثلاثة، وقوله: كانوا هم يجوز في هم أن يكون تأكيداً وأن يكون فصلاً، ويبعد أن يكون بدلاً، والمفضل عليه محذوف تقديره من عاد وثمود على قولنا إن الضمير لقول نوح خاصة، وعلى القول بأن الضمير للكل يكون التقدير أظلم وأطغى من غيرهم، والمؤتفكة منصوب بأهوى وقدم لأجل الفواصل، وقوله: ما غشى كقوله ما أوحى في الإبهام وهو المفعول الثاني إن قلنا إن التضعيف للتعدية وإن قلنا إنه للمبالغة والتكثير، فتكون ما فاعلاً كقوله: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ١٨] اهـ.

قوله: (يؤذونه ويضربونه) أي حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: ﴿رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿والمؤتفكة﴾ أي المنقلبة فإن الائتفاك الانقلاب اهـ شيخنا.

قوله: (مقلوبة إلى الأرض) حال من الضمير المنصوب في أسقطها، وقوله: إلى الأرض متعلق بأسقطها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فغشاها﴾ أي ألبسها وكساها، والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله: ما غشي مفعول به اهـ شيخنا.

وفي هود ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ من جنسهم، أي رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم ﴿أَزِفَتِ

قوله: (أبهم تهويلاً) أي غشاها أمراً عظيماً من الحجارة المنضودة وغيرها مما لا تسع العقول وصفه اهـ خطيب.

قوله: (وفي هود فجعلنا الخ) غرضه بهذا تفسير ما هنا بما في هود، ولكن كلامه فيه تساهل فإن التلاوة في هود: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾ [هود: ١١] الخ اهـ شيخنا.

وأما الذي في الشارح فهو صورة ما في الحجر على ما في بعض النسخ من التعبير بعليهم بضمير الجمع يدل عليها الثابت في أكثر النسخ تأمل.

قوله: ﴿فبأي﴾ الباء ظرفية متعلقة بتتمارى اهـ سمين.

قوله: (تتشكك) إشارة إلى أن الفاعل مجرد عن التعدد في الفاعل والفعل للمبالغة في الفعل، فلا حاجة إلى تكليف ما قيل إن فعل التماري للواحد باعتبار تعدد متعلقه وهو الآلاء المتمارى فيها اهـ شهاب.

قوله: (أيها الإنسان) أي على الإطلاق، وعن ابن عباس أنه الوليد بن المغيرة، أو الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره فهو من باب الالهاب والتهييج والتعريض بالغير، والأول أظهر لقوله تعالى في الرحمن: ﴿فبأي آلاء ربكا تكذبان﴾ [الرحمن: ١٣] قاله الطيبي، وقال ابن عادل: الصحيح العموم لقوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦] وقوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤] والمعدودات وإن كانت نعماً ونقماً سماها آلاء من قبيل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين، وإيضاحه: أنه تعالى جعل الكلام على نمطين وكل نمطين مشتمل على نعم ونقم. أما النمط الأول فمن قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم: ١] إلى قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] من النعماء التي دونها كل نعم، ومن قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ إلى قوله: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ مشتمل على النقم التي دونها كل نقم. وأما النمط الثاني فابتداؤه من قوله: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ [النجم: ٢٦] إلى قوله: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ في بيان النعم الجسيمة، ومن قوله: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ إلى قوله: ﴿فغشاها﴾ من النقم اهـ كرخي.

قوله: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ هذا إشارة إلى القرآن، والنذير مصدر أو إلى الرسول ﷺ، والنذير بمعنى المنذر، وأيًّا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وهو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها، أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين، والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل، وإلاَّ فكان مقتضى الظاهر أن يقال الأول وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أزفت الآزفة﴾ (قربت القيامة) الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر: ١] اهـ خطيب.

﴿ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ تكذيباً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لسماع وعده ووعيده ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

يعني أن اللام في الآزفة للعهد لا للجنس لئلا يخلو الكلام عن الفائدة: إذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل، ولذا قيل: إن الآزفة علم بالغلبة للساعة وفيه نظر لأن وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة في قربه، كما يدل عليه الافتعال في اقتربت فتأمل اهـ شهاب.

وفي المصباح: أزف الرحيل أزفاً من باب تعب وأزوفاً أيضاً دنا وقرب، وأزفت الآزفة القيامة اهـ.

قوله: ﴿كاشفة﴾ يجوز أن يكون وصفاً وأن يكون مصدراً، فإن كان وصفاً احتمل أن يكون التأنيث لأجل أنه صفة لمؤنث محذوف، فقيل تقديره نفس كاشفة أو حال كاشفة، واحتمل أن تكون التاء للمبالغة كعلامة ونسابة أي ليس لها إنسان كاشفة أي كثير الكشف، وإن كان مصدراً فهو كالعافية والعاقبة وخائنة الأعين، ومعنى الكشف هنا إما من كشف الشيء أي عرف حقيقته كقوله: لا يجليها لوقتها إلا هو، وإما من كشف الضر أي أزاله أي ليس لها من يزيلها وينحيها عند مجيئها غير الله تعالى، ولكنه لا يفعل ذلك لأنه سبق في علمه أنها تقع ولا بد اهـ سمين.

قوله: ﴿أفمن هذا الحديث الخ﴾ متعلق بتعجبون ولا يجيء فيه الإعمال لأن من شرط الإعمال تأخر المعمول عن العوامل وهو هنا متقدم وفيه خلاف بعيد، وعليه تتخرج الآية الكريمة فإنَّ كلًّا من قوله تعجبون وتضحكون ولا تبكون يطلب هذا الجار من حيث المعنى اهـ سمين.

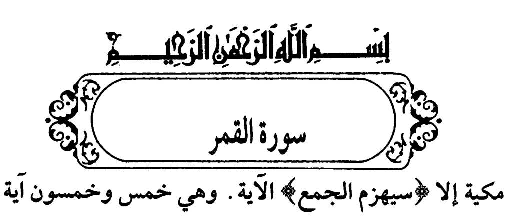
قوله: (تكذيباً) قيد به لأن التعجب قد يكون استحساناً وكذا قوله استهزاء اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأنتم سامدون﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة أخبر الله عنهم بذلك، ويحتمل أن تكون حالاً أي انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين والسمود قبل الإعراض، وقيل: اللهو، وقيل: الخمود، وقيل: الاستكبار، وقال أبو عبيدة: السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية: اسمدي لنا أي غني لنا، وقال الراغب: السامد اللاهي الرافع رأسه من قوله بعير سامد في مسيره، وقيل: سمد رأسه وجسده أي استأصل شعره اهـ سمين.

وفي المختار: السامد اللاهي وبابه دخل اهـ.

قوله: ﴿فاسجدوا لله﴾ يحتمل أن يكون المراد به سجود التلاوة، وأن يكون المراد به سجود الصلاة، ويقوي الاحتمال الأول ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي سجد في النجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، وعن عبد الله بن مسعود قال: أول سورة نزلت فيها السجدة النجم اهـ خطيب.

قوله: ﴿واعبدوا﴾ أي: اعبدوه من عطف العام على الخاص، وقوله: ولا تسجدوا للأصنام الخ مأخوذ من لام الاختصاص ومن السياق اهـ شهاب.



مكية إلا ﴿سيهزم الجمع﴾ الآية. وهي خمس وخمسون آية

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقعيقعان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الآية) آخرها ﴿ويولون الدبر﴾ وجمع آيات السورة فواصلها على الراء الساكنة اهـ شيخنا.

قوله: (قربت القيامة) أشار به إلى أن افتعل المشتمل على الزوائد بمعنى الفعل المجرد وأتى بالمزيد للمبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اهـ شخينا.

قوله: (فلقتين) مصدر عددي من باب ضرب اهـ شيخنا.

لكن هذا لا يناسب قوله: قوله: (على أبي قبيس الخ) وإنما يناسب أنه تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزناً ومعنى، فإن الذي انحط عليه كلام الحافظ ابن حجر كما نقله عنه في المواهب أن الانشقاق لم يقع إلا مرة واحدة، وأن رواية مرتين مؤولة مصروفة عن ظاهرها، وذكر أيضاً أن الانشقاق كان قبل الهجرة بنحو خمس سنين، ثم قال تنبيه ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه، فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد ابن كثير اهـ.

وفي القرطبي: وقال بعضهم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر، وإن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره، وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي أن هذا قول الجمهور قال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء، وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية، وقيل: وانشق القمر أي وضح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح، وقيل: انشقاق القمر زوال الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيه لأنه آية ليلية وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي اهـ.

آية له ﷺ، وقد سألها فقال: اشهدوا، رواه الشيخان ﴿وَإِن يَرَوْا﴾ أي كفار قريش ﴿ءَايَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ قوي من المرة القوة أو دائم ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ بأهله في الجنة أو النار ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ لهم اسم مصدر أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال، وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة، وما موصولة أو موصوفة ﴿حِكْمَةٌ﴾ خبر مبتدإ محذوف أو بدل من ما أو من

قوله: (وقد سألها) جملة حالية من آية أي سألته قريش أن يفلق القمر فلقتين كما في رواية، أو أن يأتيهم بآية ولم يقيدوها بكونها فلق القمر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعرضوا﴾ أي عن تأملها والإيمان بها اهـ كرخي.

قوله: (قوي أو دائم) هذان قولان من أربعة حكاها السمين، والثالث منها أن معناه مار ذاهب لا يبقى، والرابع أن معناه شديد المرارة. قال الزمخشري: أي مستبشع عندنا مرّ على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا نسيغ المر اهـ.

قوله: ﴿وكذبوا واتبعوا﴾ ذكر هذين بلفظ الماضي للاشعار بأنهما من عادتهم القديمة اهـ بيضاوي.

أي مع أن الظاهر المضارع لكونهما معطوفين على يعرضوا اهـ زاده.

قوله: ﴿وكل أمر مستقر﴾ مبتدأ وخبر والجملة استئناف مسوق لإقناطهم مما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره ﷺ حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه، أي: وكل أمر من الأمور مستقر أي منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة، ومن جملتها أمر النبي ﷺ فيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به، وقيل: المعنى كل أمر من أمرهم وأمره ﷺ مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الأخرى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مستقر﴾ (بأهله) كأن الباء بمعنى اللام أي مستقر لأهله، والمراد مستقر أثره وهو الثواب أو العقاب لأهله وهم العاملون على الدنيا للخير أو الشر، فكل عامل يرى في الآخرة أثر عمله تأمل.

قوله: ﴿مزدجر﴾ يجوز أن يكون فاعلاً بفيه، لأن فيه وقع صلة، وأن يكون مبتدأ وفيه الخبر والدال بدل من تاء الافتعال، وقد تقدم أن تاء الافتعال تقلب دالاً بعد الزاي والدال والذال لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس، فأبدلوها إلى حرف مجهور قريب من التاء وهو الدال، ومزدجر هنا اسم مصدر أي ازدجار، أو اسم مكان أي موضع ازدجار، وقرىء مزجر بقلب تاء الافتعال زاياً وإدغامها، وقرأ زيد بن علي مزجر اسم فاعل من أزجر أي صار ذا زجر كأعشب أي صار ذا عشب اهـ سمين.

قوله: (أو اسم مكان) أي على أن في تجريدية، والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار اهـ أبو السعود.

قوله: (وما موصولة أو موصوفة) وهي فاعل بجاء ومعناها أنباء وأخبار ومن الأنباء حال منها،

مزدجر ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى منذر، أي الأمور المنذرة لهم، وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصب يوم يخرجون بعد ﴿إِلَىٰ

وقوله: فيه خبر مقدم، ومزدجر مبتدأ مؤخر، والجملة صلتها اهـ شيخنا.

والمعنى: ولقد جاءهم أنباء وأخبار فيها ازدجار أي انتهاء عن الكفر أو هي محل الازدجار أي الانتهاء.

قوله: ﴿حكمة بالغة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه بدل من ما فيه مزدجر كأنه قيل: ولقد جاءهم حكمة بالغة من الأنباء، وحينئذ يكون بدل كل من كل أو بدل اشتمال. الثاني: أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو حكمة أي ذلك الذي جاءهم، ويجوز أن يكون خبراً لكل أمر مستقر، وقرىء حكمة بالنصب حالاً. قال الزمخشري: فإن قلت: إن كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة بالغة حالاً، فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر؟ قلت: تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها اهـ. وهو سؤال واضح جداً اهـ سمين.

قوله: (خبر مبتدأ محذوف) هو ضمير عائد على ما، والتقدير هي أي الأنباء التي جاءتهم حكمة بالغة اهـ.

قوله: ﴿بالغة﴾ (تامة) عبارة البيضاوي: بالغة غايتها لا خلل فيها اهـ.

وقوله: غايتها أي فمفعول بالغة محذوف، وفسر بلوغ الحكمة إلى غايتها بأنه لا خلل فيها إذ المعنى بلوغها غاية الأحكام، فالخلل عدم مطابقتها للواقع، أو عدم جريها على نهج الحكم الآلهية اهـ شهاب.

قوله: ﴿فما تغن النذر﴾ لا ترسم الياء هنا بعد النون اتباعاً لرسم المصحف ووجهه ابتاع الرسم للفظ وهي في اللفظ قد حذفت لالتقاء المساكنين، وقوله: يوم يدع لا ترسم في العين واو اتباعاً لخط المصحف الإمام، وقوله: الداع لا يرسم في العين ياء لأنها من ياءات الزوائد وهي لا تثبت في الخط، وإن كان في اللفظ يصح إثباتها وحذفها كما قرىء بهما في السبع، وكذا قوله فيما يأتي: مهطعين إلى الداع لا ترسم فيه الياء لما ذكر اهـ شيخنا.

قوله: (أي الأمور المنذرة لهم) كأحوال الأمم السابقة أي ما وقع لهم من العذاب الذي بلغ قريشاً وتسامعوا به اهـ شيخنا.

قوله: (مفعول مقدم) أي مفعول به إن كان المعنى، فأي شيء من الأشياء النافعة تغني النذر، أيَ تحصله وتكسبه، ومفعول مطلق إن كان المعنى فأي إغناء تغني النذر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فتول عنهم﴾ قال أكثر المفسرين نسختها آية السيف، وقال الرازي: إن قول المفسرين بالنسخ في هذه الآية ليس بشيء، بل المراد منها لا تناظرهم بالكلام اهـ خطيب.

قوله: (هو فائدة) أي: نتيجة ما قبله وهو قوله: فما تغن النذر اهـ شيخنا.

﴿شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦﴾ بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب ﴿خُشَّعًا﴾ ذليلاً، وفي قراءة خشعاً بضم الخاء وفتح الشين مشدَّدة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حال من فاعل ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ أي الناس ﴿مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾ لا يدرون أي يذهبون من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل يخرجون، وكذا قوله ﴿مُّهۡطِعِينَ﴾ أي مسرعين مادِّين أعناقهم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِۖ

وفي الكرخي: قوله: هو فائدة ما قبله وهو فما تغْن النذر، وفيه إشارة إلى ربط الآيات، وأن هذه الفاء نتيجة الكلام السابق وفي مدخولها معنى المتاركة والموادعة لأن الإنذار إنما يفيد إذا انتفع به المنذر اهـ.

قوله: ﴿يوم يدع الداع﴾ منصوب إما باذكر مضمراً وهو أقربها وإليه ذهب الرماني والزمخشري، وإما بيخرجون بعده وإليه ذهب الزمخشري أيضاً، وإما بقوله: فما تغن ويكون قوله: فتول عنهم اعتراضاً، وإما منصوب بقوله: يقول الكافرون وفيه بعد لبعده منه، وإما منصوب بقوله: فتول عنهم وهو ضعيف جداً لأن المعنى ليس أمره بالتولية عنهم في يوم النفخ في الصور، وحذفت الواو من يدع خطأً تبعاً للفظ كما تقدم في تغن ويمح الله الباطل وشبهه، وحذفت الياء من الداع مبالغة في التخفيف إجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها اهـ سمين.

قوله: (هو إسرافيل) تقدم له في سورة ق أنه قيل إسرافيل، وقيل: جبريل وأن الذي يقوله في دعائه ونداثه: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء اهـ.

قوله: (وناصب يوم يخرجون بعد) أي وجملة يخرجون مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: (بضم الكاف وسكونها) سبعيتان. قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية خشعاً اهـ.

قوله: (حال) أي خاشعاً حال وأبصارهم فاعل به، ونسب الخشوع إليها لأنه يظهر فيها أكثر من ظهوره على بقية البدن اهـ شيخنا.

قوله: (أي الناس) أي مطلقاً مؤمنهم وكافرهم، وقوله: من الأجداث جمع جدث بفتحتين كفرس وأفراس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ أي في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة اهـ بيضاوي.

قوله: (لا يدرون أين يذهبون) عبارة القرطبي: كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع، وقال في موضع آخر ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤] فهما صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها، فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر، لأن الجراد له وجه يقصده اهـ.

قوله: (والحيرة) بفتح الحاء إذ كانت مصدراً كما هنا إذ هي بمعنى التحير، وبكسرها اسم لمدينة بقرب الكوفة كما في المختار اهـ شيخنا.

قوله: (مادين أعناقهم) من جملة معنى مهطعين، فإن الإهطاع معناه الإسراع في المشي مع مد

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ منهم ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ أي صعب على الكافرين كما في المدثر ﴿يوم عسير على الكافرين﴾ ﴿۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ أي انتهروه بالسبِّ وغيره ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفتح أي بأني ﴿مَغْلُوبٌ

العنق إلى جهة الإمام، وفي القاموس: هطع كمنع هطع وهطوعاً أسرع مقبلاً خائفاً، وأقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وكأمير الطريق الواسع، وأهطع مد عنقه وصوب رأسه كاستهطع وكمحسن من ينظر في ذل وخضوع لا يقلع بصره أو الساكت المنطلق إلى من هتف به، وبعير مهطع في عنقه تصويب خلقة اهـ.

قوله: ﴿يقول الكافرون﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الأحوال كأنه قيل: فما يكون حينئذ؟ فقيل: يقول الكافرون هذا يوم عسر أي صعب شديد، وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة اهـ أبو السعود.

وجوز بعضهم أن تكون الجملة حالاً من فاعل يخرجون وتعقب بأنها خالية من الربط، وأجاب الشارح عنه بتقديره بقوله منهم، فهو يشير به إلى أن الجملة حالية وأن الرابط مقدر اهـ شيخنا.

فعلى هذا فالأحوال من الواو في يخرجون أربعة، واحد مقدم، وثلاثة مؤخرة تأمل. قوله: (منهم) أي: الناس أن حال كون الكافرين من جملة الناس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ شروع في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للازدجار وتفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريراً لفحوى قوله: ﴿فما تغني النذر﴾ [القمر: ٥] اهـ أبو السعود.

قوله: (لمعنى قوم) وهو الأمة.

قوله: ﴿فكذبوا عبدنا﴾ قال القاضي: هو تفصيل بعد إجمال، والفاء على هذا تفصيلية، فإن التفصيل عقب الإجمال كما في قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه﴾ [هود: ٤٥] فقال: فالمكذب والمكذب في المكانين واحد، وقيل: معناه كذبوه تكذيباً عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، والفاء حينئذٍ للتعقيب، والمكذب الثاني غير الأول وإن اتحد المكذب أو كذبوه بعدما كذبوا جميع الرسل، والفاء على هذا التسبب، وإنما لم يرتض القاضي هذين الوجهين، وإن جرى في الكشاف عليهما لأن الظاهر هو الاتحاد في كليهما اهـ كرخي.

قوله: ﴿وازدجر﴾ معطوف على قالوا أي: لم يكتفوا بهذا القول بل ضموا إليه زجره ونهره، وقد أشار لهذا بقوله أي: انتهروه اهـ شيخنا.

وقيل: هو من مقولهم أي: قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فدعا ربه﴾ وذلك بعد صبره عليهم غاية الصبر حيث مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يعالجهم فلم يفد فيهم شيئاً، فكان الواحد منهم يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشياً عليه، ثم يقول بعد إفاقته: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أني مغلوب﴾ العامة على فتح الهمزة أي: دعاه بأني مغلوب، وجاء هذا على حكاية

فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴿فَفَتَحۡنَآ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾﴾ منصب انصباباً شديداً ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ تنبع ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ﴾ حال ﴿قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ﴾ أي نوحاً ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾﴾ وهو ما

المعنى، ولو جاء على حكاية اللفظ لقال إنه مغلوب وهما جائزان، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش بالكسر إما على إضمار القول أي: فقال إني مغلوب، وإما إجراء للدعاء مجرى القول وهو مذهب الكوفيين اهـ سمين.

قوله: ﴿إني مغلوب﴾ أي: غلبني قومي بالقوة والمنعة لا بالحجة، وقوله: فانتصر أي: انتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم اهـ كرخي.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان.

قوله: ﴿أبواب السماء﴾ أي: كلها في جميع الأقطار، والمراد من الفتح والأبواب والسماء حقائقها، فإن للسماء أبواباً تفتح وتغلق. قوله: ﴿بماء﴾ الباء للتعدية على المبالغة حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها كما تقول: فتحت بالمفتاح، وقوله: وفجرنا الأرض عيوناً أي فجرنا عيون الأرض اهـ خطيب.

ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوماً. قيل: كان ماء السماء أكثر، وقيل: بالعكس، وقيل: كانا مستويين اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال عبيد بن عمير: أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون، وأن عيناً تأخرت فغضب الله عليها فتجعل ماءها مراً أجاجاً إلى يوم القيامة، وقيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج، وماء الأرض حاراً مثل الحميم اهـ.

قوله: ﴿بماء منهمر﴾ المنهمر الغزير النازل بقوة اهـ سمين.

وفي المختار: همر الدمع والماء صبه وبابه نصر وانهمر الماء سال اهـ.

قوله: ﴿عيوناً﴾ تمييز إذ أصله وفجرنا عيون الأرض ثم أوقع الفعل على الأرض، ونصب عيوناً على التمييز فجعلت الأرض كأنها عيون تنفجر فهو أبلغ من أصله اهـ كرخي.

قوله: (تنبع) في المصباح: نبع الماء نبوعاً من باب قعد، ونبع نبعاً من باب نفع لغة خرج من العين، وقيل للعين: ينبوع والجمع ينابيع، والمنبع بفتح الميم والباء مخرج الماء والجمع منابع ويتعدى بالهمزة، فيقال: أنبعه الله إنباعاً اهـ.

قوله: ﴿فالتقى الماء﴾ الخ لما كان المراد بالماء الجنس صح أن يقال فالتقى الماء كأنه قيل فالتقى ماء السماء وماء الأرض وهذه قراءة العامة، وقرىء الماءان بالتثنية وتحقيق الهمزة، والماوان بقلبها واواً، والمايان بقلبها ياء والثلاثة شاذة اهـ من السمين.

وقوله: على أمر على تعليلية متعلقة بالنفي أي: التقى واجتمع لأجل إغراقهم المقضي أزلاً اهـ كرخي.

تشدُّ به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دسار ككتاب ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا محفوظة ﴿ جَزَآءً﴾ منصوب بفعل مقدر، أي أغرقوا انتصاراً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ وهو نوح عليه السلام وقرىء كفر بناء للفاعل، أي أغرقوا عقاباً لهم ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها، أي شاع خبرها واستمر، ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ معتبر ومتعظ بها، وأصله مذتكر، أبدلت التاء دالاً مهملة، وكذا المعجمة، وأدغمت فيها ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ أي إنذاري استفهام

قوله: (وغيرها) كالصفائح والخشب الذي تسمر فيه الألواح وخيوط الليف ونحوها اهـ خطيب.

قال أبو حيان: والدسر المسامير، وقال ابن عباس والحسن: مقادم السفينة لأنها تدسر الماء أي: تدفعه والدسر الدفع، وقال مجاهد وغيره: نطق السفينة، وعنه أيضاً أضلاع السفينة اهـ.

وفي المختار: الدسر الدفع وبابه نصر. قوله: (جمع دسار) وقيل: جمع دسر كسقف وسقف اهـ سمين.

قوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ صفة ثانية للموصوف المحذوف، وقوله: بأعيننا حال من الضمير في تجري كما أشار إليه بقوله: أي: محفوظة اهـ كرخي.

قوله: (منصوب بفعل مقدر) أي: على أنه مفعول لأجله، وقوله: أي أغرقوا انتصاراً تفسير للمعنى وإلاَّ لقال أغرقوا جزاء، وقوله: وهو نوح أي: لأنه نعمة كفروها إذ كل نبي نعمة على أمته اهـ كرخي.

قوله: (وقرىء كفر) أي: شاذاً اهـ كرخي.

قوله: (هذه الفعلة) وهي إغراقهم على الوجه المذكور اهـ شيخنا.

وقيل: الضمير للسفينة أي: أبقيناها أي: السفينة بناء على أنها بقيت على الجودي زماناً مديداً حتى رآها أوائل هذه الأمة، أو أبقينا خبرها، أو أبقينا السفن وجنسها، أو تركنا بمعنى جعلنا اهـ شهاب.

قوله: ﴿فهل من مدكر﴾ (معتبر) أي: يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة، ومدكر: مبتدأ بزيادة من خبره محذوف أي فهل مدكر موجود، ثم إنه تعالى لما أجاب دعوة نوح بأن أغرقهم أجمعين قال استعظاماً لذلك العقاب وإيعاداً لمشركي مكة: فكيف كان عذابي الذي عذبتهم به، وكيف كان عاقبة إنذاري اهـ زاده.

قوله: (وكذا المعجمة) أي: وكذا الذال المعجمة التي قبل التاء أبدلت أيضاً دالاً مهملة، وقوله: وأدغمت أي الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة، وقوله: فيها أي: في الدال المنقلبة عن التاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكيف كان عذابي﴾ الظاهر في كان أنها ناقصة فكيف خبر، وقيل: يجوز أن تكون تامة فتكون كيف في محل نصب إما على الحال وإما على الظرف كما تقدم تحقيقه في البقرة اهـ سمين.

تقرير، وكيف خبر كان، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه

قوله أيضاً: ﴿فكيف كان عذابي ونـذر ولقد يسرنا﴾ الخ فائدة التكرير في هاتين الآيتين أن يجددوا عند سماع كل نبأ اتعاظاً، وهذا حكم التكرير في ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ١٣] عند كل نعمة عدها ﴿وويل يومئذ للمكذبين﴾ [الطور: ١١] عند كل آية أوردها وكذا تكرير القصص لتكون العبرة حاضرة مصورة للأذهان غير منسية في كل أوان اهـ عمادي.

قوله: ﴿ونذر﴾ قرىء في السبع بإثبات الياء وحذفها، وأما في الرسم فلا تثبت لأنها من ياءات الزوائد، وكذا يقال في المواضع الآتية كلها اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وقعت نذر في هذه السورة في ستة مواضع محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين، وورش في الوصل لا غير وحذفها الباقون ولا خلاف في حذف الياء من قوله: ﴿فما تغن النذر﴾ [القمر: ٥] والواو من قوله: ﴿يدع﴾ فأما الياء من الداع الأول فأثبتها في الحالين ابن محيصن وحميد ويعقوب والبزي، وأثبها ورش وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الباقون.

قوله: (أي إنذاري) فنذر مفرد وهو مصدر لأنه أجاز بعضهم مجيء المصدر على فعل بضمتين، وبعضهم قال: هو جمع نذير بمعنى إنذار فهو مصدر مجموع لا مفرد، والشارح جرى على الأول اهـ شيخنا.

قوله: (للسؤال عن الحال) أي: كان على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: قوله: وهي للسؤال عن الحال أي: يستفهم بها عن حال الشيء وصفته لا عن ذاته، والاستفهام هنا المراد به التذكير لا حقيقته كما أشار إليه في التقرير اهـ.

قوله: (بوقوع عذابه تعالى الخ) أي: هو في محله وفي غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن الخ﴾ جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمه بالغة فما تغني النذر﴾ [القمر: ٤]، وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار فيها كافية في الازدجار، ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار، أي: وتالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم ووشحناه بأنواع المواعظ والعبر، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ولقد يسرنا القرآن للذكر أي: سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر مأخوذ به من يسّر ناقته للسفر إذا رحلها، ويسّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه، وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن، وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل ولم يكونوا يقرأون التوراة إلا نظراً غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. من أجل ذلك افتتنوا بعزير لما

للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر، أي أحفظوه واتعظوا به، وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوداً فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقع موقعه وقد بيَّنه بقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي شديد الصوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ دائم الشؤم أو قويه، وكان يوم

كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت على ما تقدم بيانه في سورة براءة، فيسر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه، فهل من مدكر قارىء يقرأه، وقال أبو بكر الوراق: فهو من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرر في هذه السورة للتنبيه والإفهام، وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الأمم وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين، فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع أي: لو تذكر، وإنما كرر هذه الآية عند كل قصة بقوله: ﴿فهل من مدكر﴾ لأن كل كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم، فاللام من هل للاستعراض، والهاء للاستخراج اهـ.

قوله: (وهيأناه للتذكر) بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فهل من مدّكر﴾ إنكار نفي للمتعظ على أبلغ وجه وأوكده، حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم اهـ أبو السعود.

وتقدم إعراب هذا التركيب.

قوله: ﴿كذبت عاد﴾ الخ لم يتعرض لكيفية تكذيبهم له مسارعة إلى بيان ما نزل بهم من العذاب اهـ أبو السعود.

فإن قيل: لم لم يقل فكذبوا هوداً كما قال في قصة نوح فكذبوا عبدنا؟ أجيب: بأن تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم، وإما لأن قصة عاد ذكرت مختصرة اهـ خطيب.

قوله: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ مرتب على محذوف كما قدره، والغرض بهذا توجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره وتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله، كأنه قيل: كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا فكيف كان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم﴾ الخ استئناف لبيان ما أجمل أولاً اهـ أبو السعود.

وهو معنى قول الشارح وقد بينه الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في يوم نحس﴾ (شؤم) في المصباح: الشؤم الشر، ورجل مشؤوم غير مبارك، وتشاءم القوم به مثل تطيّروا به اهـ.

قوله: (دائم الشؤم) أي: إلى الأبد، فإن الناس يتشاءمون بآخر أربعاء في كل شهر، ويقولون له: أربعاء لا يدور وتشاؤمهم به لا يستلزم شؤمه في نفسه اهـ شهاب.

قال زاده: وتشاؤم بعض الناس بالاربعاء التي تكون آخر الشهر بناء على أنه تعالى قال في حقها:

الأربعاء آخر الشهر ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ

﴿في يوم نحس مستمر﴾ لا وجه له، لأن المراد أنه نجس على المفسدين بمشيئة الله تعالى إذ لم يظهر نحسها في حق هود ومن آمن به، ولا في حق سائر المفسدين، أو المراد أنه نحس على عاد اهـ.

وقال أبو السعود في سورة حم السجدة: وما عذب قوم إلا يوم الاربعاء اهـ.

فعلى هذا يصح أن يراد بكونه مشؤوماً وكونه مستمر النحس أنه مستمر الشر أي: العذاب أي: دائماً ينزل فيه اهـ.

وفي السمين: أي استمر ودام عليهم حتى أهلكهم اهـ.

وعبارة القرطبي: في يوم نحس مستمر أي: دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب إلى الهلاك، وقيل: استمر بهم إلى نار جهنم، وقال الضحاك: كان مراً عليهم، وكذا حكى الكسائي أن قوماً قالوا هو من المرارة يقال: مر الشيء وأمر أي: كان الشيء المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا، والذي يذاق قد يكون مراً، وقد قيل هو من المرة بمعنى القوة أي: في يوم نحس مستمر كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه اهـ.

قوله: (آخر الشهر) أي: في شهر شوال لثمان بقين منه واستمر إلى غروب شمس الأربعاء آخره، وقد قال في سورة الحاقة: ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ [الحاقة: ٧] وفي حم السجدة ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت: ١٦] فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان اهـ خطيب.

فعلى هذا فقوله آخر الشهر أي: آخر الأربعاء في الشهر، وليس المراد أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر كما علمت اهـ.

قوله: ﴿تنزع الناس﴾ قال الناس ليعم ذكورهم وإناثهم فأوقع الظاهر موقع المضمر لذلك، وإلا فالأصل تنزعهم اهـ سمين.

قوله: (تقلعهم) من باب قطع، وقوله: فتدق رقابهم من باب رد اهـ مختار.

قوله: (المندسين فيها) فقد روي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض، فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى اهـ بيضاوي.

قوله: (وحالهم ما ذكر) أي: من قوله وتصرعهم الخ، وهذه الجملة حالية من الضمير في كأنهم وأشار بها إلى أن قوله: كأنهم الخ حال من الناس في قوله: تنزع الناس منتظرة لأن وقت نزعهم وإخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل، وإنما كانوا بعدما حصل لهم ما ذكر اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: كأنهم وحالهم ما ذكر الخ أشار به إلى أن الكاف في محل نصب على الحال من الناس وهي حال مقدرة شبههم بأعجاز النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً وهم جثث عظام طوال والأعجاز الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها، فشبهوا بالنخل لطولها فقد كانت عاد مسرفين في طول القامة، وهذا ما جرى عليه الزجاج، وغيره اهـ.

مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذكّر هنا، وأنّث في الحاقة ﴿نخل خاوية﴾ مراعاة للفواصل في الموضعين ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ جمع نذير بمعنى منذر، أي بالأمور التي أنذرهم بها

قوله: (أصول) ﴿نخل﴾ المراد بأصول النخل النخل بتمامها من أولها إلى آخرها ما عدا الفروع أي: كونهم نخل قد قطعت رؤوسه اهـ شيخنا.

والأعجاز: جمع عجز وعجز كل شيء مؤخره ومنه العجز لأنه يؤدي إلى تأخر الأمور ومنقعر صفة لنخل باعتبار الجنس ولو أتت لاعتبر معنى الجماعة كقوله: خاوية، وإنما ذكر هنا وأنث في الحاقة مراعاة للفواصل في الموضعين، والمنقعر المنقلع من أصله. يقال: قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت، وقعرت البئر وصلت إلى قعرها وقعرت الإناء شربت ما فيه حتى وصلت إلى قعره، وأقعرت البئر أي: جعلت لها قعراً اهـ سمين.

وقعر مثل قلع وزناً ومعنى كما في القاموس.

قوله: (منقلع) تفسير لمنقعر لأنه بمعنى أخرج من القعر وهو الأصل يقال: قعرت النخلة أي: قلعتها من أصلها فانقعرت أي: انقلعت، والمعنى تنزعهم الريح نزعاً بعنف كأنهم أعجاز نخل تقعرهم فينقعرون، وفيه إشارة إلى قوتهم وثباتهم في الأرض بأجسامهم فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح، ثم إن الريح لما صرعتهم وألقتهم على الأرض فكأنها قلعت أعجاز نخل منقعر اهـ زاده.

قوله: (وذكر هنا) أي: حيث قال منقعر ولم يقل منقعرة، وقوله: وأنث في الحاقة أي: حيث قال: ﴿خاوية﴾ ولم يقل خاو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ كرر للتهويل، وقيل: الأول لما حاق بهم في الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما قيل، وما قيل من أن الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي اهـ.

قوله: ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي: بالإنذارات أو المواعظ أو الرسل اهـ بيضاوي.

فالأولى على أن يكون النذر مصدراً كالإنذار، والثاني: على أن يكون جمع نذير بمعنى الإنذار والموعظة، والثالث على أن يكون جمع نذير بمعنى منذر اهـ زاده.

قوله: (التي أنذرهم) أي: خوفهم بها. قوله: (صفتان لبشراً) عبارة السمين: قوله: أبشراً منصوب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم أداة هي بالفعل أولى وما نعت له. وواحداً فيه وجهان، (أظهرهما: أنه نعت لبشراً إلا أنه يشكل عليه تقديم الصفة المؤولة على الصريحة، ويجاب بأن منا حينئذ ليس وصفاً بل حال من واحداً قدم عليه. والثاني: أنه نصب على الحال من هاء نتبعه وهو

نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا﴾ منصوب على الاشتغال ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ صفتان لبشراً ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك، أي لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي إن اتبعناه ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ جنون ﴿أَءُلْقِىَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ متكبر بطر، قال تعالى ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها

مخلص من الإعراب المتقدم، إلا أن المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين أبشر منا واحد نتبعه، فهذا يرجح كون واحداً نعتاً لبشراً لا حالاً اهـ.

قوله: (جنون) أي: فسعر مفرد ونظيره ما تقدم من نكر، ونظيره في كلام العرب ناقة شلل بضمتين أي: شلاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: وسعر يجوز أن يكون مفرداً أي: جنون يقال: ناقة مسعورة أي: كالمجنونة في مسيرها، ويجوز أن يكون جمع سعير وهو النار، والاحتمالان منقولان اهـ.

قوله: ﴿ألقي﴾ أي: أنزل. قوله: (وإدخال ألف بينهما) الخ أي: فالقراءات أربع وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بيننا﴾ حال من الهاء في عليه أي: أخص بالرسالة منفرداً من بيننا، وفينا من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً منه، والاستفهام للإنكار، والأشر صفة مشبهة مثل فرح، وفعله أشر يأشر أشراً من باب طرب اهـ زاده.

وفي المختار: أشر وبطر من باب طرب أو فرح اهـ.

قوله: (قال تعالى الخ) أي: قال لصالح وعداً له ووعيداً لهم، والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده، والمراد بالغد وقت نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا أي: سيعلمون البتة عن قريب، وقيل: المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله: ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ الخ اهـ أبو السعود.

فحينئذ قول الجلال أي: في الآخرة ليس على ما ينبغي اهـ.

قوله: ﴿من الكذاب﴾ من استفهامية معلقة ليعلمون وهي مبتدأ والكذاب خبرها، والجملة سادة مسد المفعولين، والمعنى سيعلمون غداً أي فريق هو الكذاب الأشر أهو هم أم صالح ﷺ.

قوله: ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادىء الموعود به حتماً اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: إنا مرسلو الناقة أي: موجدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أهلنا لذلك وخصصناه من بين الأحجار دلالة على إرسالنا صالحاً عليه السلام مخصصين له من بين قومه، وذلك أنهم قالوا لصالح عليه السلام: نريد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا وتدعو إلهك، فمن

من الهضبة الصخرة كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال، أي اصبر على أذاهم ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة، فيوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨﴾ يحضره القوم يومهم، والناقة يومها، فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قداراً ليقتلها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ به الناقة أي قتلها موافقة لهم

أجابه إلهه علمنا أنه المحق فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا: ادع أنت. فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان فواعدوه بذلك وأكدوا، فكذبوا بعدما كذبوا في أن آلهتهم تجيبهم وصدق هو عليه السلام في كل ما قال، فأخبره ربه سبحانه وتعالى أن يجيبهم إلى إخراجها اهـ.

قوله: (من الهضبة) في القاموس: الهضبة الجبل المنبسط على الأرض ويجمع على هضب وهضاب اهـ.

وفي المصباح: الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض، والهضبة الأكمة القليلة النبات والمطر القوي أيضاً، وجمعها في الكل هضاب مثل كلبة وكلاب اهـ.

قوله: ﴿فتنة لهم﴾ مفعول لأجله، فقول الشارح لنختبرهم تفسير لفتنة ولو قال اختباراً لهم لكان أوضح اهـ.

قوله: (بدل من تاء الافتعال) أي: لتكون موافقة للصاد في الاطباق اهـ كرخي.

قوله: ﴿ونبئهم﴾ أي: أخبرهم إخباراً عظيماً عن أمر عظيم وهو إنا إن بعثناها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع في البئر قطرة يأخذها أحد منهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿أن الماء﴾ وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه، وقوله: قسمة بينهم وحكمة قسمته إما لأن الناقة كانت عظيمة الخلق فتنفر منها حيواناتهم، وإما لأن الماء كان مقسوماً بينهم لكل فريق يوم، فيوم ورود الناقة على هؤلاء لا يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون، فيكون النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الماء روي أنهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها اهـ خطيب.

قوله: ﴿قسمة بينهم﴾ صنيعه يقتضي أن هذا الضمير واقع عليهم فقط، وأن في الكلام محذوفاً قدره بقوله: وبين الناقة. وفي عبارة غيره من المفسرين: أن هذا الضمير واقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب، وفي الخطيب: قسمة بينهم أي: بين قوم صالح والناقة فغلب العاقل عليها اهـ.

فلو قال الشارح: أي بينهم وبين الناقة لكان موافقاً والأمر في ذلك سهل تأمل.

قوله: ﴿فنادوا صاحبهم﴾ معطوف على محذوف قدره بقول فتمادوا على ذلك الخ. وفي زاده: الفاء فاء الفصيحة تفصح أن في الكلام محذوفاً تقديره: فبقوا على ذلك مدة، ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم، فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض: نكمن للناقة حيث تمر إذا

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقع موقعه، وبينه بقوله ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٣٢﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣﴾ أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾ من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير

صدرت عن الماء فتحاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها، وصاح به بقية الرهط أي: نبهوه على صدورها وقربها من مكمنه ودعوه إلى قتلها فتعاطى الخ اهـ.

قوله: ﴿فتعاطى﴾ الخ قال محمد بن إسحاق: كمن لها قدار في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها فرماها فقطعت عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاءة واحدة، ثم نحرها اهـ خطيب.

قوله: (موافقة لهم) غرضه بهذا التوفيق بين هذه الآية وآية الشعراء وهي قوله: ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ [الشعراء: ١٥٧] ومحصله أن الفعل كان منه ونسب للكل في آية الشعراء لأمرهم به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة﴾ أي: صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من عقر الناقة لأنه كان في يوم الثلاثاء، ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كهشيم المحتظر﴾ تشبيه لإهلاكهم وافنائهم، والحظيرة زريبة الغنم ونحوها اهـ شهاب والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره، ومن اتخذ لغنمه حظيرة تقيها من الحر أو البرد يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات اهـ زاده.

وفي المختار: الحظيرة تعمل للإبل من شجر لتقيها البرد والريح، والمحتظر بكسر الظاء الذي يعملها وقرىء كهشيم المحتظر بالفتح فمن كسره جعله الفاعل ومن فتحه جعله المفعول به اهـ.

قوله: (المنذرة) أي: المخوفة لهم.

قوله: ﴿حاصباً﴾ في المختار: الحصباء بالمد الحصى، ومنه المحصب وهو موضع بالحجاز، والحاصب: الريح الشديدة تثير الحصى والحصب بفتحتين ما تحصب به النار أي: ترمى. وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب اهـ.

قوله: (ريحاً ترميهم بالحصباء) إشارة إلى أن الحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وهي الحجارة حذف موصوفة وهو الريح وتذكيره مع كونه مسنداً إلى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تأويل العذاب، قوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة﴾ [الحجر: ٧٤] وكذا قوله: ﴿لنرسل عليهم حجارة﴾ [الذاريات: ٣٣] يدلان على أن الذي أرسل عليهم نفس الحجارة لا الريح التي تحصبها، إلا أنه قيل هنا أرسلنا عليهم حاصباً للدلالة على أن إمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح لها، اهـ زاده.

قوله: (من الإسحار) أشار به إلى أن السحر نكرة لم يرد به سحر يوم معين فانصرف كما قرره اهـ كرخي.

معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف، لأنه معرفة معدول عن السحر، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا، قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس تسمحاً ﴿ نِّعْمَةً ﴾ مصدر أي إنعاماً ﴿ مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝٣٥ ﴾ أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾ خوّفهم لوط ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿ فَتَمَارَوْا ﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿ بِالنُّذُرِ ۝٣٦ ﴾ بإنذاره ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ ﴾ أي أن يخلي بينهم وبين القوم الذين

قوله: (أي وقت الصبح الخ) هذا التفسير بالنظر للمراد هنا الدال عليه قوله: ﴿إن موعدهم الصبح﴾ [هود: ٨١] وإلا فحقيقة السحر آخر الليل والباء بمعنى في، أو هي للملابسة أي حال كونهم ملتبسين بسحر اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: أي وقت الصبح، عبارة غيره: ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار فيكون في مخايل الليل ومخايل النهار اهـ.

قوله: (لأن حقه أن يستعمل في المعرفة) أي: في التعريف أي: في حال إرادة التعريف اهـ.

قوله: (تسمحاً) أي: تساهلاً في التعبير وعدم تحرير العبارة كما أشار له بقوله: وإن كان من الجنس لأن مدار الاتصال والانقطاع على المجانسة وعدمها، فحيث كان المستثنى من جنس المستثنى منه لا يصح التعبير عن الاستثناء بأنه منقطع اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: إلا آل لوط فيه وجهان، أحدهما: أنه متصل ويكون المعنى أنه أرسل الحاصب على الجميع إلا أهله فإنه لم يرسل عليهم. والثاني: أنه منقطع ولا أدري ما وجهه، فإن الانقطاع وعدمه عبارة من عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس إلاَّ، وقال أبو البقاء: هو استثناء منقطع، وقيل: متصل لأن الجميع أرسل عليهم الحاصب فهلكوا إلا آل لوط، وعلى الأول يكون الحاصل لم يرسل على آل لوط، وهو كلام مشكل اهـ.

قوله: (مصدر) أي: مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نجيناهم في المعنى، إذ الإنجاء نعمة أو مفعول له تعليل للعامل المذكور اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: إنعاماً أشار به إلى أن نعمة مصدر بمعنى الانعام كما مرَّ وناصبه إما فعل من لفظه أو من معنى نجيناهم، لأن تنجيتهم إنعام من الله عليهم، ويصح نصبه على المفعول لأجله، فالتأويل إما في المصدر وإما في العامل اهـ.

قوله: (أي مثل ذلك الجزاء) أي الذي هو الانجاء اهـ خطيب.

قوله: (وهو مؤمن) جملة حالية أي وإن لم تضم للإيمان الطاعة، وقوله: أو من آمن معطوف على من شكر عطف تفسير، وغرضه بهذه الإشارة إلى تفسيرين حاصل الأولى أن المراد بمن شكر من شكر النعمة مع أصل الإيمان، والثاني: أن المراد به من ضم إلى الإيمان عمل الطاعات اهـ شيخنا.

قوله: (تجادلوا وكذبوا) إشارة إلى أن تماروا ضمن معنى التكذيب فعدي تعديته اهـ كرخي.

أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ عميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلنا لهم ذوقوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ أي إنذاري وتخويفي أن ثمرته وفائدته ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن

وفي القرطبي: فتماروا بالنذر أي شكوا فيما أخبرهم به الرسول ولم يصدقوه فهو مشتق من المرية اهـ.

قوله: (بإنذاره) حمل النذر هنا على المصدر، ويصح حمله على الجمع أي الأمور التي خوفهم بها لوط اهـ.

قوله: ﴿ولقد راودوه﴾ أي طلبوا منه المرة بعد المرة أن يخلي بينهم وبينهم، وفي القرطبي: ولقد راودوه عن ضيفه أي أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة في صورة الأضياف للفاحشة على ما تقدم، ويقال: راودته على كذا مراودة ورواداً أي أردته اهـ.

وكأنه ضمن معنى البعد حتى عدى بعن، فالمعنى ولقد طلبوا منه أن يبعد عن الأضياف بأن لا يمنعهم عنهم، تأمل.

قوله: (ليخبثوا بهم) في القاموس: الخبث الزنا وخبث بها ككرم اهـ.

وفي المصباح الرجل بالمرأة يخبث من باب قتل زنى بها فهو خبيث وهي خبيثة اهـ.

قوله: (عميناها) صوابه أعميناها إذ عمى الثلاثي لازم والمتعدي إنما هو الرباعي، وعبارة غيره أعميناها اهـ شيخنا.

قوله: (وجعلناها بلا شق) عبارة القرطبي: فطمسنا أعينهم. يروى أن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا، وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب، وقيل: لا بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم. قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل وقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم اهـ.

وفي المختار: الطموس الدروس والانمحاء، وقد طمس الطريق من باب دخل وجلس وطمسه غيره من باب ضرب فهو متعد ولازم، وقوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ [يونس: ٨٨] أي غيرها، كما قيل: من قبل أن نطمس وجوهاً اهـ.

قوله: (فقلنا لهم) أي: على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال اهـ بيضاوي.

والمراد بهذا الأمر الخبر أي أذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط اهـ قرطبي.

قوله: ﴿عذاب مستقر﴾ فقلع جبريل بلادهم فرفعها ثم قلبها، وأمطر الله عليها حجارة وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذي لا يعيش به حيوان اهـ خطيب.

قوله: (دائم متصل بعذاب الآخرة) أي: لا يزول عنهم في الدنيا حتى يسلمهم إلى النار، فإن

﴿مُّدَّكِرٍ ۝٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿ٱلنُّذُرُ ۝٤١﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا بل ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أي التسع التي أوتيها موسى ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي ﴿مُّقْتَدِرٍ ۝٤٢﴾ قادر لا يعجزه شيء ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا ﴿أَمْ لَكُم﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ ۝٤٣﴾ الكتب،

قيل: إذا كان المراد بقوله: عذابي هو العذاب العاجل، وقوله: ونذر هو العذاب الآجل فهما لم يكونا في زمان واحد، فكيف قال ذوقوا؟ فالجواب: أن العذاب الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد، وهو كقوله تعالى: أغرقوا فأدخلوا ناراً، كما أشار إليه الشيخ المصنف اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ كرر ذلك في كل قصة إشعاراً بإن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب، واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلب عليهم السهو والغفلة، وهكذا تكرير الخ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمٰن: ١٣] و ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ [الطور: ١١] ونحوهما اهـ بيضاوي.

وقوله: وهكذا تكرير الخ استطراد لبيان ما يأتي في الرحمن يعني أن تكريره لما في كل جملة قبلها نعمة صريحة أو ضمنية فكرر للتنبيه والإيقاظ، قال علم الهدى في الدرر والغرر: التكرير في سورة الرحمن إنما حسن لأجل التقرير بالنعم المختلفة المعدودة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره: ألم أحسن إليك بالأموال، ألم أحسن إليك بكذا وكذا، فيحسن التكرير لاختلاف ما يقرر به اهـ شهاب.

قوله: (الانذار) أي النذر بمعنى الانذار أو جمع نذير باعتبار الآيات التسع، فإن كل واحدة منها نذير أي إنذار على حدة اهـ كرخي.

قوله: ﴿كذبوا بآياتنا الخ﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر. كأنه قيل: فعلوا حينئذ؟ قيل: كذبوا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (أي التسع) وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اهـ خطيب.

قوله: ﴿أخذ عزيز﴾ مصدر مضاف لفاعله اهـ سمين.

قوله: ﴿خير من أولئكم﴾ أي قوة وشدة. قوله: (من قوم نوح إلى فرعون) وجملتهم خمس فرق، قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، وفرعون وقومه اهـ شيخنا.

قوله: (فلم يعذبوا) عطف على خير المنفي في المعنى متسبب عنه، والمعنى قد أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم في القوة والشدة، فهل تطمعون أن لا يصيبكم من ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوأ حالاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ إضراب وانتقال إلى وجه آخر من التبكيت، وقوله: أم يقولون

والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي ليس الأمر كذلك ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي كفار قريش ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ ﴾ أي جمع ﴿ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ على محمد، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فهزموا ببدر ونصر رسول الله ﷺ عليهم ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي عذابها ﴿ أَدْهَىٰ ﴾ أعظم بلية ﴿ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ نار مسعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ أي في الآخرة ويقال لهم ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ إصابة جهنم لكم

الخ إضراب أيضاً وانتقال إلى وجه آخر من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم، أي: بل يقولون واثقين بشوكتهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿منتصر﴾ (على محمد) ﷺ المعنى نحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر على من عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي، وقيل: معناه نحن كل واحد منا منتصر، كما يقال: كلهم عالم أي كل واحد منهم عالم اهـ خازن.

قوله: ﴿سيهزم الجمع﴾ روي عن عمر رضي الله عنه أنها لما نزلت قال: لم أعلم ما هي أي ما الواقعة التي يكون فيها ذلك، فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: سيهزم الجمع فعلمته أي علمت المراد من هذه الآية اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ويولون الدبر﴾ هو هنا اسم جنس لأن كل واحد يولي دبره وحسن إفراده كونه فاصلة، وقد جاء مجموعاً في قوله تعالى: ﴿ليولن الأدبار﴾ [الحشر: ١٢] وهو الأصل، وقد أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: ليس ما وقع لهم في بدر تمام عقوبتهم، بل الساعة موعد أصل عذابهم وما وقع لهم في بدر من مقدماته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والساعة أدهى﴾ أفعل تفضيل من الداهية وهي الأمر الفظيع الذي لا يهتدى للخلاص منه، وإظهارهم في مقام إضمارهم لزيادة تهويلها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن المجرمين﴾ أي: المشركين اهـ خطيب.

قوله: (نار مسعرة) عبارة البيضاوي: نيران في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿يوم يسحبون﴾ معمول لقول مقدر قدره بقوله: ويقال لهم وكان الأولى أن لا يذكر الواو وعلى ذكرها، فهي داخلة في المعنى على أول الكلام وهو يوم يسحبون، فالمعنى: ويوم يسحبون يقال لهم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (إصابة جهنم لكم) إشارة إلى أن مس سقر مجاز عن إصابتها بعلاقه السببية، والظاهر من تقرير الكشاف أنه من الاستعارة بالكناية اهـ كرخي.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ بتقدير حال من كل أي مقدراً، وقرىء كل

وسقر علم لجهنم مشتق من سقرته الشمس أو النار أي لوحته، ويقال: صقرته بالصاد وهي مبدلة من السين وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث اهـ خطيب.

وقوله: أي لوحته بالحاء المهملة تفعيل من التلويح وهو تغيير الجلد ولونه من ملاقاة حر النار اهـ شهاب.

وقال زكريا: لوحته أي أحمته اهـ.

قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أي العامة على نصب كل على الاشتغال، وقرأ أبو السمال: بالرفع، وقد رجح الناس النصب بل أوجبه بعضهم قال: لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، وذلك أنه إذا رفع كل شيء كان مبتدأ، وخلقناه: صفة لكل أو لشيء، وبقدر خبره، وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله، فيلزم أن يكون هناك شيء ليس مخلوقاً لله تعالى وليس بقدر كذا قرره بعضهم، وقال أبو البقاء: وإنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر، وإنما دل نصب كل على العموم، لأن التقدير إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر، فخلقناه تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء، فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات، ولا يجوز أن يكون خلقناه صفة لشيء، لأن الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصول ولا الموصوف لا تكون تفسيراً لما يعمل فيما قبلهما، فإذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق إلا أنه تأكيد وتفسير للمضمر الناصب وذلك يدل على العموم، وأيضاً فإن النصب هو الاختيار لأن إنا عندهم يطلب الفعل فهو أولى به فالنصب عندهم في كل هو الاختيار، فإذا انضم إليه معنى العموم والخروج عن الإبهام كان النصب أولى من الرفع، وقال قوم: إذ كان الفعل يتوهم فيه الوصف وإن ما بعده يصلح للخبر، وكان المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الأول حتى يتضح أن الفعل ليس بوصف، ومنه هذا الموضع لأن قراءة الرفع تخيل أن الفعل وصف، وأن الخبر بقدر، وبقدر على قراءة النصب متعلق بالفعل الناصب، وفي قراءة الرفع في محل رفع لأنه خبر لكل وكل وخبرها في محل رفع خبر لإن، وسيأتي قريباً عكس هذا من اختيار الرفع في قوله: وكل شيء فعلوه في الزبر فإنه لم يختلف في رفعه، قالوا: لأن نصبه يؤدي إلى فساد المعنى لأن الواقع خلافه، وذلك أنك لو نسبته لكان التقدير فعلوا كل شيء في الزبر، وهو خلاف الواقع، إذ في الزبر أشياء كثيرة جداً لم يفعلوها. وأما قراءة الرفع فتؤدي إلى أن كل شيء فعلوه هو ثابت في الزبر وهو المقصود، ولذلك اتفق على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسائل العربية التي اتفق مجيئها في سورة واحدة في مكانين متقاربين اهـ سمين.

قوله: ﴿خلقناه بقدر﴾ أي قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم في وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه اهـ خطيب.

قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى: أعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عند سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى، وأنكرت القدرية هذا

بالرفع مبتدأ خبره خلقناه ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمرة ﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾

وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى تعالى الله عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً، وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر. قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وقال الخطابي: وقد يظن كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله العبد وقهره على ما قدره، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الأخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها. قال: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، ويقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن، وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم اهـ خازن.

قوله: (وقرىء كل بالرفع) أي قرىء شاذاً.

قوله: ﴿وما أمرنا﴾ المراد به ضد النهي بدليل ذكر متعلقه بقوله: لشيء والشيء هو المأمور بأن يوجد أو يعدم، وقوله: إلا واحدة من الأمر فلا يتكرر الأمر، وقوله: كلمح البصر حال من متعلق الأمر وهو الشيء المأمور بالوجود أي حال كونه يوجد سريعاً بالمرة من الأمر ولا يتراخى عنها، وقوله: في السرعة بيان لوجه الشبه، وقوله: وهي قول كن بيان للمرة من الأمر، وقوله: فيوجد معطوف على كن على حد أن نقول له: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله: ﴿إنما أمره﴾ الخ استدلال على أن الشيء يوجد بمرة واحدة من الأمر، وعلى أنه يوجد عقبها بسرعة اهـ.

قوله: ﴿الا (أمره) ﴿واحدة﴾ أي: مرة من الأمر، وبينّها بقوله وهي قول ﴿كن﴾ أي: وتلك المرة هي هذا الأمر وهي قول كن، وفي الحقيقة ليس هناك إحداث قول، بل المراد التقريب للعقول في سرعة تعلق القدرة بالمقدور على وفق الإرادة الأزلية اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: إلا أمرة أي كلمة واحدة أو إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة اهـ.

وفي الخازن: وما أمرنا إلا واحدة أي وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة ﴿كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] لا مراجعة فيه، فعلى هذا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئاً قال له: كن فكان. فهنا بان الفرق بين الإرادة والقول، فالإرادة قدر والقول قضاء، وقوله: واحدة فيه بيان أنه لا حاجة إلى تكرير القول بل هو إشارة إلى نفاذ الأمر اهـ.

قوله: ﴿كلمح بالبصر﴾ اللمح: النظر بالعجلة، وفي المصباح: لمحه إذا أبصره بنظر خفيف، أي: فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه، فكذلك الأفعال كلها عندنا بل أيسر اهـ خطيب.

في السرعة وهي قول كن فيوجد ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي اذكروا واتعظوا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي العباد مكتوب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ مكتتب في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ أريد به الجنس وقرىء بضم النون والهاء جمعاً، كأسد وأسد، المعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس وقرىء مقاعد، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه ﴿مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى، وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى.

قوله: (أشباهكم في الكفر) اي والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، ولذلك تسبب عنه قوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أي: بما وقع لأشباهكم أنه مثل من مضى بل أضعف اهـ خطيب.

قوله: ﴿في الزبر﴾ جمع زبور وهو الكتاب. قوله: (أريد به الجنس) أي لمناسبة جمع الجنات، وإنما أفرد في اللفظ لموافقة رؤوس الآي اهـ.

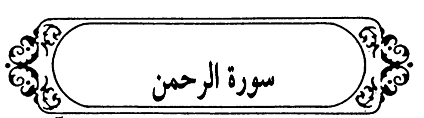
قوله: (وقرىء بضم النون والهاء) أي شاذاً.

قوله: ﴿في مقعد صدق﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته اهـ سمين.

قوله: (وقرىء مقاعد) أي شاذاً. قوله: (وهو صادق ببدل البعض) أي لأن المقعد بعض الجنات، وقوله: وغيره أي بدل الاشتمال لأنها مشتملة عليه والأول أظهر اهـ كرخي.

قوله: ﴿عند مليك﴾ خبر ثالث. قوله: (مثال مبالغة) أي صيغة مبالغة. قوله: (وعند إشارة إلى الرتبة) أي فهي عندية مكانة، وقوله: والقربة أي التقريب المعنوي، فالقربة والرتبة بمعنى واحد، وقوله: من فضله تعالى حال من الرتبة أي حال كونها من فضله تعالى وإحسانه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: أشار بهذا إلى أن عند ليست على بابها من المصاحبة بل هي كناية عن تقريب المكان والرتبة، أي: مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث أبهم على ذوي الأفهام والله أعلم اهـ.



سورة الرحمن

مكية أو إلا ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ الآية فمدنية
وهي ست أو ثمان وسبعون آية

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ أي الجنس ﴿عَلَّمَهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى عروس القرآن اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وعن علي كرم الله وجهه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن» اهـ.

قوله: (الآية) صوابه الآيتين كما صرّح به الكازروني، والآيتان هما: ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩] هذه واحدة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ هذه أخرى اهـ.

وقيل: كلها مدنية كما ذكره البيضاوي والخازن، عن ابن عباس في أحد قوليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الرحمن﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه خبر مبتدأ مضمر أي الله الرحمن. الثاني: أنه مبتدأ وخبره مضمر أي الرحمن ربنا، وهذان الوجهان عند من يرى أن الرحمن آية مع هذا المضمر، فإنهم عدوا الرحمن آية، ولا يتصور ذلك إلا بانضمام خبر أو مخبر عنه إليه إذ الآية لا بد أن تكون مفيدة، وسيأتي ذلك في قوله: ﴿مدهامتان﴾. الثالث: أنه ليس بآية وأنه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدأ خبره علم القرآن اهـ سمين. قيل: لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة: وما الرحمن فأنكروا، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأنزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن، وقيل: هذا جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر فقال تعالى: الرحمن علم القرآن يعني علم محمداً القرآن، وقيل: علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى، وذلك أن الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لأنه أعظم وحي الله إلى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكراً وأحسنه في أبواب الدين أثراً وهو سنام الكتب السماوية المنزل على أفضل البرية اهـ خازن.

قوله: ﴿علّم القرآن﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنها علم المتعدية إلى اثنين أي عرف من التعليم،

﴿ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ النطق ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ يجريان بحساب ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ يخضعان بما يراد منهما ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ أثبت العدل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾ أي لأجل أن لا تجوروا ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ ما يوزن به

فعلى هذا المفعول الأول محذوف، فقيل: تقديره علم جبريل القرآن، وقيل: علم محمداً، وقيل: علم الإنسان وهذا أولى لعمومه، ولأن قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ دال عليه. والثاني: أنها من العلامة فالمعنى جعله علامة وآية يعتبر بها، فإن قيل: لم قدم تعليم القرآن للإنسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود. قيل: لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه اهـ سمين.

قوله: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ هاتان الجملتان خبران أيضاً عن المبتدأ الذي هو الرحمن وأخلاهما من العاطف لمجيئهما على نهج التعداد للنعم اهـ كرخي.

فلشدة الوصل ترك العاطف اهـ سمين.

قوله: (أي الجنس) عبارة الخازن: خلق الإنسان يعني آدم عليه السلام قاله ابن عباس: علّمه البيان يعني اسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية، وقيل: الإنسان اسم جنس وأراد به جمع الناس، فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان، وقيل: علمه الكتاب والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، وقيل: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وقيل: أراد بالإنسان محمداً ﷺ علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لأنه ﷺ ينبىء عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين، وقيل: علمه بيان الأحكام من الحلال والحرام والحدوه والأحكام اهـ.

قوله: ﴿بحسبان﴾ خبر المبتدأ الذي هو الشمس والقمر متعلق بمحذوف هو في الحقيقة الخبر كما قدره اهـ كرخي.

أي: الشمس والقمر يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما يتسق بذلك أمور الكائنات السفلية، وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب اهـ بيضاوي.

ويجوز في حسبان وجهان، أحدهما: أنه مصدر مفرد بمعنى الحساب فيكون كالغفران والكفران. والثاني: أنه جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان اهـ سمين.

قوله: (يخضعان) أي: بطريق الطوع منهما كالسجود من المكلفين طوعاً اهـ بيضاوي.

قوله: (أثبت العدل) أي شرعه وأمر به اهـ كرخي.

قوله: (أي لأجل أن لا تجوروا) أشار به إلى أن أن هي الناصبة، ولا نافية، وتطغوا منصوب بأن وقبلها لام العلة مقدرة قيل لا للنهي، وأن تفسيرية بمعنى أي وتطغوا مجزوم بلا الناهية ورد بأن شرط المفسرة تقدم جملة عليها فيها معنى القول، ووضع الميزان ليس فيه معنى القول، وقد يجاب عنه بتوهم أن وضع الميزان يستدعي كلاماً من الأمر بالعدل فيه فجاءت أن مفسرة بهذا الاعتبار اهـ كرخي.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝﴾ تنقصوا الموزون ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ ۝﴾ للخلق، الإنس والجن وغيرهم ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝﴾ أوعية طلعها ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التبن ﴿وَالرَّيْحَانُ ۝﴾ الورق

قوله: ﴿وأقيموا الوزن﴾ الخ فيه إشارة إلى جواب ما قيل قوله: ﴿ألا تطغوا﴾ مغن من الجملتين المذكورتين بعد، وإيضاحه أن الطغيان فيه أخذ الزائد والاخسار إعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين المذمومين اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وأقيموا الوزن بالقسط أي افعلوه مستقيماً بالعدل، وقال أبو الدرداء: أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل، وقال أبو عبيدة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، وقال مجاهد: القسط العدل بالرومية، وقيل: هو كقوله أقام الصلاة أي أتى بها في وقتها، وأقام الناس أسواقهم أي أتوها لوقتها، أي: لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل، ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن، وهذا كقوله: ولا تنقصوا المكيال والميزان، وقال قتادة في هذه الآية: اعدل يا بن آدم كما تحب أن يعدل لك وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس، وقيل: المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم اهـ.

قوله: (أثبتها) عبارة البيضاوي: خفضها مدحوة اهـ.
قوله: (للأنام) أي لمنافعهم أي لأجل انتفاعهم بها.

قوله: ﴿فيها فاكهة﴾ أي: ما يتفكه به الإنسان من أنواع الثمار، ويجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من الأرض إلا أنها حال مقدرة، والأحسن أن يكون الجار والمجرور هو الحال، وفاكهة رفع بالفاعلية ونكرت لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى اهـ كرخي.

قوله: (أوعية طلعها) عبارة القرطبي: الأكمام جمع كم بالكسر. قال الجوهري: والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النَور، والجمع كمام وأكمة وأكمام وأكاميم أيضاً، والكمام بالكسر والكمامة أيضاً ما يكم به فم البعير لئلا يعض، يقال منه، بعير مكموم أي محجوم وكممت الشيء غطيته، والكم ما ستر شيئاً وغطّاه ومنه كم القميص بالضم والجمع كمام وكمة والكمة القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس، وقال الحسن: ذات الأكمام أي ذات الليف، فإن النخلة قد تكلم بالليف وكمامها ليفها الذي في أعناقها، وقال ابن زيد: ذات الطلع قبل أن يتفتق، وقال عكرمة: ذات الأحمال اهـ.

قوله: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ قرأ ابن عامر: بنصب الثلاثة أي الحب، وذا العصف والريحان بخلق مضمراً أي وخلق الحب وذا العصف والريحان، وقرأ حمزة، والكسائي: برفع الحب وذو عطفاً على فاكهة وجر الريحان عطفاً على العصف، والباقون برفع الثلاثة عطفاً على فاكهة أي: فيها فاكهة وحب ذو عصف وريحان اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذو العصف﴾ يرسم بالواو على قراءة الرفع وبالألف على قراءة النصب وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

أو المشموم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير، لما روى الحاكم عن جابر قال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة

قوله: (التبن) عبارة الخازن: ذو العصف، قال ابن عباس: يعني التبن، وعنه أنه ورق الزرع الأخضر إذا قطعت رؤوسه ويبس، وقيل: هو ورق الزرع، وقيل: العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب اهـ.

قوله: (الورق) وفي نسخة: الرزق وكل صحيح، وعبارة الخطيب: الريحان في الأصل مصدر، ثم أطلق على الرزق في لغة حمير. تقول: خرجت أبتغي ريحان الله أي رزقه اهـ.

وقال في المختار: الريحان نبت معروف وهو الرزق أيضاً، والعصف: ساق الزرع، والريحان: ورقه عند الفراء اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله: للأنام وسينطق به قوله: ﴿أيه الثقلان﴾ والمعنى: فبأي فرد من أفراد النعم تكذبان أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها اهـ أبو السعود وخطيب.

والمراد بالتكذيب الإنكار والآلاء النعم وهو قول جميع المفسرين، واحدها إلي وألى مثل معي وحصى وإلى وألى أربع لغات حكاها النحاس اهـ قرطبي.

قوله: (ذكرت) أي هذه الآيات إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء رفع البلاء وتأخير العذاب، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأولتين أخذاً من قوله ومن دونهما جنتان، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة اهـ من شيخ الإسلام في متشابه القرآن.

وفي الخازن: وكررت هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعاً تقريراً للنعمة وتأكيداً للتذكير بها، ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليه ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع إليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها. ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا، ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا، ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب، وذلك أن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليمه البيان، وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه، ثم خاطب الجن والإنس فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة لأنها كلها منعم بها عليكم اهـ.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: تقرير النعم وتأكيدها في التذكير كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك وهو يكفره وينكره: ألم تكن فقيراً فأغنيك افتنكر هذا إلى آخر ما تقدم اهـ.

الرحمن حتى ختمها، ثم قال: ما لي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فبأي آلاءِ ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا

وصنيع أبي السعود يقتضي أن الاستفهام للتوبيخ والإنكار، ونص عبارته: والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعم وصنوف الآلاء الموجبة للشكر والإيمان حتماً، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد التنكير وتشديد التوبيخ، ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها إما بإنكار كونهم نعمة مع نفسها كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية، وإما بإنكار كونها من الله تعالى مع الاعتراف بكونها نعمة في نفسها كالنعم الدنيوية، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك، فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي: فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلاًّ منها ناطق بالحق شاهد بالصدق اهـ بحروفه.

قوله: (ثم قال مالي أراكم سكوتاً الخ) يؤخذ من هذا أنه يسن لسامع القارىء لهذه السورة أن يجيبه بالجواب المذكور كلما قرأ الآية المذكورة كما فعلت الجن، وأقرهم رسول الله ﷺ على ذلك ولام على الصحابة في سكوتهم، وصرح بالسنية الكازروني في تفسيره اهـ شيخنا.

قوله: (كانوا أحسن منكم رداً) أي: جواباً اهـ.

وقوله: من مرة من زائدة، وقوله: فبأي الخ بدل من هذه الآية.

قوله: (إلاَّ قالوا ولا بشيء من نعمك الخ) هذا يقتضي أن جميع الجمل المذكورة في السورة من النعم، وفيها قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦] وقوله: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [الرحمن: ٣٥] فكيف حسن الإتيان بعدها بلفظ النعم بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾؟ وأجيب: بأن من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العذاب وإبقاء ما هو مخلوق لوقت فنائه نعمة وتأخير العذاب عن العصاة أيضاً نعمة، فلهذا امتن علينا بذلك وبالتسوية في الموت بين الشريف والوضيع اهـ كرخي.

قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ الخ تمهيداً للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين اهـ أبو السعود.

قوله: (إذا نقر) أي: ليختبر هل فيه عيب أو لا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالفخار﴾ أي: في أن كلاًّ منهما يسمع له صوت إذ نقر هذا هو وجه الشبه اهـ شيخنا.

فإن قلت: كيف قال هنا من صلصال كالفخار، وقال في الحجر: ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾ [الحجر: ٢٨ و ٢٦ و ٣٣] من طين أسود متغير، وقال في والصافات: ﴿من طين لازب﴾ [الصافات: ١١] أي: لازم يلصق باليد، وقال في آل عمران: ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾؟ [آل عمران: ٥٩] قلت: هذه الآيات كلها متفقة في المعنى لأنه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً اهـ شيخ الإسلام في متشابه القرآن.

نقر ﴿كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ وهو ما طبخ من الطين ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ هو لهبها الخالص من الدخان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ كذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ ﴿مَرَجَ﴾ أرسل

وفي الخطيب: بعد تقرير الإيراد لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض فعجنه بالماء فصار طيناً، ثم تركه حتى صار حمأ مسنوناً ثم منتناً ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الأواني، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كالخزف الذي إذا نقرته صوت ليعلم هل فيه عيب أولا، فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه، فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم، فمن التراب جسده ونفسه، ومن الماء روحه وعقله، ومن النار مطلب غوايته وحدته، ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه والغالب في جبلته التراب، فلذا نسب إليه وإن كان خلقه من العناصر الأربع، كما أن الجان خلق من العناصر الأربع، لكن الغالب في جبلته النار فنسب إليها كما قال تعالى: ﴿وخلق الجان﴾ الخ اهـ.

قوله: (هو ما طبخ من الطين) أي وكان مجوفاً كالأواني لأن غير المجوف كالآجر ليس له صلصلة.

قوله: (وهو إبليس) وقيل: أبو الجن غير إبليس، وقيل: الجان نفس الجن أي: هذا الجنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من مارج من نار﴾ من الأولى لابتداء الغاية، وفي الثانية وجهان، أحدهما: أنها للبيان. والثاني: أنها للتعيض والمارج قيل: ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهذا ما يشاهد في النار ترى الألـوان الثلاثة مختلطاً بعضها ببعض فيها، وقيل: الخالص، وقيل: الأحمر، وقيل: الحمرة في طرف النار، وقيل: المختلط بسواد، وقيل: اللهب المضطرب، ومن نار نعت لمارج اهـ سمين.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما الناشئة عن مبدئكما ومربيكما تكذبان أي: إنما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿رب المشرقين﴾ العامة على رفعه وفيه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض. الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: هو رب المشرقين أي: ذلك الذي فعل هذه الأشياء. والثالث: أنه بدل من الضمير في خلق الإنسان، وابن أبي عبلة رب بالجر بدلاً أو بياناً لربكما. قال مكي: يجوز في الكلام الخفض على البدل من ربكما وكأنه لم يطلع على أنها قراءة منقولة اهـ سمين.

قوله: (كذلك) أي مغرب الشتاء ومغرب الصيف.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم. تكذبان أي: أيما في ذلك من الفوائد العظيمة التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أو بغير ذلك اهـ خطيب.

قوله: ﴿مرج﴾ (أرسل البحرين) في القرطبي: أي: خلى وأرسل وأهمل. يقال: مرج السلطان

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ في رأي العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾

الناس أي: أهملهم وأصل المرج الإهمال كما تمرج الدابة في المرعى اهـ.

وفي المصباح: المرج أرض ذات نبات ومرعى، والجمع مروج مثل فلس وفلوس، ومرجت الدابة تمرج مرجاً من باب قتل رعت في المرج ومرجتها مرجاً أرسلتها ترعى في المرج يتعدى ولا يتعدى اهـ.

قوله: ﴿يلتقيان﴾ أي: يتماسان على وجه الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين اهـ خطيب.

والجملة حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة، ويجوز أن تكون مقارنة، وبينهما برزخ يجوز أن يكون جملة مستأنفة وأن يكون حالاً، وأن يكون الظرف وحده هو الحال، والبرزخ فاعل به وحسن لقربه من المفرد. وفي صاحب الحال وجهان، أحدهما: هو البحرين. والثاني: هو فاعل يلتقيان. ولا يبغيان حال أخرى كالتي قبلها أي: مرجعهما غير باغيين أو يلتقيان غير باغيين أو بينهما برزخ في حال عدم بغيهما، وهذه الحالة في قوة التعليل إذ المعنى لئلا يبغيا، وقد تمحل بعضهم وقال: أصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف حرف العلة وهو مطرد مع أن وأن ثم حذفت أن أيضاً وهو حذف مطرد كقوله: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ [الروم: ٣٤] فلما حذفت أن ارتفع الفعل، وهذا غير ممنوع إلا أنه يتكرر فيه الحذف، ولك أن تقول قد جاءا حذف أكثر من ذلك فيما هو أوفى من هذا كما تقدم في قاب قوسين، وكما سيأتي قوله: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ [الواقعة: ٨٢] اهـ سمين.

قوله: (من قدرته تعالى) عبارة غيره هو قدرته تعالى اهـ.

قوله: ﴿لا يبغيان﴾ أي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حدّه له خالقه لا في الظاهر ولا في الباطن، حتى أن العذب الداخل في الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح، فمتى حفرت في جنب الملح في بعض الأماكن، وجدت الماء العذب. قال البقاعي: بل كل ما قربت الحفرة من النملح كان الماء الخارج منها أحلى فخطهما الله تعالى في رأي العين وحجز بينهما في غيب القدرة هذا، وهما جمادان لا نطق لهما ولا إدراك، فكيف يبغي بعضكم بعضاً على بعض أيها العقلاء اهـ خطيب.

قوله: (بالبناء للمفعول والفاعل) سبعيتان.

قوله: (الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر لأن المجموع وإن صدق بكل الأفراد ببعضها لكن صدقه على البعض لا بد فيه من تعدد البعض، كقولك: كل رجل يحمل الصخرة العظيمة لأن لفظ المجموع معناه الأفراد المجتمعة أعم من أن تكون جميع أفراد الماهية أو بعضها، وغيره قرر هذا بحذف المضاف فقال: أي من أحدهما اهـ شيخنا.

وفي السمين: قالوا وثم مضاف محذوف أي: من أحدهما لأن تلك لم يؤخذ من البحر العذب، وحذف المضاف كثير شائع، وقيل: هو كقوله: ﴿نسيا حوتهما﴾ [الكهف: ٦١] وإنما الناسي فتاه ويعزى هذا لأبي عبيدة، وقيل: يخرج من أحدهما اللؤلؤ، ومن الآخر المرجان، وقيل: بل يخرجان

خرز أحمر، أو صغار اللؤلؤ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣﴾ ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾

منهما جميعاً، ثم ذكروا تأويلات، منها: أنهما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين وهو قول الجمهور فناسب لذلك إسناده إليهما، ومنها قول ابن عباس: تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس، ومنها أن العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والأنثى اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المالك لكما. تكذبان أي: بكثرة النعم من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها، وإخراج الحلى العجيبة أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿وله الجوار﴾ أي: من حيث وصفها بالجري إذ لا صنع للعبد فيه أو له جريها وسيرها، فهو بمحض قدرته تعالى لا دخل للعبد فيه، وإما من حيث وصفها بالمنشآت فانشاؤها واحداثها بصنع العبد ظاهراً اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: الجوار جمع جارية وهي اسم أو صفة للسفينة وخصها بالذكر لأن جريها في البحر لا صنع لبشر فيه وهم معترفون بذلك، وسميت السفينة جارية لأن شأنها ذلك وإن كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية كما قال تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] وسماها بالفلك قبل أن لم تكن كذلك فقال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود: ٣٧] ثم بعدما عملها سفينة فقال تعالى: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ [العنكبوت: ١٥] قال الرازي: فالفلك أولاً ثم السفينة ثم الجارية اهـ.

والمرأة المملوكة تسمى أيضاً جارية لأنه شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات العالية اهـ بحروفه.

وفي المختار: السفينة فعيلة بمعنى فاعلة كأنها تسفن الماء أي: تقشره اهـ.

والعامة على كسر الراء من الجوار لأنه منقوص على مفاعل، والياء محذوفة لفظاً لالتقاء الساكنين وقرأ عبد الله والحسن، وتروى عن أبي عمرو الجوار برفع الراء تناسباً لمحذوف اهـ سمين.

وقرأ يعقوب الجواري بإثبات الياء في الوقف، وحذفها الباقون اهـ قرطبي.
ولا تثبت في الرسم لأنها من ياءات الزوائد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿المنشآت﴾ قرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين بمعنى أنها تنشىء الريح بجريها أو تنشىء السير إقبالاً وإدباراً، أو التي رفعت شراعها أي: قلوعها، والشراع بكسر الشين القلع، والجمع شرع بضمتين ككتب، وعن مجاهد: كل ما رفعت قلعها فهي من المنشآت وإلاَّ فليست منها ونسبة الرفع إليها مجاز كما يقال: أنشأت السحابة المطر، والباقون وبالفتح وهو اسم مفعول أي: أنشأها الله والناس أو رفعوا شراعها، وقرأ ابن أبي عبلة بتشديد الشين مبالغة، وفي البحر متعلق بالجوار ورسمه بالياء بعد الشين في مصاحف العراق يقوي قراءة الكسر، ورسمه بدونها يقوي قراءة الفتح وحذفوا الألف كما تحذف في سائر جمع المؤنث السالم وكالأعلام حال إما من الضمير المستكن في المنشآت، وإما من

المحدثات ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ كالجبال عظماً وارتفاعاً ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي الأرض من الحيوان ﴿فَانٖ ﴿٢٦﴾﴾ هالك، وعبر بمن تغليباً للعقلاء ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ذاته ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾ العظمة ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ للمؤمنين بأنعمه عليهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن

الجوار وكلاهما بمعنى واحد، والأعلام الجبال جمع علم اهـ سمين.

قوله: (المحدثات) أي: المصنوعات.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما تكذبان أي: أبتلك النعم من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر وأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره تعالى أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ إلى قوله: ﴿يطوفون بينهما وبين حميم آن﴾ إن قيل هذه الأمور ليست نعماً، فكيف قال عقب كل منها فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أجيب بوجهين، أحدهما أن ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من أعظم المنن اهـ خطيب.

وعبارة الخازن في تقرير الجواب: قلت في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعم من الله لأنها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعماً فحسن ختم كل منها بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان، انتهت.

قوله: (أي الأرض) على هذا التفسير لا يحتاج لتخصيص الآية بغير الجنة والنار والحور والولدان والحجب والعرش والأرواح اهـ شيخنا.

وقوله: من الحيوان أي: وغيره. قوله: (هالك) أي: بالفعل.

قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ في وصفه بالبقاء بعد ذكر فناء الخلق إيذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم آثار لطفه وكرمه حسبما ينبيء عنه قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فإن إحياءهم بالحياة الأبدية وإثابتهم بالنعيم المقيم من أجل النعم وأعظم الآلاء اهـ أبو السعود.

فإن قيل: كيف خاطب الاثنين في قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان، وخاطب هنا الواحد فقال: ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما؟ وأجيب: بأن الإشارة ههنا وقعت إلى كل أحد، فقال: ويبقى وجه ربك أيها السامع ليعلم كل أحد أن غيره فان، فلو قال: ويبقى وجه ربكما لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء، فإن قيل: فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان أدل على فناء الكل. أجيب: بأن كاف الخطاب في الرب إشارة إلى اللطف، والإبقاء إشارة إلى القهر، والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم، فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذو الجلال﴾ العامة ذو بالواو صفة للوجه، وأبي وعبد الله ذي بالياء صفة لرب، فقراءة الياء هنا شاذة، وسيأتي خلاف بين السبعة في آخر السورة إن شاء الله اهـ سمين.

فقراءة الياء هناك سبعية. قوله: (بأنعمه) في نسخة بانعامه.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المربي لكما على هذا الوجه. تكذبان أبتلك النعم من بقاء

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوۡمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾

الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم أو بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿يسأله من في السموات﴾ الخ فيه وجهان، أحدهما: أنه مستأنف. والثاني: أنه حال من وجه والعامل فيه يبقى أي: يبقى مسؤولاً من أهل السموات والأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿من في السموات والأرض﴾ أي: لأنهم مفتقرون في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم، والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء نطقاً أو غيره اهـ بيضاوي.

قال ابن عباس: وأبو صالح: أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق وأهل الأرض يسألونهما جميعاً، وقال ابن جريج: تسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض، فكانت المسألتان جميعاً من أهل السماء وأهل الأرض لأهل الأرض. قال القرطبي: وفي الحديث أن من الملائكة ملكاً له أربعة أوجه. وجه كوجه الإنسان يسأل الله تعالى الرزق لبني آدم، ووجه كوجه الأسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع، ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم، ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير اهـ خازن.

قوله: (ينطق) أي: بلسان المقال، وقوله: أو حال أي: بلسان الحال اهـ شيخنا.

والسؤال بلسان الحال معناه الذل والفاقة والاحتياج، فمن كان بتلك الأحوال فكأنه يصرح بالنطق بالمقال.

قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ كل منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر اهـ خطيب.

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان، أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر مدة الآخرة، وشأنه في يوم الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وغير ذلك، وشأنه في يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك، وقيل: شأنه تعالى أنه يخرج في كل يوم ثلاثة عساكر، عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعاً إليه تعالى اهـ خازن.

وفي الحديث: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»، وهذا رد لقول اليهود: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿في شأن﴾ لعل في للملابسة أي، ملتبس بشأن ملابسة الموصوف لصفته إذ الشأن فسره الشارح بالصفات الفعلية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المدبر لكما هذا التدبير العظيم. تكذبان أبتلك النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ الإنس والجن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرجوا ﴿مِنۡ أَقۡطَارِ﴾ نواحي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ﴾ أمر

قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ قال القرطبي: يقال فرغت من الشغل أفرغ وفروغاً وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي: بذلته، والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه وإنما المعنى سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد فهو كقول القائل لمن يريد تهديده إذاً أتفرغ لك أي: أقصدك اهـ خطيب.

وعبارة الكرخي: قوله: سنقصد لحسابكم جواب عما يقال: كيف؟ قال: سنفرغ لكم والله تعالى لا يشغله شيء. وإيضاحه؛ كما قال الزجاج إن الفراغ في اللغة على ضربين، أحدهما الفراغ من الشغل والآخر القصد للشيء والإقبال عليه كما هنا وهو تهديد ووعيد تقول: قد فرغت مما كنت فيه أي: قد زال شغلي به، وتقول سأفرغ لفلان أي: سأجعله قصدي فهو على سبيل التمثيل شبه تدبيره تعالى أمر الآخرة من الأخذ في الجزاء، وإيصال الثواب والعقاب إلى المكلفين بعد تدبيره تعالى لأمر الدنيا بالأمر والنهي والإماتة والإحياء والمنع والإعطاء، وأنه لا يشغله شأن عن شأن بحال من إذا كان في شغل يشغل. عن شغل آخر إذا فرغ من ذلك الشغل شرع في آخر، وقد ألم به صاحب المفتاح حيث قال: الفراغ الخلاص عن المهام والله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن وقع مستعاراً للأخذ في الجزاء وحده، وهو المراد من قول صاحب الكشاف، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل، انتهت.

قوله: ﴿أيه الثقلان﴾ تثنية ثقل بفتحتين فعل بمعنى مفعل لأنهما أثقلا الأرض أو بمعنى مفعول لأنهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف اهـ شيخنا.

وترسم أيه بغير ألف، وأما في النطق فقرأ أبو عمرو والكسائي أيها بالألف في الوقف، ووقف الباقون على الرسم أيه بتسكين الهاء، وفي الوصل قرأ ابن عامر أيه برفع الهاء، والباقون بنصبها اهـ خطيب.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المحسن إليكما بهذا الصنع المحكم. تكذبان أبتلك النعم من إثابته أهل طاعته وعقوبته أهل معصيته أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس الخ﴾ هذا الخطاب يقال لهما قيل في الآخرة، وقيل: في الدنيا ويرجح كونه في الآخرة قوله: يرسل عليكما الخ. فإن هذا الإرسال إنما هو القيامة كما سيأتي، وكذا قوله: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ [الرحمن: ٣٧] الخ. وعبارة الخازن: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا﴾ تخرجوا ﴿من أقطار السموات والأرض﴾ أي: جوانبها وأطرافها ﴿فانفذوا﴾ أي: فاخرجوا، والمعنى إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة، والمعنى إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا، وقيل: معناه إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ﴿ولا تنفذون إلا بسلطان﴾ يعني لا تقدرون على النفوذ إلا بقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك حيثما توجهتم كنتم في ملكي

تعجيز ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ بقوّة ولا قوّة لكم على ذلك ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي دخان لا لهب فيه ﴿فَلَا

وسلطاني، وقال ابن عباس: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه ولا تعلموه إلا بسلطان أي: بينة من الله تعالى اهـ.

وفي القرطبي: يا معشر الجن والإنس الآية ذكر ابن المبارك: وأخبرنا جويبر عن الضحاك قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا تنشق بأهلها فتكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيع الأعلى، فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فلذلك قوله تعالى: **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾** والسلطان القدرة، وقال الضحاك أيضاً: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة وهرب الإنس والجن فتحدق بهم الملائكة، فلذلك قوله تعالى: **﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾** ذكره النحاس. قلت: فعلى هذا يكون في الدنيا، وعلى ما ذكره ابن المبارك يكون في الآخرة. وعن الضحاك أيضاً: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا، وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان أي: ببينة من الله، وعنه أيضاً: أن معنى لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ذلك، وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطاني، فالباء بمعنى إلي كقوله تعالى: **﴿وقد أحسن بي﴾** [يوسف: ١٠٠] أي: إلي اهـ.

والمعشر: الجماعة. وفي القاموس: المعشر كمسكن الجماعة وأهل الرجل والجن والإنس اهـ.

فإن قيل: ما الحكمة في تقديم الجن على الإنس ههنا، وتقديم الإنس على الجن في قوله: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾** [الإسراء: ٨٨] أجيب: بأن النفوذ من أقطار السموات والأرض بالجن أن أليق إن أمكن، والإتيان بمثل القرآن بالإنس أليق إن أمكن، فقدم في كل موضع ما يناسبه، فإن قيل: لم جمع الضمير هنا وثنى في قوله: **﴿يرسل عليكما﴾**؟ قلت: جمع هنا نظراً إلى معنى الثقلين لأن كلاً منهما تحته أفراد كثيرة، وثنى في ذاك نظراً إلى اللفظ ولم يتعرض المصنف لهذا طلباً للاختصار اهـ كرخي.

قوله: (تخرجوا) أي: هرباً منه تعالى ومن قضائه. **قوله: (أمر تعجيز)** والنفوذ الخروج بسرعة، وقد تقدم في أول البقرة أن ما فاءه نون وعينه فاء يدل على الخروج كنفذ ونفروا **﴿إلا بسلطان﴾** حال أو متعلق بالفعل قبله اهـ سمين.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي: من التنبيه والتحذير والمساهلة في الحساب والعفو مع كمال القدرة على العقوبة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿شواظ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد اهـ سمين.

﴿تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾ تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي مثلها محمرّة ﴿كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾

وقوله: ونحاس يقرأ بالرفع عطفاً على شواظ، وبالجر عطفاً على نار سبعيتان، لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ وإمالة نار، فمن قرأ بجر نحاس بدون أحد الأمرين فقد وقع في التلفيق، لأن هذا الوجه لم يقرأ به أحد، وقوله: أي دخان الخ هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجر، لأنه عليها ينحل المعنى هكذا يرسل عليكما شواظ أي: لهب من نحاس أي: دخان لا لهب فيه وهذا لا يصح. وغاية ما قالوا في تفسير النحاس معنيان، أحدهما ما ذكره الشارح، والآخر النحاس المعروف فيذاب ويصب على رؤوسهم ولا شيء منهما يناسب هنا على تفسير الشارح الشواظ بما ذكره اهـ شيخنا.

وفي السمين: والشواظ قيل: اللهب معه دخان، وقيل: بل هو اللهب الخالص، وقيل: اللهب الأحمر، وقيل: هو الدخان الخارج من اللهب، قوله: ﴿ونحاس﴾ قيل: هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويعذبهم به، وقيل: الدخان الذي لا لهب معه. قال الخليل: وهو معروف في كلام العرب بهذا المعنى اهـ.

وفي القرطبي: وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، ومجاهد، وأبو عمرو ﴿ونحاس﴾ بالخفض عطفاً على النار. قال المهدوي: من قال إن الشواظ النار والدخان جميعاً فالجر في نحاس على هذا تبيين، فأما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ إلا على تقدير حذف موصوف، فكأنه قال: يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ، ومن نحاس جار ومجرور صفة لشيء وحذفت من لتقدم ذكرها من نار فيكون نحاس على هذا مجروراً بمن المحذوفة اهـ.

قوله: (من ذلك) أي: المذكور من الشواظ والنحاس، وقوله: بل يسوقكم أي: المذكورة منهما، وقال سعيد بن جبير، وابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم بشواظ إلى المحشر اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المدبر لكما هذا التدبير المتقن. تكذبان أبتلك النعم، فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار مندرج في عداد الآلاء أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (لنزول الملائكة) أي لتحيط بالعلم من سائر جهات الأرض لئلا يهرب بعضهم من الحشر كما تقدم إيضاحه اهـ.

قوله: (أي مثلها محمرة) عبارة غيره: محمرة مثلها وهي أظهر كما لا يخفى.

قوله: ﴿كالدهان﴾ يجوز أن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون نعتاً لوردة، وأن يكون حالاً من اسم كانت وفي الدهانِ قولان، أحدهما: أنه جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وهو في معنى قوله:

كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها، وجواب إذا فما أعظم الهول ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجن، والإنس فيهما بمعنى الإنسي ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ [المعارج: ٨] وهو دردي الزيت. والثاني: أنه اسم مفرد فقال الزمخشري: اسم لما يدهن به كالحزام والأدام، وقال غيره: هو الأديم الأحمر اهـ سمين.

قوله: (على خلاف العهد بها) أي: على خلاف لونها الذي نراه ونعهده وهو الزرقة والحمرة التي ظهرت فيها في ذلك الوقت هي لونها الأصلي، فلونها الخلقي هو الحمرة دائماً، وإنما نشاهدها زرقاء بسبب اعتراض الهواء بيننا وبينها كما يرى الدم في العروق أزرق ولا هواء هناك يمنع من اللون الأصلي اهـ كرخي وعمادي وكازروني.

وفي القرطبي: وقال قتادة: إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر حكاه الثعلبي، وقال الماوردي: وزعم المتقدمون أن أصل السماء الحمرة وأنها لكثرة الحواجز وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق وشبهوا ذلك بعروق البدن وهي حمراء بحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء، وإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها والله أعلم اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم. ﴿ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم أم بغيرها مما يكون في ذلك اهـ خطيب.

قوله: ﴿فيومئذ لا يسأل﴾ التنوين عوض عن الجملة أي: فيوم إذا انشقت السماء، والفاء في يومئذ جواب الشرط، وقيل: هو محذوف أي فإذا انشقت السماء رأيت أمراً مهولاً والهاء في ذنبه تعود على أحد المذكورين، وضمير الآخر مقدر أي ولا يسأل عن ذنبه جان أيضاً وناصب الظرف لا يسأل ولا غير مانعة اهـ سمين.

وإلى هذا أشار الشارح بقوله ﴿ولا جان﴾ عن ذنبه فحذف الجار والمجرور من الثاني لدلالة الأول عليه اهـ شيخنا.

قوله: (ويسألون في وقت آخر) أشار بهذا إلى الجمع بين هذه الآية والآية التي ذكرها، وإيضاحه أنهم لا يسألون حين يخرجون من القبور ويسألون حين يحشرون ويجتمعون في الموقف اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: فيومئذ أي: فيوم تتشقق السماء لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، لأنهم يعرفون بسيماهم، وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم، وأما قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ ونحوه فحين يحاسبون في المجمع اهـ.

قوله: (والجان هنا وفيما سيأتي الخ) الجان والإنس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجي، وحينئذ فلا حاجة إلى ما ذكره الشارح بل ابقاء الجنسين بحالهما، صحيح، وكأن الحامل له على ما ذكر أن السؤال إنما يقع للإفراد، وكذا يقال فيما يأتي اهـ كرخي.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما مع كثرة منافعها ﴿تكذبان﴾ فإن الإخبار بما ذكر مما يزجركم

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ أي تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار، ويقال لهم ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص كقاض

عن الشر المؤدي إليه، وأما ما قيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بالنواصي﴾ نائب الفاعل اهـ أبو السعود.

ويؤخذ متعد مع ذلك تعدى بالياء لأنه ضمن معنى يسحب قاله أبو حيان، ويسحب إنما يتعدى بعلى قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ [القمر: ٤٨] فكان ينبغي أن يقال ضمن معنى يدفع أي يدفعون، وقال مكي: إنما يقال أخذت الناصية وأخذت بالناصية، ولو قلت: أخذت الدابة بالناصية لم يجز، وحكي عن العرب أخذت الخطام وأخذت بالخطام بمعنى اهـ كرخي.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المنعم عليكما الذي دبر مصالحكما بعد أن أوجدكما. ﴿تكذبان﴾ أبتلك النعم أم بغيرها مما وعد أن يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا أو غير ذلك من الفضل اهـ خطيب.

قوله: (أي تضم ناصية كل واحد الخ) كان الأولى ذكر هذا قبل قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ كما لا يخفى اهـ قاري.

قوله: (من خلف) فحينئذ يكسر ظهره كما يكسر الحطب اهـ من الخطيب.

وفي القرطبي: فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي تأخذ الملائكة بنواصيهم أي بشعورهم من مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار، والنواصي جمع ناصية، وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره، وعنه: يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار، وقيل: يفعل ذلك به ليكون أشد لعذابه وأكثر لتشويهه، وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه، وتارة تأخذه بقدميه وتسحبه على رأسه اهـ.

قوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم﴾ أي: يترددون ويسعون بينها وبين حميم فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم إلى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رؤوسهم، فإذا استغاثوا منه يسعى بهم إلى النار وهكذا. وفي القرطبي: قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم، والجحيم النار والحميم الشراب، وقال كعب: أن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار فذلك قوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ اهـ.

قوله: (وهو منقوص كقاض) يقال: أنى يأني كقضى يقضي فهو آن كقاض اهـ سمين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي لكل منهم أو لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿ذَوَاتَآ﴾ تثنية ذوات على

وفي المختار: أنى يأني كرمى يرمي إنى بالكسر حان وأنى أيضاً أدرك. قال الله عز وجل: ﴿غير ناظرين اناه﴾ [الأحزاب: ٥٣] وأنى الحر أي انتهى حره. قال تعالى: ﴿وبين حميم آن﴾ اهـ.

قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ أي لكل خائفين من الفريقين جنتان: جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني، أو المعنى لكل خائف جنتان جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه، أو المراد بالجنتين جنة واحدة، وإنما ثني مراعاة للفواصل اهـ شيخ الإسلام في متشابه القرآن.

قوله: (أي لكل منهم) أي لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان، وقوله: أو لمجموعهم أي أن الكلام على سبيل التوزيع، فإحدى الجنتين للخائف الأنسي والأخرى للخائف الجني فكل خائف ليس له إلا جنة واحدة، والأول هـو المعتمد اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وروي عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور وليس منهما شيء إلا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت» ذكره المهدوي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة. وقيل: إن الجنتين جنته التي خلقت له، وجنة ورثها، وقيل: إحدى الجنتين منزلة والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا، وقيل: إن إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه، وقيل: إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها، وقال مقاتل: هما جنة عدن وجنة النعيم، وقال الفراء: إنما هي جنة واحدة فثنى لرؤوس الآي، وقيل كانتا اثنتين ليتضاعف له السرور بالنقل من جهة إلى جهة اهـ.

قوله: (قيامه بين يديه) أشار بهذا إلى أن المقام مصدر ميمي بمعنى القيام أي الوقوف، والإضافة من حيث إن فعل الوقوف يقع بين يديه، وقوله فترك معصيته أشار به إلى سبب استحقاق الجنتين في نفس الأمر وهو أنه ليس مجرد الخوف، بل الخوف الناشىء عنه ترك المعاصي اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه تعالى على أحوالهم من قام عليه إذا راقبه أو قيام الخائف عند ربه للحساب اهـ.

ومحصله احتمالات ثلاثة في تفسير المقام، أولهما: أنه اسم مكان. والثاني: أنه مصدر تحته احتمالان إما بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق، أو بمعنى قيام الخلائق بين يديه تعالى. وفي القرطبي: والمعنى خاف قيامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية فمقام مصدر بمعنى القيام، وقيل: خاف قيام ربه عليه أي إشرافه واطلاعه عليه بيانه قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣] وقال مجاهد، وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها خوفاً منه اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ﴿ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم أم بغيرها من نعمه التي لا تحصى اهـ خطيب.

الأصل، ولامها ياء ﴿أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ أغصان جمع فنن كطلل ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو كل ما يتفكه به

قوله: ﴿ذواتاً أفنان﴾ صفة لجنتان أو خبر مبتدأ محذوف أي هما ذواتاً، وفي تثنية ذات لغتان الرد إلى الأصل، فإن الأصل ذوية فالعين واو واللام ياء لأنها مؤنثة ذوي، والثانية التثنية على اللفظ، فيقال: ذاتان اهـ سمين.

فقول الشارح: تثنية ذوات أي الذي هو مفرد لا جمع كما قد يتوهم، وقوله على الأصل أي أصل ذات أي الفصيح في تثنيتها أي: تثنى بحسب أصلها كما في الآية، وقد تثنى على لفظها، فيقال: ذاتان، وقوله: ولامها أي لام ذوات التي هي أصل ذات ياء أي وعينها واو وفاؤها ذال، وذلك لأن أصلها ذي تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار ذوا كفتى، فهذه الألف لام الكلمة، وإنما قلبت الياء ألفاً دون الواو، مع أن كلاً منهما متحرك وما قبله منفتح لأنها طرف والطرف محل التغيير، وإنما لم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء، فيقال: ذويتان كما يقال فتيان، لأنه لما زيدت التاء في هذا اللفظ تحصنت الألف في الرد إلى الياء اهـ كرخي.

قوله: (على الأصل) أي من رد المحذوف وهو هنا عين الكلمة وقوله: ولامها أي التي هي الآن ألف ياء أي في الأصل اهـ شيخنا.

قوله: (أغصان) وهي الدقيقة التي تتفرع من فروع الشجر وخصت بالذكر لأنها تورق وتثمر وتمد الظل اهـ بيضاوي.

وقوله: وخصت أي الأفنان مع أنها ذوات أوراق وثمار إلى غير ذلك مما في الأشجار، لأن في ذكرها ذكر الأوراق والثمار والظلال المقصودة بالذات على طريق أحصر وأبلغ لأنه كناية كما في شروح الكشاف اهـ شهاب.

قوله: (جمع فنن) هذا أحد قولين، والثاني عن ابن عباس أنه جمع فن كدن والفن النوع والمعنى ذواتاً أنواع وأشكال من الثمار اهـ سمين.

وفي المصباح: الدن كسهم اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ﴿ربكما تكذبان﴾ أبتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل له من أمثاله ما تعتبرون به أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿فيهما﴾ أي في كل واحدة منهما عينان تجريان. قيل: أحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل، وقيل: إحدهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين. قال أبو بكر الوراق: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل، فتجريان في كل مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها وإن زاد علوها اهـ خازن.

وفي القرطبي: وعن ابن عباس عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة حصاهما الياقوت الأحمر

﴿زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ نوعان رطب ويابس، والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال عامله محذوف، أي يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ قريب يناله القائم

والزبرجد الأخضر، وترابهما الكافور وحمأتها المسك الأذفر وحافتاهما الزعفران اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما تكذبان أبتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا أمثالاً كثيرة أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (في الدنيا) أي ما هو فاكهة في الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل، وقوله: أي كل ما يتفكه به أي في الآخرة وإن كان ليس فاكهة في الدنيا، فالفاكهة على هذا تشمل الحنظلي ونحوه، وقوله: والمر منهما الخ مبني على الثاني، رطب ويابس يتأمل هذا في نحو القثاء والبطيخ ما المراد برطبهما ويابسهما اهـ شيخنا.

وبعضهم فسرّ الزوجين بالمعروف وغير المعروف اهـ.

وفي القرطبي: فيهما من كل فاكهة زوجان أي صنفان وكلاهما حلو يستلذ به. قال ابن عباس: ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو، وقيل: ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذاك في الفضل والطيب، وقيل: أراد تفضيل هاتين الجنتين اللتين دونهما فإنه ذكر ههنا عينين جاريتين، وذكر ثم عينين ينضخان بالماء والنضخ دون الجري فكأنه قال في تلك الجنتين: من كل فاكهة نوع وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما: الذي ادخرها لكما، تكذبان: أبتلك النعم أم بغيرها مما فرضه إليكم من سائر النعم التي لا تحصى اهـ خطيب.

قوله: ﴿متكئين﴾ أي مضطجعين أم متربعين اهـ كرخي.

وفي القاموس: توكأ عليه تحامل واعتمد واتكأ جعل له متكئاً، وقوله ﷺ: «أما أنا فلا آكل متكئاً» أي: جالساً جلوس المتمكن المترفع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً مقعياً غير متربع ولا متمكن»، وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة اهـ.

قوله: (أي يتنعمون) والضمير في يتنعمون عائد على من في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ [الرحمن: ٤٦]. وفي البيضاوي: ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لأنه من خاف في معنى الجمع اهـ.

قوله: ﴿بطائنها من استبرق﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة والظاهر أنها صفة لفرش اهـ كرخي.

قوله: (من السندس) وهو ما رق من الديباج.

قوله: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ مبتدأ وخبره دان أصله دانو مثل غاز فأعل أعلاله، وجنى فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض اهـ سمين.

والقاعد والمضطجع ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يفتضهنَّ وهنَّ من الحور، أو من نساء الدنيا المنشآت ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنبها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعاً، وقال قتادة: لا يرد يده بعده ولا شوك. وقال الرازي: جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه، أحدها: أن الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة عن الإنسان المتكىء وفي الجنة يتكىء والثمرة تتدلى إليه. وثانيها: أن الإنسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة ويتحرك إليها، وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه، وثالثها: أن الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها، وثمار الجنة كلها تدنو إليه في وقت واحد ومكان واحد اهـ خطيب.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما تكذبان أبقدرته على عطف الأغصان الثمار أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (في الجنتين وما اشتملتا عليه الخ) أشار بهذا إلى أن الضمير راجع إلى الجنتين ومنازلهما أو يعود على الجنات الدال عليهن جنتان لأن كل فرد من الخائفين له جنتان فصح أنها جنات كثيرة، وقيل: يعود على الفراش لقربها وتكون في بمعنى على اهـ كرخي.

قوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ قال ابن زيد: تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك اهـ خطيب.

وفي السمين: وقاصرات الطرف من إضافة اسم الفاعل لمنصوبة تخفيفاً إذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به أي: على أزواجهن كما تقدم تقديره، وقيل: المعنى قاصرات لطرف غيرهن عليهن أي: أزواجهن لا يتجاوز طرفهم إلى غيرهم اهـ.

قوله: ﴿لم يطمثهن﴾ الخ هذه الجملة يجوز أن تكون نعتاً لقاصرات لأن إضافتها لفظية كقوله: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] وأن تكون حالاً لتخصيص النكرة بالإضافة اهـ سمين.

وفي المصباح: طمث الرجل امرأته من بابي شرب وقتل افتضها، ولا يكون الطمث نكاحاً إلا بالتدمية، وعليه قوله تعالى: ﴿لم يطمثهن﴾ اهـ.

وفي السمين: وأصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم، وقيل: الطمث دم الحيض أو دم الجماع، وقيل: الطمث المس الخالص اهـ.

وفي البيضاوي: وقرأ الكسائي بضم الميم اهـ.

وقول السمين: ثم اطلق على كل جماع وهذا هو المراد هنا. وفي القرطبي: لم يطمثهن أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد اهـ.

قوله: (وهن من الحور) أي: يكن للإنس والجن فيكن قسمين: إنسيات للإنس وجنيات للجن،

تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ صفاء ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ أي اللؤلؤ بياضاً ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾

وعبارة الخطيب: قال ضمرة بن حبيب: للمؤمنين أزواج من الحور فالإنسيات للإنس والجنيات للجن اهـ.

قوله: (أو من نساء الدنيا المنشآت) أي المخلوقات ابتداء من غير توسط ولادة خلقاً يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية وانتفاء سمات النقص اهـ مناوي على الشمائل.

وفي الكرخي: قوله: أو من نساء الدنيا المنشآت بمعنى لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس، ولم يطمث الجنيات منهن أحد من الجن، وهذا دليل على أن الجن يطمثون أزواجهم فإن قمام الامتنان يقتضي ذلك إذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان، ويشير بذلك إلى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب لهم، وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم تراباً ووجهه أن الخطاب في قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان الجن والإنس للامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف وأخرى بمقصورات في الخيام وبكونهن لم يطمثهن إنس ولا جان، فالواجب أن يرد كل لما يناسبه اهـ.

قوله: ﴿إنس قبلهم﴾ أي: قبل الأزواج الإنسيين والجنيين، أي: أن كل واحد من أفراد النوعين يجد زوجاته في الجنة اللاتي كن في الدنيا أبكاراً وإن كن في الدنيا ثيبات فلم يسبقه غيره على زوجته حتى يجيء هو فيجدها ثيباً، والزوج الإنسي زوجاته إنسيات والجني زوجاته جنيات، وهذا على مذهب الجمهور من أن الجن يدخلون الجنة ويتنعمون كالإنس، وقال أبو حنيفة: إن جزاءهم على طاعاتهم عدم دخول النار فبعد حضورهم الموقف في القيامة يصيرون تراباً كالبهائم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما تكذبان أي بأي نوع من أنواع هذا الإحسان اهـ خطيب.

قوله: ﴿كأنهن الياقوت﴾ الخ هذه الجملة يجوز أن تكون نعتاً لقاصرات، وأن تكون حالاً منها ولم يذكر مكي غيره، والياقوت جوهر نفيس يقال أن النار لم تؤثر فيه اهـ سمين.

ومن المعلوم أن الياقوت أحمر اللون فهذا التشبيه يقتضي أن لون أهل الجنة البياض المشرب بحمرة فينافي المقرر المعلوم من أنه البياض المشرب بصفرة، وأشار الشارح إلى جواب هذا بأن التشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة، وهذا لا ينافي أنه البياض المشرب بصفرة اهـ.

لكن الذي في الخازن نصه: والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً اهـ.

فعلى هذا يطلق المرجان على الأحمر والأبيض، والمراد به هنا الأبيض اهـ.

وفي القرطبي: روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حتى يرى مخها». وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ فأما الياقوت، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته» ويروى موقوفاً.
وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وقال الحسن: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما تكذبان أبما جعله مثالاً لما ذكر من وصفهن أم بغيره اهـ خطيب.

﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ بالنعيم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾ ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أيضاً لمن خاف مقام ربه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ سوداوان من شدة خضرتهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ فوّارتان بالماء لا ينقطعان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ

قوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ هل ترد في الكلام على أربعة أوجه، تكون بمعنى قد كقوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ وبمعنى الاستفهام كقوله: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ [الأعراف: ٤٤] وبمعنى الأمر كقوله: ﴿فهل أنتم منتهـون﴾ [المائدة: ٩١] وبمعنى الجحد كقوله: ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ﴾ [النحل: ٣٥] ﴿وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أبشيء من هذه النعم الجزيلة أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ مبتدأ وخبر. قوله: المذكورتين أي بالصفات السابقة، وأشار به إلى أن التفاوت بينهما وبين الآيتين من حيث الصفات، وقوله: لمن خاف مقام ربه هكذا مشى الشارح على أن ما صدق أصحاب الجنات الأربع واحد، وهو من خاف مقام ربه، وبعضهم جعل صاحب السابقتين من خاف مقام ربه وصاحب الآيتين أصحاب اليمين اهـ شيخنا.

وفي السمين: ومن دونهما أي من دون تينك الجنتين المتقدمتين جنتان في المنزلة وحسن المنظر، وهذا على الظاهر من أن الأولتين أفضل من الآخرتين، وقيل: بالعكس ورجحه الزمخشري اهـ.

وفي الخطيب: وقال الكسائي: ومن دونهما أي أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك: الجنتان الأولتان من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت، وعلى هذا فهما أفضل من الأولتين، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم من نوادر الأصول وقال: ومعنى ومن دونهما جنتان أي دون هاتين إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش، وقال مقاتل: الجنتان الأولتان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما تكذبان أبشيء مما تفضل به عليكم من الجنات أم بغيره اهـ خطيب.

قوله: ﴿مدهامتان﴾ في المختار: دهمهم الأمر غشيهم وبابه فهم، وكذا دهمتهم الخيل ودهمهم بفتح الهاء لغة، والدهمة السواد. يقال: فرس أدهم وبعير أدهم وناقة دهماء، وادهام ادهيماماً أي اسود. قال الله تعالى: مدهامتان أي سوداوان من شدة الخضرة من الري، والعرب تقول لكل شيء أخضر أسود، وسميت قرى العراق سواداً لكثرة خضرتها، والشاة الدهماء الحمراء الخالصة الحمرة، ويقال للقيد: الأدهم اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي المحسن إليكما بالرزق وغيره، تكذبان أبشيء من تلك النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿نضاختان﴾ النضخ بالخاء المعجمة فوق النضح بالحاء المهملة، لأن النضح بالحاء

وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ هما منها وقيل من غيرها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ ﴿فِيهِنَّ﴾ أي الجنتين وما فيهما ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ وجوهاً ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾ ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون

المهملة الرش، والنضخ بالخاء المعجمة فوران الماء اهـ سمين.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما المربي البليغ الحكمة في التربية تكذبان أبتلك النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (هما منهما) أي: من الفاكهة وهو ظاهر، وقوله: (وقيل من غيرها) ووجهه كما قاله القرطبي: أن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا، لأن النخل عامة قوتهم والرمان كالشرب، فكان يكثر غرسهما لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يعجبون بها اهـ خطيب.

وعبارة الكرخي: قوله: هما منها أي من الفاكهة، وبه قال الشافعي رضي الله عنه، وأكثر العلماء، فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة، وحينئذ فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلاً، وقوله: (وقيل من غيرها) أي: أنهما ليسا من الفاكهة وعليه أبو حنيفة حيث قال: من حلف لا يأكل فاكهة لم يحنث بأكل النخل والرمان كما قال القاضي اهـ.

وفي الخازن: وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفاً قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم، وثمرها مثل القلال أبو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس أهل عجم. وروي أن الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب، وقيل: إن نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى، العنقود منها اثنا عشر ذراعاً اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما المحسن إليكما بجليل التربية، تكذبان أبتلك النعم أم بغيرها مما أحسن به إليكم اهـ خطيب.

قوله: (أي الجنتين وما فيهما) أشار بهذا إلى تصحيح ضمير الجمع نظير ما تقدم.

قوله: ﴿خيرات﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه جمع خيرة بوزن فعلة بسكون العين، يقال: امرأة خيرة وأخرى شرة. والثاني: أنه جمع خيرة المخفف بالتشديد، ويدل على ذلك قراءة خيرات بتشديد الياء اهـ سمين.

وفي الحديث: إن الحور العين يأخذ بعضهم بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبيس أبداً، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام». أخرجه الترمذي بمعناه من حديث علي رضي الله عنه. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. قالت عائشة رضي الله عنها، فغلبنهن. واختلف أهما أكثر حسناً وأبهى جمالاً هل الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور

وبياضها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مستورات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ من درٍّ مجوف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي أزواجهم، وإعرابه كما تقدم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمع رفرفة

لما ذكر من وصفهن في القرآن والسّنة كقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت في الجنازة: «وأبدله زوجاً خيراً من زوجه» وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف، وروي مرفوعاً، وذكر ابن المبارك: وأخبرنا رشدين، عن ابن أنعم، عن حبان بن أبي جبلة قال: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلت على الحور العين بما عملن في الدينا، وقد قيل: إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن البصري، والمشهور أن الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا، وإنما هن مخلوقات في الجنة لأن الله قال: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمٰن: ٥٦ و ٧٤] وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات، ولأن النبي ﷺ قال: «إن أقل ساكني الجنة النساء فلا يصيب كل واحد منهم امرأة»، ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت أنهن من غير نساء الدنيا اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما تكذبان أبنعمة ما جعل لكم من الفواكه أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (مستورات) عبارة البيضاوي: مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي: مخدرة اهـ.

وقوله: في الخيام جمع خيم جمع خيمة، فالخيام جمع الجمع اهـ خطيب.

قوله: (من در مجوف) عبارة القرطبي: وقال عمر رضي الله عنه: الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال: هي فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، وقال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ بلغنا في الرواية أن سحابة مطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب حتى إذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصرها بها عن أبصار المخلوقين والله أعلم اهـ.

قوله: (مضافة إلى القصور) معنى إضافتها إليها أنها في داخلها، فالخيمة في داخل القصر. وقوله: شبيهة أي: تلك الخيام بالخدور جمع خدر، وهو الستر الذي يتخذ في البيوت كالناموسية، فتلك الخيام التي من الدر تشابه الخدور التي تكون في داخل القصور اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ربكما الذي صوركم وأحسن صوركم، تكذبان أبهذه النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم، ربكما الذي جعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، تكذبان أبهذه النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: (وإعرابه كما تقدم) أي: أنه حال عامله محذوف أي: يتنعمون اهـ شيخنا.

أي بسط ووسائد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ جمع عبقرية أي طنافس ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ تقدم، ولفظ اسم زائد.

قوله: (جمع رفرفة) أي: اسم جمع أو اسم جنس جمعي، وكذا يقال في عبقري، وعبارة السمين: الرفرف اسم جنس، وقيل: اسم جمع نقلهما مكي، والواحدة رفرفة وهي ما تدلى من الأسرّة من غالي الثياب، واشتقاقه من رفرف الطائر أي: ارتفع في الهواء، انتهت.

وقوله: عبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب إنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. قال في القاموس: عبقر موضع كثير الجن وقرية بناؤها في غاية الحسن، والعبقري الكامل من كل شيء، وقال الخليل: هو الجليل النفيس من الرجال وغيرهم، وقال قطرب: ليس هو المنسوب بل بمنزلة كرسي وبختي اهـ خطيب.

قوله: (أي طنافس) في المصباح: الطنفسة بكسرتين في لغة العالية، وفي لغة بفتحتين وهي بساط له خمل رقيق اهـ.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعم ربكما المحسن الذي لا محسن غيره ولا إحسان إلا منه، تكذبان أبشيء من هذه النعم أم بغيرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذي الجلال﴾ قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله تابعاً للاسم، وهكذا هو مرسوم في مصحف الشاميين، والباقون بالياء صفة للرب فإنه هو الموصوف بذلك، وأجمعوا على الواو في الأول إلا من ذكرته فيما تقدم اهـ سمين.

قوله: (تقدم) أي: تقدم شرحه وعبارته فيما سبق، ويبقى وجه ربك ذاته ذو الجلال والإكرام للمؤمنين بأنعمه عليهم، انتهت.

خاتمة:

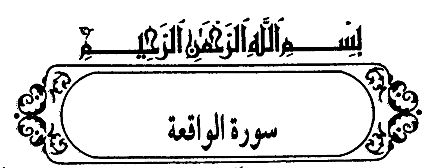
رأيت في تذكرة القرطبي كلاماً حسناً يتعلق بشرح هذه الآيات وغالبه في تفسيره، فأحببت نقله لما فيه من كثرة الفوائد. قال رضي الله عنه ما نصه: ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأولين: فيهما عينان تجريان وفي الأخريين فيهما عينان نضاختان، أي فوارتان بالماء ولكنهما ليستا كالجاريتين، لأن النضخ دون الجري، وقال في الأولين: فيهما من كل فاكهة زوجان فعمّ ولم يخص، وفي الأخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وهو الديباج، وفي الأخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الموشى، ولا شك أن الديباج أعلى من الموشى، والرفرف كسر الخباء، ولا شك أن الفرش المعد للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء، وقال في الأوليين في صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان، وفي الأخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان، وقال في الأوليين: ذواتا أفنان، وفي الأخريين مدهامتان أي: خضروان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، فوصف الأوليين بكثرة الأغصان والأخريين بالخضرة وحدها. وفي هذا كله تحقيق المعنى الذي قصدنا

. . . .

بقوله: ومن دونهما جنتان، ولعل ما نذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر.

فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى. قلت: فهذا قوله، والقول الثاني: أن الجنتين في قوله تعالى: ومن دونهما أعلى وأفضل من الأوليين ذهب إلى هذا الضحاك، وأن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والأخريين من ياقوت وزمرد، وقوله: ومن دونهما أي: ومن أمامهما ومن قبلهما، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله بن محمد بن علي الترمذي الحكيم في نوادر الأصول، وقال: ومعنى ومن دونهما جنتان أن دون هاتين إلى العرش أي: أقرب وأدنى إلى العرش، وقال مقاتل: الجنتان الأوليان عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى. قلت: ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» الحديث. وقال الترمذي: وقوله: فيهما عينان نضاختان أي: بألوان الفواكه والنعم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجري. قلت: على هذا تدل أقوال المفسرين. روي عن ابن عباس نضاختان أي: فوارتان بالماء، والنضح بالحاء أكثر من النضخ بالخاء، وعنه أيضاً أن المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله الحسن ومجاهد، وعن ابن عباس أيضاً، وابن مسعود: ينضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر، وقال سعيد بن جبير: بأنواع الفواكه، وقوله: فيهن خيرات حسان يعني النساء الواحدة خيرة. قال الترمذي: والخيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: حسان فوصفهن بالحسن، وإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فانظر ما هناك فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن، وفي الأوليين ذكر أنهن قاصرات الطرف وكأنهن الياقوت والمرجان، فانظر كم بين الخيرة وهي مختار الله وبين قاصرات الطرف، ثم قال: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ وقال في الأوليين قاصرات الطرف قصرن طرفهن على الأزواج ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أفضل وأعلى وقد بلغنا في الرواية أن سحابة مطرت من العرش فخلقهن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطىء الأنهار سعتها أربعون ميلاً وليس بها باب، حتى إذا حلّ ولي الله الخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين والله أعلم، ثم قال: متكئين على رفرف اختلف في الرفرف ما هو؟ فقيل: كسر الخباء وجوانب الزرع وما تدلى منها الواحدة رفرفة، وقيل: الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من رف يرف إذا ارتفع، ومنه رفرفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء، وربما سمي الظليم أي: ذكر النعام رفرفاً بذلك لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعود، ورفرف الطائر أيضاً إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. قال الترمذي الحكيم: والرفرف أعظم خطراً من الفرش، فذكر في الأوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر والرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي

رفرف به أي طار به هكذا وهكذا حيثما يريد كالمرجاح. وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى مسند العرش، وذكر أنه قال: «طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بين يدي ربي، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد»، والرفرف: خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص من الأمور في محل الدنو والقرب، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي إلى حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان، ثم قال: وعبقري حسان والعبقري ثياب منقوشة تبسط، فإذا قال خالق النقوش إنها حسان فما ظنك بتلك العباقر، والعبقر قرية بناحية اليمن فيما بلغنا ينسج فيها بسط منقوشة، فذكر الله ما خلق في تينك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا فبان تفاوت هاتين الجنتين، وقد روي عن بعض المفسرين فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من دونها أي: أسفل منهما وأدون، فكيف تكون مع هذه الصفات أدون فحسبه لم يفهم الصفة. ذكر هذا كله في الأصل التاسع والثمانين من كتاب نوادر الأصول، والله سبحانه وتعالى أعلم اهـ بحروفه.



سورة الواقعة

مكية لا ﴿فبهذا الحديث﴾ الآية. و ﴿ثلة من الأولين﴾ الآية وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ قامت القيامة ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ نفس تكـذب بأن تنفيها كما نفتها

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية إلا أفبهذا الحديث) الخ عبارة القرطبي: مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء، وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية منها نزلت بالمدينة وهو قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] وقال الكلبي: مكية إلا أربع آيات منها آيتان: ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون﴾ [الواقعة: ٨١] ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ [الواقعة ٣٩ ـ ٤٠] نزلتا في سفره إلى المدينة، انتهت.

فعلى الشارح إنما عبر بالآية دون الآيتين: لكونه يرى أن الآية هي مجموع الآيتين وغيره يرى أن كل جملة آية اهـ شيخنا.

قال مسروق: من أراد أن يعمل نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة، وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد والتعليق، والثعلبي أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال رحمة ربي قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي. قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إذ وقعت الواقعة﴾ أي: إذا قامت القيامة، وذلك عند النفخة الثانية، والتعبير عنها بالواقعة للإيذان بتحقيق وقوعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها اهـ أبو السعود.

أي: التي لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال قال: وتاء المبالغة غيرها اهـ خطيب.

وفي إذا أوجه، أحدها: أنها ظرف محض ليس فيها معنى الشرط والعامل فيها ليس من حيث ما

في الدنيا ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ أي هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ حركت حركة شديدة ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ فتتت

فيها من معنى النفي كأنه قيل ينتفي التكذيب بوقوعها إذا وقعت. والثاني: أن العامل فيها اذكر مقدراً. والثالث: أنها شرطية وجوابها مقدر أي: إذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل فيها. والرابع: أنها شرطية والعامل فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار الشيخ، وتبع في ذلك مكياً قال مكي: والعامل فيها وقعت لأنها قد يجازي بها فعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يعمل في ما ومن اللتين للشرط في قولك: ما تفعل أفعل ومن تكرم أكرم. الخامس: أنها مبتدأ وإذا رجت خبرها، وهذا على قولنا إنها تنصرف وقد مضى القول فيه محرراً. السادس: أنها ظرف لخافضة رافعة قاله أبو البقاء أي: إذا وقعت خفضت ورفعت. السابع: أنها ظرف لرجت، وإذا الثانية على هذا إما بدل من الأولى أو تكرير لها. الثامن: أن العامل فيها ما دل عليه قوله: ﴿فأصحاب الميمنة﴾ [الواقعة: ٨] الخ اهـ سمين.

وقال الجرجاني: إذا صلة أي: وقعت الواقعة مثل اقتربت الساعة وأتى أمر الله، وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي: دنا واقترب اهـ قرطبي.

قوله: ﴿كاذبة﴾ اسم ليس، ولوقعتها خبرها مقدم، واللام بمعنى في على تقدير المضاف، أي ليس كاذبة توجد في وقت وقوعها كما أشار له الشهاب اهـ شيخنا.

قوله: (أي هي مظهرة الخ) أشار به إلى أن خافضة خبر مبتدأ محذوف، وأن الخفض والرفع معناهما هنا إظهارهما. قال أبو السعود: والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها، فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء إلى الدركات، ورفع السعداء إلى الدرجات من زلزلة الأشياء، وإزالة الإجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفاً وغير ذلك اهـ.

وفي القرطبي: والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة، ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل. يقولون: ليل قائم ونهار صائم، وفي التنزيل: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده اهـ.

قوله: ﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ يجوز أن يكون بدلاً من إذا الأولى أو تأكيداً لها أو خبراً لها على أنها مبتدأ كما تقدم تحرير هذا كله، وأن تكون شرطاً والعامل فيها إما مقدرة وإما فعلها الذي يليها كما تقدم في نظيرتها، وقال الزمخشري: ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال، لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض اهـ سمين.

قوله: (حركت حركة شديدة) أي: بحيث يتهدم ما فوقها من بناء وجبل اهـ أبو السعود.

وقال بعض المفسرين: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يتهدم ما عليها ويتكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها، والرجة: الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب اهـ خطيب.

قوله: (فتتت) في المصباح: بسست الحنطة وغيرها بساً من باب قتل وهو الفت فهي بسيسة فعيلة بمعنى مفعولة اهـ.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غباراً ﴿مُّنۢبَثًّا ۝﴾ منتشراً، وإذا الثانية بدل من الأولى ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً ۝﴾ ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه

قوله: (منتشراً) أي: متفرقاً بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه، فهو كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل من كوة اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وقال علي رضي الله عنه: الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الذواب ثم يذهب فجعل الله أعمالهم كذلك، وقال مجاهد: الهباء هو الشعاع الذي في الكوة كهيئة الغبار، وروي نحوه عن ابن عباس وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً وقاله عطية اهـ.

قوله: (وإذا الثانية) أي: إذا رجت بدل من إذا الأولى أي: إذا وقعت فهي في محل نصب، ويجوز نصبها بخافضة أو رافعة وباذكر مقدراً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكنتم﴾ عطف على رجت والخطاب للخلائق بأسرهم قسمهم ثلاثة أصناف، اثنان في الجنة وواحد في النار، ثم بينهم فقال: ﴿فأصحاب الميمنة﴾ الخ اهـ زاده.

وعبارة أبي السعود: وكنتم أزواجاً خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً، أو للحاضرة فقط اهـ.

قوله أيضاً: ﴿وكنتم﴾ أي: قسمتم بما كان في جبلاتكم وطبائعكم في الدنيا. أزواجاً أي: أصنافاً ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة. قال البيضاوي: وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر فهو زوج اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأصحاب الميمنة الخ﴾ هذا شروع في تفصيل وشرح أحوال الأزواج الثلاثة، فذكرت أحوالهم أولاً على سبيل الإجمال بقوله: فأصحاب الميمنة الخ. ثم على سبيل التفصيل بقوله: ﴿أولئك المقربون﴾ الخ. وبقوله: ﴿وأصحاب اليمين﴾ الخ. وبقوله: ﴿وأصحاب الشمال﴾ الخ.

قوله: (مبتدأ خبره) ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ عبارة السمين: أصحاب الأول مبتدأ وما استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثان، وأصحاب الثاني خبره، والجملة خبر الأول، وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير، ومثله الحاقة ما الحاقة، القارعة ما القارعة، ولا يكون ذلك إلا في مواضع التعظيم، انتهت.

فقوله: تعظيم لشأنهم أي: في هذا الاستفهام تعظيم لشأنهم هكذا عبَّر غيره وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فقوله تعالى: فأصحاب الميمنة مبتدأ، وقوله: ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره، والجملة خبر الأول، والأصل ما هم أي: أي شيء هم في حالهم وصفتهم، فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم، والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول: ما زيد؟ فيقال: عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفخيم،

بشماله ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخير وهم الأنبياء مبتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ ﴿ثُلَّةٞ

وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل: فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال، وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال، وقد تكلموا في الفريقين فقيل: أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية، وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيامنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمال، وقيل: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، وقيل: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم، فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم اهـ.

قوله: ﴿والسابقون السابقون﴾ هذا هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة، ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان ومحاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه، وقد تكلموا فيهم أيضاً فقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان، وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل الكمالات، وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة: ١٠٠] وقيل: هم السابقون إلى الصلوات الخمس، وقيل: المسارعون في الخيرات وأيًّا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر، والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى، وقيل السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير السابقون إلى الجنة، وقوله: أولئك إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل، ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي: أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون، أي: الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية. هذا أظهر ما ذكر في إعراب هذه الجمل وأشهره وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل اهـ أبو السعود.

قوله: (وهم الأنبياء) تفسير السابقين بهذا يقتضي انقطاع قوله: ثلة من الأولين الخ عنه فيتفكك الكلام، فالأولى تفسيرهم بأنهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان، وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات، وقد ذكر هذين القولين أبو السعود كما تقدم، وعليه فيكون قوله: ثلة الخ خبر مبتدأ محذوف أي: وهم ثلة من الأولين الخ فيكون الكلام مرتبطاً بعضه ببعض تأمل، وعبارة أبي السعود: ثلة من الأولين خبر مبتدأ محذوف أي: السابقون ثلة من الأولين، وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام، وقيل: من الآخرين أي: من هذه الأمة اهـ.

قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ خبر ثان، أو حال من الضمير في المقربون، أو متعلق به أي: قربوا

﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ مبتدأ أي جماعة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤﴾ من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبر ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦﴾ حالان من الضمير في الخبر ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ

إلى رحمة الله في جنات النعيم اهـ سمين.

قوله: (أي جماعة الخ) في القاموس: الثلة بالضم الجماعة من الناس والكثير من الدراهم وقد تفتح، وبالكسر الهلكة والجمع كعنب اهـ.

قوله: (وهم السابقون) أي: الممدوحون بهذه الأوصاف هم السابقون أي: إلى الإيمان بالأنبياء عياناً وهم الذين اجتمعوا عليهم، ومعنى هذه العبارة أن المؤمنين الذين اجتمعوا على الأنبياء ثلة أي: جماعة كثيرة، والذين اجتمعوا على محمد ﷺ ثلة قليلة، والكل على سرر موضونة الخ. وهذا لا ينافي كون أمة محمد ثلثي أهل الجنة، لأن الكلام هنا في الذين اجتمعوا بالأنبياء مشافهة، والذين اجتمعوا على غير محمد من سائر الأنبياء أكثر من الذين اجتمعوا عليه، وهذا لا ينافي كون أمته على الإطلاق أكثر من الأمم الماضية كذلك كما لا يخفى. وعبارة الخازن: وذلك لأن الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبي ﷺ وآمن به، انتهت.

ثم إن هذا التفسير من الشارح غير تفسيره للسابقين فيما سبق بالأنبياء وذلك لأنه إعراب ثلة مبتدأ فجعله منقطعاً عن الأول تأمل.

قوله: ﴿على سرر﴾ جمع سرير وهو ما يجعل للإنسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة اهـ خطيب.

قوله: ﴿موضونة﴾ في القاموس وضن الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه والغزل نسجه، والموضونة الدرع المنسوجة أو المتقاربة النسج، أو المنسوجة حلقتين حلقتين، أو بالجواهر، انتهى.

فقوله: والجواهر متعلق بمحذوف أي: ومشتبكة بالجواهر كما صرح به غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿متكئين عليها﴾ أي على السرر على الجنب أو غيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه اهـ خطيب.

قوله: ﴿متقابلين﴾ أي: فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، وقال مجاهد وغيره: هذا في المؤمن وزوجته وأهله، وقال الكلبي: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فإذا جلس عليه ارتفع اهـ خطيب.

قوله: ﴿يطوف عليهم﴾ يجوز أن يكون حالاً وأن يكون استئنافاً، وبأكواب متعلق بيطوف، والأباريق جمع إبريق وهو من آنية الخمر والإبريق ماله خرطوم اهـ سمين.

قوله: ﴿ولدان﴾ بكسر الواو كصبيان باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود، والولد يجمع على أولاد كسبب وأسباب اهـ من المصباح.

﴿مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف، أي لا يحصل لهم فيها صداع ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله: (على شكل الأولاد) أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا هذا هو الصحيح، وقوله: لا يهرمون تفسير لقوله مخلدون، فالمراد بخلودهم عدم تغيرهم عن حالة الولد أن من الطراوة وحسن القد بخلاف أولاد الدنيا، فإنهم يتغيرون بالشيخوخة وبهذا سقط ما يقال: إن أهل الجنة كلهم مخلدون فلم نص على خلود الولدان؟ وحاصل الجواب: أن المراد بخلودهم ما عرفته، والمراد بخلود أهل الجنة مطلقاً عدم الفناء اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلف في هؤلاء الولدان، فقيل: هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالاً وهو ضعيف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه غير ولده كان منقصة بأبي الخادم، وقيل: هم صغار الكفار الذي ماتوا قبل التكليف، وقيل: هم أطفال ماتوا ليس لهم حسنات فيثابون ولا سيئات فيعاقبون، ومن قال بهذه الأقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة، والصحيح أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة من غير ولادة أحدكما خلقت الحور العين من غير ولادة، وأطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمي الغلام وليداً ما لم يحتلم والأمة وليدة وإن أسنت اهـ باختصار.

قوله: ﴿وأباريق﴾ جمع إبريق فعيل مشتق من البريق لصفاء لونه، وقوله: (لها عرى) وهي ما يمسك بها المسماة بالآذان، وقوله: وخراطيم وهي ما يصب منها المسماة بالبزابيز اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يصدعون عنها﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً أخبر عنهم بذلك، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في عليهم، ومعنى لا يصدعون عنها أي بسببها. قال الزمخشري: وحقيقة لا يصدر صداعهم عنها، والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الإنسان في رأسه والخمر تؤثر فيه اهـ سمين.

قوله: (أي لا يحصل لهم منها الخ) لف ونشر مرتب، فقوله: أي: لا يحصل لهم منها صداع أشار به إلى تفسير لا يصدعون، وأن عن بمعنى من أي من أجلها وبسببها، وقوله: ولا ذهاب عقل تفسير لقوله: ولا ينزفون على كل من القراءتين وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مما يتخيرون﴾ أي: يختارون.

قوله: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ خرّج الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة طيراً مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله، فيقول أحدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزالن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخرّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فإذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى في الجنة حيث شاء، فقال عمر: يا نبي الله إنها لناعمة. قال: آكلها أنعم منها» اهـ قرطبي.

﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿وَحُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء، ومفرده عيناء كحمراء، وفي قراءة بجر حور عين ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ المصون ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له أو مصدر، والعامل مقدّر، أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو جزيناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ ما يؤثم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولاً ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ بدل من قيلاً فإنهم

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على ما يشتهي، أو يقع على الصحفة فيأكل منها ما يشتهي ثم يطير اهـ كرخي.

قوله: ﴿حور عين﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: لهم، وقوله: وفي قراءة بجر حور عين وفيه أوجه، أحدها: أنه عطف على جنات النعيم كأنه قيل: هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور عين قاله الزمخشري. الثاني: أنه معطوف على بأكواب، وذلك بتجوز في قوله: يطوف إذ معناه يتنعمون فيها بأكواب وبكذا وبحور قاله الزمخشري. الثالث: أنه معطوف عليه حقيقة، وأن الولدان يطوفون عليهم بالحور أيضاً فإن فيه لذة لهم اهـ سمين.

قوله: (شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح، فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها، وأما الحور أي: بياض فمعناه النساء شديدات البياض أي: بياض أجسادهن تأمل اهـ شيخنا.

ثم رأيت في المختار ما نصه: والحور بفتحتين شدة بياض العين في شدة سوادها، وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين، وقال أبو عمرو: والحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقرة. قال: وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العين تشبهاً بالظباء والبقر اهـ.

قوله: (بدل ضمها) أي: الذي هو حقها لأن المفرد عيناء كما قال بوزن حمراء، وما كان كذلك يجمع على فعل بضم الفاء على حد قوله:

فعل لنحو أحمر وحمرا

اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بجر حور عين اهـ.

قوله: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي: المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع الشمس والهواء عليه، فيكون في نهاية الصفاء. قال البغوي: ويروى أنه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا؟ فيقال: ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها، ويروى أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقها وتمجيد الأسورة من ساعديها، وأن عقد الياقوت في نحرها، وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح اهـ خطيب.

قوله: (لكن) ﴿قيلاً﴾ أشار بهذا إلى أن الاستثناء منقطع لأن السلام لم يندرج تحت اللغو والتأثيم اهـ سمين.

قوله: (بدل من قيلاً) عبارة السمين: قوله: سلاماً سلاماً في أوجه، أحدها: بدل من قيلاً أي: لا

يسمعونه ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿فِى سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ لا شوك فيه
﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ بالحمل من أسفله إلى أعلاه ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ دائم ﴿وَمَآءٍ
مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ جار دائماً ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ بثمن ﴿وَفُرُشٍ

يسمعون فيها إلا سلاماً سلاماً. الثاني: أنه نعت لقيلاً. الثالث: أنه منصوب بنفس قيلاً أي: إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً وهو قول الزجاج. الرابع: أن يكون منصوباً بفعل مقدر ذلك الفعل محكي بقيلاً تقديره إلا قيلاً سلموا سلاماً اهـ.

وفي الخازن: إلا قيلاً سلاماً سلاماً معناه لكن يقولون قيلاً وتسمعون قيلاً سلاماً سلاماً يعني يسلم بعضهم على بعض، وقيل: تسلم الملائكة عليهم، وقيل: يرسل الرب السلام إليهم، وقيل: معناه أن قولهم يسلم من اللغو اهـ.

قوله: ﴿وأصحاب اليمين﴾ الخ شروع في تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفضيل شؤون السابقين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في سدر﴾ خبر ثان عن المبتدأ الذي هو قوله: وأصحاب اليمين، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هم في سدر، والظرفية للمبالغة في التنعم والانتفاع به اهـ شيخنا.

وقوله: مخضود في المختار خضد الشجر قطع شوكه وبابه ضرب فهو خضيد ومخضود اهـ.

وفيه أيضاً: نضد متاعه وضع بعضه على بعض وبابه ضرب اهـ.

وفي السمين: المخضود الذي قطع شوكه من خضدته أي: قطعته، وقيل: الموقر من الحمل حتى لا يبين ساقه وتنثني أغصانه من خضدت الغصن أي: ثنيتة، وطلح منضود أي متراكب، وفي التفسير لا يرى له ساق من كثرة ثمره اهـ.

وفي الخطيب: قال ابن المبارك: أخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: إنا لتنفعنا الإعراب ومسائلهم. قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر فإن له شوكاً مؤذية، فقال رسول الله ﷺ: «أو ليس يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها ثمر على اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر». وقال أبو العالية، والضحاك: نظر المسلمون إلى وجّ وهو وادٍ بالطائف مخصب فأعجبهم سدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا. فنزلت الآية اهـ.

وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما، بل كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه اهـ خازن.

قوله: (دائم) أي لا تنسخه الشمس.

قوله: (جار دائماً) أي: يجري الليل والنهار في غير أخدود لا ينقطع عنهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وفاكهة كثيرة﴾ أي: كثرة الأجناس، وقوله: لا مقطوعة نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك: مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها اهـ سمين.

مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ على السرر ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ أي الحور العين من غير ولادة ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المحببة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ جمع ترب أي مستويات في السن

قوله: ﴿ولا ممنوعة﴾ (بثمن) الأولى أن يقول بشي أي: فلا تتوقف على شيء كثمن أو حائط أو باب أو سلم اهـ شيخنا:

أي: لا تمنع عن متناولها بوجه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشتري به، وشوك في الشجر يؤذي من يقصدها، وحائط يمنع الوصول إلى شجرها، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب. قال تعالى: ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ [الإنسان: ١٤] اهـ زاده.

قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال علي: مرفوعة على الأسرة، وقيل: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية. وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قوله وفرش مرفوعة قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام» أخرجه الترمذي: وقال حديث حسن غريب. قال الترمذي: قال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقيل: أراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي: رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا، ويدل على هذا التأويل قوله: ﴿إنا أنشأناهن﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (أي الحور العين من غير ولادة) أشار به إلى أن المراد بالفرش النساء مرفوعات على الأرائك أنهن لسن من نسل آدم عليه السلام، بل هن مخترعات لم يسبقن بخلق وهو ما جرى عليه أبو عبيدة وغيره، وعبارة الكشاف: أنشأناهن إنشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولادة، فأما أن يراد اللاتي ابتدىء إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن، وعن رسول الله ﷺ: أن أم سلمة سألته عن قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ فقال: «يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً» فلما سمعت عائشة رسول الله ﷺ يقول ذلك قالت: واوجعاه، فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع» اهـ كرخي من الآية.

ومن الحديث: أن نساء الدنيا يخلقهن الله في القيامة خلقاً جديداً من غير توسط ولادة خلقاً يناسب البقاء والدوام، وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية وانتفاء سمات النقص، كما أنه خلق الحور العين على ذلك الوجه تأمل. قوله: (ولا وجع) أي: يحصل لهن في إزالة البكارة اهـ شيخنا.

قوله: (بضم الراء وسكونها) سبعيتان وهذا كرسل ورسل فالتسكين للتخفيف، وقوله: جمع عروب كرسول اهـ سمين.

قوله: (ترب) الترب هو المساوي لك في سنك لأنه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف، وهو من الأسماء التي لا تتعرف بالإضافة لأنه في معنى الصفة إذ معناه مساويك ومثله خدنك لأنه في معنى صاحبك اهـ سمين.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ ﴿فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارَّة من النار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ دخان شديد السواد ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيره من

قوله: (أي مستويات في السن) وهو ثلاث وثلاثون سنة، يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران. وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «يدخل في أهل الجنة جرداً مرداً بيضاً مرداً بيضاً مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعاً في سبعة أذرع» وروي أيضاً أنه ﷺ قال: «من دخل الجنة من صغير أو كبير يرد إلا ثلاثين سنة في الجنة لا يزاد عليها أبداً وكذلك أهل النار» اهـ خطيب.

قوله: (صلة أنشأناهن الخ) عبارة السمين: في هذه اللام وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بأنشأناهن أن أنشأناهن لأجل أصحاب اليمين. والثاني: أنها متعلقة بأتراباً كقولك: هذا ترب لهذا أي: مساوٍ له اهـ.

قوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره، وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة، وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا: ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة، وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضاً في آخر ذلك الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي» وهذا القول هو اختيار الزجاج قال: معناه جماعة ممن تبع النبي ﷺ وآمن به، وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه، فإن قلت: كيف قال في الآية الأولى: ﴿وقليل من الآخرين﴾ [الواقعة: ١٤] وقال في هذه الآية: ﴿وثلة من الآخرين﴾؟ قلت: الآية الأولى في السابقين الأولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين، وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الأولين والآخرين اهـ خازن.

قوله: ﴿وأصحاب الشمال﴾ الخ شروع في تفاصيل أحوالهم التي أشير عند التوزيع إلى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن أصحاب اليمين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في سموم﴾ خبر ثان.

قوله: ﴿وظل من يحموم﴾ وزنه يفعول. قال أبو البقاء: من الحم أو الحميم واليحموم قيل: هو الدخان الأسود البهيم، وقيل: واد في جهنم، وقيل: اسم من أسمائها والأول أظهر اهـ سمين.

وفي المختار: وحممه تحميماً سخم وجهه بالفحم والحمم الرماد والفحم وكل ما احترق من النار، الواحدة حممة واليحموم الدخان اهـ.

قوله: (كغيره من الظلال) قضيته أنهما صفتان للظل لا لقوله من يحموم، وتعقب بأنه يستلزم تقديم غير الصريحة على الصريحة فالأولى أن يجعل صفة ليحموم فالجواب: أن الترتيب غير واجب نص عليه الرضى مع أنه هنا يفضي إلى عدم توازن الفاصلتين وجعلهما نعتين ليحموم لا يلائم البلاغة القرآنية، وفي كلامه إشارة إلى أنه كان من حق الظاهر أن يقال: وظل حار ضار فعدل إلى قوله وظل من يحموم ليتبادر منه إلى الذهن أولاً الظل المتعارف فيطمع السامع، فإذا نفي عنه ما هو المطلوب من

الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ حسن المنظر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ منعمين لا يتعبون في الطاعة ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ أي الشرك ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ في الهمزة في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزتين للاستفهام وهو في ذلك

الظل وهو البرد والاسترواح جاءت السخرية والتهكم والتعريض بأن الذين يستأهلون الظل الذي فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم اهـ كرخي.

قال الرازي: وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وإن استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون في ظل من يحموم، فلا انفكاك لهم من العذاب، أو يقال: إن السموم تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم، وذكر السموم والحميم دون النار تنبيهاً بالأدنى على الأعلى كأنه قال: أبرد الأشياء في الدنيا حار عندهم فيكف أحرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ تعليل لاستحقاقهم هذه العقوبة. قال الرازي: والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم، فلم يقل إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين، وذلك للتنبيه على أن الثواب منه تعالى فضل، والعقاب منه عدل، والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يوهم بالمتفضل نقصاً ولا ظلماً، وأما العدل فإنه إن لم يذكر سبب العقاب يظن أنه ظالم، ويدل على ذلك أنه تعالى لم يقل في حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما في السابقين، لأن أصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن إطلاق الجزاء في حقه اهـ خطيب.

قوله: (لا يتعبون في الطاعة) توجيه لكون الترفه أي: التنعم وصف ذم مع أنه في الواقع ليس ذماً في حد ذاته، وإنما كان هنا ذماً من حيث أنهم جعلوا من جملته القعود عن الطاعات وتركها، فصحَّ ذمهم بهذا الاعتبار تأمل. قوله: (أي الشرك) ويعبر بالحنث عن البلوغ، ومنه قولهم: «لم يبلغوا الحنث» وإنما قيل ذلك لأن الإنسان عند بلوغه يؤاخذ بالحنث أي: الذنب، وتحنث فلان أي: جانب الحنث، وفي الحديث: كان ﷺ يتحنث بغار حراء أي يتعبد لمجانبته الاثم فتفعل في هذه كلها للسلب اهـ خطيب.

قوله: (وادخال ألف بينهما على الوجهين) هذه العبارة لا تفيد إلا قراءتين كما لا يخفى، وكان عليه أن يقول وتركه أي: ترك الإدخال، فالإدخال وتركه حالتان مضروبتان في حالتي التحقيق والتسهيل بأربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (وهو) أي الاستفهام في ذلك وهو أو آباؤنا وفيما قبله وهو اثنان: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ وقوله: وفي قراءة أي: سبعية وقوله: والمعطوف عليه الخ أي: على كل من القراءتين اهـ شيخنا.

وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة بسكون الواو عطفاً بأو، والمعطوف عليه محل إن واسمها ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ بيان للشجر ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي الزقوم المأكول ﴿مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ﴾ بفتح الشين وضمها مصدر

وقوله: محل إن واسمها أي: بعد ملاحظة تقدم المعطوف على الخبر، والتقدير أئنا وآباؤنا مبعوثون. وفي البيضاوي: أن المعطوف عليه الضمير المستكن في لمبعوثون اهـ.

وحسن العطف على الضمير في لمبعوثون من غير تأكيد نحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله: ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي قاله في الكشاف، وقد تقدم الكلام على نظائر الآية في سورة الرعد وغيرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل إن الأولين﴾ الخ أي قل لهم ما ذكر رداً لإنكارهم وتحقيقاً للحق اهـ أبو السعود.

قوله: (لوقت) أي: في وقت يوم معلوم، أي: معين عند الله والإضافة بيانية اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: أي يوم القيامة فيه إشارة إلى أن إضافة ميقات يوم للبيان، وكأنه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بإلى وإلاّ فكان الظاهر أن يعدى بفي اهـ.

قوله: ﴿ثم إنكم﴾ عطف على إن الأولين داخل تحت القول، وثم للتراخي زماناً أو رتبة، وقوله: المكذبون أي: بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من زقوم﴾ وهو من أخبث الشجر المر ينبت في الدنيا بتهامة، وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الريح اهـ خطيب.

قوله: (بيان للشجر) أي: فمن بيانية وأما من الأولى فهي لابتداء الغاية أو زائدة أي: لآكلون شجراً هو الزقوم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمالئون منها﴾ تأنيث الضمير لكون الشجر اسم جنس اهـ خطيب.

واسم الجنس يجوز تذكيره وتأنيثه لغتان اهـ سمين.

قوله: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ قال الشيخ: الفاء تقتضي التعقيب في الشربين، وأنهم أولاً لما عطشوا شربوا من الحميم ظناً منهم أنه يسكن عطشهم فازداد عطشهم بحرارة الحميم، فشربوا بعده شرباً لا يقع بعده ري أبداً هو شرب الهيم، فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطف، والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه اهـ.

والظاهر أنه شرب واحد بل الذي يعتقد هو هذا فقط، وكيف يناسب أن تكون زيادة العطش بشربه مقتضية لشربهم منه ثانياً فشاربون شرب الهيم تفسير للشرب قبله، ألا ترى أن ما قبله يصلح أن يكون مثل شرب الهيم ومثل شرب غيرها ففسره بأنه مثل شرب هؤلاء البهائم. وفي ذلك فائدتان، إحداهما: التنبيه على شربهم منه. والثانية: عدم جدوى الشرب وأن المشروب لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم اهـ سمين.

﴿ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى كعطشان وعطشى ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾ يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا

وفي الكرخي: وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه لوجود الأول بدون الثاني في الشرب قليلاً، أي: شرب الحميم، الثاني: بدون الأول في شرب البارد فلا اتحاد مع ظهور ترتب الثاني على الأول فإن الشرب بعد الأكل اهـ.

قوله: (مصدر) أي: على كل من القراءتين وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين، وباقي السبعة بفتحها، ومجاهد وأبو عثمان النهدي بكسرها فقيل ثلاث لغات في مصدر شرب، والمقيس منها إنما هو المفتوح، وقيل: المصدر هو المفتوح والمضموم والمكسور اسمان لما يشرب كالرعي والطحن، وقال الكسائي: يقال شربت شرباً وشرباً، ويروى قول جعفر أيام منى أيام أكل وشرب، ويقال: بفتح الشين والشرب في غير هذا اسم للجماعة الشاربين اهـ.

قوله: (جمع هيمان للذكر وهيمى) بالقصر للأنثى أي: أن هيم جمع لهذين المفردين، كما أن عطاشاً جمع لعطشان وعطشى بالقصر أيضاً، وهذا من الشارح سبق قلم، لأن هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر لكن قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء وفعل بضم الفاء جمع لأفعل وفعلاء على حد قوله:

فعل لنحو أحمر وحمرا

ولا يصح ما ذكره الشارح إلاَّ لو كان الذي في الآية هيام كعطاش، فإنه جمع لعطشان وعطشى على حد قوله:

فــعــل وفــعلــة لــهمــا

إلى أن قال:

وشــاع فــي وصــف علــى فعــلانــا أو أنثييــه أو علــى فعــلانــا

وعبارة السمين: والهيم جمع أهيم وهيماء وهو الجمل والناقة التي أصابها الهيام وهو داء معطش تشرب الإبل منه إلى أن تموت أو تسقم سقماً شديداً، والأصل هيم بضم الياء كجمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وذلك نحو بيض في أبيض وبيضاء، انتهت.

قوله: ﴿هذا﴾ أي ما ذكر من المأكول والمشروب، وقوله: ما أعد لهم أي: أول قدومهم كما يعد للضيف أول حلوله كرامة له، وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتي بعدما استقروا في الجحيم وتسمية هذا نزلا تهكم بهم، لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام غير داخلة تحت القول اهـ أبو السعود.

وقوله: بطريق الفذلكة فذلكة الشيء ذكره إجمالاً. وفي القاموس: فذلك حسابه أنهاه وفرغ منه مخترعة من قوله: إذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا اهـ.

كأنه قال: وجملته كذا وكذا أي: حاصله كيت وكيت. قوله: (بالبعث الخ) جواب ما يقال كيف قال ذلك مع أنهم مصدقون بذلك بدليل قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾

﴿تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ بالبعث، إذ القادر على الإنشاء، قادر على الإعادة ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ تريقون المني في أرحام النساء ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾

[لقمان: ٢٥ و الزمر: ٣٨] وإيضاحه: أن ذلك تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الأول، فكأنه قال: هو خلقكم أولاً باعترافكم فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانياً، فهلا تصدقون بذلك أو هم وإن صدقوا بألسنتهم لكن لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق كانوا كأنهم مكذبون به، فينزل تصديقهم منزلة عدمه لفقدان ما يحققه من آثاره الدالة عليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفرأيتم﴾ هي بمعنى أخبروني، ومفعولها الأول ما تمنون، والثاني الجملة الاستفهامية اهـ سمين.

أي: أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما تمنون اهـ خطيب وكذا يقال في البقية.

قوله: ﴿ما تمنون﴾ ما اسم موصول بمعنى الذي أي: أفرأيتم الذي تقذفونه وتصبونه في الأرحام وهوالنطفة، وقرىء بفتح التاء من مني النطفة بمعنى أمناها أي: صبّها اهـ.

وفي السمين: قرأ العامة تمنون بضم التاء من أمنى يمني، وقرأ ابن عباس بفتحها من منى يمني، وقال الزمخشري: يقال أمنى النطفة ومناها قال تعالى: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ [النجم: ٤٦] اهـ.

وفي المختار: وقد منى من باب رمى وأمني أيضاً اهـ.

قوله: ﴿أأنتم تخلقونه﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه فاعل بفعل مقدر أي: اتخلقونه أنتم، فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير وهذا من باب الاشتغال. والثاني: أن أنتم مبتدأ والجملة بعده خبره، والأول أرجح لأجل أداة الاستفهام اهـ كرخي.

قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) في كلامه التنبيه على أربع قراءات مع أنها خمس لأن تحقق الهمزتين إما مع إدخال ألف بينهما ممدودة مداً طبيعياً أو بدون إدخال والخمس سبعية، وقوله: وإبدال الثانية ألفاً أي: ممدودة مداً لازماً، وقوله: في المواضع الأربعة متعلق بقوله بتحقيق الخ أي: وتجري هذه القراءات الأربعة بل الخمسة في المواضع الأربعة هذا أولها. والثاني: أأنتم تزرعونه. والثالث: أأنتم أنزلتموه من المزن. والرابع: أأنتم أنشأتم شجرتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم نحن الخالقون﴾ في أم هذه وجهان، أحدهما: أنها منقطعة لأن بعدها جملة والمتصلة إنما تعطف المفردات. والثاني: أنها متصلة وأجابوا عن وقوع الجملة بعدها بأن الخبر الذي بعد نحن أتي به على سبيل التأكيد لا لتصحيح الكلام، إذ لو قيل أم نحن لا كتفي به بدون الخبر، ويؤيد كونها متصلة أن الكلام يؤول إلى أي الأمرين واقع، وإذا صح ذلك كانت متصلة إذ الجملة في تأويل المفرد اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: وأم في هذه المواضع الأربعة منقطعة لوقوع جملة بعدها والمنقطعة تقدر ببل وهمزة الاستفهام، فيكون الكلام مشتملاً علي استفهامين، الأول: أأنتم تخلقونه؟ وجوابه: لا. والثاني: مأخوذ من أم أي: بل أنحن الخالقون؟ وجوابه: نعم اهـ.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ بعاجزين ﴿عَلَىٰ﴾ عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ أي نجعل ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ من الصور كالقردة والخنازير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها ﴿أَأَنتُمْ

قوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أي: قضينا به وأوجبناه وكتبناه فلم نترك أحداً منكم بغير حصة منه وأقتنا موت كل واحد بوقت معين لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا وربما كان في الأوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، وأطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو تمالؤوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا اهـ خطيب.

أي: والقادر على هذا كله قادر على إعادتكم وبعثكم اهـ.

وفي القاموس: والأوج ضد الهبوط. قوله: (بالتشديد والتخفيف) سبعيتان.

قوله: ﴿على أن يبدل أمثالكم﴾ يجوز أن يتعلق بمسبوقين وهو الظاهر أي: ولم يسبقنا أحد على تبديلنا أمثالكم أي: يعجزنا. يقال: سبقه إلى كذا أي: أعجزه عنه وغلبه عليه، والثاني: أنه متعلق بقوله: قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أي: تموت طائفة وتخلفها طائفة أخرى قال معناه الطبري، فعلى هذا يكون قوله: وما نحن بمسبوقين معترضاً وهو اعتراض حسن. ويجوز في أمثالكم وجهان، أحدهما: أنه جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء أي: نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوماً آخرين أمثالكم، ويؤيده أن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين. والثاني: أنه جمع مثل بفتحتين وهو الصفة أي: نغير صفاتكم التي أنتم عليها خلقاً وننشئكم في صفات غيرها اهـ سمين.

قوله: ﴿في ما لا تعلمون﴾ أي: في صورة لا تعلمونها في جنسكم كتبديل صوركم بصورة القردة والخنازير قال الحسن: أي: نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم، وما مقطوعة في الرسم على القاعدة من أن الموصولة مفصولة اهـ من الخطيب.

قوله: ﴿النشأة الأولى﴾ أي: الترابية لأبيكم آدم، واللحمية لأمكم حواء والنطفية لكم وكل منها تحويل من شيء إلى غيره، فإن الذي شاهدتم قدرته على ذلك قادر على تحويلكم بعد أن تصيروا تراباً إلى ما كنتم عليه أولاً من الصور، والذي تسبب عما تقدم قوله: فلولا تذكرون أي: لتعلموا أن من قدر على النشأة الأولى يقدر على الثانية فإنها أقل كلفة من الأولى في العادة اهـ خطيب.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بسكون الشين.

قوله: (تثيرون الأرض الخ) تفسير الحرث بمجموع الأمرين المذكورين هو معناه اللغوي، فقد قال الراغب: الحرث تهيئة الزراعة وإلقاء البذر فيها اهـ.

ولذا قال في الكشاف: تبذرون حبه وتعملون في أرضه اهـ.

والمعنى المناسب هنا تفسير ما بالبذر، ومعنى تحرثون البذر تلقونه في الأرض فكأنه قال:

﴿تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ نباتاً يابساً لا حب فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفاً أي أقمتم نهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ نفقة زرعنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ممنوعون رزقنا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب جمع مزنة ﴿أَمْ نَحْنُ

أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تزرعونه أي تنبتونه اهـ.

وفي المختار: الزرع طرح البذر والزرع أيضاً الانبات. يقال: زرعه الله أي أنبته، ومنه قوله تعالى: ﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ وبابه قطع اهـ.

قوله: (نباتاً يابساً لا حب فيه) عبارة أبي السعود: لو نشاء لجعلناه حطاماً هشيماً متكسراً متفتتاً بعدما أنبتناه وجعلناه بحيث طمعتم في حيازة غلاله اهـ.

وفي الخازن: لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر حطاماً أي تبناً لا قمح فيه، وقيل: هشيماً لا ينتفع به في مطعم ولا غيره، وقيل: هو جواب لمعاند يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعاً لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا، فردَّ الله عليه بقوله: لو نشاء لجعلناه حطاماً فهل تقدرون أنتم على حفظه أو هو يقدر على أن يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه، ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس إلا بإذن الله وحفظه اهـ.

قوله: (أصله ظللتم) أي فعين الكلمة محذوفة تخفيفاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿تفكهون﴾ أصل التفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث اهـ بيضاوي.

وفي السمين: والعامة تفكهون بالهاء ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفكاهة عن أنفسكم ولا تلقى الفكاهة إلا من الحزن، فهو من باب تحرج وتأثم وتحزب، وقيل: تفكهون تعجبون، وقل: تتلاومون، وقيل: تتفجعون. وهذا تفسير باللازم اهـ.

قوله: (تعجبون من ذلك) أي من يبسه بعد خضرته اهـ كرخي.

قوله: (وتقولون) ﴿إنا لمغرمون﴾ وهذا المقدر في محل نصب على الحال تقديره فظللتم تفكهون قائلين أي تقولون إنا لمغرمون أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قاله الزمخشري اهـ سمين.

وفي الكرخي: والغرم ما ذهب بلا عوض اهـ.

وقرأ شعبة ائنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام، والباقون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اهـ خطيب.

قوله: ﴿من المزن﴾ فذي القاموس: المزن بالضم السحاب أو أبيضه أو ذو الماء القطعة مزنة اهـ.

﴿ٱلْمُزْنِ﴾ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١﴾ تخرجون من الشجر الأخضر ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمرخ والعفار والكلخ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعًا﴾ بلغة ﴿لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ للمسافرين من أقوى القوم، أي صاروا بالقوى بالقصر والمد، أي القفر، وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء

قوله: ﴿جعلناه أجاجاً﴾ في المختار: ماء أجاج مر شديد الملوحة، وقد أج الماء يؤج أجوجاً بالضم اهـ.

وذكر اللام في جواب لو في الزرع عملاً بالأصل وحذفها من هنا اختصاراً لدلالة الأول عليه، أو أن أصل هذه اللام للتأكيد وهو أنسب بالمطعوم، لأنه مقدم وجوداً ورتبة على المشروب اهـ كرخي.

قوله: ﴿تورون﴾ من أوريت الزند أي قدحته فاستخرجت ناره، ورى الزند يري أي خرجت ناره، وأصل تورون تورين اهـ سمين.

وفي المصباح: ورى الزند يري ورياً من باب وعى، وفي لغة وري يري بكسرهما وأورى بالألف، وذلك إذا أخرج ناره اهـ.

وفي المختار: وأوراه غيره أخرج ناره اهـ.

قوله: (تخرجون من الشجر الأخضر) أي: أو من غيره كالزند، واقتصر على الشجر لأنه أبهر وأعظم في الدلالة على قدرة الله، وفي زاده: أي تستخرجونها من الزناد وهو جمع زند. يقال: ورى الزند وريا أي خرجت ناره وأوريته أخرجت ناره، والزند: العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزند السفلى فيها ثقب وهي الأنثى، فإذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد، والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر، وعن ابن عباس أنه قال: ما من شجر ولا عود إلا فيه النار سوى العناب اهـ.

قوله: (كالمرخ والعفار) تقدم الكلام عليهما مستوفى في آخر سورة يس فراجعه إن شئت، وأما الكلخ فلم نجده في القاموس ولا في المختار، غير أنه أخبرنا بعض أهل المغرب والشام بأنه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب تؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداهما بالأخرى فتخرج النار اهـ شيخنا.

قوله: (المسافرين) أي: جعلناها ينتفع بها المسافرون وخصوا بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال إلى غير ذلك من المنافع، وقال مجاهد: للمقوين أي المنتفعين بها من الناس أجمعين في الظلمة، ويصطلون بها من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع، ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها، وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم. يقال: أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً، وقال قطرب المقوي من الأضداد يقال للفقير: مقو لخلوه من المال، ويقال للغني مقو لقوته على ما يريده، والمعنى جعلناها متاعاً ومنفعة للأغنياء والفقراء لا غنى لأحد عنها، وقال المهدوي: الآية تصلح للجميع لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير اهـ خطيب.

قوله: (من أقوى القوم الخ) أشار به إلى أن المراد بالمقوين المسافرون، وأنه مأخوذ من أقوى

﴿ فَسَبِّحْ ﴾ نزه ﴿ بِٱسْمِ ﴾ زائد ﴿ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ أي الله ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ لا زائدة ﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ بمساقطها لغروبها ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القسم بها ﴿ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي لو كنتم

القوم إذا صاروا بالقواء. قال الواحدي: المقوي الذي ينزل بالقواء وهي الأرض الخالية أي القفراء البعيدة عن العمران، يقال: أقوت الدار إذ خلت من سكانها، والمعنى ينتفع بها أهل البوادي والأسفار ومنفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم اهـ كرخي.

قوله: (أي صاروا بالقواء) أي نزلوا بالقواء بكسر القاف على كل من القصر والمد اهـ خطيب.

وفي المختار: أنه مع كسر القاف يمد ويقصر، وفي المصباح: أنه مع فتح القاف يمد لا غير اهـ.

قوله: (زائدة) أي لفظ باسم زائد، وسبح يتعدى بنفسه وبحرف الجر، فالمعنى سبح ربك فالباء زائدة والاسم باق على معناه أو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر أو الباء متعلقة بمحذوف، وقيل: الباء زائدة وتعقبه الحلبي بأنه خلاف الأصل، وجوز كونها للحال أي على سبيل التبرك باسم ربك كقوله: ونحن نسبح بحمدك أو للتعدية اهـ.

ومن ثم قالوا في قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] كما يجب تنزيه ذاته وصفاته تعالى عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن سوء الأدب، وهذا أبلغ لما يلزم ذلك بالطريق الأولى على سبيل الكناية الرمزية اهـ كرخي.

فائدة:

أثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسملة وحذفوه منها لكثرة دورها وهم شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه، وهذا معروف لا يجهل وإثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر ذلك الحذف منه، ولذا لا تحذف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة من الأسماء، وقد أوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة اهـ خطيب.

قوله: (لا زائدة) أي: للتأكيد وتقوية الكلام أي: فمعناه أقسم، وقيل: نافية والمنفي محذوف وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا صحة لما يقول الكافر ثم ابتدأ فقال: أقسم وهي لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ فاتصلت اللام بخبره تقديره فلأقسم باللام فقط، قال الطيبي: ومعناه فلأنا أقسم وإنما قدر المبتدأ، لأن لام الابتداء لا تدخل على الجملة الفعلية اهـ كرخي.

قوله: ﴿بمواقع النجوم﴾ مواقع النجوم مشارقها ومغاربها في قول قتادة وغيره، وقال عطاء بن أبي رباح: منازلها، وقال الحسن: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، وقال الضحاك: هي الأنواء التي كانت أهل الجاهلية تقول إذا مطروا مطرنا بنوء كذا، وقال الماوردي: ويكون فلا أقسم بمواقع النجوم مستعملاً في حقيقته من نفي القسم، وقال القشيري: هو قسم، ولله أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة قلت: يدل على هذا قراءة الحسن فلأقسم، وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوماً ما أنزله الله تعالى في اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل في عشرين سنه ونجمه جبريل على النبي عليهما السلام في

من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي المتلو عليكم ﴿لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾

عشرين سنة فهو ينزل على الأحداث من أمته حكاه الماوردي عن ابن عباس والسدي اهـ قرطبي.

قوله: (بمساقطها لغروبها) لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره ولأنه وقت قيام المتهجدين من عباده الصالحين اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ معترض بين القسم وجوابه مقرر للتوكيد وتعظيم للمحلوف به، والله أعلم بسر عظمته وفي أثناء هذا الاعتراض اعتراض آخر وهو قوله: لو تعلمون فإنه اعتراض بين الموصوف وهو قسم وصفته وهي عظيم، والحاصل أنهما اعتراضان أحدهما في ضمن الآخر الأول بين القسم وجوابه، والثاني بين الصفة والموصوف كما جرى عليه الكشاف هنا وليس من باب الاعتراض بأكثر من جملة، كما أوهمه كلام الكشاف في تفسير قوله: ﴿وإني سميتها مريم﴾ [آل عمران: ٣٦] اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى اهـ.

وقوله: سدى أي هملاً والمراد به هنا تكليفهم بالأوامر والنواهي وبيان ما ينتظم به المعاش والمعاد، وهذا توطئة لقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ وبيان لمناسبة المقسم به للقسم عليه لتضمن القرآن جميع المصالح الدنيوية والأخروية اهـ شهاب.

قوله: ﴿لو تعلمون﴾ جواب لو محذوف أشار إليه وإلى أن الفعل منزل منزلة اللازم بقوله: أي لو كنتم الخ اهـ شيخنا.

وقوله: إنه لقرآن كريم أي كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي في جنسه اهـ بيضاوي.

وهذه صفة أولى لقرآن، وفي كتاب صفة ثانية، ولا يمسه ثالثة، وتنزيل رابعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ أي: أن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ قرآن كريم أي عزيز مكرم لأنه كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه ﷺ، وقيل: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير، وسمي القرآن كريماً لأنه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين، وقيل: الكريم اسم جامع لما يحمد، والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه، والحكيم يستمد منه ويحتج به، والأديب يستفيد منه ويتقوى به، فكل عالم يطلب أصل علمه منه، وقيل: سمي كريماً لأن كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب، وقيل: إن الكلام إذا تكرر مراراً سئمه السامعون ويهون في الأعين وتمله الآذان، والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترديد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الألسنة، بل هو غض طري أبد الدهر اهـ خازن.

مكتوب ﴿مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ مصون وهو المصحف ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي الذين طهروا أنفسهم من الأحداث ﴿تَنزِيلٞ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾ متهاونون مكذبون ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ من المطر، أي

قوله: (مصون) أي: من التعبير والتبديل على حد قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] اهـ شيخنا.

قوله: (وهو المصحف) وقيل: هو اللوح المحفوظ، وعبارة البيضاوي: ﴿في كتاب مكنون﴾ مصون وهو اللوح ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدروات الجسمانية وهم الملائكة اهـ.

فالجملة صفة لكتاب المفسر باللوح المحفوظ ونفي مسه كناية عن لازمه وهو نفي الاطلاع عليه وعلى ما عليه، والمراد بالمطهرين حينئذ جنس الملائكة فطهارتهم نقاء ذواتهم عن كدورات الأجسام فهي طهارة معنوية اهـ شهاب.

قوله: (خبر بمعنى النهي) يؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود ما يمسه بما النافية اهـ سمين.

وحينئذ فضمة السين إعرابية، وقوله: بمعنى النهي أي: لا يمسوه أي: يحرم عليهم مسه بدون الطهارة، ولم يبق صريحاً على خبريته لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى لأنه كثيراً ما يمس بدون طهارة، والخلف في خبره تعالى محال اهـ شيخنا.

وهذا أحد وجهين ذكرهما السمين، ثم قال: والثاني أنها ناهية والفعل بعدها مجزوم، لأنه لو فكَّ عن الادغام لظهر ذلك كقوله تعالى: ﴿لم يمسسهم سوء﴾ [آل عمران: ١٧٤] ولكنه أدغم حرك آخره بالضم لأجل هاء ضمير المذكر الغائب اهـ كرخي.

وضعف ابن عطية النهي بأن قوله بعد تنزيل من رب العالمين صفة فيلزم الفصل بين الصفات وذلك لا يحسن، وأجيب: بأن قوله تنزيل لا يتعين أن يكون صفة لجواز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل، فلا يمتنع حينئذٍ أن يكون لا يمسه نهياً ويمسه مجزوم في التقدير، إذ لو فك لظهر الجزم، ولكنه لما أدغم حرك آخره لأجل الادغام وكانت الحركة ضمة اتباعاً لضمة الهاء اهـ.

قوله: (منزل) وسمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة. يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق اهـ خازن.

قوله: ﴿أنتم مدهنون﴾ مبتدأ وخبره، وقوله: بهذا الحديث متعلق بالخبر مقدم عليه، وقوله: وتجعلون معطوف على الخبر، وقوله: رزقكم على حذف المضاف كما قدره أي شكره قوله: ﴿أنكم تكذبون﴾ مفعول ثان اهـ شيخنا.

وأصل الإدهان جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشيء من الدهن، ولما كان ذلك مليناً له ليناً محسوساً أريد به اللين المعنوي على أنه تجوز به عن مطلق اللين أو استعير له، ولذا سميت المداراة والملاينة مداهنة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية، فلذا تجوز به هنا عن التهاون أيضاً لأن المتهاون

شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ هو مجرى الطعام ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ من البصيرة أي لا تعلمون ذلك ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا

بالأمر لا يتصلب فيه اهـ شهاب.

وفي السمين: ومعنى مدهنون متهاونون كمن يداهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به يقال: أدهن فلان أي لاين وهاود فيما لا يحتمل، وقال الراغب: والإدهان في الأصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد اهـ.

وفي القرطبي: والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه فإنه شبه بالدهن في سهولة ظاهره، وقال مقاتل بن سليمان، وقتادة: مدهون كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون، وقال المؤرج: المدهن المنافق أو الكافر الذي يلين جانبه ليخفي كفره، والإدهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق وأصله اللين وأن يضمر خلاف ما يظهر، وأدهن وداهن بمعنى واحد، وقال قوم: داهنت بمعنى واريت وأدهنت بمعنى غششت، وقال الضحاك: مدهنون معرضون، وقال مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر، وقال ابن كيسان: المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل، وقال بعض اللغويين: مدهنون تاركون للجزم في قبول القرآن اهـ.

قوله: (بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله أي يكون الله هو الذي أسقاكم اهـ شيخنا.

قوله: (حيث قلتم مطرنا بنوء كذا) واختلفوا فيمن قال هذه الكلمة على قولين، أحدهما: أنه كافر إذا قاله معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر آت بالمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم ذلك. الثاني: أنه غير كافر لكن إن قاله معتقداً أن الموجد للمطر هو الله وأن النوء ميقات له، وأن مراده مطرنا في وقت طلوع نجم كذا اهـ خازن.

ومنه تعلم أن الخلف لفظي ثم قال: واختلفوا في كراهة هذا المقول والأظهر أنها كراهة تنزيه، وسببها أن الكلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعائر الجاهلية اهـ.

قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ ترتيب الآية الكريمة هكذا فلولا ترجعونها أي النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، فلولا الثانية توكيد قاله الزمخشري. قلت: فيكون فلولا فلولا ترجعونها من باب التوكيد اللفظي، ويكون إذا بلغت طرفاً لترجعونها مقدماً عليها إذ لا مانع منه أي فلولا ترجعون النفس في وقت بلوغها الحلقوم، وقوله: وأنتم حينئذ تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت، والتنوين في حينئذ عوض من الجملة المضافة إليها إذ أي إذا بلغت الحلقوم، خلافاً للأخفش حيث زعم أن التنويم للصرف والكسر والاعراب، وقد مضى تحقيقه، وقرأ العامة بفتح نون حينئذ لأنه منصوب على الظرف ناصبه تنظرون، وقوله: ونحن أقرب إليه يجوز أن يكون حالاً أي تنظرون إليه في هذه الحالة التي تخفى عليكم، وأن تكون مستأنفة فيكون اعتراضاً والاستدراك ظاهر اهـ سمين.

قوله: (من البصيرة) أي أو من البصر أي وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت اهـ سمين.

وفي الحديث: أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى ينتهوا

﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ مجزيين بأن تبعثوا، أي غير مبعوثين بزعمكم ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردُّون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فيما زعمتم، فلولا الثانية تأكد للأولى، وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه، أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ ﴿فَرَوْحٌ﴾

بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت، وأنتم حينئذ تنظرون أمري وسلطاني، وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيء اهـ قرطبي.

قوله: (أي لا تعلمون ذلك) أي: أنا أقرب إليه بالعلم أو لا تعلمون ما هو فيه من المشقة والكرب اهـ شيخنا.

قوله: (مجزيين) أي فمدينين من الدين بمعنى الجزاء، والباء سببية في قوله: بأن تبعثوا، وقوله: أي غير مبعوثين تفسير مراد أي فتجوز بالدين هنا عن البعث اهـ شيخنا.

قوله: (فلولا الثانية) أي التي في قوله: ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ تأكيد أي لفظي للأولى أي التي في قوله: فلولا إذا بلغت، وقوله: وإذا ظرف أي لا شرطية على المختار فلا تستحق جواباً هنا خلافاً لمن قال به، وقوله: لترجعون أي فقدم الظرف على عامله، وقوله: المتعلق به الشرطان وهما إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين، ومعنى تعلقهما به أنه جزاء لهما أي لكل منهما، ففي العبارة نوع قلب إذ الجزاء هو الذي يتعلق بالشرط، وقوله: والمعنى هلا ترجعونها لو أخره عن الشرطين بعده لكان أظهر في الفهم بأن يقول إن نفيتم البعث صادقين في نفيه فهلا ترجعونها وهلا تحضيضية فهي للطلب والمعنى ارجعوها، وقوله: إن نفيتم البعث هذا هو شرط الأول المذكور بقوله: إن كنتم غير مدينين، وقوله: صادقين في نفيه هذا هو الشرط الثاني المذكور في قوله: إن كنتم صادقين، وقوله: أي لينتفي علة للجزاء الذي هو قوله هلا ترجعونها، وقوله: عن محلها وهو الجسد. وملخص الكلام إن صدقتم في نفي البعث فردوا روح المحتضر إلى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث وهذا على حد قوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣] الخ اهـ شيخنا.

وقوله: إن كنتم صادقين ليس من اعتراض الشرط على الشرط نحو: إن ركبت إن لبست فأنت طالق حتى يجيء فيه ما قدمته في هذه المسألة لأن المراد هنا إن وجد الشرطان كيف كانا فهلا رجعتم بنفس الميت اهـ سمين.

قوله: ﴿كالبعث﴾ في نسخة فالبعث.

قوله: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ الخ شروع في بيان حال المتوفي بعد الممات أثر بيان حاله عند الوفاة أي: فأما إن كان الذي بيّن حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة الخ اهـ أبو السعود.

والمراد بالمقربين السابقون لقوله فيما تقدم والسابقون السابقون أولئك المقربون اهـ شهاب.

والمراد بأصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم كما تقدم تفسيرهم بذلك اهـ.

قوله: ﴿فروح﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره، وقرأ العامة بفتح الراء ومعناه الاستراحة كما قال

أي فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ وهل الجواب لأما، أو لإن، أو لهما؟ أقوال ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي له السلامة من العذاب ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ من جهة أنه منهم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ تقدم.

الشارح، وقرأ بعضهم بضم الراء ومعناه الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم اهـ سمين.

وفي القاموس: الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح اهـ.

والريحان الرحمة والرزق كما في المختار.

قوله: ﴿وجنت نعيم﴾ ترسم جنت هنا مجرورة التاء، ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، والباقون بالتاء على الرسم اهـ خطيب.

قوله: (وهل الجواب لأما) أي وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه وهذا هو الراجح لأنه عهد حذف جواب إن كثيراً اهـ شيخنا.

وفي السمين: قال مكي: ومعنى أما عند أبي إسحاق الخروج من شيء إلى شيء أي دع ما كنا فيه وخذ في غيره. قلت: وعلى هذا فيكون الجواب لإن فقط لأن أما ليست شرطاً، ورجح بعضهم أن الجواب لأما لأن إن كثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع شرط آخر أولى اهـ.

قوله: (أي له السلامة) أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة. قال القاري: وهذا تفسير غريب اهـ.

وعبارة البيضاوي: فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين أي من إخوانك يسلمون عليك، انتهت.

قال الشهاب: يعني أنه التفات بتقدير القول، ومن للابتداء كما يقال سلام من فلان على فلان أن يقال لك سلام لك اهـ.

قوله: (من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن من تعليلية أي من أجل أنه منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ الخ إنما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها وإشعاراً بما أوجب لهم هذا العذاب يعني أن مقتضى الظاهر أن يقال: وأما إن كان من أصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فنزل﴾ مبتدأ خبره محذوف أي له نزل من حميم يشربه بعد أكل الزقوم، أي: له قرى وإكرام بأكل الزقوم وشرب الحميم وتصلية الجحيم وهذا تهكم بهم كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتصلية جحيم﴾ أي احتراق بها اهـ.

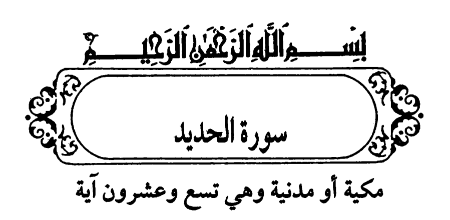
. . . .

قوله: ﴿إن هذا﴾ أي ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك في هذه السورة من أولها إلى آخرها اهـ خازن.

قوله: (تقدم) الذي تقدم في كلامه أن سبح بمعنى نزه وإن لفظ باسم زائد اهـ.

أي نزه ربك العظيم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: باسم ربك يجوز أن تكون الباء للحال أي فسبح ملتبساً باسم ربك على سبيل التبرك كقوله: ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ [البقرة: ٣٠] وأن تكون للتعدية على أن سبح يتعدى بنفسه تارة كقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] وبحرف الجر تارة كهذه الآية وادعاء زيادتها خلاف الأصل، والعظيم يجوز أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك، لأن كلاً منهما مجرور، وقد وصف كل منهما في قوله: ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمٰن: ٧٨] و ﴿ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمٰن: ٧٨] ولتقارب المتضايفين في الإعراب ظهر الفرق في الوصف والله أعلم اهـ.



سورة الحديد

مكية أو مدنية وهي تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نزهه كل شيء، فاللام مزيدة، وجيء بما دون من تغليباً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (أو مدنية) قاله ابن عباس وعليه الجمهور، وقال غيره كالزمخشري إنها مكية اهـ كرخي.

وفي القرطبي: أنها مدنية في قول الجميع اهـ.

ويرد عليه ما نقل في سبب إسلام عمر بن الخطاب أنه لما قرأ هذه الآيات من أول هذه السورة إلى قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ وكانت مكتوبة في صحيفة عند أخته أسلم، فهذا يقتضي أن هذه الآيات مكية، فعلى هذا تستثنى على القول بأن السورة مدنية تأمل.

قوله: ﴿سبح لله﴾ عبَّر هنا وفي الحشر والصف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الاسراء بالمصدر استيفاء للجهات، المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في الإسراء لأنه الأصل وأبلغ من حيث إنه مشعر بإطلاقه أي بواسطة كونه مطلقاً عن التعرض للفاعل والزمان، ثم بالماضي لسبق زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والاستقبال، ثم بالأمر لخصوصه بالاستقبال مع تأخره في النطق به في قولهم فعل يفعل أفعل اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الأرض والماء ذهب وابعد فيهما وحيث أسندها هنا إلى غير العقلاء أيضاً فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزاء منهما كما مرَّ في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم، فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وسبحوه﴾ واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له، أو للتعليل أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضياً، وفي البعض مضارعاً للايذان بتحققه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه

للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ في صنعه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد كل

التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون اهـ.

وفي الخازن: سبح لله ما في السموات والأرض يعني أن كل ذي روح وغيره يسبح لله تعالى، فتسبيح العقلاء تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه، فقيل: تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه، وقيل: تسبيحه بالقول ويدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي قولهم، والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر إلا من العاقل العارف بالله تعالى. وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان، أحدهما: أنه يدل على تعظيمه وتنزيهه. والثاني: أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف كيف يشاء، فإن حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة والمسبحون في الأرض هم المؤمنون العارفون بالله، وإن حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الأرضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء اهـ.

قوله: (أي نزهه كل شيء) أي: من المؤمنين العقلاء وغيرهم من سائر المخلوقات فتنزيه العقلاء المؤمنين بلسان المقال وتنزيه باقي الخلق بلسان الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء، والباقون بضمها اهـ خطيب.

قوله: ﴿ملك السموات والأرض﴾ أي: فإنه الموجد لهما والمتصرف فيهما ذكره مرتين وليس بتكرار، لأن الأول: في الدنيا كما أشار إليه في التقرير، والثاني: في العقبى لقوله عقبه: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ اهـ كرخي.

وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وقوله: يحيي ويميت مستأنف أيضاً أو خبر لمبتدأ مضمر أو حال من الضمير في له والعامل الاستقـرار اهـ سمين.

قوله: ﴿هو الأول﴾ (قبل كل شيء) عبارة البيضاوي: هو الأول السابق على جميع الموجودات من حيث أنه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها، أو هو الأول الذي تبتدأ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجاً والآخر ذهناً. والظاهر والباطن: الظاهر وجوده لكثرة دلائله، والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم بباطنه، انتهت.

وقوله: ولو بالنظر إلى ذاتها يعني أن أبدية بقائه وفناء كل موجود سواه لا ينافي كون بعض

شيء بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي استواء يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ ﴿لَهُ

الموجودات إذا أوجدها الله تعالى لا تفنى كالجنة والنار ومن فيهما لما هو مقرر، لأن المراد أنها فانية في حد ذاتها وإن كانت بالنظر إلى استنادها لموجدها باقية كما مرَّ في قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمٰن: ٢٦] اهـ شهاب.

قال الزمخشري، فإن قلت: ما معنى الواو؟ قلت: الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة معناها الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، والوسطى معناها أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين اهـ سمين.

وفي البيضاوي: والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين، والوسطى للجمع بين المجموعين اهـ.

يريد بذلك أن الواو الأولى والثالثة عطفت مفرداً على مفرد، وأما الثانية فإنها عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين، وهذه الواو في المفردات كالواو العاطفة قصة على قصة في الجمل لأنها لو عطفت الظاهر وحده على أحد الأولين لم يحسن لعدم التناسب بينهما والمجموع مناسب للمجموع في الاشتمال على أمرين متقابلين اهـ شهاب.

روى مسلم، عن سهل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، وفي رواية: من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر. وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ اهـ خازن.

قوله: (عن إدراك الحواس) أي: وعن إدراك حقيقة ذاته فلا تكنهها العقول أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة، فاضمحل ما في الكشاف من أن فيه حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة اهـ كرخي.

قوله: (والسيئة) اعترضه القاري بأن الذي يرفع من الأعمال هو الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهو معكم﴾ (بعلمه) أي: وقدرته لا ينفك عنكم علمه وقدرته بحال اهـ بيضاوي.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝﴾ الموجودات جميعاً ﴿يُولِجُ الَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد، وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ﴾ فيزيد، وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿ءَامِنُوا﴾ دوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العسرة

قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما، فإن ما قبله حيث جعل كناية عن المجازاة إشارة إلى الإعادة وكذا ما بعده، كما أن قوله: يحيي ويميت إشارة إلى الإبداء اهـ كرخي.

قوله: ﴿ترجع الأمور﴾ قد تقدم في البقرة أن الأخوين وابن عامر يقرؤون بفتح التاء وكسر الجيم مبنياً للفاعل، والباقون مبنياً للمفعول في جميع القرآن اهـ سمين.

قوله: ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ لما ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخطب كفار قريش، ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والإعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر اهـ خازن.

قوله: (دوموا على الإيمان) إشارة إلى أنه خطاب مع من عرف الله لا مع من لم يعرفه، فالمقصود من هذا الأمر معرفة الصفات اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أي: من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها أو التصرف فيها، وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس اهـ بيضاوي.

أي: فالخلافة إما عمن له التصرف الحقيقي وهو الله وهو المناسب لقوله: له ملك السموات والأرض أو عمن تصرف فيها قبله ممن كانت في أيديهم وانتقلت لهم، فالحث على الإنفاق وتهوينه على الأول ظاهر لأنه أذن له في الإنفاق من ملك غيره ومثله يسهل إخراجه، وعلى الثاني أيضاً لأن من علم أنه لم يبق لمن قبله علم أنه لا يدوم له أيضاً فيسهل عليه إخراجه.

وما المال والأهلون إلا ودائع

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مستخلفين فيه﴾ أي: باستخلاف الله لكم فيه أي: جعلكم الله خلفاء فيه فظهرت صيغة المفعول على هذا الوجه، وأما على قوله (وسيخلفكم الخ) فظهورها جلي اهـ شيخنا.

قال الكرخي: وهذا المعنى الثاني أرجح لأنه يندرج في المنفق منه أشياء لا تندرج في الأول وهي أن كل ما نكسبه في زماننا فإنا نقطع بأنا لم نأخذه عمن قبلنا ونقطع بأن من بعدنا يخلفنا فيه، وذكر الله وصف الاستخلاف لينبه على أن هذا المال شأنه أن ينتقل ويزول عنا ويأخذه غيرنا بعدنا، فلا ينبغي البخل به فإنه في الحقيقة ليس لنا وإنما نحن فيه بمنزلة الوكلاء نحفظه لمن يأتي بعدنا، فلو صرفناه في الوجوه التي تنفعنا في المعاد لكان صواباً اهـ.

قوله: (نزل في غزوة العسرة الخ) يشكل هذا على القول بأن السورة مكية وكذا على القول بأنها

وهي غزوة تبوك ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار، أي لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء وبفتحهما ونصب ما بعدهما ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عليه أي أخذه الله في عالم الذر حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾

مدنية على استثناء هذه الآيات اهـ.

قوله: (وهي غزوة تبوك) مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وبعضهم يصرفه على إرادة الموضع فقد جاء في البخاري مصروفاً وممنوعاً من الصرف اهـ شيخنا.

عن الشيخ عبد البر الأجهوري وكانت هذه الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف وهي آخر غزواته ﷺ ولم يقع فيها قتال، بل لما وصلوا إلى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع الجزية، فرجع ﷺ على الصلح. وإيضاح هذه القصة مذكورة في سورة براءة عند قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله﴾ [التوبة: ٣٨] الخ فراجعه إن شئت تأمل.

قوله: (إشارة إلى عثمان الخ) فإنه جهز في غزوة العسرة ثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله ﷺ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ مبتدأ وخبر وحال أي: أي شيء احتقر لكم غير مؤمنين اهـ سمين.

قوله: (أي لا مانع لكم من الإيمان) فيه إشارة إلى أن ما استفهام معناه الإنكار وأن لا تؤمنون حال والعامل معنى الفعل في ما لكم، كما تقول: مالك لا تقوم منكراً عليه عدم قيامه اهـ كرخي.

قوله: ﴿والرسول يدعوكم﴾ جملة حالية من الواو في تؤمنون ولتؤمنوا متعلق بيدعوكم أي: يدعوكم للإيمان، كقولك: دعوته لكذا، وقوله: وقد أخذ ميثاقكم جملة حالية أيضاً من الكاف في يدعوكم فهما حالان، وإحداهما داخلة في الأخرى اهـ من السمين.

قوله: (وبفتحهما) سبعيتان. قوله: (أي أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين وحمل للأخذ على حقيقته، وهو المأخوذ يوم الذر فهو أولى من قول القاضي كالكشاف أي: وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكن من النظر اهـ.

فكل ما أجازه العقل وورد به السمع وجب الإيمان به اهـ كرخي.

قوله: (أي مريدين الإيمان به) أشار به إلى جواب كيف قال: وما لكم لا تؤمنون بالله، ثم قال سبحانه: إن كنتم مؤمنين، وإيضاحه إن كنتم مريدين فما المانع لكم والرسول يدعوكم إليه وقد أقام البرهان، وقيل: إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فإن شريعتهما تقتضي الإيمان بمحمد ﷺ، أو إن كنتم مؤمنين بالميثاق الذي أخذه عليكم، وقيل: إن بمعنى إذ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليخرجكم﴾ أي: الله أو العبد وهو محمد ﷺ.

الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون أن، في لام لا ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما فيهما، فيصل إليه أموالكم من غير أجر الانفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا﴾ من

قوله: ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ أي: حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ألا تنفقوا﴾ أي: في أن لا تنفقوا فموضعه نصب أو جر، وليست أن زائدة بل هي مصدرية والمعنى في عدم الإنفاق اهـ شيخنا.

وهذا توليخ لهم على ترك الإنفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذي بين حاله فيما سبق وتبيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أي: وأي شيء لكم في أن تنفقوا فيما هو قربة إلى الله، وقوله: لله ميراث السموات والأرض حال من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله مؤكدة للتوبيخ، فإن ترك الإنفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقيق ما يوجب الإنكار أشد في القبح وأدخل في الإنكار كأنه قيل: وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ألا تنفقوا هو كقوله: أن نقاتل في سبيل الله، فالأصل في أن لا تنفقوا فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهود، وأبو الحسن يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة، وقوله: ولله ميراث السموات والأرض فهذه حال منافية لبخلكم اهـ.

وقوله: فالأصل في أن لا تنفقوا هكذا قدر الحرف المحذوف في، ويصح تقديره من، وعبارة القرطبي: أي: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله اهـ.

قوله: ﴿في سبيل الله﴾ أي: طاعته وما يكون قربة إليه اهـ بيضاوي.

فسبيل الله كل خير يوصلهم إليه فهو استعارة تصريحية اهـ شهاب.

قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ أي: أنهما راجعتان إليه بانقراض ما فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق اهـ قرطبي.

قوله: ﴿لا يستوي منكم﴾ الخ بيان لتفاوت درجات المنفقين، وقوله: أولئك الإشارة إلى من أنفق والجمع بالنظر إلى معنى من، كما أن إفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها ومحله الرفع على الابتداء أي: أولئك المنعوتون بهذين النعتين الجليلين أعظم درجة الخ أي: لأن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا من قبل فعلوا من الإنفاق والقتل قبل عزة الإسلام وعزة أهله، فكان ذلك في وقت الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم رسول الله: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» وأما الذين أنفقوا وقاتلوا من بعد الفتح فما فعلوه كان بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجاً وقلة الحاجة إلى الناس والقتال اهـ سمين.

الفريقين، وفي قراءة بالرفع مبتدأ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ فيجازيكم به ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه الله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة

وهذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، فإنه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً شديداً أشرف به على الهلاك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من أنفق﴾ هو فاعل لا يستوي، والاستواء لا يتم إلا بذكر اثنين كقوله: ﴿لا يستوي الخبيث والطيب﴾ [المائدة: ١٠٠] فلا بد من حذف مضاف قدره الزمخشري لا يستوي منكم من أنفق من قبل فتح مكة وقوة الإسلام، ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة عليه، فإن الاستواء يكون بين الشيئين ومن ثم حذفه الشيخ المصنف وتبعه في كون الفتح فتح مكة، وقد تقدم أنه صلح الحديبية على الراجح وذكر القتال للاستطراد اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ قرأ العامة بالنصب على أنه مفعول مقدم وهي مرسومة في مصحفهم وكلاً بالألف، وابن عامر برفعه وفيه وجهان، أظهرهما أنه ارتفع على الابتداء والجملة بعده خبر والعائد محذوف أي: وعده الله اهـ سمين.

قوله: ﴿من ذا الذي﴾ من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه اهـ أبو السعود.

ويصح أن يكون من ذا مبتدأ والموصول خبره كما تقدم، وهذا منه تعالى في غاية اللطف بنا والإحسان إلينا حيث أعطانا الأموال من عنده وجعل رجوعها إليه منا قرضاً مع أنه المالك الحقيقي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قرضاً حسناً﴾ سمي قرضاً لأن القرض إخراج المال لاسترداد البدل أي: من ذال الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله الأضعاف الكثيرة اهـ قرطبي.

وفي الشهاب: فيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الإنفاق في سبيل الله بإقراضه والجامع إعطاء شيء بعوض اهـ.

وفي الخازن: قرضاً حسناً أي صادقاً محتسباً بالصدقة طيبة بها نفسه، وسمي هذا الإنفاق قرضاً لله من حيث أن الله وعد به الجنة تشبيهاً بالقرض. قال بعض العلماء: القرض لا يكون حسناً حتى يجمع أوصافاً عشرة، وهي أن يكون المال من الحلال، وأن يكون من أجود المال، وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه، وإن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها، وأن تكتم الصدقة ما أمكنك، وأن لا تتبعها بالمن والأذى، وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس، وأن تستحقر ما تعطي وإن كان كثيراً، وأن يكون من أحب أموالك إليك، وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير، فهذه عشر خصال إذ اجتمعت في الصدقة كانت قرضاً حسناً اهـ.

وقيل: القرض الحسن هو أن تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر رواه سفيان عن أبي حيان. قال زيد بن أسلم: هو النفقة على الأهل، وقال الحسن: هو التطوع بالعبادات، وقيل: إنه

فيضعفه بالتشديد ﴿لَهُۥ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ مقترن به رضا وإقبال، اذكر ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيۡمَٰنِهِم﴾ ويقال لهم ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾ أي ادخلوها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

عمل الخير، والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء اهـ قرطبي.

قوله: (وفي قراءة فيضعفه) وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع أو منصوب، فالقراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قال ابن عطية: الرفع هنا على العطف أو الاستئناف والنصب بالفاء على جواب الاستفهام اهـ سمين.

قوله: ﴿وله﴾ (مع المضاعفة) ﴿أجر كريم﴾ أي: زائد على المضاعفة إلى السبعمائة يعلم الله قد رهذا الزائد، فهذا على حد قوله في سورة البقرة: ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله فيها: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١]. قوله: (رضا وإقبال) فاعل مقترن اهـ شيخنا.

قوله: (اذكر) ﴿يوم ترى﴾ الخ عبارة السمين: قوله: يوم ترى فيه أوجه، أحدها: أنه معمول للاستقرار العامل في وله أجر أي: استقر له أجر في ذلك اليوم. الثاني: أنه مضمر أي اذكر فيكون مفعولاً به. الثالث: تقديره يؤجرون يوم ترى فهو ظرف على أصله. الرابع: أن العامل فيه يسعى أي: يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم هذا أصله. الخامس: أن العامل فيه فيضاعفه قاله أبو البقاء: ويسعى حال لأن الرؤية بصرية، وهذا إذا لم نجعله عاملاً في يوم وبين أيديهم ظرف ليسعى، ويجوز أن يكون حالاً من نورهم اهـ.

قوله: ﴿يسعى نورهم﴾ أي: على الصراط بين أيديهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وبأيمانهم﴾ أي: ويسعى في جهة أيمانهم، وهذه قراءة العامة أعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل: الباء بمعنى عن أي عن جميع جهاتهم إنما خص الأيمان لأنها أشرف الجهات، وقرأ أبو حيوة، وسهل بن شعيب بكسرها، وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله، والباء سببية أي: يسعى كائناً بين أيديهم وكائناً بإيمانهم، وقال أبو البقاء تقديره وبإيمانهم استحقوه أو بإيمانهم يقال لهم بشراكم اهـ سمين.

وفي الخازن: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أي: عن أيمانهم، وقيل: أراد جميع الجهات فعبّر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه». وقال عبد الله بن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنحلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى. وقيل في معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم ويعطون كتبهم بأيمانهم اهـ.

قوله: ﴿و﴾ (يكون) ﴿بأيمانهم﴾ هذا التقدير لا داعي إليه بل إبقاء النظم على ظاهره أوضح وهو

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا ﴾ أبصرونا، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا ﴿ نَقْتَبِسْ ﴾ نأخذ القبس والاضاءة ﴿ مِن نُّورِكُمْ ﴾ ﴿ قِيلَ ﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ فرجعوا ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم ﴾ وبين المؤمنين ﴿ بِسُورٍ ﴾ قيل هو

تسليط يسعى على الظرفين أعني بين أيديهم وبأيمانهم اهـ.

قوله: (ويقال لهم الخ) أي: تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أي: بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان اهـ خطيب.

قوله: (أي دخولها) إيضاح هذا الإعراب ما ذكره السمين بقوله: بشراكم مبتدأ، واليوم ظرف، وجنات خبره على حذف مضاف أي: المبشر به دخول جنات، وهذه الجملة في محل نصب بقول مقدر وهو العامل في الظرف كما تقدم اهـ.

ثم قال: قوله خالدين نصب على الحال، والعامل فيها المضاف المحذوف إذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها، فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب وأضيف المصدر لمفعوله فصار دخول جنات، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، ولا يجوز أن يكون بشراكم هو العامل فيها لأنه مصدر قد أخبر عنه قبل ذكر متعلقاته، فيلزم الفصل بأجنبي اهـ.

ومعلوم أن البشرى بمعنى المبشر به اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هذا إذا كان قوله ذلك هو الفوز العظيم قول الله تعالى لا من جملة مقول الملائكة، وإلاَّ فالإشارة حينئذ إلى الجنة بتأويل ما ذكر أو لكونها فوزاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم يقول المنافقون﴾ بدل من يوم ترى فيكون معمولاً لاذكر المقدر، وقال ابن عطية: ويظهر لي أن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم كأنه يقول إن المؤمنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا، لأن ظهور المرء يوم خمود عدوه أبدع وأفخم اهـ سمين.

قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ اللام للتبليغ، وقراءة العامة انظرونا أمر من النظر، وقرأ حمزة أنظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء من الإنظار بمعنى الانتظار أي: انتظرونا لنلحق بكم فنستضيء بنوركم، والقراءة الأولى يجوز أن تكون بمعنى هذه إذ يقال نظره بمعنى انتظره، وذلك أنه يسرع بالخلوص إلى الجنة على نجب، فيقول المنافقون: انتظرونا لأنا مشاة لا نستطيع لحوقكم، ويجوز أن يكون من النظر وهو الإبصار لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان، وهذا أليق بقوله: ﴿نقتبس من نوركم﴾ قال معناه الزمخشري، إلاَّ أن الشيخ قال: إن النظر بمعنى الإبصار لا يتعدى بنفسه إلا في الشعر وإنما يتعدى بإلى اهـ سمين.

قوله: (امهلونا الخ) أي: تمهلوا لنا لندرككم. قوله: ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ أي: قال لهم المؤمنون أو الملائكة الموكلون بهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وراءكم﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه منصوب بارجعوا على معنى ارجعوا إلى الموقف

سور الأعراف ﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ على الطاعة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ

إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوا هناك فمن ثم يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو فارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نوراً آخر سبيل فلا لكم إلى هذا النور. والثاني: أن وراءكم اسم فعل فيه ضمير فاعل أي: ارجعوا ارجعوا قاله أبو البقاء، ومنع أن يكون ظرفاً لارجعوا قال لقلة فائدته لأن الرجوع لا يكون إلا إلى وراء، وهذا فاسد لأن الفائدة جليلة كما تقدم شرحها اهـ سمين.

قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ العامة على بنائه للمفعول، والقائم مقام الفاعل يجوز أن يكون بسور وهو الظاهر وأن يكون الظرف، والباء مزيدة أي: ضرب بينهم سور اهـ سمين.

والظاهر أن قوله: فضرب بينهم الخ معطوف على قوله: قيل ارجعوا وراءكم متفرع عليه، فإن المؤمنين أو الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بأنوار معارفهم وأعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم، فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين النور الذي يؤديهم إلى الجنة سور، فعلى هذا يكون قوله: فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية، وقيل: يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بما ذكر أو هو حجاب الأعراف اهـ زاده.

قوله: ﴿له باب﴾ مبتدأ أو خبر في موضع جر صفة لسور، وقوله: ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون في موضع جر صفة ثانية لسور، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه، والضمير إنما يعود على الأقرب إلا بقرينة، وقرأ زيد بن علي، وعمر بن عبيد: فضرب مبنياً للفاعل وهو الله اهـ سمين.

قوله: ﴿ينادونهم﴾ الخ جملة حالية من الضمير في بينهم أو استئناف وهو الظاهر اهـ سمين.

مبني على سؤال كأنه قيل: فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب؟ فقيل: ينادونهم الخ اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ينادونهم أي: ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم في الدنيا، يعني نصلي كما تصلون، ونغزو مثل ما تغزون، ونفعل مثل ما تفعلون؟ قالوا: بلى أي: يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم فتنتم أنفسكم أي: استعملتموها في الفتنة، وقال مجاهد: أهلكتموها بالنفاق، وقيل: بالمعاصي قاله أبو سنان، وقيل: بالشهوات واللذات رواه أبو نمير الهمداني اهـ.

قوله: ﴿ألم نكن معكم﴾ يجوز أن يكون تفسيراً للنداء، وأن يكون منصوباً بقول مقدر اهـ سمين.

قوله: (الدوائر) أي: الحوادث. قوله: ﴿حتى جاء أمر الله﴾ قرأ قالون، وأبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر، وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية، والباقون بتحقيقهما اهـ خطيب.

﴿ٱللَّهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝١٤﴾ الشيطان ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ هي ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾

قوله: ﴿وغركم بالله﴾ أي: بسعة رحمته. الغرور: بفتح العين في قراءة العامة وهو صفة على فعول، والمراد به الشيطان، وقرأ بعضهم الغرور بالضم وهو مصدر وتقدم نظيره اهـ سمين.

قوله: (الشيطان) أي: حيث يقول لكم إن الله كريم لا يعذبكم إن الله غفور رحيم، وماذا عسى أن تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم فلا يزال بالإنسان حتى يوقعه اهـ خطيب.

قوله: (فاليوم لا يؤخذ) الظرف متعلق بيؤخذ ولا يبالي بلا النافية وهو قول الجمهور، وقرأ ابن عامر: تؤخذ بالتأنيث للفظ الفدية، والباقون بالياء من تحت لأن التأنيث مجازي وللفصل اهـ سمين.

قوله: (ولا من الذين كفروا) إنما عطف الكافر على المنافق، وإن كان المنافق كافراً في الحقيقة، لأن المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق بهذا الاعتبار فحسن عطفه على المنافق اهـ خطيب.

قوله: ﴿هي مولاكم﴾ يجوز أن يكون مصدراً أي: ولايتكم أي: أي ذات ولايتكم، وأن يكون مكاناً أي مكان ولايتكم، وأن يكون بمعنى أولى كقولك: هو مولاه أي: أولى به اهـ سمين.

وفي أبي السعود: هي مولاكم أي: أولى بكم وحقيقة مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم، كما يقال: هو مئنة الكرم أي: مكانه لقول القائل إنه لكريم، أو مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب، أو ناصركم على طريقة قوله:

تحية بينهم ضرب وجيع

اهـ.

وفي الشهاب: قوله: وهو مئنة الكرم يعني أن مولاكم اسم مكان لا كغيره من أسماء الأمكنة فإنها مكان للحدث بقطع النظر عمن صدر عنه، وهذا محل للفضل على غيره الذي هو صفته فهو ملاحظ فيه معنى أولى، لا أنه مشتق منه كأنه المئنة مأخوذة من أن وليست مشتقة منها اهـ.

وقوله: أو ناصركم فالمعنى لا ناصر لكم إلا النار، كما أن معنى البيت لا تحية لهم إلا الضرب على التهكم، والمراد نفي الناصر ونفي التحية اهـ شهاب.

قوله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾ العامة على يأن بسكون الهمزة وكسر النون مضارع أنى من باب رمى فهو معتل حذفت منه الياء التي هي لامه للجازم، وقرأ الحسن البصري: يئن بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن من باب باع فجزم بسكون النون، ثم حذفت الياء التي هي عينه لالتقاء الساكنين فصار ألم يئن مثل ألم يبع اهـ من السمين.

وقول الجلال: يحن تفسير معنى تفسير إعراب لأنه بصدد تفسير قراءة الجمهور، لأن الفعل عليها معتل وجزمه بحذوف الياء، وحان يحين غير معتل فالفعل المضارع مجزوم بالسكون فهو يناسب قراءة الحسن تأمل. وفي البيضاوي: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، ألم يأن وقته يقال

نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على تخشع ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿ٱعْلَمُوٓا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات،

أنى الأمر يأني أنياً كرمى يرمي رمياً وأناه وأنى إذا جاء إناه أي: وقته، وقرىء بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين مثل باع يبيع، وقرىء ألما يأن اهـ.

وفي المختار: وحان له أن يفعل كذا يحين حيناً بالكسر أي: آن، وحان حينه أي: قرب وقته اهـ.

قوله: ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ أي: تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن لذكر الله اهـ خازن.

وأن تخشع فاعل يأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم، واللام قال أبو البقاء للتبيين، فعلى هذا تتعلق بمحذوف أي أعني للذين آمنوا ولا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: (لما أكثروا المزاح) أي: بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة فتكاسلوا عن العبادة وأكثروا المزاح، ففي الخازن: نزلت في المؤمنين، وذلك لأنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا، ونزل في ذلك ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾ الآية. قال ابن مسعود: وما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين أخرجه مسلم اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان. قوله: (معطوف على تخشع) أي: فلا نافية، ويجوز أن نكون ناهية ويكون ذلك انتقالاً إلى نهي أولئك المؤمنين عن كونهم مشبهين لمن تقدمهم نحو لا يقم زيد اهـ سمين.

قوله: ﴿فطال عليهم الأمد﴾ العامة على تخفيف الدال بمعنى الغاية، كقولك: أمد فلان أي غايته، وابن كثير في رواية بتشديدها وهو الزمن الطويل اهـ سمين.

قوله: ﴿فاسقون﴾ أي خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من أجل فرط قسوتهم اهـ بيضاوي.

قوله: (خطاب للمؤمنين المذكورين) وهم الصحابة الذين أكثروا المزاح اهـ شيخنا.

فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: ﴿إن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ هذا تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة، أو لإحياء الأموات ترغيباً في الخشوع وزجراً عن القساوة اهـ بيضاوي.

يعني أن قوله يحيي الأرض بعد موتها استعارة تمثيلية، والمعنى يلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه تليين القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر، وتلاوة القرآن بإحياء الأرض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء إلى كماله المتوقع بعد خلوه عنه، ويحتمل أن يكون تمثيلاً لإحياء الأموات بأن شبه إحياؤها بإحياء الأرض الميتة، فمن قدر على الثاني فهو قادر على الأول فحقه

فكذلك يفعل بقلوبكم، بردِّها إلى الخشوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ من التصدق أدغمت التاء في الصاد، أي الذين تصدقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعطف الفعل على الاسم في صلة أل، فيها حل محل الفعل، وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له ﴿يُضَٰعَفُ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ

أن تخشع القلوب لذكره وإنما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها اهـ زاده.

قوله: (بهذا) أي كونه يحيي الأرض بعد موتها، وقوله: وغيره أي من الأفاعيل العجيبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تكمل عقولكم اهـ بيضاوي.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بتخفيف الصاد الخ، وقوله: الإيمان أي الذي هو الإيمان. قوله: (راجع إلى الذكور والإناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الأول فقط، كما قيل لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها اهـ شيخنا.

قوله: (في صلة أل) نعت للاسم أي الاسم الكائن في صلة أل، وقوله: (فيها) متعلق بحل بعده فهذا العطف من قبيل قوله:

واعطف على اسم شبه فعل فعلا

الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وذكر القرض الخ) جواب عما يقال أن قوله: وأقرضوا يغني عنه قوله: إن المصدقين على قراءة التشديد، لأن المراد بالقرض الصدقة، وحاصل الجواب أنه أعيد ذكره توطئة لوصف بالحسن، فقوله تقييد له أي للتصديق بوسف القرض الذي هو الحسن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يضاعف لهم﴾ القائم مقام الفاعل فيه وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه الجار بعده. والثاني: أنه ضمير التصدق ولا بد من حذف مضاف أي ثواب التصدق اهـ سمين.

قوله: (وفي قراءة يضعف) أي: سبعية.

قوله: ﴿والذين آمنوا بالله﴾ مبتدأ، وأولئك مبتدأ ثان، وهم يجوز أن يكون مبتدأ ثالثاً، والصديقون خبرهم وهو مع خبره خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول، ويجوز أن يكون هم فصلاً وأولئك وخبره خبر الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿والشهداء عند ربهم﴾ يجوز فيها وجهان، أحدهما: أنه معطوف على ما قبله ويكون الوقف، على الشهداء تاماً أخبر عن الذين آمنوا أنهم صديقون شهداء. والثاني: أنه مبتدأ وفي خبره

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ النار ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ تزيين ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها

وجهان، أحدهما: أنه الظرف بعده، والثاني: أنه قوله لهم أجرهم إما الجملة وإما الجار وحده والمرفوع فاعل به، والوقف لا يخفى على ما ذكرته من الإعراب، والصديق مثال مبالغة ولا يجيء إلا من ثلاثي غالباً اهـ سمين.

قوله: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب﴾ الخ لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا بأنها مما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب الهنية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث، أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا، ولأن المؤمن إذا رأى أمراً معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجاباً، ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاماً ثم عظم أمور الآخرة بقوله: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ تنفيراً عن الانهماك في الدنيا وحثاً على ما يوجب كرامة العقبى، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ اهـ بيضاوي.

قوله: (تزيين) أشار به إلى أن الزينة ما يتزين به من اللباس والحلي ونحوهما اهـ بيضاوي.

قوله: (وتفاخر بينكم) العامة على تنوين تفاخر موصوف بالظرف أو عامل فيه، والسلمي إضافة إليه اهـ سمين.

قوله: (أي الاشتغال فيها الخ) أشار بهذا إلى تقدير مضاف في المبتدأ، والتقدير اعلموا أنما اشتغال الحياة الدنيا أي: التشاغل وشغل البال بها دائر بين هذه الأمور الخمسة اهـ شيخنا.

قال القشيري: وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اهـ.

وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة اهـ.

وقال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء وهو يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال، وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال اهـ خطيب.

قوله: ﴿كمثل غيث﴾ أي مثلها أي صفتها كمثل أي صفة غيث الخ، وقوله: أي هي في إعجابها

﴿غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ الزرّاع ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ الناشىء عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ فتاتاً يضمحل بالرياح ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى،

الخ أشار به إلى أن كمثل خبر مبتدأ محذوف، ويصح أن يكون خبراً سادساً لأن اهـ من السمين.

قوله: (مطر) أي حصل بعد جدب وسوء حال اهـ خطيب.

قوله: (الزراع) أي الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان اهـ خطيب.

قوله: (ييبس) تفسير يهيج ييبس فيه تسامح، فإن حقيقته أن يتحرك إلى أقصى ما يتأتى له اهـ شهاب.

فمعنى ثم يهيج ثم يطول جداً، أو لعل الحامل له على تفسيره بما ذكر فتراه مصفراً بالفاء الدالة على التعقيب، وعبارة أبي السعود: ثم يهيج أي يجف بعد خضرته ونضارته اهـ.

قوله: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لما ذكر الظل الزائل ذكر إثره الثابت الدائم مقسماً له إلى قسمين، فقال: وفي الآخرة عذاب شديد هذا أحد القسمين، والقسم الآخر ما ذكره بقوله: ومغفرة من الله ورضوان اهـ خطيب.

وفي الآخرة خبر مقدم، وما بعده مبتدأ مؤخر خبر بأن في الآخرة عذاباً شديداً ومغفرة منه ورضواناً وهذا معنى حسن، وهو أنه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين اهـ سمين.

قوله: ﴿وما الحياة الدنيا﴾ الخ تأكيد لما سبق، وقوله: ﴿إلا متاع الغرور﴾ أي هي في نفسها غرور لا حقيقة لها اهـ خطيب.

وهذا يقتضي أن الإضافة بيانية، فالمعنى وما التمتع بالدنيا إلا متاع أي تمتع هو الغرور أي الاغترار. وفي المختار: والغرور بالضم ما اغترَّ به الشخص من متاع الدنيا اهـ.

قوله: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه من أمور الدنيا، بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، والمعنى سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار إلى المغفرة أي: إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وإلى ما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات، وقيل: سابقوا إلى ما كلفتم به من الأعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها اهـ خازن.

قوله: (عرضها كعرض السماء﴾ الخ مبتدأ وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك أعدت، ويجوز أن يكون أعدت مستأنفاً اهـ سمين.

قوله: ﴿كعرض السماء والأرض﴾ أي السموات السبع والأرضين السبع، لو جعلت صفائح

والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالجدب ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ

وآلزق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة في عرض جميعها، وقال ابن عباس: يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة، وقال مقاتل: إن السموات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزقت بعضها إلى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان. وسأل عمر ناس من اليهود: إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار؟ فقال لهم: أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إنه مثلهما في التوراة، ومعناه أنه حيث شاء الله وهذا عرضها، ولا شك أن الطول يكون أزيد من العرض، فذكر العرض تنبيهاً على أن طولها أضعاف ذلك، وقيل: إن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وأفكارهم، وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس اهـ خطيب.

قوله: (والعرض السعة) جواب عما يقال إنه لم يذكر الطول، وإيضاحه: أنه لم يرد بالعرض ضد الطول، بل أر اد به السعة كما في قوله تعالى: ﴿فذو دعاء عريض﴾ [فصلت: ٥١] وقيل: إن عرض كل ذي عرض أقل من طوله، فإذا كان هذا العرض فالطول أعظم ولا استبعاد أن يكون المخلوق فوق الشيء أعظم منه، إذ العرش أعظم المخلوقات وهو فوق السماء السابعة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك فضل الله﴾ أي ذلك الموعود به من المغفرة والجنة، وقوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم قدره اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من مصيبة﴾ فاعل أصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين وذكر فعلها لأن التأنيث مجازي اهـ سمين.

والمفعول محذوف أي: ما أصابكم من مصيبة الخ، وقوله: في الأرض يجوز أن يتعلق بأصاب، وأن يتعلق بنفس مصيبة، وأن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لمصيبة، وعلى هذا فيصح أن يحكم على موضعه بالجر نظراً إلى لفظ موصوفه، وبالرفع نظراً إلى محله إذ هو فاعل والمصيبة غلبت في الشر وقيل: المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الأول يقال: لم ذكرت دون الخير؟ وأجيب: بأنه إنما خصها بالذكر لأنها أهم على البشر اهـ سمين.

قوله: (بالجدب) أشار إلى أن في الأرض متعلق بنفس مصيبة، والمعنى ما أصاب من مصيبة صفتها في الأرض كجدب وعاهة زرع وزلزلة اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا في كتاب﴾ حال من مصيبة، وجاز ذلك وإن كانت نكرة لتخصصها إما بالعمل أو بالصفة أي إلا مكتوبة اهـ سمين.

قوله: (من قبل أن نبرأها) الضمير في نبرأها الظاهر عوده على المصيبة، وقيل: على الأنفس، وقيل: على الأرض أو على جميع ذلك قاله المهدوي وهو حسن اهـ سمين.

﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿لِّكَيْلَا﴾ كي ناصبة للفعل بمعنى أن، أي أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا۟﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ فرح بطر بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾

ومن قبل متعلق بمتعلق قوله في كتاب أي إلا ثابتة في كتاب من قبل أن نبرأها.

قوله: (ويقال في النعمة كذلك) أي ما حصل للخلق نعمة في الأرض كالمطر ولا في أنفسهم كالصحة والولد إلا في كتاب من قبل أن يخلقها الله اهـ شيخنا.

قوله: (لكيلا تأسوا) اللام حرف جر متعلقة بمحذوف قدره بقوله أخبر تعالى الخ اهـ شيخنا.

قوله: (كي ناصبة للفعل) أي بنفسها لأجل دخول اللام عليها، فلذلك قال بمعنى أن أي المصدرية في العمل، وإيضاحه قول ابن هشام، ويؤيده صحة حلول أن محلها وأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل آخر اهـ كرخي.

قوله: (أي أخبر تعالى بذلك) أي بأنه فرغ من التقدير، وفي الخطيب: لكيلا أي أعلمناكم بأنا قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير فلا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه اهـ.

قوله: ﴿تأسوا﴾ مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل، وأصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت تأساون فالتقى ساكنان الألف والواو التي هي الفاعل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون لان لامه التي هي الياء المنقلبة ألفاً قد حذفت والمصدر أسى مقصور، فيقال: أسي أسى مثل جوي جوى فقول بعض النحاة عن الاستشهاد بهذه الآية في باب النواصب، والتقدير لأجل عدم إساءتكم فيه نظر لما علمت من أن مصدر هذا الفعل أسى لا إساءة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وأسي أسى من باب تعب حزن فهو أسى على فعيل مثل حزين اهـ.

وفي المختار: وأسى على مصيبته من باب عدا أي حزن وأسى له أي حزن له اهـ.

قوله: (تحزنوا) أي: حزناً يوجب القنوط، وكان عليه أن يقيد ذلك كما قيد في الفرح، وإلا فالحزن والفرح الطبيعيان لا يخلو منهما الإنسان اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: بل فرح شكر على النعمة أي ليس المراد به الانتهاء عن الحزن والفرح اللذين لا ينفك عنهما الإنسان بطبعه، بل المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه على الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح الملهي عن الشكر نعوذ بالله منهما. وفي الحديث: «من علم سر الله في القدر هانت عليه المصائب» اهـ.

قوله: ﴿على ما فاتكم﴾ (من النعم) أي لأنه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم اهـ قرطبي.

وكذلك لكيلا تحزنوا على ما أصابكم من المصائب لأنه قد حتم وقدر حصوله ونزوله فلا يدفعه الحزن. قوله: ﴿بما آتاكم﴾ أي: من النعم أي ولا بما فاتكم من المصائب لأنه لم يقدر لكم ولو قدر

بالمد أعطاكم، وبالقصر جاءكم منه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ به على الناس ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به لهم، وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ لأوليائه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾

لحصل. قوله: (بالقصر) القراءتان سبعيتان، وقوله: منه أي من الله أي من قبله. قوله: (بما يجب عليه) أي من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ومن نشره وإذاعة أوصاف النبي ﷺ. وفي القرطبي: الذي يبخلون أي ببيان صفة النبي ﷺ التي في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مأكلتهم قاله السدي والكلبي، وقال سعيد بن جبير: الذين يبخلون يعني بالعلم ويأمرون الناس بالبخل أي بأن لا يعلموا الناس شيئاً، وقال زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله عز وجل، وقيل: إنه البخل بالصدقة والحقوق قاله عامر بن عبد الله الأشعري، وقال طاوس: إنه البخل بما في يديه، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى اهـ.

قوله: ﴿ويأمرون الناس﴾ أي كل من يعرفونه اهـ سمين.

قوله: (لهم وعيد شديد) يشير به إلى أن الذين مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو في موضع نصب بدلاً من قوله مختال فخور أي: بدل كل من كل، فإن المختال بالمال يضمن به غالباً، ولأنهما واقعان تدليلاً لقوله: ولا تفرحوا بما آتاكم لأن من شأن الفرح أن يكون مختالاً فخوراً وعليه اقتصر في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة بسقوطه) أي قراءة نافع وابن عامر وهو ساقط من مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بإثباته وهو ثابت في مصاحفهم فقد وافق كل مصحفه. قال أبو علي: وقراءة إسقاطه تدل على كونه على قراءة الإثبات ضمير فصل لا مبتدأ، إذ المبتدأ لا يسوغ حذفه يعني أن قراءة الحذف ترجح كونه ضمير فصل في القراءة الأخرى إذ لو كان مبتدأ لضعف حذفه لا سيما إذا صلح ما بعده أن يكون خبراً لما قبله اهـ سمين.

قوله: ﴿الحميد﴾ (لأوليائه) أي الحامد لهم بالإحسان على طاعتهم وإقبالهم عليه اهـ خطيب.

قوله: ﴿لقد أرسلنا﴾ لام قسم. قوله: (الملائكة) فيه بعد لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل، والحامل له على هذا التفسير تصحيح المعية في قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ لأن الكتب إنما نزلت مع الملائكة، وهذا تفسير سبقه به الزمخشري لما ذكر وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر، وعلى التأويل في المعية وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلاً وصائراً لأن يكون معهم إذا وصل إليهم في الأرض اهـ شيخنا.

أو على أنها بمعنى إلى كما يشير له صنيع القرطبي.

قوله: (العدل) وإنزاله من السماء بإنزال الكتاب المتضمن له والوحي الآمر له اهـ شهاب.

قوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل، وهذا علة لقوله: أرسلنا وأنزلنا

أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على ليقوم الناس ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من هاء ينصره، أي غائباً عنهم في الدنيا، قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه

معهم الكتاب والميزان اهـ شيخنا.

قوله: (أخرجناه:) هذا تأويل في الإنزال وغيره أبقاه على ظاهره، فعن ابن عباس قال: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد، وروي من آلة الحدادين السندال والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة، والميقعة ما يحدد به، وروي ومعه المبرد والمسحاة. وعن عمر أن النبي ﷺ قال: «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار والماء والملح» وعن ابن عباس أيضاً قال: أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الأسود وعصا موسى والحديد اهـ خطيب.

وفي زاده: السندال بفتح السين وكسرها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد اهـ.

قوله أيضاً: (أخرجناه من المعادن) أي الأماكن التي خلقه الله فيها، وفي القرطبي: وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ [الزمر: ٦] هذا قول الحسن فيكون من الأرض غير منزل من السماء، وقيل: أنزلنا هنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد، وذلك أن الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وإلهامه اهـ.

قوله: ﴿فيه بأس شديد﴾ جملة حالية من الحديد اهـ سمين.

أي: فيه قوة وشدة، وقوله: يقاتل به فمنه جنة وهي آلة الدفع، ومنه سلاح وهو آلة الضرب، وقوله: ومنافع للناس قال البيضاوي: ما من صنعة إلا والحديد آلتها اهـ خطيب.

أي له دخل في آلتها وهذا الحصر كلي كما هو مشاهد اهـ.

قوله: (علم مشاهدة) أي من الخلق أي مشاهدة لآثاره وتعلقاته، وهذا دفع لما يقال هذا التعليل يقتضي إن العلم حادث، وحاصل الجواب أن الحادث إنما هو إطلاعنا وإدراكنا لمتعلقه اهـ شيخنا.

قوله: (معطوف على ليقوم الناس) لكن المعطوف عليه علة لإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان، والمعطوفة علة لإنزال الحديد هذا ما ارتضاه السمين في هذا المقام، وإليه يشير صنيع الشارح حيث قال: بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره تأمل. وفي أبي السعود: أنه معطوف على محذوف دلت عليه الجملة الحالية وهي قوله: فيه بأس شديد، وعبارته: عطف على محذوف يدل عليه ما قبله، فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله الخ اهـ.

قوله: (بآلات الحرب) فيه قصور، وكأن الحامل عليه ملاحظة المقام والسياق اهـ شيخنا.

قوله: (من هاء ينصره) أي الواقعة على الله، وقوله أي غائباً عنهم الضمير لمن ينصره، وقوله: في الدنيا أي وأما في الآخرة فيبصرونه، وقوله: قال ابن عباس الخ أي في تفسير هذه الآية اهـ شيخنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥﴾ لا حاجة له إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء

قوله: (لكنها تنفع من يأتي بها) يعني ليصل بامتثال الأمر فيها إلى الثواب اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ تكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم الخ اهـ كرخي.

ونوح هو الأب الثاني لجميع البشر، وإبراهيم أبو العرب والروم وبني إسرائيل اهـ خطيب.

قوله: (والفرقان) في نسخة والقرآن، وقوله: فإنها في ذرية إبراهيم أي وإبراهيم من ذرية نوح، فبهذا الاعتبار صح قوله في ذريتهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فمنهم﴾ أي من الذرية أو من المرسل إليهم، والأول أولى لتقدم ذكرهم لفظاً، وأما الثاني فلدلالة أرسلنا والمرسلين عليه، والمراد بالفاسق ههنا قيل الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافراً أو لم يكن لإطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره، وقيل: المراد بالفاسق هنا الكافر لأنه جعل الفساق ضد المهتدين وهو قضية إطلاق الشيخ المصنف اهـ كرخي.

قوله: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام، والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا الذرية، فإن الرسل المقفى بهم من الذرية اهـ بيضاوي.

وصنيع أبي السعود يقتضي أن الباء زائدة في المفعول ونصه: أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا اهـ.

وفي المختار: قفا أثره اتبعه وبابه عدا وسما، وقفى على أثره بفلان أي أتبعه أياه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ ومنه أيضاً الكلام المقفى اهـ.

قوله: ﴿وقفينا﴾ أي أتبعنا بعيسى، والمفعول محذوف أي أتبعناهم بعيسى أي جعلناه تابعاً لهم أي متأخراً عنهم في الزمان. قوله: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ أي على دينه يعني الحواريين وأتباعهم رأفة ورحمة أي مودة فكان يواد بعضهم بعضاً، وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس، فألان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه، والرأفة اللين والرحمة الشفقة، وقيل الرأفة أشد الرحمة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ في انتصابها وجهان، أحدهما: أنها معطوفة على رأفة ورحمة وجعل إما بمعنى خلق أو بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية، وإنما خصت بذكر الابتداع لأن الرأفة والرحمة في القلب أمر غريزي لا تكسب للإنسان فيه بخلاف الرهبانية، فإنها من أفعال البدن وللإنسان فيها تكسب، إلا أن أبا البقاء منع هذا الوجه بأن ما جعله الله لا يبتدعونه. وجوابه ما تقدم من أنها لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها، وقال أيضاً: وقيل هو معطوف عليها وابتدعوها نعت للمعطوف،

واتخاذ الصوامع ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ﴾ مرضاة ﴿ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين

والمعنى فرضنا عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها، ولهذا قال: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. والوجه الثاني: أنها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر فتكون المسألة من باب الاشتغال، وإليه نحا الفارسي والزمخشري وأبو البقاء وجماعة، إلا أن هؤلاء يقولون إنه إعراب المعتزلة، وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الإنسان فهو مخلوق له، فالرأفة والرحمة لما كانتا من فعل الله نسب خلقهما إليه، والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها إليه اهـ سمين.

قوله: (هي رفض النساء الخ) عبارة البيضاوي: وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي، وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان اهـ.

وفي الخازن: وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديور فارين من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك. روي عن ابن عباس قال: كانت ملوك بعد عيسى عليه السلامة بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله، فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذي شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا: ما تريدون منا إلا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا. فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئاً ترفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم، وطائفة قالت: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنو لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب، فجعل الرجل يقول تكون في مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله عز وجل: ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون، فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤوا من بعدهم، فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فامنوا به وصدقوه، فقال الله تعالى فهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخ اهـ.

قوله: (واتخاذ الصوامع) جمع صومعة وهي بناء معقود دقيق الرأس اهـ.

قوله: ﴿ما كتبناها عليهم﴾ صفة لرهبانية، ويجوز أن يكون مستأنفاً اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع، ولذا فسره بقوله لكن على عادته، وإلى هذا ذهب

عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير فآمنوا بنبينا ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بعيسى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالنبيين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾

قتادة وجماعة قالوا معناه لم نفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها، وقيل: إن الاستثناء متصل مما هو مفعول من أجله، والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله، ويكون كتب بمعنى قضى وهذا قول مجاهد اهـ سمين.

قوله: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: ما قاموا بها حق القيام، بل ضموا إليها التثليث وكفروا بدين عيسى اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: فما رعوها حق رعايتها بضم التثليث، والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد ﷺ ونحوها إليها اهـ.

قوله: ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ أي: بنبينا، وقوله: وكثير منهم أي: من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها اهـ خطيب.

قوله: ﴿آمنوا﴾ (بعيسى الخ) تخصيص الخطاب بهم أحد وجهين للمفسرين، والآخر أنه عام لكل من آمن بالرسل قبل محمد ﷺ، وعبارة البيضاوي: يا أيها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد ﷺ يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد عليه السلام وإيمانكم بمن قبله، ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق، وإن كان منسوخاً ببركة الإسلام، وقيل: الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ﷺ اهـ.

وقوله: ولا يبعد أن يثابوا الخ لما ورد أن يقال إعطاء الكفلين ظاهر في حق من آمن بعيسى وراعى دينه إلى أن بعث نبينا عليه السلام، لأنه قد استمر على الدين الحق إلى أن نسخ وتبين عنده حقيقة الدين الناسخ، وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثاني فاستحق بذلك أن يعطى كفلين بخلاف اليهود، فإن اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى فليس اليهود على الدين الحق حين آمنوا بنبينا، فكيف يثابون على دينهم السابق؟ أجاب عنه أولاً بقوله ولا يبعد الخ، وثانياً بأن الخطاب للنصارى وملتهم غير منسوخة قبل ظهور الملة المحمدية ومعرفتهم بها، وإنما ضعفه قيل: لأنها نزلت فيمن أسلم من اليهود كما ورد في الأحاديث الصحيحة كعبد الله بن سلام وأضرابه، ولذا بنى تفسيره أولاً عليه ولأنه لا دليل على التخصيص هنا اهـ زاده وشهاب.

قوله: ﴿يؤتكم﴾ أي: يثبكم على اتباعه. كفلين: نصيبين ضخمين من رحمته يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع، وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز، وهذا التحصين لأجل إيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الآصار اهـ خطيب.

روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم

على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾ ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي أعلمكم بذلك ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى أنهم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل

أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» اهـ خازن.

قوله: (لإيمانكم بالنبيين) فاستحقاقهم للكفلين ظاهر لأنهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام لأنهم قد استمروا على الدين الحق إلى أن نسخ، وتبين عندهم حقية الدين الناسخ، وحيث تبين لهم ذلك واتبعوا الحق الثاني استحقوا بذلك أن يعطوا كفلين اهـ.

قوله: ﴿تمشون به﴾ (على الصراط) وقال ابن عباس: النور هو القرآن، وقيل: هو الهدى والبيان أي: يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به اهـ خازن.

قوله: ﴿ويغفر لكم﴾ أي: ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الخ قيل: لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ [القصص: ٥٤] قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابنا وكتابكم، ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر كأجركم، فبأي شيء فضلتم علينا؟ فأنزل الله: ﴿لئلا يعلم﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (أي أعلمكم بذلك) أي: بأن إعطاء الأجر مرتين مرتب على تقوى الله والإيمان بمحمد، وأشار الشارح بهذا إلى أن لا زائدة وأن اللام متعلقة بمحذوف هو معنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط، إذ التقدير إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم أهل الكتاب الخ، أي: ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شيء من فضل الله وثبوت أن الفضل بيد الله، وهذا واضح بيِّن ليس فيه إلا زيادة حرف شاعت زيادته اهـ سمين.

وفي البيضاوي: ولا مزيدة ويؤيده أنه قرىء ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء اهـ.

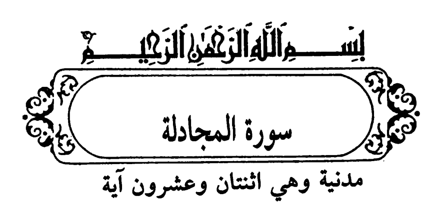
قوله: (والمعنى أنهم) ﴿لا يقدرون﴾ الخ هذا التفسير ينافي قوله: واسمه ضمير الشأن، فكان الأولى أن يقول والمعنى أنه لا يقدرون الخ، وعبارة البيضاوي: والمعنى أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به، أو لا يقدرون على شيء من فضل الله فضلاً عن أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصوا بها من أرادوا، ويؤيده قوله: وأن الفضل بيد الله الخ اهـ.

قوله: ﴿من فضل الله﴾ أي: ومنه الكفلان والمغفرة والنور، وقوله: خلاف بالرفع خبر مبتدأ

رضوانه ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ .

محذوف أي: وهذا أي: عدم قدرتهم خلاف أي: مخالف لما في زعمهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ معطوف على أن لا يقدرون. قوله: ﴿يؤتيه من يشاء﴾ الظاهر أنه مستأنف، وقيل: هو خبر ثان عن الفضل، وقيل: هو الخبر وحده والجار قبله حال وهي حال لازمة لأن كونه بيد الله لا ينتقل البتة اهـ سمين.



سورة المجادلة

مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بكسر الدال كما ذكره السعد في حواشي الكشاف اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: بفتح الدال وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف اهـ.

قوله: (مدنية) عبارة القرطبي: مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي، وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] نزلت بمكة اهـ.

فائدة:

هذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي الثامنة والخمسون منها وهي أول العشر الأخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه، وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون.

قوله: ﴿قد سمع الله قول التي﴾ الخ أي: أجاب قولها ومطلوبها بأن أنزل حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها، وعلى هذا فقد للتحقيق ومن قال إنها للتقريب والتوقع فلم يلاق المعنى، وقد سمع بإظهار الدال وبإدغامها في السين قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في زوجها﴾ أي: في شأنه. قوله: (وكان قال لها أنت علي كظهر أمي) وسببه ما روي أنها كانت حسنة الجسم، فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها، فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها، وكان به لمم فأصابه بعض لممه، فقال لها: أنت عليك كظهر أمي ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال: ما أظنك إلا قد حرمت عليَّ، فقالت: والله ما ذاك طلاق. فأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني

أنتِ عَلَيَّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها: بأنها حرِّمت عليه، على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة، وهي خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن

به، فقال رسول الله ﷺ: «حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: «حرمت عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم أؤمر في شأنك بشيء»، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، فكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداك يا رسول الله، فقالت عائشة: اقصري حديثك ومجادلتك، أما رأيت وجه رسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي: النوم، فلما قضي الوحي قال: «ادعي لي زوجك» فدعته مثلاً عليه رسول الله ﷺ: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ الآيات الأربع إلى قوله: ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾. وروى الشيخان عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته وأنا في جانب البيت وما أسمع ما تقول، فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآيات، فقال ﷺ لزوجها: «هل تستطيع العتق؟» فقال: لا والله. فقال: «هل تستطيع الصوم؟» فقال: لا والله إني إن أخطاني الأكل في اليوم مرة أو مرتين كل بصري وظننت أني أموت. قال: فأطعم ستين مسكيناً. قال: لا أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً فتصدق بها على ستين مسكيناً. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك يا عمر، ثم قيل لك يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن الحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف، والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر اهـ من الخازن والقرطبي.

قوله: (عن ذلك) أي: عن حكمه هل هو فراق أو لا ؟ اهـ شيخنا.

قوله: (على ما هو المعهود عندهم) أي العرب في الجاهلية لأنه كان من عاداتهم وخاصاً بهم دون سائر الناس اهـ خطيب.

وجوابه ﷺ بقوله لها: حرمت عليه لعله كان باجتهاد، فرأى أن ما اصطلح العرب على تحريمه يحرمه الشرع، فليراجع مستند جوابه ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: (وهي خولة بنت ثعلبة) هو أخو عبادة بن الصامت، وقوله: زوجها أوس بن الصامت اهـ كرخي فزوجها ابن عمها اهـ قرطبي.

الصامت ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحدتها وفاقتها، وصبية صغاراً إن ضمتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاءوا ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ تراجعكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ عالم ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ أصله

قوله: ﴿وتشتكي إلى الله﴾ عطف على تجادلك أي: تتضرع إلى الله، وقوله: والله يسمع تحاوركما استئناف جار مجرى التعليل لما قبله، فإن إلحاحها في المسألة ومبالغتها في التضرع ومدافعته ﷺ إياها من دواعي الإجابة، وقيل: هي حال وهو بعيد اهـ أبو السعود.

قوله: (وفاقتها) أي: لأنها افتقرت بعد أن كانت غنية، وقوله: وصبية وكانا ولدين، وقوله: ضاعوا أي: من عدم التعهد بالخدمة، وقوله: جاعوا أي: من عدم النفقة لفقرها، ولعل نفقة الفروع لم تكن إذ ذاك واجبة على الأصول كما أشار له القاري اهـ شيخنا.

قوله: (تراجعكما) في المصباح: وحاورته راجعته الكلام وتحاوروا وأحار الرجل الجواب بالألف رده وما أحاره ما رده اهـ.

قوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي: مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات، ومن قضيته أن يسمع تحاوركما مع ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الذين يظهرون منكم﴾ الخ شروع في بيان شأن المظاهر في نفسه بطرق الاستئناف، وقوله: منكم حل أي حال كونهم منكم أيها العرب، وهذا توبيخ لهم وتهجين لعادتهم، لأن الظهار كان خاصاً بالعرب دون سائر الأمم، وقوله: من نسائهم صلة يظهرون أي: يحرمون نساءهم على أنفسهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم، وقوله: ما هن أمهاتهم هن اسم ما في محل رفع، وأمهاتهم خبرها فهي عاملة عمل ليس، والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول. ولما تمم تعالى الإخبار عن إجابته لتلك المرأة وسماع قصتها مع النبي استأنف الإخبار عن حكم سبب هذه الواقعة، وهو قول زوجها لها: أنت عليَّ كظهر أمي، فبيّن أنه منكر وأنه زور، ولما كانت الواقعة في خصوص العرب والظهار كان عادتهم فقط دون غيرهم من الناس خصص بقوله: ﴿منكم﴾ ولما كان المقصود بقوله الآتي: والذي يظهرون الخ بيان حكم الظهار من حيث هو لا بقيد كونه واقعاً من العرب لم يقيد بقوله منكم اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم، ولهذا أجمع الفقهاء على أن من قال لزوجته أنت علي كظهر أمي أنه مظاهر فأكثرهم على أنه إذا قال لها: عليَّ كظهر أمي أو أختي أو غير ذلك من ذات المحارم أنه مظاهر وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وغيرهما. واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه، فروي عنه نحو قول مالك لأنه شبه امرأته بظهر محرم عليه مؤبد كالأم، وروى عنه أبو ثور أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها وهو مذهب قتادة والشعبي، والأول قول الحسن والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري اهـ.

يتظهرون، أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى كيقاتلون، والموضع الثاني كذلك ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ كذباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ للمظاهر بالكفارة ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر

قوله: (وفي قراءة بألف) نبه على قراءات ثلاث وكلها سبعية وقوله: وفي الموضع الثاني أي قوله: والذين يظهرون من نسائهم كذلك أي: هذه القراءات الثلاث اهـ شيخنا.

وقوله: الخفيفة نعت للهاء، وأما الظاء فهي مشددة، وعبارة القرطبي: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وألف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء، وقرأ أبو العالية وعاصم وحسين يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر الهاء، وقد تقدم هذا في الأحزاب وفي قراءة أبي يتظاهرون وهي معنى قراءة ابن عامر وحمزة اهـ.

قوله: **﴿ما هن أمهاتهم﴾** أي: ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت **﴿إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾** فلا يشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي ﷺ، فدخلن بذلك في حكم الأمهات، وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة اهـ أبو السعود.

قوله: (بهمزة وياء) أي: بوزن رائي، وقوله: وبلا ياء أي بوزن داع هاتان قراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان أخريان سبعيتان أيضاً وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: قرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها، وقرأ ورش والبزي وأبو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد والقصر، وللبزي وأبي عمرو أيضاً وضع الهمزة ياء ساكنة مع المد، والباقون بهمزة مكسورة بعدها ياء وهم على مراتبهم في المد اهـ.

قوله: **﴿وإنهم ليقولون منكراً﴾** أي: شيئاً أنكره الشرع. وفي القرطبي: منكراً أي: فظيعاً من القول لا يعرف في الشرع والزور الكذب. وإن الله لعفو غفور إذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر اهـ.

فإن قيل: المظاهر إنما قال أنت عليَّ كظهر أمي فشبه بأمه ولم يقل إنها أمه، فما معنى كونه منكراً من القول وزوراً والزور الكذب وهذا ليس بكذب، أجيب بأن قوله هذا إن كان خبراً فهو كذب وإن كان إنشاء فكذلك لأن جعله سبباً للتحريم، والشرع لم يجعله سبباً لذلك، وأيضاً فإنما وصف بذلك لأن الأم مؤبدة التحريم، والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو زور محض اهـ خطيب.

قوله: **﴿والذين يظهرون من نسائهم﴾** الخ تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً بالطريق الكلي المنتظم فيه حكم الحادثة انتظاماً أولياً أي: والذين يقولون هذا القول المنكر ثم يعودون فيه الخ اهـ أبو السعود.

قوله: **﴿ثم يعودون لما قالوا﴾** ما مصدرية أي: يعودون لقولهم بدليل قوله أي: فيه، والعود عند

منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي اعتاقها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بالوطء ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ عليه من قبل أن

الشافعي يحصل بإمساك المظاهر منها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه، وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها ولو بنظر بشهوة، وعند مالك بالعزم على الجماع، وعند الحسن بالجماع أو بالظهار مرة أخرى اهـ بيضاوي.

قوله: (بأن يخالفوه بإمساكها) أي: زمناً يسع الفرقة ولا يرد عليه أن ثم تدل على التراخي الزماني والإمساك المذكور معقب لا متراخ لأن مدة الإمساك ممتدة، ومثله يجوز فيه العطف بثم، والفاء باعتبار ابتدائه وانتهائه اهـ شهاب.

قوله: (من وصف المرأة الخ) بيان للمقصود. قوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره، والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول، وكان عليه أن يقول عليهم لأن المبتدأ جمع لفظاً ومعنى ودخلت الفاء في الخبر لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط اهـ شيخنا.

قوله: (بالوطء) هذا قول للشافعي قديم، والجديد أن المراد بالتماس الاستمتاع بما بين السرة والركبة وضمير التثنية للمظاهر والمظاهر منها اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان، أحدهما: أنه يحرم الجماع فقط. الثاني: وهو الأظهر أنه يحرم جمع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة اهـ.

وفي القرطبي: ولا يقرب المظاهر امرأته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشيء حتى يكفر خلافاً للشافعي في أحد قوليه، لأن قوله لها: أنت عليَّ كظهر أمي يقتضي تحريم كل استمتاع، فإن وطئها قبل أن يكفر استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة، وقال مجاهد وغيره: عليه كفارتان اهـ.

قوله: ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي: تزجرون عن ارتكاب المنكر المذكور، فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات، والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم، بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فمن لم يجد﴾ مبتدأ، وقوله: فصيام مبتدأ ثان خبره محذوف أي: عليه، والجملة خبر الأول وسيشير الشارح لهذا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ فإن أفطر فيهما ولو لعذر انقطع التتابع ووجب استئنافهما، وإن جامع ليلاً لم ينقطع التتابع عندنا معشر الشافعية خلافاً لأبي حنيفة ومالك اهـ بيضاوي.

لكن يجب الاستئناف عندنا لأنه وإن لم ينقطع التتابع بالمس ليلاً إلا أنه قد فقد كون الكفارة قبل المس وقد شرطنا ذلك اهـ.

يتماسًا حملاً للمطلق على المقيد، لكل مسكين مدّ من غالب قوت البلد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ مؤلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾ أذلوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ ذو إهانة ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قوله: (عليه) أي من لم يستطع ومن لم يجد فهو خبر عن كل من قوله فصيام وقوله: فإطعام اهـ شيخنا.

قوله: (حملاً للمطلق) أي: الذي هو وجوب الاطعام أطلق في الآية عن التقييد بكونه من قبل أن يتماسا على المقيد الذي هو وجوب الصيام ووجوب الرقبة قيد بكونه من قبل أن يتماسا، والحمل معناه تقيده المطلق بالقيد الذي في المقيد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ إلى ما مرَّ من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مرَّ سره مراراً، ومحله إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أي: ذلك واقع أو فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وللكافرين﴾ أي: المنكرين لها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ هم أهل مكة، فإن هذه الآية وردت في غزوة الأحزاب وهي في السنة الرابعة، وقيل: في الخامسة، والمقصود منها البشارة لرسول الله ﷺ والمؤمنين بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكبتون ويذلون ويتفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم، فقوله: كبتوا بمعنى يكبتون، وعبَّر بالماضي على حد أتى أمر الله، وقوله: يخالفون الله أي يعادون الله ورسوله، فإن كلاً من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق في غير عدوة الآخر وشقة كذلك يكون في حد غير الحد الذي الآخر اهـ شيخنا.

وفي زاده: ونقل عن الزجاج أنه قال: المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك، فتكون المحاذة كناية عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة اهـ.

قوله: ﴿كبتوا﴾ (أي أذلوا) وقال أبو عبيدة، والأخفش: أي: أهلكوا، وقال قتادة: أخذوا، وقال أبو زيد: عذبوا وقال السدي: لعنوا، وقال الفراء: أغيظوا يوم الخندق، وقيل: يوم بدر اهـ خطيب.

وفي المصباح: كبت الله العدو كبتاً من باب ضرب أهانه وأذله وكتبه لوجهه صرعه اهـ.

قوله: (في مخالفتهم) أي: بسبب مخالفتهم. قوله: ﴿وقد أنزلنا الخ﴾ حال من الواو في كبتوا أي: كبتوا لمحادتهم، والحال أنا أنزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يوم يبعثهم الله﴾ الخ منصوب بمهين فهو ظرف له هذا هو الظاهر من سكوت الشارح عن التنبيه على عامله، وقيل: عامله عذاب، وقيل: عامله الاستقرار في الظرف الواقع خبراً وهو قوله للكافرين، وقيل: منصوب بإضمار اذكر اهـ شيخنا.

شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ

قوله: ﴿جميعاً﴾ أي: كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حالة واحدة، وقوله: فينبئهم بما عملوا أي: من القبائح إما ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها في صورة قبيحة هائلة على رؤوس الأشهاد تخجيلاً لهم وتشهيراً لحالهم وتشديداً لعذابهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أحصاه الله﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفية التنبئة أو عن سببها، كأنه قيل: كيف كان ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض منقضية متلاشية؟ فقيل: أحصاه الله أي: لم يفته منه شيء، وقوله: ونسوه حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور، وقوله: والله على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لإحصائه تعالى، وقوله: ألم تر أن الله الخ استشهاد على شمول شهادته في قوله: والله على كل شيء شهيد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ونسوه﴾ أي: لكثرته أو لتهاونهم به واعتقادهم أنه لا يقع عليه حساب اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى مبين لكيفيته، ويكون من كان التامة، ومن نجوى فاعلها بزيادة من أي يقع من تناجي ثلاثة، فالنجوى مصدر معناها التحديث سراً وإضافتها إلى ثلاثة من إضافة المصدر إلى فاعله، وقوله يعلمه أي: فيعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهد لهم، كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم اهـ أبو السعود وخازن.

قوله: ﴿إلا هو رابعهم إلا هو سادسهم إلا هو معهم﴾ كل هذا الجمل بعد إلا في موضع نصب على الحال أي: ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا في حال من هذه الأحوال، فالاستثناء مفرغ من الأحوال العامة، وقرأ أبو جعفر: ما تكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى. قال أبو الفضل: الأكثر في هذا الباب التذكير على ما في قراءة العامة اهـ سمين.

قوله: (بعلمه) نبه به على ما هو المراد وفيه إشارة إلى أن سبب عمله بذلك هو ذاته أي: بغير سبب خارجي، وخص الثلاثة والخمسة بالذكر لأن قوماً من المنافقين تخلفوا للتناجي وكانوا بعدة العدد المذكور مغايظة للمؤمنين فنزلت الآية بصفة حالهم تعريضاً بهم أن لأن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن الله تعالى وتر يحب الوتر، فخص العددان المذكوران بالذكر تنبيهاً على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور ثم بعد ذكرهما زيد عليهما ما يعم غيرهما من المتناجين اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا أدنى من ذلك﴾ أي: المذكور من العددين، فالأدنى من الخمسة الأربعة، والأدنى من الثلاثة الاثنان، ولا يتأتى الواحد لأن النجوى لا تقع إلا من متعدد اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: ولا أدنى من ذلك كالواحد فإنه أيضاً يناجي نفسه اهـ.

وعبارة الخازن: فإن قلت: لم خص الثلاثة والخمسة؟ قلت: لأن أقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث كالمتوسط الحاكم

ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سراً ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾

بينهما، فحينئذ تحمد المشاورة أي: تحمد تلك المشاورة ويتم الغرض، وكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكماً بينهم مقبول القول، وقيل: إن العدد الفرد أشرف من الزوج، فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة اهـ.

قوله: ﴿ولا أكثر﴾ العامة على الجر عطف على لفظ نجوى، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن أبي إسحاق، وأبو حيوة، ويعقوب بالرفع وفيه وجهان، أحدهما: أنه معطوف على موضع نجوى لأنه مرفوع ومن مزيدة فيه فإن كان مصدراً كان على حذف مضاف كما تقدم أي من ذوي نجوى، وإن كان بمعنى المتناجين فلا حاجة إلى ذلك. والثاني: أن يكون أدنى مبتدأ، وإلاَّ هو معهم خبره فيكون ولا أكثر معطوفاً على المبتدأ، وحينئذ يكون ولا أدنى من باب عطف الجمل لا المفردات اهـ.

قوله: ﴿أينما كانوا﴾ أي من الأماكن، ولو كانوا تحت الأرض فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الأمكنة وبعدها اهـ أبو السعود.

فأين ظرف للاستقرار المفهوم من المعية في قوله معهم أي مصاحب لهم بعلمه في أي مكان استقروا فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ الخ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ ثم عادوا لمثل فعلهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ صيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة، وقوله: ويتناجون الخ معطوف عليه، وفي صيغة المضارع ما تقدم، وقوله: بالإثم أي ما هو إثم في نفسه، وقوله: والعدوان أي عداوة الرسول والمؤمنين ومعصية الرسول أي التواصي فيما بينهم بمعصية الرسول اهـ أبو السعود.

فائدة:

رسمت معصية هذه والتي بعدها بالتاء المجرورة، وإذا وقف عليها فأبو عمرو وابن كثير والكسائي يقفون بالهاء غير أن الكسائي يقف بالإمالة على أصله، والباقون يقفون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء اهـ خطيب.

قوله: (ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أي فيوهموهم أنه قد بلغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا في السرايا وأنهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيقول المؤمنون: لعلهم بلغهم عن إخواننا وقراباتنا من المهاجرين والأنصار قتل أو مصيبة أو هزيمة فيسؤوهم ذلك، فلكثرة شكواهم إلى رسول الله ﷺ نهاهم عن النجوى

وهو قولهم: السام عليك أي الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي إن كان نبياً ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ

فلم ينتهوا فنزلت، وقال مقاتل: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، فإذا مرَّ بهم رجل من المؤمنين تناجوا به حتى يظن المؤمن شراً فيعرج عن طريقه، فنهاهم رسول الله ﷺ فلم ينتهوا فنزلت، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يأتي النبي ﷺ فيسأله الحاجة ويناجيه والأرض يومئذ حرب فيتوهمون أنه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك اهـ.

قوله: ﴿حيوك﴾ أي خاطبوك ﴿بما﴾ أي بتحية ﴿لم يحيك به الله﴾ أي لم يشرعه ولم يأذن فيه أو يقال لك، وفي المصباح: وحياة تحية أصله الدعاء بالحياة، ومنه التحيات لله أي البقاء، وقيل: الملك ثم كثر حتى استعمل في مطلق الدعاء ثم استعمله الشرع في دعاء مخصوص وهو سلام عليك اهـ.

قوله: (وهو قولهم السلام عليك) أي يوهمون أنهم يقولون السلام عليك وكان ﷺ يرد فيقول عليكم. وفي البخاري: أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك. قالت عائشة: ففهمتها فقلت عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في»، والسام: الموت قال الخطابي: عامة المحدثين يروون إذا سلم عليكم أهل الكتاب فإنما يقولون: السام عليكم فقولوا وعليكم، الحديث فيثبتون الواو في وعليكم. وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو، قال: وهو الصواب لأنه إذا حذفت الواو وصار قولهم الذي قالوه مردوداً عليهم بعينه، وإذا أثبتت الواو وقع التشريك معهم لأن الواو تجمع بين الشيئين، والعنف ضد الرفق واللين، والفحش الرديء من القول اهـ خازن.

تنبيه:

اختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة، فقال ابن عباس، والشعبي، وقتادة: هو واجب لظاهر الأمر بذلك، وقال مالك: ليس بواجب، فإن رددت فقل عليك وعندنا يجب أن يقول له وعليك لما مرَّ في الحديث، وقال بعضهم: يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك، وقال بعض المالكية: يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ أي فيما بينهم إذا خرجوا من عند رسول الله اهـ شيخنا.

قوله: (إن كان نبياً) عبارة أبي السعود: هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبياً اهـ.

فقول الشارح إن كان نبياً مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله، والمعنى أنهم يخافون من عذاب الله على فرض كونه نبياً، لكن لا يعتقدون ذلك ولا يسلمونه اهـ.

قوله: ﴿حسبهم جهنم﴾ المعنى أن تقديم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة، وإذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديمه في الدنيا فعذاب جهنم كافيهم اهـ خازن.

وقوله: يصلونها حال.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم﴾ خاطب للمؤمنين زاجر لهم عن أن يفعلوا مثل ما فعل اليهود

فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ بالإثم ونحوه ﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ بغروره ﴿ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ ﴾ هو ﴿ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي إرادته ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ ﴾ توسعوا ﴿ فِى

على حد ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ [النساء: ١٣٦] اهـ أبو السعود.

روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه». وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه» فبيَّن في الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر، فإنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعاً فقال له وللأول تأخراً وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرّجه في الموطأ، ونبَّه على العلة بقوله من أجل أن يحزنه، وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً دون واحد لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون المنع أولى، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتأتى ذلك فيه. قال القرطبي: وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وذهب إليه ابن عمر ومالك والجمهور، وسواء أكان التناجي في واجب أو مندوب أو مباح، فإن الحزن ثابت به، وقد ذهب بعض الناس إلى أن ذلك في أول الإسلام لأن ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام سقط ذلك، وقال بعضهم: ذلك خاص بالسفر وبالمواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه، فأما في الحضر وبين العمارة فلا لأنه يجد من يغيثه بخلاف السفر فإنه مظنة الاغتيال وعدم الغوث اهـ خطيب.

قوله: ﴿من الشيطان﴾ أي: فإنه المزين لها والحامل عليها، والجار والمجرور خبر أول، ومن ابتدائية، وقوله: ليحزن خبر ثان واللام تعليلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ليحزن﴾ أي الشيطان الذين آمنوا أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم، والحزن هم غليظ وتوجع يدق يقال: حزنه وأحزنه بمعنى. قال في القاموس: وأحزنه جعله حزيناً، وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه، والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الأولى أشد في المعنى على ما في القاموس اهـ خطيب.

وهذا يقتضي أن الموصول مفعول به على كل من القراءتين، وفي السمين: أنه على قراءة ليحزن بفتح الياء فاعل اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذ قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾ الخ لما نهى الله المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سبباً لزيادة المحبة والمودة بقوله: يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم الخ اهـ خطيب.

وقيل: وسبب نزولها أن النبي ﷺ كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فسلموا عليه فرد عليهم السلام، ثم سلموا على

﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ مجلس النبي ﷺ أو الذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة المجالس ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ وفي

القوم فردوا عليهم، ثم سلموا على النبي ﷺ فردّ عليهم، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم، ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فأنزل الله هذه الآية اهـ خازن.

وروي عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه دخل المسجد، وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله ﷺ للوقر أي للصمم الذي كان في أذنيه، فوسعوا له حتى قرب من رسول الله ﷺ، ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت، وقد تقدمت قصته في سورة الحجرات، وقال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير سواء كان مجلس حرب أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة وأن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه. قال ﷺ: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق به ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك» فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة الجمع اهـ خطيب.

وفي القرطبي مسألة إذا أمر إنسان إنساناً أن يبكر إلى الجامع فيأخذ له مكاناً يقعد فيه لا يكره، فإذا جاء الآمر يقوم من الموضع لما روي أن أنس بن سيرين كان يرسل غلامه إلى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس له فيه، فإذا جاء قام له منه اهـ.

وأما إذا أرسل سجادة أو نحوها لتفرش له في المسجد حتى يحضر هو فيجلس عليها، فذلك حرام لما فيه من تحجير المسجد بلا فائدة، وقيل: مكروه والأول هو المعتمد كما في حواشي المنهج اهـ.

قوله: (مجلس النبي ﷺ) فإنهم كانوا يتضامون فيه تنافساً على القرب منه وحرصاً على استماع كلامه اهـ كرخي.

قوله: (أو الذكر) كما قال ﷺ: «لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا» أو المراد مجلس القتال إذا اصطفوا للحرب قاله ابن عباس اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة المجالس) أي سبعية والجمع باعتبار أن لكل واحد منهم مجلساً اهـ سمين.

قوله: ﴿يفسح الله لكم﴾ مجزوم في جواب الأمر الواقع جواباً للشرط، وكذا يقال في قوله: يرفع الله الذي آمنوا منكم تأمل. قوله: (في الجنة) أي وغيرها من كل ما يريدون التفسيح فيه كالمكان والرزق والصدر والقبر اهـ بيضاوي.

قوله: (قوموا إلى الصلاة وغيرها) عبارة الخازن: وإذا قيل انشزوا فانشزوا أي إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا، وقيل: كان رجل يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا

قراءة بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾ ما تتصدقون به

نودي لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى إذا نودي للصلاة فانهضوا إليها، وقيل: إذا قيل لكم أنهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فانهضوا إليه ولا تقصروا عنه اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بضم الشين فيهما وهما لغتان بمعنى واحد، يقال: نشز أي ارتفع ينشز وينشز كعرش يعرش ويعرش، وعكف يعكف ويعكف من بابي ضرب ونصر اهـ سمين.

قوله: (بالطاعة) متعلق بيرفع، وقوله: في ذلك أي القيام إلى الصلاة ونحوها. وفي البيضاوي: يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائكم غرف الجنان في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿والذين أوتوا العلم﴾ معطوف على الذين آمنوا كما أشار له بتقدير العامل فهو من عطف الخاص على العام، لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين، ويجوز أن يكون من عطف الصفات وتكون الصفتان لذات واحدة، كأنه قيل: يرفع الله المؤمنين العلماء اهـ سمين.

وفي البيضاوي: والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدِّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ في هذا الأمر تعظيم لرسول الله ﷺ، وانتفاع الفقراء، والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا ومحب الآخرة، واختلف في أنه للندب أو للوجوب، لكنه منسوخ بقوله: ﴿أأشفقتم أن تقدموا﴾ وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً. وعن علي كرم الله وجهه: أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم، وناجيت رسول الله ﷺ عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم، وهذا على القول بالوجوب لا يقدح في حق غيره من الصحابة، ولعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقاء الوجوب بلا نسخ، إذ روي أنه لم يبق إلا عشرة من الأيام، وقيل: إلا ساعة اهـ بيضاوي.

وقيل: إلا يوماً اهـ قرطبي.

وعبارة الخازن: وفائدة هذا التقديم تعظيم مناجاة رسول الله ﷺ، فإن الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة استعظمه، وإن وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة. قال ابن عباس: إن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شق عليه، فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه ﷺ ويزجرهم عن ذلك، فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله ﷺ، وقيل: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته، فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما الأغنياء وأهل الميسرة فضنوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت الرخصة. قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب تصدق

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ بكم، يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي أخفتم من ﴿أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الفقر ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾

بدنيار وناجاه، ثم نزلت الرخصة فكان عليٌّ يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فقال لي النبي ﷺ: ما ترى ديناراً. قلت: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار. قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة. قال إنك لزهيد. قال: فنزلت: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة، أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وقوله: قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب، وقوله: إنك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك، فإن قلت: في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ لم يعمل بها أحد غيره. قلت: هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة، ووجه ذلك أن الوقت لم يتسع ليعلموا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وتقدير اتساع الوقت، ولم يفعلوا ذلك إنما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا إلى المناجاة، فيكون ذلك سبباً لحزن الفقراء إذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته، ووجه آخر وهو أن هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب إليها، بل إنما كلفوا بهذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة اهـ بحروفه.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم لما فيه من طاعة الله ورسوله اهـ خازن.

قوله: (يعني فلا عليكم الخ) أشار به إلى أن جواب الشرط في الحقيقة محذوف والجملة المذكورة دليل عليه، وقوله: ثم نسخ ذلك أي وجوب تقديم الصدقة، وقوله: بقوله الخ ظاهره أن الاستفهام نفسه هو الناسخ، وبه صرح الخطيب حيث قال: والاستفهام معناه التقرير وهو الناسخ عند الأكثر اهـ.

وقال قبل ذلك اختلفوا في الناسخ لذلك، فقيل: نسخ بالزكاة، وأكثر المفسرين أنها منسوخة بالآية التي بعدها وهي أأشفقتم كما سيأتي، وقال قبل ذلك أيضاً واختلف في مقدار مدة تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية، فقال الكلبي: ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من النهار ثم نسخ، وقال مقاتل، وابن حبان: بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ اهـ.

وتقدم عن القرطبي قول ثالث وهو أنه لم يبق إلا يوماً واحداً اهـ.

قوله: (بقوله) ﴿أأشفقتم﴾ فيه تسمح إذ النسخ إنما هو بقوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ إذ هذا هو الذي يفيد رفع الجواب، وأما مجرد إشفاقهم وخوفهم فلا يفيد رفع الوجوب لأن كثيراً من التكاليف يخاف منه المكلف ولا يفيده خوفه رفعه تأمل.

قوله: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقة، أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه، الفقر، وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التناجي اهـ بيضاوي.

الصدقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي دوموا على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ هم المنافقون ﴿قَوۡمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم﴾ أي المنافقون ﴿مِّنكُمۡ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ من اليهود بل هم

فقوله: أن تقدموا مفعول من أجله، ومفعول أأشفقتم محذوف كما أشار له الشارح بقوله: أي أخفتم من أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الفقر. قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) اشتمل كلامه على أربع قراءات كلها سبعية، وبقي خامسة سبعية لم ينبه عليها وذلك لأن تحقيق الهمزتين فيه قراءتان إدخال ألف بين المحققين وتركه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ في إذ هذه ثلاثة أقوال، أحدها: أنها على بابها من المضي، والمعنى أنكم إن تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة قاله أبو البقاء. الثاني: أنها بمعنى إذا كقوله: إذ الأغلال في أعناقهم، وقد تقدم الكلام فيه. الثالث: أنها بمعنى إن الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن الفرق بين إن وإذ معروف اهـ سمين.

قوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ جملة حالية أو استئنافية معترضة بين الشرط وجوابه، فهذه الجملة هي التي فيها نسخ الوجوب كما تقدم تأمل. قوله: (رجع بكم عنها) أي عن وجوبها بأن رخص لكم أن لا تفعلوا اهـ بيضاوي.

أي نسخها عنكم تخفيفاً عليكم اهـ خطيب.

قوله: (دوموا على ذلك) أي المذكور من الأمور الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً﴾ الخ تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: نزلت هذه الآية في عبد الله بن نبتل المنافق، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين، فقال له النبي ﷺ: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآية اهـ.

قوله: ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ يجوز في هذه أوجه، أحدها: أنها مستأنفة لا موضع لها من الاعراب أخبر عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص، بل هو كقوله: ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ [النساء: ١٤٣] أي بين الإيمان والكفر لا ينتسبون إلى هؤلاء المؤمنين ولا إلى هؤلاء الكافرين، فالضمير في ما هم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون، وفي منهم عائد على اليهود أي الكافرين الخلص. الثاني: أنها حال من فاعل تولوا، والمعنى على ما تقدم أيضاً. الثالث: أنها صفة ثانية لقوماً، فعلى هذا يكون الضمير ما هم عائداً على قوماً وهم اليهود، والضمير من منهم عائد على الذين تولوا يعني أن اليهود ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا من المنافقين، ومع ذلك تولاهم المنافقون قاله ابن عطية إلا أن فيه تنافر الضمائر، فإن الضمير في ويحلفون عائد على الذين تولوا،

مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي قولهم إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أنهم كاذبون فيه ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ من المعاصي ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ ستراً على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا۟﴾ بها المؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ ذو إهانة ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ

وعلى الوجهين الأولين تتخذ الضمائر لعودها على الذين تولوا، وعلى الثالث تختلف كما عرفت تحقيقية اهـ سمين.

قوله: (مذبذبون) أي مترددون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص، لأن فيهم طرفاً من الإيمان بحسب ظاهرهم وطرفاً من الكفر بحسب باطنهم.

قوله: ﴿ويخلفون على الكذب﴾ معطوف على الذين تولوا فهو من جملة الصلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ جملة حالية أي يعلمون أنه كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها اهـ سمين.

وفي الكرخي: وفائدة الأخبار عنهم بذلك بيان ذمهم بارتكابهم اليمين الغموس فلا يرد ما فائدة قوله وهم يعلمون اهـ.

قوله: ﴿أيمانهم جنة﴾ مفعولان لاتخذوا اهـ سمين.

قوله: ﴿فلهم عذاب مهين﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم، وقيل: الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة اهـ بيضاوي.

قوله: (من عذابه) أشار به إلى تقدير مضاف في الآية، وقوله: شيئاً مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما يحلفون لكم﴾ أي في الدنيا، وقوله: ويحسبون حال من الواو في يحلفون له أي: والحال أنهم يحسبون في الآخرة أن حلفهم فيها ينفعهم من عذابها كما نفعهم في الدنيا بكف القتال عنهم، وفي البيضاوي: ويحسبون أنهم على كل شيء لأن تمكن النفاق في نفوسهم صيرهم بحيث يخيل لهم في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله تعالى كما تروجه عليكم في الدنيا اهـ.

قوله: (استولى) ﴿عليهم﴾ من حذت الإبل وحزتها إذا استوليت عليها الأول بالذال والثاني بالزاي وكون استحوذ من الثاني من حيث الاشتقاق الأكبر. قال القاضي: وهو مما جاء في الأصل يعني على خلاف القياس، فإن القياس استحاذ بقلب الواو ألفاً كاستعاذ واستقام، ولكن استحوذ ههنا أجود لأن الفعل في هذا المعنى لا يستعمل إلا بزيادة اهـ كرخي.

ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ﴾ يخالفون ﴿ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المغلوبين ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ بالحجة أو السيف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ ﴾ يصادقون ﴿ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ﴾ أي المحادُّون ﴿ ءَابَآءَهُمْ ﴾ أي المؤمنين ﴿ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم

قوله: ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ أي فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ أي لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أولئك في الأذلين﴾ أي في جملة الأذلين، أو مع الأذلين أي الذين هم أذل الخلق وهم الكفار مطلقاً الخلص والمنافقون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كتب الله﴾ الخ ضمن معنى أقسم، ولذا أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله: لأغلبن الخ. قوله: (بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو فيجوز الجمع، فالرسول يغلب تارة بالدليل وتارة بالسيف وتارة بهما، ومن المعلوم أن الذي يستعمل الحجة والسيف هو الرسول، فنسبة الغلبة إلى الله من حيث إنه المعين للرسول والمقدر له على ذلك، فكأنه قال: كتب الله لأجعلن رسولي غالباً.

قوله: ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي إيماناً صحيحاً بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن، فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق الكفار ويحبهم بقلبه، لأنه إن فعل ذلك لم يكن صادقاً في إيمانه ولم يكن إيمانه صحيحاً، بل يكون نفاقاً، فقد نزلت هذه الآية في عبد الله بن عبد الله بن أبي لما همَّ بقتل أبيه المنافق، وفي أبي بكر الصديق لما صكّ أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب النبي ﷺ، وفي غيرهما من الصحابة كالذي قتل أباه، والذي قتل ابنه، والذي قتل أخاه لكفرهم.

قوله: ﴿يوادون﴾ مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم، وإن كان بمعنى تصادف وتلقى، فالجملة حال أو صفة لقوماً، والواو في ولو كانوا حالية، وقدم أولاً الآباء لأنهم يجب طاعتهم ثم ثنّى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلب، ثم ثلث بالإخوان لأنهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع، ثم ربّع بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد اهـ سمين.

قوله: (يصادقون) أي فالمودة المحظورة هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم دنيا وديناً مع كفره، وما عدا ذلك لا حظر فيه، لأن الأمة أجمعت على جواز مخالتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم اهـ خازن.

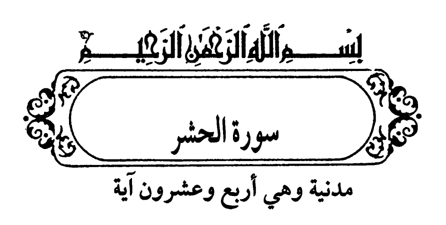
قوله: (كما وقع لجماعة من الصحابة) عبارة الخازن: روي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح، أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز، وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: متعنا بنفسك، يا أبا بكر، أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبد بن عمير يوم أحد، أو

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يوادُّونهم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾ بنور ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يتبعون أمره ويجتنبون نهيه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الفائزون.

عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اهـ.

قوله: (بنور منه) عبارة القرطبي: قال الحسن بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه، وقال ابن جريج: بنور وبرهان وهدى، وقيل: برحمة من الله، وقال بعضهم: أيدهم بجبريل عليه السلام اهـ.

قوله: (الفائزون) أي بخيري الدارين اهـ بيضاوي والله أعلم.



سورة الحشر

مدنية وهي أربع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي نزهه، فاللام مزيدة، وفي الاتيان بما تغليب للأكثر

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة النضير اهـ خازن.

قوله: (مدنية) عبارة القرطبي: في قول الجميع روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش والكرسي والسموات والأرض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له، فإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً» أخرجه الثعلبي. وروى الترمذي، عن معقل بن يسار قال، قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات من يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك» قال: حديث حسن غريب اهـ.

قوله: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلى قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الايات في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا معه، فلما غزا بدراً وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة، فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على رسول الله ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين، وكعب بن الأشرف في أربعين من اليهود المسجد، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة، فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي ﷺ بما عاقد عليه كعب وأبو سفيان، وأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة، فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة، فلما سار إليهم رسول الله ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا له: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية. قال: نعم، فقالوا: ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك، فقال النبي ﷺ: «اخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودسّ

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ في ملكه وصنعه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم بنو النضير

المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا يخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم. ثم أنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تتخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب الموت قبله، ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فإن آمنوا بك آمنا بك وصدقناك. فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل من الأنصار مسلم، فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فسارّه بخبرهم قبل أن يصل إليهم، فرجع النبي ﷺ. فلما كان من الغد غزا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين لهم فقالوا لرسول الله ﷺ: الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ، فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم. قال ابن عباس: على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤوا من متاعهم، وللنبي ﷺ ما بقي ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشأم إلى أذرعات وأريحا، إلا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة، فذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا﴾ الخ. قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد وفتح قريظة مرجعه من الأحزاب وكان بينهما سنتان اهـ من الخازن والخطيب.

وفي القرطبي: وكان خروج النبي ﷺ في ربيع الأول أو السنة الرابعة من الهجرة ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان سفيان بن عمير وسعيد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها اهـ.

قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ حال.

قوله: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا﴾ الخ بيان لبعض آثار عزته تعالى وإحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق، والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من أهل الكتاب﴾ من يجوز أن تكون للبيان فتتعلق بمحذوف أي أعني من أهل الكتاب، والثاني أنها حال من الذين كفروا، وقوله: من ديارهم متعلق بأخرج ومعناها ابتداء الغاية وصحة إضافة الديار إليهم لأنهم أنشؤوها اهـ سمين.

قوله: (هم بنو النضير من اليهود) وهم من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني

من اليهود ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبر أن ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعله به تم الخبر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين

إسرائيل ينتظرون بعثة النبي ﷺ لينصروه اهـ أبو السعود.

قوله: (بالمدينة) أي بقربها، فقد كان بينها وبين المدينة ميلان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لأول الحشر﴾ هذه اللام تتعلق بأخرج وهي لام التوقيت، كقوله: ﴿لدلوك الشمس﴾ [الإسراء: ٧٨] أي عند أول الحشر. قال الزمخشري: وهي كاللام في قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ [الفجر: ٢٤] وقولك: جئت لوقت كذا. قلت: سيأتي الكلام على هذه اللام في الفجر إن شاء الله تعالى اهـ سمين.

والكلام من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى، هو الذي أخرج الذين كفروا في وقت الحشر الأول تأمل.

قوله: (إلى خيبر) صوابه من خيبر كما عبر به غيره، وعبارة الخازن: وقيل: كان هذا أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر، انتهت.

وقال ابن العربي: للحشر أول ووسط وآخر، فالأول: إجلاء بني النضير، والأوسط: إجلاء أهل خيبر، والآخر: حشر يوم القيامة اهـ خطيب.

وعلى هذا فالمراد بحشرهم وإخراجهم من خيبر إخراج الطائفتين اللتين كانتا ذهبتا إلى خيبر من جملة بني النضير، وهم آل أبي الحقيق، وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر واستمروا بها حتى أجلاهم عمر منها إلى الشام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي لما كان بكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وقرب بني قريظة منهم، وأهل خيبر أيضاً غير بعيدين عنهم وكلهم أهل ملتهم والمنافقون من أنصارهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿مانعتهم حصونهم﴾ فيه وجهان، أحدها: أن يكون حصونهم مبتدأ، ومانعتهم خبر مقدم، والجملة خبر أنهم. الثاني: يكون مانعتهم خبر أنهم، وحصونهم فاعل به نحو: إن زيداً قائم أبوه وإن عمراً قائمة جاريته، وتسلط الظن هنا على أن المشددة، والقاعدة أنه لا يعمل فيها ولا في المخففة منها إلا فعل علم ويقين إجراء له مجرى اليقين لشدته وقوته وأنه بمنزلة العلم اهـ سمين.

قوله: (لم يخطر ببالهم) تفسير لقوله لم يحتسبوا، وقوله: من جهة المؤمنين تفسير لمن حيث، فالجهة هي المؤمنون كانوا لا يخطر ببالهم أن الذل يأتيهم من جهة المؤمنين الضعفاء بالنسبة إليهم في ذلك الوقت اهـ شيخنا.

وضمها، الخوف، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف من أخرب ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُو۟لِى

قوله: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أي: أنزله فيها إنزالاً شديداً كأنه قد قذف الحجارة فيها اهـ خطيب.

قوله: (بسكون العين وضمها) سبعيتان، وقوله: بقتل سيدهم أي بسبب قتل الخ. وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة، وسبب قتله أنه لما رأى ما وقع في غزوة بدر من عز الإسلام والمسلمين ازداد اللعين غيظاً وحسداً، وكان شاعراً فصار يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين بشعره، وذهب إلى مكة فحرض قريشاً على حرب المسلمين وحزبهم وجمعهم فجاؤوا في وقعة أحد، فلما ظهر أمره للنبي ﷺ أرسل له محمد بن مسلمة ومعه أربعة وكلهم من الأوس فقتلوه في حصنه غيلة وخديعة، فألقى الله الرعب في قلوب بني النضير وخافوا من رسول الله ﷺ خوفاً شديداً فغزاهم ﷺ وأمكنه الله منهم تأمل.

قوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً للاخبار به، وأن يكون حالاً من ضمير قلوبهم وليس بذلك اهـ سمين.

وإنما خربوا بيوتهم بخلاً بها على المسلمين وكان تخريبهم لهم من داخل الحصون، وأما تخريب المؤمنين فكان من خارجها فكانوا أيضاً يخربون حصونهم من ظواهرها للنكاية وتوسيع مجال القتال ليدخلوها اهـ بيضاوي.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) سبعيتان. وقوله: من أخرب راجع للتخفيف، وأما التشديد فهو من خرب اهـ شيخنا.

قوله: (من خشب) بفتحتين كأسد وبضمتين كعنق وبضم فسكون كقفل، وكل من الثلاثة جمع خشبة بوزن شجرة كما في المختار قوله: ﴿بأيديهم﴾ أي من داخل الحصون وأيدي المؤمنين أي من خارجها ليدخلوها، فإن قيل: ما معنى قوله يخربون بيوتهم بأيدي المؤمنين الذي هو مآل النظم؟ أجيب: بأنهم لما عرضوا المؤمنين لذلك وكانوا السبب فيه صاروا كأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: يخربون بيوتهم أي ضناً وبخلاً بها على المسلمين وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتها وأيدي المؤمنين، فإنهم كانوا أيضاً يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث إن تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم العهد فكأنهم استعملوهم فيه، والجملة حال أو تفسير للرعب اهـ.

قوله: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ أي فاتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله اهـ بيضاوي.

والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء، ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل

﴿ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟﴾

من العين إلى الخد، وسمي علم التعبير لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول، وسميت الألفاظ عبارات لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع، ويقال: السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره، ولهذا قال القشيري: الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولولا أن كتب الله﴾ أن مصدرية وهي مع ما في حيزها في محل رفع على الابتداء، لأن لولا الامتناعية لا يليها إلا المبتدأ وخبره محذوف أي لولا الكتب موجودة اهـ زاده.

قوله: (الخروج من الوطن) عبارة الخطيب: ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء والخروج من الوطن والجولان في الأرض، فأما معظمهم فأجلاهم بختنصر من بلاد الشام إلى العراق، وأما هؤلاء فكان جلاؤهم على يده ﷺ، فذهب بعضهم إلى الحيرة وبعضهم إلى الشام مرة بعد أخرى.

تنبيه:

قال الرازي: الجلاء أخص من الخروج لأنه لا يقال إلا للجماعة، والاخراج يكون للجماعة والواحد، وقال بعضهم: الجلاء ما كان من الأهل والولد والاخراج لا يتقيد بذلك، انتهت.

وفي المختار: الجلاء بالفتح والمد الأمر الجلي تقول منه جلا الخبر يجلو جلاء وضح، والجلاء أيضاً الخروج من البلد والاخراج أيضاً وقد جلوا عن أوطانهم وجلاهم غيرهم يتعدى ويلزم اهـ.

وفي المصباح: والفاعل من الثلاثي جال مثل قاض والجماعة جالية، ومنه قيل لأهل الذمة الذين أجلاهم عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب جالية، ثم نقلت الجالية إلى الجزية التي أخذت منهم، ثم استعملت في كل جزية تؤخذ وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه، فيقال: استعمل فلان على الجالية والجمع الجوالي اهـ.

قوله: ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ استئناف معناه أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة اهـ بيضاوي.

ولو كان معطوفاً على قوله لعذبهم في الدنيا للزم أن ينجوا من عذاب الآخرة أيضاً، لأن لولا تقتضي انتفاء الجزاء بحصول الشرط اهـ زاده.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ. قوله: ﴿ومن يشاق الله﴾ من شرطية، وقوله: فإن الله الخ إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد عند من يلتزمه وقد قدره الشارح بقوله له، أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب، وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني، كأنه قيل: الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم الله ورسوله، وكل من يشاق الله كائناً من كان فله بسبب ذلك عذاب شديد فإذن لهم عذاب شديد اهـ أبو السعود بنوع تصرف.

خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ له ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمين ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ اليهود في اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

قوله: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ ما شرطية في موضع نصب بقطعتم، ومن لينة بيان له وفبإذن الله جزاء الشرط، ولا بد من حذف مبتدأ أي فقطعها بإذن الله فيكون بإذن الله الخبر لذلك المبتدأ واللينة فيها خلاف كثير، فقيل: هي النخلة مطلقاً، وقيل: هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا برنية، وقيل: هي النخلة الكريمة، وقيل: هي العجوة، وقيل: هي أغصان الشجر للينها. وفي عين لينة قولان، أحدهما: أنها واو لأنها من اللون وإنما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كديمة وقيمة. الثاني: أنها ياء لأنها من اللين وجمع اللينة لين لأنه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر، وقد تكسر على ليان وهو شاذ لأن تفسير ما يفرق فيه بتاء التأنيث شاذ كرطبة ورطب وأرطاب، والضمير في تركتموها عائد على معنى ما اهـ سمين.

روي أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل، وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم شيئاً وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعه، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك كان بإذن الله اهـ خطيب.

قوله: (أي خيركم في ذلك) أي في القطع والترك، وأشار بهذا إلى أن الإذن هنا ليس معناه الإرادة بل معناه الجواز والإباحة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وليخزي الفاسقين﴾ اللام متعلقة بمحذوف، والواو عاطفة على علة محذوفة، والتقدير أذن في قطعها ليسر المؤمنين ويعزهم ويخزي الفاسقين تأمل اهـ من السمين.

قوله: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ الخ شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان حال ما حلَّ بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اهـ أبو السعود.

قوله: (رد) ﴿الله﴾ أي ليد رسوله بعد أن كان خروجه عنها بوضع يد الكفرة عليه ظلماً وعدواناً، كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل إلى الناحية التي كان ابتدىء منها اهـ خطيب.

وفي الكرخي: قوله: رد الله على رسوله أي فإنه كان حقيقاً بأن يكون له، لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته، وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين وهو ﷺ رأسهم ورئيسهم، وبه أطاع من أطاع فكان أحق به اهـ.

مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ أسرعتم يا مسلمين ﴿عَلَيۡهِ مِنۡ﴾ زائدة ﴿خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ إبل، أي لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء، فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من

قوله: ﴿منهم﴾ ابتدائية. قوله: ﴿فما أوجفتم﴾ في المصباح: وجف الفرس والبعير وجيفاً عدا، وأوجفته بالألف أعديته وهو العنق في السير، وقولهم: ما حصل بإيجاف أي بأعمال الخيل والركاب في تحصيله اهـ.

قوله: ﴿من خيل﴾ من زائدة في المفعول، وقوله: ولا ركاب هي ما يركب من الإبل غلب ذلك عليها من بين المركوبات واحدها راحلة ولا واحد لها من لفظها. وقال الرازي: العرب لا يطلقون لفظ الراكب إلا على راكب البعير، ويسمون راكب الفرس فارساً، والمعنى لم تقطعوا إليها مسافة ولا لقيتم بها مشقة ولا حرباً، فإنها كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء، فمشوا إليها مشياً ولم يركبوا إليها خيلاً ولا إبلاً إلا النبي ﷺ فإنه ركب جملاً، وقيل: حماراً مخطوماً بليف فافتتحها صلحاً، قال الرازي: إن الصحابة طلبوا من النبي ﷺ أن يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم، فذكر الله تعالى الفرق بينهما وأن الغنيمة هي متى أتعبتم أنفسكم في تحصيلها، وأما الفيء فهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الأمر مفوضاً فيه إلى النبي ﷺ يضعه حيث شاء اهـ خطيب.

وفي الكرخي: وهذا وإن كان كالغنيمة لأنهم خرجوا أياماً وقاتلوا وصالحوا، لكن لقلة تعبهم أجراه الله تعالى مجرى الفيء اهـ.

قوله: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائه تسليطاً غير معتاد من غير أن يقتحموا مضائق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب اهـ أبو السعود.

قوله: (على ما كان يقسمه الخ) متعلق بيختص أي يختص هو ومن ذكر اختصاصاً جارياً على الوجه الذي كان يقسمه عليه، وبينه بقوله من أن الخ اهـ شيخنا.

قوله: (من أن لكل منهم) أي الأربعة المذكورين في الآية الآتية، وقوله: وله الباقي وهو أربعة أخماس الفيء من أصله وخمس خمسه، وهذا كان في حياته ﷺ وبعده ﷺ الأخماس الأربعة للمرتزقة، وخمس الخمس لمصالح المسلمين اهـ شيخنا.

قوله: (فأعطى منه المهاجرين الخ) عبارة المواهب: فقسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل ابن حنيف لحاجتهما، وفي الأكليل: وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق وكان سيفاً له ذكر عندهم، انتهت.

فقوله: لفقرهم أي الثلاثة الذين هم من الأنصار اهـ.

الأنصار لفقرهم ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ كالصفراء ووادي القرى وينبع ﴿ فَلِلَّهِ ﴾ يأمر فيه ما يشاء ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ﴾ صاحب ﴿ ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب ﴿ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ، والأصناف الأربعة على

قوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ الخ بيان لمصارف الفيء بعد بيان رده على رسول الله ﷺ من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وأعاده بغير العبارة الأولى لزيادة التقرير اهـ أبو السعود.

وهذا أعم مما تقدم إذ هو كان في خصوص أموال بني النضير وهذا أعم اهـ شيخنا.

ولم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها اهـ كرخي.

قوله: (كالصفراء الخ) عبارة القرطبي: من أهل القرى. قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وهما بالمدينة، وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة، وخيبر وقرى عرينة وينبع اهـ.

قوله: ﴿فلله وللرسول﴾ اختلف في قسم الفيء، فقيل: يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول، وقيل: يخمس خمسة كالغنيمة فإنه ﷺ كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على خلاف المذكور اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: قال قوم منهم الشافعي إن معنى الآيتين واحد أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله ﷺ، وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ فالذي كان من الفيء لرسول الله ﷺ يصرف عند الشافعي في قول إلى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي قول آخر له يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس الفيء فأما السهم الذي كان من خمس الفيء والغنيمة فهو لصالح المسلمين بعد موته ﷺ بلا خلاف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيه» اهـ.

قوله: (قرابة النبي) أي فالقربى مصدر اهـ.

قوله: (وهم) أي اليتامى (فقراء) قوله: (المنقطع في سفره) أي: المنقطع عن ماله أي الذي ليس عنده مال في سفره اهـ.

قوله: (أي يستحقه النبي الخ) تفسير لقوله: فلله وللرسول الخ. وظاهرة الآية أن الفيء يخمس خمسة أخماس، وأن للنبي خمسه بل سدسه، ولما كان هذا غير مراد أشار إلى أن الآية من قبيل حمل المطلق على المقيد فهي مطلقة قيدت بآية الأنفال المصرحة بأن اشتراك الأصناف الخمسة إنما هو في

ما كان يقسمه من أنَّ لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي ﴿ كَيۡ لَا ﴾ كي بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها ﴿ يَكُونَ ﴾ الفيء علة لقسمه كذلك ﴿ دُولَةَۢ ﴾ متداولاً ﴿ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ﴾ أعطاكم ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ من الفيء وغيره ﴿ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾

الخمس لا في المال من أصله، والمعنى هنا فخمسه لله وللرسول الخ. فالاشتراك المذكور هنا إنما هو في الخمس فحينئذ تفيد الآية أن للرسول خمس الخمس وكان في صدر الإسلام يأخذ أيضاً أربعة أخماس الفيء للمرتزقة وخمس الخمس لمصالحنا اهـ شيخنا.

قال البقاعي: ومن زعم أن شيئاً مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الأنفال فقد أخطأ، لأن الأنفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة اهـ خطيب.

قوله: ﴿كي لا﴾ ترسم كي هنا مفصولة من لا اهـ خطيب.

قوله: (بمعنى اللام) أي لام التعليل والمعلل ما يستفاد مما سبق أن جعل الله الفيء لمن ذكر لأجل أن لا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أي يتداوله الأغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به اهـ خطيب.

وعبارة الخازن: وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع، ثم يصطفي بعد المرباع منها ما شاء فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه على ما أمره الله به اهـ.

قوله: (وأن مقدرة بعدها) أي: فالنصب بأن لابها وهذا هو المشهور، وجوز بعضهم في الآية أن تكون كي مصدرية ويكون قبلها لام التعليل مقدرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿يكون﴾ (الفيء) أشار به إلى أن كان ناقصة واسمها ضمير مستتر ودولة خبرها منصوب، وعلى هذه القراءة يكون بالياء التحتية لا غير، وقرىء أيضاً برفع دولة على أن كان تامة مع الياء التحتية والتاء الفوقية من يكون، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿دولة﴾ في المصباح: تداول القوم الشيء تداولاً وهو حصوله في هذا تارة وفي يد هذا تارة، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع، وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف، ومنهم من يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب، ودالت الأيام تدول مثل دارت تدور وزناً ومعنى اهـ.

وفي السمين: وقرأ العامة دولة بضم الدال، وعلي بن أبي طالب والسلمي بفتحها، فقيل: هما بمعنى وهو ما يدول للإنسان أي ما يدور من الغنى والغلبة وغير ذلك، وقال الحذاق من البصريين: الدولة بالفتح من الملك بضم الميم، والدولة بالضم من الملك بكسر الميم، أو بالضم في المال وبالفتح بالنصرة، وهذا يرده القراءة المروية عن علي والسلمي، فإن النصرة غير مرادة قطعاً هنا وكيلاً علة لقوله: فلله وللرسول أي استقراره لهؤلاء لهذه العلة اهـ.

قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أي ما أعطاكم من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الأخذ، والقول فانتهوا قاله الحسن وغيره، وقاله السدي: ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه، وقال ابن جريج: ما أتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف أي اعجبوا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ في إيمانهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ أي المدينة

معصيتي فانتهوا عنه واجتنبوه، وقال الماوردي: إنه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمر إلا بإصلاح ولا ينهى إلا عن فساد، وقال المهدوي: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي ﷺ أمر من الله تعالى وإن كانت الآية خاصة في الغنائم فجميع أوامره ﷺ ونواهيه داخلة فيها اهـ قرطبي.

قوله: (متعلق بمحذوف الخ) قدم عليه أبو البقاء أنه بدل من قوله: ولذي القربى وما بعده، ومقتضاه اشتراط الفقر فيه وهو مذهب الإمام أبي حنيفة، ومن ثم جعله الزمخشري كذلك وأطال الكلام في ذلك، وتقدير الشيخ المصنف وافق لمذهب إمامه الشافعي وأصحابه من الاستحقاق تشريفاً لهم فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى، والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره الشيخ المصنف كأبي البقاء وتبعه الكواشي مجيء قوله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون﴾ الآيات مصدراً بألم تر وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلاً لذكر أضدادهم اهـ كرخي.

قوله: (أي اعجبوا) أي: تعجبوا. وهذا خطاب لكل من يصلح منه التعجب والتأمل في حال المهاجرين حيث تركوا أوطانهم وأموالهم وتحملوا الضيق والتغرب في حب النبي والإسلام، وفي هذا نوع تخويف ونوع توبيخ للكفار والمنافقين القاطنين بأوطانهم مع الأمن والسعة ولم يؤمنوا فليتهم اعتبروا بالمهاجرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ أي حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها اهـ أبو السعود.

ولما كان المال يستر صاحبه كان كأنه ظرف له فناسب التعبير فيه بالخروج اهـ خطيب.

قوله: ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ حال كونهم طالبين منه تعالى فضلاً أي: رزقاً ورضواناً أي مرضاة في الآخرة، وقوله: وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهو حال أيضاً لكنها مقدرة أي: ناوين نصرة الله ورسوله إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ (في إيمانهم) قال قتادة: هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها. وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً» اهـ خازن.

قوله: ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ مبتدأ خبره يحبون وهو كلام مستأنف مسوق لمدح إيمان الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: والذين تبوأوا الدار الخ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على الفقراء فيكون مجروراً، ويكون من عطف المفردات، ويكون يحبون حالاً. والثاني: أن يكون مبتدأ خبره

﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي ألفوه وهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿وَيُؤْثِرُونَ

يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل، وقوله: والذين جاؤوا من بعدهم يحتمل الوجهين المتقدمين في الذين قبله، فإن كان معطوفاً على المهاجرين فيقولون حال كيحبون أو مستأنف وإن كان مبتدأ فيقولون خبره اهـ.

قوله: ﴿تبوأوا الدار﴾ أي: اتخذوها منزلاً بإسلامهم من قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين فعصموها وحفظوها بالإسلام فكأنهم استحدثوا بناءها، وقوله: أي ألفوه أشار إلى أن والإيمان معمول لمقدر والعطف عطف جمل، إذ لا يصح تسليط التبوء على الإيمان، وهذا أحد الوجوه المذكورة في نحو: علفتها تبناً وماء بارداً.

وقوله: من قبلهم متعلق بكل من المذكور وهو تبوأوا والمقدر وهو ألفوا أي: حال كون التبوء والإلف من قبل هجرة المهاجرين وقدومهم عليهم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: أي ألفوه فيه إشارة إلى أنه من عطف الجمل، والمعنى: وألفوا الإيمان وأخلصوا أو اختاروا الإيمان لأن الإيمان لا يتخذ منزلاً فهو من باب علفتها تبناً وماء بارداً أي: وسقيتها ماء، اختصر الكلام، أو منصوب بتبوأوا بتضمينه لزموا كأنه قال: لزموا الدار ولزموا الإيمان فلم يفارقوهما، أو بلا تضمين على أنه مجاز بجعلهم منزلاً لهم لتمكنهم فيه كتمكنهم في المدينة، ففي تبوأوا جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند الشافعي رضي الله عنه اهـ.

قوله: ﴿ولا يجدون في صدورهم﴾ أي: نفوسهم. قوله: (حسداً) أي: ولا غيظاً ولا حزازة، فالمراد بالحاجة هذه المعاني وإطلاق لفظ الحاجة عليها من إطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية، لأن هذه المعاني لا تنفك عن الحاجة غالباً، فعلى هذا الصنيع الضمير في لا يجدون للأنصار وفي أوتوا للمهاجرين. قال القرطبي: كان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا من المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم في الأموال، ثم قال ﷺ: «إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرين على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم»، فقال سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار»، وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين، أبا دجانة سماك ابن خرشة، وسهل بن حنيف، والحرث بن الصمة اهـ خطيب.

والحزازة بفتحتين بعد الحاء المهملة المفتوحة أصله مرض في القلب ويكنى به عما يضمره الإنسان من الغيظ والعداوة وهو المراد هنا، والحسد تمني زوال النعمة والغبطة تمني مثلها من غير أن تزول اهـ شهاب.

قوله: (أي آتى النبي) ببيان للفاعل المحذوف، وقوله: المهاجرين بيان لنائبه المذكور وهو

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من المهاجرين والأنصار إلى يوم

الواو، وقوله: من أموال الخ بيان لما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ أي: في كل شيء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً من المهاجرين، وقوله: ولو كان بهم خصاصة جملة حالية، والخصاصة: الحاجة والخلة وأصلها خصاص البيت وهي فروجه اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: الإيثار وهو تقديم الغير على النفس، وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة، يقال: آثرته بكذا أي: خصصته به وفضلته ومفعول الإيثار محذوف أي: يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها، فقد روي عن ابن عمر أنه قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا بعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت إلى الأول، فنزلت هذه الآية. وروى الداراني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده في البيت حتى تنظر ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إليه وامكث في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا، فجاءت امرأة معاذ وقالت: ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبر فسّر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض، ونحوه عن عائشة وغيرها اهـ.

قوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ كلام عام ومن شرطية ويوق فعل الشرط، وقوله: فأولئك الخ جزاؤه وفيه رعاية معنى من بعد رعاية لفظها اهـ سمين.

قوله: (حرصها على المال) فيه إيماء إلى الفرق بين البخل والشح، وأيضاحه: أن الشح اللؤم وهو غريزة، والبخل المنع نفسه فهو أعم لأنه قد يوجد البخل ولا شح له ولا ينعكس. وعن النسائي، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً». فإذن الشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتي المعروف وتعاطي مكارم الأخلاق، ويفتقر في التخلص منه إلى معونة الله وتوفيقه، وفي الجامع الصغير: «الشحيح لا يدخل الجنة» رواه الخطيب في كتاب البخلاء عن ابن عمر، وفي الصحاح: الشح البخل مع حرص اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي: الفائزون بما أرادوا. روي أن رجلاً قال لابن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلكت. قال: ما ذاك؟ قال: إني أسمع الله يقول: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم

القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم في الأربعة مواضع

المفلحون، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال عبد الله: ليس ذاك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً فذاك البخل وبئس الشيء البخل، وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له، وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم، وقيل: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئاً أمره الله بإعطائه فقد وقاه الله شح نفسه اهـ خازن.

قوله: ﴿والذين جاؤوا﴾ مبتدأ، وقوله: يقولون ربنا الخ خبر، وقوله: من بعد المهاجرين أي: من بعد هجرة المهاجرين والأنصار أي: بعد إيمان الأنصار وقوته، فحينئذ البعدية تشمل التابعين كما هو ظاهر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولإخواننا﴾ في المصباح: الأخ لامه محذوفة وهي واو وترد في التثنية على الأشهر، فيقال: إخوان وفي لغة يستعمل منقوصاً فيقال: أخان وجمعه أخوة وإخوان بكسر الهمزة فيهما وضمها لغة، وقيل: جمعه بالواو والنون وعلى آخاء وزان آباء أقل، والأنثى أخت وجمعها أخوات وهو جمع مؤنث سالم اهـ.

قوله: ﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾ كل واحد من القائلين لهذا القول يقصد بمن سبقهم من انتقل قبله من غير فاصل، وينتهي إلى عصر النبي ﷺ فيدخل في أخواته الذين سبقوه بالإيمان جميع من تقدمه من المسلمين، ولا يقصد بالذين سبقوه خصوص المهاجرين والأنصار لقصوره وإن كان أصل سبب النزول اهـ شيخنا.

قوله: (حقداً) هو حرارة وغليان يوجب الانتقام اهـ خطيب.

وفي المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء، وحقد عليه من باب ضرب، وفي لغة من باب تعب والجمع أحقاد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ أي: مطلق المؤمنين أيا كانوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رؤوف﴾ بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ الخ حكاية لما جرى بين الكفار والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجب منها بعد حكاية أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم، والخطاب لرسول الله أو لكل أحد ممن له حظ في الخطاب، وقوله: يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته، واللام في لإخوانهم لام التبليغ اهـ أبو السعود.

قوله: (لام قسم) أي: تكون مؤذنة بأن الجواب بعدها مبني على قسم مقدر قبلها لا مبني على

﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ واستغنى بجواب القسم المقدر عن

شرط تقديره: والله لئن أخرجتم الخ. ومن ثم تسمى اللام المؤذنة والموطئة كما قاله الشيخ المصنف بعد لأنها وطأت الجواب للقسم أي: مهدته، وقوله: في الأربعة أي: لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم اهـ كرخي.

بل في الخمسة هذه الأربعة والتي ذكرها في قوله: وإن قوتلتم حيث قال حذفت منه اللام الموطئة أي للقسم المقدر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا نطيع فيكم﴾ معطوف على جملة لئن أخرجتم، وكذا قوله: ﴿وإن قوتلتم﴾ [الحشرة: ١١] فمقولهم ثلاث جمل، وقوله أحداً أي: من رسول الله والمؤمنين، وقوله: أبداً ظرف للنفي لا للمنفي كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: (حذفت منه اللام الموطئة) أي: كما في قوله: وإن لم ينتهوا عما يقولون وهو قليل في كلام العرب والكثير إثباتها اهـ كرخي.

قوله: ﴿لكاذبون﴾ أي: فيما ذكر من المقالات الثلاث، وهذا تكذيب لهم على سبيل الإجمال ثم فصله بقوله: لئن أخرجوا الخ هذا تكذيب للمقالة الأولى، وبقوله: ولئن قوتلوا الخ هذا تكذيب للمقالة الثالثة، وأما الثانية فلم يذكر لها تكذيب في التفصيل، وأما قوله: ولئن نصروهم الخ فمن تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا ينصرونهم﴾ وكان كذلك، فإن ابن أبي وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم، وفيه دليل على صحة النبوة حيث أخبر عما سيقع فوقع كما أخبر، وهذا مبني على تقدم نزول الآية على الواقعة وعليه يدل النظم، فإن كلمة إن للاستقبال وإعجاز القرآن من حيث الإخبار عن الغيب اهـ كرخي.

قوله: (أي جاؤوا لنصرهم) أي: خرجوا لقصد نصرهم ولا يلزم من خروجهم لذلك نصرهم بالفعل، فلا يرد كيف قال أولاً وإن قوتلوا لا ينصرونهم، وقال ثانياً: ولئن نصروهم فنفى النصرة أولاً وأثبتها ثانياً ولا يرد أيضاً كيف قال: ولئن نصروهم، وقال: ليولن الأدبار وكيف ينصرونهم، ويولون الأدبار إذ مقتضى النصرة الثبات وعدم الهزيمة، فأشار الشارح لدفع هذين الإيرادين بقوله: أي: جاؤوا لنصرهم، وبعضهم أشار للدفع بقوله: ولئن نصروهم أي: على سبيل الفرض والتقدير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليولن الأدبار﴾ الضمير في هذا الفعل لليهود كالضمير في قوله: ثم لا ينصرون هذا ما جرى عليه الشارح، وقيل: الضميران، وقيل: كل منهما لمجموع اليهود والمنافقين معاً اهـ.

قوله: (واستغنى بجواب القسم) ولذلك رفعت الأفعال المذكورة لأنها وقعت في جواب القسم لا في جواب الشرط اهـ سمين.

جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾ أي اليهود ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي المنافقين ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣﴾ ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ سور، وفي قراءة جدر ﴿بَأْسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة خلاف

وقوله: المقدر نعت للقسم أي: المقدر وحده، وذلك في المواضع الأربعة التي صرح فيهاب اللام الموطئة أو مع اللام، وذلك في الموضع الذي لم تذكر فيه اللام وهو قوله: وإن قوتلتم الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ إيضاحه: أن الرهبة مصدر رهب المبني للمفعول هنا لأن المخاطبين مرهوب منهم لا راهبون، والمعنى أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله فلا يرد كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرهبة مع أنهم لا يرهبون من الله، لأنهم لو رهبوا منه لتركوا الكفر والنفاق اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة أي: أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم، فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين اهـ.

أي: يظهرون خوفهم من الله، وهذا في المعنى كالتعليل لقوله: ليولن الأدبار الخ كأنه قال: إنهم لا يقدرون على مقاتلتكم لأنكم أشد رهبة الخ اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق اهـ خطيب.

قوله: (مجتمعين) أشار به إلى أن جميعاً حال، وقوله: إلا في قرى متعلق بيقاتلونكم اهـ.

وقوله: محصنة أي: بالدروب والخنادق اهـ بيضاوي.

والدروب جمع درب وهو الباب الكبير اهـ.

قوله: (وفي قراءة جدر) هذه القراءة سبعية، وقراءة جدار سبعية أيضاً، لكن صاحبها يلتزم إما الإمالة في جدار، وإما الصلة في بينهم بحيث يتولد منها واو، فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ راجع لقوله: لا يقاتلونكم الخ أي: فعجزهم عن قتالكم ليس لجبنهم، بل هم في غاية القوة والشجاعة إذا حارب بعضهم بعضاً، وأما إذا حاربوكم فيضعفوا ويجبنوا للرهبة التي في قلوبهم منكم اهـ من البيضاوي.

وفي السمين: قوله: بأسهم بينهم شديد متعلق بشديد، وجميعاً مفعول ثان أي مجتمعين، وقلوبهم شتى جملة حالية أو مستأنفة للإخبار بذلك، والعامة على شتى بلا تنوين لأنها ألف تأنيث اهـ.

قوله: ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي: متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بأنهم قوم لا

الحسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤﴾ مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزمن قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥﴾ مؤلم في الآخرة مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ١٦﴾ كذباً

يعقلون ما فيه صلاحهم، فإن تشتيت القلوب يوهن قواهم اهـ بيضاوي.

قوله: (خلاف الحسبان) أي: حال كونهم خلاف أي: بخلاف أي: مخالفين للحسبان أي: ظن أنهم مجتمعون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ إنما خص الأول بلا يفقهون، والثاني بلا يعقلون، لأن الأول متصل بقوله: لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله أي لأنهم يفقهون ظاهر الشيء دون باطنه والفقه معرفة الظاهر والباطن، فناسب نفي الفقه عنهم. والثاني متصل بقوله: تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى إذ لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا، فناسب نفي العاقل عنهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله مثلهم أي: مثل اليهود بني النضير أي: صفتهم الغريبة العجيبة، وهي ما وقع لهم من الإجلاء والذل كمثل وصفة وحال أهل مكة فيما وقع لهم أيضاً يوم بدر من الهزيمة والأسر والقتل، والمقصود تشبيه حال اليهود وهي ما حصل لهم في الدنيا من الوبال وما سيحصل لهم في الآخرة من العذاب بحال المشركين في هذين الأمرين، فقول الشارح في ترك الإيمان قد علمت أن المراد بمثلهم ما نزل بهم في الدنيا، وما سينزل بهم في الآخرة فترك الإيمان ليس هو المثل بل هو سببه ففي سببية تعليلية، وقوله: من قبلهم متعلق بالاستقرار المحذوف الذي هو الخبر في الحقيقة، وقوله: قريباً ظرف زمان معمول إما لذاقوا الذي بعده وإما لمضاف مقدر في الخبر أي: كوقوع وحصول مثل الذين من قبلهم قريباً أي: في زمن قريب، إذ بين وقعة بدر ووقعة بني النضير نحو سنة ونصف لما تقدم أنها كانت في ربيع الأول من الرابعة، وبدر كانت في رمضان من الثانية، فالباء في كلام الشارح بمعنى في اهـ.

قوله: ﴿ذاقوا﴾ أي: الذين من قبلهم، وهذا بيان لمثل الذين من قبلهم، والمراد بأمرهم كفرهم، وقول الشارح: عقوبته أي عقوبة أمرهم الذي هو الكفر أي: العقوبة المسببة عنه اهـ شيخنا.

قوله: (مثلهم أيضاً) أي: مثل اليهود، وقوله: في سماعهم بيان لمثلهم أي: اليهود، وقوله: وتخلفهم أي: تخلف المنافقين عنهم أي: اليهود، وقوله: كمثل الشيطان المراد به حقيقته لا شيطان الإنس، وقوله: إذ قال للإنسان الخ بيان لمثل الشيطان اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان الخ، انتهت. وهي أظهر كما لا يخفى اهـ.

قوله: ﴿إذ قال للإنسان﴾ المراد به برصيصا العابد لما روي عن النبي ﷺ أنه قال الإنسان الذي قال له الشيطان ﴿اكفر﴾ راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها، فزين له الشيطان ووطئها فحملت ثم قتلها خوفاً من أن يفتضح، فدلّ الشيطان قومها على موضعها فجاؤوا فاستنزلوا الراهب

منه ورياء ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ﴾ أي الغاوي والمغوي، وقرىء بالرفع اسم كان ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمْ

ليقتلوه فجاء الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجيه فسجد له فتبرأ منه اهـ خطيب.

قوله: ﴿قال إني بريء منك﴾ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب، وقوله: كذباً معمول لقال أي: قال إني أخاف الله كذباً ورياء إلا فهو لا يخاف الله اهـ شيخنا.

قوله: (أي الغاوي) اسم فاعل من غوى يغوي كرمى يرمي، والغاوي هو الإنسان، وقوله: والمغوي اسم فاعل من أغواه يغويه وهو الشيطان فالشيطان مغو والإنسان غاو اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء بالرفع) أي: شاذاً اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال.

قوله: ﴿وذلك﴾ أي: العذاب المخلد جزاء الظالمين اهـ خطيب.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا الخ﴾ لما انقضى في هذه السورة وصف المنافقين واليهود، وعظ الله المؤمنين، لأن الموعظة بعد المصيبة أوقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب اهـ من النهر.

قوله: ﴿ما قدمت لغد﴾ أي: ما تريد تقديمه، ومعنى تنظر تبحث وتفتش وتحصل كأنه قيل: ولتبحث النفس عما تقدمه لغد أي ليوم القيامة فتفعله وتحصله اهـ.

قوله: (ليوم القيامة) إطلاق الغد المتبادر منه أنه عبارة عن يوم بينك وبينه ليلة، ويطلق أيضاً على مطلق الزمان المستقبل، وإنما أطلق اسم الغد على يوم القيامة تقريباً له كقوله: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ [النحل: ٧٧] فكأنه لقربه شبه بما ليس بينك وبينه إلا ليلة واحدة، أو لأن الدنيا أي: زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما بأحكام وأحوال متشابهة وتعقيب الثاني للأول، فلفظ الغد حينئذ استعارة، وفائدة تنكير النفس ببيان الأنفس الناظرة في معادها قليلة جداً، كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة في ذلك وأين تلك النفس، وفائدة تنكير الغد تعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل: لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفي النفس للتقليل أو للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب اهـ كرخي.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل، فإن ما قدمت لغد عبارة عن أعمال الخير، والثاني في ترك المحارم لاقترابه بقوله: إن الله خبير بما تعملون، ورجح هذا الوجه بفضل التأسيس على التأكيد وأنت خبير بأن التقوى تشمل كليهما فإنها على ما مرَّ في أول البقرة هي التجنب على كل ما يؤول إلى إثم من فعل أو ترك، ولا وجه للتوزيع بل المقام مقام الاهتمام بأمر التقوى، فالتأكيد أولى وأقوى اهـ كرخي.

أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيراً ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٩﴾ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٢٠﴾ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييزاً كالإنسان

قوله: (تركوا طاعته) أشار به إلى أن النسيان كما يكون بمعنى عدم الحفظ والذكر يكون بمعنى الترك ومنه الآية اهـ كرخي.

قوله: (أن يقدموا لها خيراً) أشار به إلى تقدير مضاف أي: فأنساهم تقديم خير لأنفسهم أي: جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يتيقظوا إلى ما يخلصها اهـ كرخي.

وعلى هذا التفسير يكون قوله: فأنساهم أنفسهم مكرراً مع قوله نسوا الله لرجوعهما إلى معنى واحد وهو ترك الطاعات، فالأولى ما قاله غيره مما يفيد المغايرة، وعبارة القرطبي: وقيل نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم قاله سفيان، وقيل: نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم أن يذكر بعضهم بعضاً حكاه ابن عيسى، وقال سهل بن عبد الله: نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة، ونسب تعالى الفعل إلى نفسه في أنساهم إيذاناً بأن ذلك بسبب أمره ونهيه، كقوله: أحمدت الرجل إذا وجدته محموداً، وقيل: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدة أولئك هم الفاسقون اهـ.

وأصل نسوا نسيوا نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها بعد سلب حركته ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو، ويقال: نسي ينسى كرضي يرضى اهـ.

قوله: ﴿لا يستوي أصحاب النار﴾ أي: الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود في النار، وأصحاب الجنة أي: الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة وقوله: أصحاب الجنة الخ استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اهـ أبو السعود.

فهذا كالتذييل لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ الخ وذلك أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى التي هي قصارى كرامة الله، كما قال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] وبالنظر والتيقظ للعاقبة والأخذ في العمل، ثم نهاهم أن يكونوا من الغافلين الذين نسوا الله وتركوا الحذر فأهملوا العمل فأنساهم أنفسهم حتى رأوا في العاقبة من الأهوال ما نسوا فيها أنفسهم ذيل الكلام بقوله: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة مزيداً للترغيب فيما يزلفهم إلى الله ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من أصحابها، ومن ثم دق ولطف، واستدلال أصحابنا بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وحسن كلام القاضي حيث قال: لا يستوي الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوا نفوسهم أي: استعملوها في المهنة والشهوات فاستحقوا النار اهـ كرخي.

قوله: (وجعل فيه تمييز كالإنسان) أي: لو جعلنا في الجبل على قساوته تمييزاً كما في الإنسان ثم أنزلنا عليه القرآن لتشقق خشية من الله وخوفاً أن لا يؤدي حقه في تعظيم القرآن، والمقصود تنبيه الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن وإعراضه عند تدبر زواجره اهـ كرخي.

وعبارة الخطيب: المعنى أنا لو أنزلنا هذا القرآن على الجبل لخشع وتصدع لوعده، وأنتم أيها

﴿لَرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيؤمنون ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ من هيمن

المعترفون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده. والغرض من هذا الكلام التنبيه على قساوة القلب لهؤلاء الكفار وغلظ طباعهم، ونظيره: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة: ٧٤] وقيل: الخطاب للنبي ﷺ أي: لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لم تثبت له الجبال، وقيل: إنه خطاب للأمة والله تعالى لو انذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله تعالى، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً فهو يقوم بحقه إن أطاع ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب اهـ

وفي القرطبي: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً حث على تأمل مواعظ القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة أي: متشققة من خشية الله، والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق، وقيل: خاشعاً لله بما كلفه من طاعته متصدعاً من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه، وقيل: هو على وجه المثل للكفار اهـ.

قوله: (المذكورة) أي: في هذه السورة أو سائر القرآن، ومنها قوله: ﴿لو أنزلناهذا القرآن على جبل﴾ الخ.

قوله: ﴿هو الله الذي﴾ الخ لما وصف القرآن بالعظم، ومعلوم أن عظم الصفحة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال: هو أي الذي وجوده من ذاته عدم فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف بهو غيره لأنه الموجود دائماً أزلاً وأبداً، فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس، فلذلك تصدع الجبل من خشيته، ولما عبّر عنه بأخص اسمائه أخبر اسمائه أخبر عنه لطفاً بنا وتنزلاً لنا بأشهرها الذي هو مسمى الأسماء كلها بقوله: الله أي المعبود الذي لا تنبغي العباد والألوهية إلا له فإنه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء اهـ خطيب.

قوله: (السر والعلانية) أو المعدوم والموجود، فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود اهـ كرخي

قوله: (ذو السلامة الخ) أشار به إلى أنه صفة ذات، وقال الخطابي: معناه الذي سلم الخلق من ظلمه فيكون صفة فعل اهـ كرخي.

وفي القرطبي: قال ابن العربي: اتفق العلماء رحمة الله عليهم على أن معنى قولنا في الله السلام

يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء، أي الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾

النسبة تقديره ذو السلامة، ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال، الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبرىء من كل نقص، الثاني: معناه السلام أي: المسلم على عباده في الجنة كما قال: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾. [يّس: ٤٥٨]الثالث: أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه. قلت: وهذا قول الخطابي وعليه والذي قبله يكون صفة فعل، وعلى أنه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات، وقيل: السلام معناه السلام لعباده اهـ

فإن قلت: على تفسير السلام بالسلامة من النقائص لا يبقى بين القدوس والسلام فرق، فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن. قلت: الفرق بينهما أن كونه قدوساً إشارة إلى براءته من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر، والسلام إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل، فإن الذي يطرأ عليه من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليماً اهـ خازن.

قوله: (المصدق رسله الخ) وقيل: المؤمن المصدق للمؤمنين ما وعدهم به من الثواب، والمصدق للكافرين ما أوعدهم به من العقاب، وقيل: المؤمن الذي يأمن أولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه، يقال: آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف، كما قال تعالى: ﴿وآمنهم من خوف﴾ [قريش: ٤] فهو مؤمن، وقال مجاهد: المؤمن الذي وجد نفسه بقوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] اهـ قرطبي.

قوله: (إذا كان رقيباً على الشيء) وقيل: هو القائم على خلقه برزقه، وقيل: هو المصدق، وقيل: هو القاضي، وقيل: هو بمعنى الأمين والمؤتمن، وقيل: العلي، وقيل: المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هوأعلم بتأويله اهـ خازن.

قوله: ﴿الجبار﴾ قال ابن عباس: جبروت الله عظمته، فعلى هذا هو صفة ذات، وقيل؛ هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير، فعلى هذا هو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير، وقيل: هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار، فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز، وقيل: الجبار فو الذي لا ينال ولا يداني، والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم، وكذلك المتكبر في صفة الناس صفة ذم لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حقه لأنه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة، فإذا أظهر الكبر كان كاذباً في فعله فكان مذموماً في حق الناس، وأما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لأن له جميع صفات العلو والعظمة، لهذا قال في آخر الآية﴿سبحان الله عما يشركون﴾ كأنه قيل: إن بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصاً في حقه، أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعز والكبرياء فإن أظهر ذلك كان ذلك ضم كمال إلى كمال قال ابن عباس: المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: هو الذي يتكبر عن كل سوء، وقيل: هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله، وقيل: هو المتكبر عن ظلم عباده، وقيل: الكبر والكبرياء الامتناع اهـ خازن.

قوله أيضاً: ﴿الجبار﴾ استدل به من يقول إن أمثلة المبالغة تأتي من المزيد على الثلاثة، فإنه من

جبر خلقه على ما أراد ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ به ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ المنشىء من العدم ﴿ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ تقدم أوّلها.

أجبره على كذا أي: قهره. قال الفراء: ولم أسمع فعالاً من أفعل إلا جبار ودراك من أدرك اهـ سمين.

وتقدم أنه يستعمل ثلاثياً أيضاً اهـ.

قوله: (جبر خلقه) أشار به إلى أنه بمعنى القاهر، وقال ابن عباس: هو العظيم من الجبروت وجبروت الله عظمته وعليه فهو صفة ذات اهـ كرخي.

قوله: (عما يليق به) أي: من صفات الحدوث والذم والكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم وفي الحديث الصحيح: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منهما قصته ثم حذفته في النار» وقال حجة الإسلام الغزالي: المتكبر هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك الى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقاً وكان صاحبها متكبراً حقاً ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا الله تعالى اهـ كرخي.

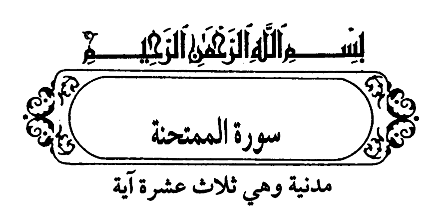
قوله: ﴿الخالق﴾ أي: المقدر لما يوجد فيرجع إلى صفة الإرادة وتعلقها التنجيزي القديم، وقوله: المنشىء أي: المبدع للإعيان والمبرز لها من العدم إلى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث، لكن في خصوص الأعيان وقوله: المصور معناه مصور الأمور ومركبها على هيئات مختلفة، فالتصوير آخراً والتقدير أولاً والبرء بينهما اهـ كرخي.

وفي المختار: وبرأ الله الخلق من الباب قطع أي: خلقها، وفي المصباح: وأصل الخلق التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته له اهـ.

قوله: (مؤنث الأحسن) أي: الذي هو أفعل تفضيل أي: مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء، في القاموس: ولا تقل رجل أحسن في مقابلة امرأة حسناء وعكسه غلام أمر، ولا يقال جارية مرداء، وإنما يقال هو الأحسن على إرادة أفعل التفضيل وجمعه أحاسن والحسنى بالضم ضد السوأى اهـ.

وفي البحر في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] ما نصه: قال الزمخشري: ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك اهـ.

فالحسنى هنا تأنيث الأحسن ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة كقوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨] وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الأخر كقوله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨] وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الأخر كقوله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤ و ١٨٥] لأن جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وإن كان المفرد مذكراً اهـ.



مدنية وهي ثلاث عشرة آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيْهِم﴾

بِسْمِ اللهِ الرحْمَنِ الرَّحِيمِ

بكسر الحاء أي: المختبرة أضيف الفعل إليها مجازاً، كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت عن عيون المنافقين، وعلى هذا فالإضافة بيانية أي: السورة الممتحنة ومن قال في هذه السورة الممتحنة بفتح الحاء فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت في شأنها وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قال الله تعالى: ﴿فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية، وهي امرأة عبد الرحمن ابن عوف والدة إبراهيم بن عبد الرحمن اهـ قرطبي.

وفي زاده: الممتحنة بكسر الحاء المختبرة أضيفت السورةُ إلى الجماعة الممتحنة من حيث إنه ذكر فيها أمر جماعة المؤمنين بالامتحان، وعلى هذا فليست الإضافة بيانية، وإن فتحت الحاء يكون المعنى سورة المرأة المهاجر التي نزلت فيها آية الامتحان اهـ.

قوله: (مدنية) بالإجماع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿عدوي وعدمكم أولياء﴾ هذان مفعولان لتتخذوا، والعدو لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوقه، وأضاف العدو إلى نفسه تعالى تغليظاً في جرمهم اهـ سمين.

قوله: (أي كفار مكة) تفسير للعدو. قوله: ﴿تلقون إليهم﴾ مفعول محذوف فسَّره بقوله: قصد النبي غزوهم، والباء في قوله: بالمودة سببية اهـ.

وقيل: زائدة في المفعول ولا حذف اهـ سمين.

ومعنى المودة نصيحتهم بإرسال الكتاب إليهم اهـ قرطبي.

وفي جملة تلقون أربعة أوجه، أحدها: أنها تفسير لموالاتهم إياهم. الثاني: أنها استئناف وإخبار بذلك فلا يكون لها على هذين الوجهين محل من الإعراب. الثالث: أنها حال من فاعل تتخذوا أي: لا تتخذوهم أولياء حال كونكم ملقين المودة. الرابع: أنها صفة لأولياء اهـ سمين.

قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسره إليكم وورّى بحنين ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم، كتب حاطب بن

قوله: (وورّى بحنين) أي: بغزوة حنين أي: أظهر لعامة الناس أنه يريد غزوة حنين على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يوري بغيرها، كأن يسأل عن طريق الغير وعن كونه عنده ماء أو لا ستراً عن المنافقين، لئلا يرسلوا إلى المطلوب غزوهم فيتنبهوا ويتيقظوا فيفوت تدبير الحرب اهـ شيخنا.

وفي المختار: وورى الخبر تورية سترة وأظهر غيره، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر اهـ.

ويقع في بعض النسخ ، وورى بخيبر وهو تصحيف من النساخ فإن غزوة خيبر كانت في المحرم من السنة السابعة، وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة، وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح، فورى بها على عادته في غزواته فتجهز من غير إعلام أحد بذلك اهـ كرخي.

قوله: (كتاب حاطب بن أبي بلتعة الخ) وكان حاطب ممن هاجر مع النبي ﷺ وهذا بيان لسبب نزول قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآيتين إلى قوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ وفي القرطبي: روى الأئمة واللفظ لمسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً فإن ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا نهادى خيلنا أي: نسرعها، فإذا نحن بامرأة فقلنا اخرجي الكتاب، فقالت. ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتقلن الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فقال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت أمرأ ملصقاً في قريش، قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أن الله ينزل بها بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً وأن الله ناصرك عليهم، فقال النبي ﷺ صدق فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: ﴿اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم﴾ فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ قيل: اسم المرأة سارة من موالي قريش، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم ولأنجز له موعده فيكم، فإن الله وليه وناصره ذكره بعض المفسرين، وذكر القشيري، والثعلبي: أن حاطب بن أبي بلتعة كان رجلاً من أهل اليمن، وكان في مكة حليف بني أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام، وقيل: كان حليفاً للزبير بن العوام، فقدمت من مكة سارة مولاة أبي عمر ابن صيفي بن هشام بن عبد مناف إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة وقيل: كان هذا في زمن الحديبية فقال رسول الله ﷺ: أمهاجرة جئت يا سارة؟ فقالت: لا: فقال: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي والأصل والعشيرة، وقد ذهب بعض الموالي يعني قتلوا يوم بدر، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام: فأين

أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاستردَّه لنبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك، وقبل عذر حاطب فيه ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ أي لأجل أن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا﴾ للجهاد ﴿فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله،

أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها، فخرجت إلى مكة وأتاها حاطب فقال: أعطيك عشرة دنانير وبرداً على أن تبلغي هذا الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم. فخرجت سارة سائرة إلى مكة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ فبعث علياً والزبير وأبا مرثد الغنوي، وفي رواية علياً والزبير والمقداد، وفي رواية أرسل علياً وعماراً وعمر والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرساناً، وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها. فأدركوا في ذلك المكان، فقالوا: أين الكتاب؟ فحلفت ما معها كتاب ففتشوا أمتعتها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذب رسول الله وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، وفي رواية من حجزتها، فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فقال: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم وذكر الحديث بنحو ما تقدم، وروي أن النبي ﷺ أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي إحداهم اهـ قرطبي.

وروي أن سارة عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها اهـ خازن.

قوله: (فاسترده النبي) أي: طلب ودّه بأن أرسل علياً ومن معه لرده، وقوله: ممن من واقعة على امرأة والضمير المستتر في أرسل يعود على حاطب، والبارز على الكتاب والضمير في معه يعود على من الواقعة على المرأة، والمعنى فاسترده النبي من المرأة التي أرسله معها حاطب فصلة من جرت على غير من هي له، فكان عليه أن يبرز الضمير فيقول ممن أرسله هو معها، وقوله: بإعلام الله له متعلق باسترده أي: استرده بسبب إعلام الله بذلك أي: الكتاب، وقوله: وقبل عذر حاطب فيه أي في الكتاب قوله: ﴿يخرجون الرسول﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون تفسيراً لكفرهم فلا محل لها على هذين، وأن يكون حالاً من فاعل كفروا، وقوله: وإياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفاً له، وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير من القدرة على اتصاله إذ كان يجوز أن يقال يخرجونكم والرسول فيجوز يخرجونكم والرسول في غير القرآن وهو ضعيف اهـ سمين.

قوله: (لأجل أن آمنتم الخ) أشار به إلى أن تؤمنوا في محل نصب مفعول له أي: يخرجوكم لإيمانكم بالله الخ اهـ كرخي.

قوله: (إن كنتم خرجتم) أي: من مكة. قوله: (للجهاد) أشار به إلى النصب على المفعول له، ويجوز أن يكون النصب على الحال أي: حال كونكم مجاهدين، وكذا ابتغاء أي: مبتغين اهـ كرخي.

أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي إسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١﴾ أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾

قوله: (وجواب الشرط دل عليه الخ) عبارة السمين: قوله: إن كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم لا تتخذوا أو هو لا تتخذوا عند الكوفيين ومن تابعهم وقد تقدم تحريره، وقال الزمخشري: إن كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي، وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه يريدون أنه متعلق به من حيث المعنى، وأما من حيث الإعراب فكما قاله جمهور النحويين.

قوله: ﴿تسرون إليهم﴾ بدل من تلقون إليهم بدل بعض، لأن إلقاء المودة أعم من السر والجهر أو هو استئناف ومفعول تسرون على قياس ما تقدم، كما أشار له بقوله: أي: اسرار خبر النبي، والباء في قوله المودة سببية أو زائدة في المفعول كما تقدم، وقوله: وأنا أعلم جملة حالية من فاعل تلقون وتسرون، واعلم أفعل تفضيل أي: من كل أحد، ويصح أن يكون فعلاً مضارعاً وعدي بالباء لأنك علمت بكذا وقوله: بما أخفيتم أي: في صدوركم، وما أعلنتم أي: بألسنتكم اهـ شيخنا.

قوله: (طريق الهدى) إشارة إلى أن ضل متعد وسواء السبيل مفعوله، ويجوز أن يجعل قاصراً وينصب سواء السبيل على الظرفية اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن يثقفوكم﴾ في المصباح: ثقف الشيء ثقفاً من باب تعب أخذته، وثقفت الرجل في الحرب أدركته وثقفته ظفرت به، وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف اهـ.

قوله: ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أي: يظهروا العداوة لكم. قوله: ﴿وودّوا لو تكفرون﴾ معطوف على جملة الشرط والجزاء، ويكون تعالى قد أخبر بخبرين بما تضمنته الجملة الشرطية وبودادتهم كفر المؤمنين، وجعل الشيخ هذا راجحاً على غيره من الاحتمالات اهـ سمين.

قوله: ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ الخ لما اعتذر حاطب بأن له أولاداً وأرحاماً فيما بينهم بيَّن الله عز وجل أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئاً يوم القيامة اهـ قرطبي.

وفي الخطيب: لما كانت عداوتهم معروفة وإنما غطاها محبة القرابات، لأن الحب للشيء يعمي ويصم خطأ تعالى رأيهم في موالاتهم بما أعلمهم به من حالهم، فقال مستأنفاً إعلاماً بأنها خطأ على كل حال لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم أي: لا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم، فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم اهـ.

قوله: (قراباتكم) القرابة تكون مصدراً واسماً بمعنى القريب، وهو محتمل لهما هنا بأن يراد بالارحام ظاهرها أو يقدر ذوو أرحامكم بدليل عطف الأولاد عليه، أو مجازاً كرجل عدل اهـ شهاب.

المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي به قولاً وفعلاً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟﴾ جمع بريء كظريف

قوله: (من العذاب) متعلق بالمنفى في قوله: لن تنفعكم، وقوله: يوم القيامة الخ استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: يوم القيامة يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بما قبله أي: لن تنفعكم يوم القيامة فيوقف عليه ويبتدأ بيفصل بينكم. والثاني: أن يتعلق بما بعده أي: يفصل بينكم يوم القيا فيوقف على أولادكم ويبتدأ يوم القيامة اهـ.

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: مع التخفيف والتشديد، وقوله أي: مع التخفيف والتشديد أيضاً فالقراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

وفي السمين: والقراء في يفصل بينكم على أربع مراتب، الأولى: لابن عامر بضم الياء وفتح الفاء والصاد مثقلة. الثانية: كذلك إلا أنه بكسر الصاد للأخوين. الثالثة: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة لعاصم. الرابعة: بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة للباقين وهم نافع وابن كثير وأبو عمر وهذا في السبعة، فمن بناه للمفعول فالقائم مقام الفاعل إما ضمير المصدر أي: يفصل الفصل أو الظرف وبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله: لقد تقطع بينكم في أحد الأوجه أو الظرف وهو باق على نصبه كقولك: جلس عندك اهـ.

قوله: (وبينهم) الأرحام والأولاد. قوله: (فتكونوا في الجنة الخ) أي: فلا ينبغي منكم موادة لكفار لأجلهم إذ لا التئام بينكم وبينهم ولا اجتماع في الآخرة فلا تقعوا في المحذور لأجلهم اهـ خطيب.

قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ الخ لما نهى تعالى عن موالاة الكفار بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا﴾ الخ ذكر قصة إبراهيم وأن سيرته وسيرة أمته التبرؤ من الكفار، أي: فينبغي لكم يا أمة محمد أن تقتدوا بإبراهيم وأمته، فهذا توبيخ لحاطب وغيره ممن والى الكفار اهـ شيخنا.

قوله: (في الموضعين) أي: هذا وقوله الآتي: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة، والقراءتان في الموضعين سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في إبراهيم﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه متعلق بأسوة تقول لي أسوة فلان وقد منع أبو البقاء أن يتعلق بها قال: لأنها قد وصفت وهذا لا يبالي به لأنه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره. الثاني: أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل. الثالث: أنه نعت ثان لأسوة. الرابع: أنه حال من الضمير المستتر في حسنه. الخامس: أن يكون خبر كان ولكم تبيين اهـ سمين.

قوله: (قولاً وفعلاً) يشير بهذا التمييز إلى بيان جهة الاقتداء بإبراهيم اهـ شيخنا.

﴿ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أنكرناكم ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واواً ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ مستثنى من أسوة، أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار، وقوله ﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي من عذابه وثوابه ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنى من حيث

قوله: ﴿إذ قالوا﴾ أي: حين قالوا، وهذا الظرف بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه هذا أحسن الأعاريب والمذكورة هنا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: إذ قالوا فيه وجهان، أحدهما: أنه خبر كان. والثاني: متعلق بخبرها قالهما أبو البقاء، ومن جوز في كان أن تعمل في الظرف علقه بها اهـ.

ويصح أن يكون بياناً للمضاف المقدر في قوله: أي إبراهيم أي: في قول إبراهيم وفعله كم أشار له الشارح بالتمييز المذكور فكأنه قال: قد كانت لكم أسوة في قول إبراهيم لقومه إنا برآء منكم الخ اهـ.

قوله: ﴿إذ قالوا لقومهم﴾ الخ أي: مع أنهم كانوا أقل منكم وأضعف، وقوله: لقومه أي: الكفار وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى ولهم فيهم أرحام وقرابات اهـ خطيب.

ومع ذلك لم يبالوا بهم بل تبرؤوا منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله﴾ أي: لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم اهـ شهاب.

قوله: ﴿إنا برآء منكم﴾ أي: من دينكم. قوله: ﴿وبدا﴾ أي: ظهر بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة في الأفعال بأن يعدو كل على الآخر، وقوله: والبغضاء وهي المباينة بالقلوب للبغض العظيم، ولما كان ذلك قذ يكون سريع الزوال قالوا أبداً أي على الدوام اهـ خطيب.

قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) سبعيتان. قوله: (مستثنى من أسوة الخ) عبارة السمين: قوله: إلا قول إبراهيم فيه وجهان، أحدهما: أنه استثناء متصل من قوله في إبراهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره في مقالات إبراهيم إلاَّ قوله كيت وكيت. الثاني: أنه مستثنى من أسوة حسنة وجاز ذلك لأن القول أيضاً من جملة الأسوة، لأن الأسوة الاقتداء بالشخص في أقواله وأفعاله فكأنه قيل: لكم فيه أسوة في جميع أحواله من قول وفعل إلا قوله كذا وهذا عندي واضح غير محوج إلى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو أصله إلى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره اهـ.

قوله: (أي فليس لكم التأسي به الخ) أي: لأنه إنما استغفر له لأنه ظن أنه أسلم، فلما بان أنه لم يسلم تبرأ منه وأنتم لم تظنوا إسلام الكفار الذين واليتموهم اهـ خطيب.

قوله: (كناية) أي: فهو لفظ استعمل في غير معناه الوضعي، وقد بيَّن المعنى الكنائي المراد الآن بقوله عن أنه لا يمكن له غير الاستغفار، وقوله: فهو مبني عليه أي معطوف عليه، وقوله: من حيث

المراد منه، وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه، قل فمن يملك لكم من الله شيئاً واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في براءة ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ من قول الخليل ومن معه، أي قالوا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لا تظهرهم

المراد منه وهو المعنى الكنائي الذي علمته، وقوله: وإن كان من حيث ظاهره وهو المعنى الوضعي الظاهر من اللفظ وهو أنه لا يملك له ثواباً ولا عقاباً، وهذا الكلام من الشارح تقرير لجواب سؤال صورته: أن قوله: وما أملك لك من الله من شيء ثابت لإبراهيم ولغيره فيتأسى به فيه وعطفه على المستثنى يقتضي أنه لا يتأسى به فيه وأنه لا يجوز لغيره. وحاصل الجواب: أنه لم يرد به ظاهره الذي هو مناط الإيراد، بل أريد به معنى آخر خاص بإبراهيم لا يتأسى به فيه وهو أنه يملك الاستغفار دون غيره وملكه الاستغفار لأبيه أي: قدرته عليه شرعاً وجوازه له لا يتأسى به فيه، وهذا التقرير لم يسلكه غير الشارح وهو أحسن مما سلكه غيره، وقوله: قل فمن يملك الخ استدلال على قوله: يتأسى به فيه فكأنه قال بدليل قوله الخ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وإيضاحه أن الاستثناء مجموع الكلام لكن بعضه مقصود وبالذات والبعض الآخر تابع له، فيكون وما أملك من الله من شيء حالاً وتتميماً لقوله لأستغفرن لك أي: وما عليه إلا بذل الوسع في الاستغفار ومن ثم جيء بها قسيمة اهـ.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أي: أستغفر لك وليس في طاقتي إلا الاستغفار، فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر إلى الله تعالى اهـ.

وفي زاده: وقوله: فهو مبني عليه أي: مرتب عليه بطريق العطف أو بطريق الحالية، كأنه قال: لأستغفرن لك والحال أنه ليس في وسعي وطاقتي إلا الاستغفار، فحكى الله عنه هذا الموضوع اهـ.

قوله: (واستغفاره له الخ) بيان لعذر إبراهيم في استغفاره لأبيه الموعود به هنا بقوله: لأستغفرن لك. والمذكور صريحاً في سورة الشعراء بقوله: ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ [الشعراء: ٨٦] والموعود به في سورة مريم بقوله: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ [مريم: ٤٧] وبيّن في سورة براءة عذره في الوعد بالاستغفار وترتيب الاستغفار على الوعد بقوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ [مريم: ٤٧] الآية. وحاصل العذر أنه ظن إسلامه وقد تبين خلافه اهـ شيخنا.

قوله: (من مقول الخليل ومن معه) أي: فهو من جملة المستثنى منه فيتأسى به فيه، فهو في المعنى مقدم على الاستثناء وجملة الاستثناء اعتراضية في خلال المستثنى منه، وقوله: قالوا أي فهو معمول للقول السابق أي: قالوا إنا برآء منكم الخ، وقالوا: ربنا عليك توكلنا الخ، وهذا أحد احتمالين في البيضاوي ونصه: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير متصل بما قبل الاستثناء، أو هو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوا تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار اهـ.

علينا، فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا، أي تذهب عقولهم بنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥﴾ في ملكك وصنعك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال من كم بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ أي يخافهما أو يظن الثواب

وقوله: أو هو أمر من الله الخ يجوز أن لا يكون من جملة مقالة إبراهيم، بل يكون أمراً من الله للمؤمنين بإضمار قولوا أي: اظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم كثرة عددهم وعددهم، وقوله: ربنا عليك توكلنا الخ أي: قولوا عليك اعتمدنا وإليك رجعنا بالاعتراف من ذنوبنا وإليك المرجع في الآخرة اهـ زاده.

وقوله: ربنا لا تجعلنا فتنة الخ الظاهر أنه دعاء متعدد لا ارتباط لكل بسابقه كالجمل المعدودة وليس هو وما بعده بدلاً مما قبله كما قيل لعدم اتحاد المعنيين لا كلاًّ ولا جزءاً ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء اهـ شهاب.

قوله: (أي لا تظهرهم علينا) أي: لا تنصرهم، وهذا المعنى هو المراد من اللفظ، وقوله: فيفتنوا بنا إشارة إلى المعنى الظاهر من اللفظ إذ ظاهره لا تجعلنا فاتنين لهم، وهذا المعنى لا تصح إرادته إذ المسلم لا يفتن الكافر حتى يتمنى نفي هذا المعنى، فالكلام كناية لأنه أريد لازم معناه، وقوله: أي تذهب عقولهم تفسير لقوله: فيفتنوا بنا ومعنى ذهابها ميلها عن الحق وخطؤها اهـ شيخنا.

ومحصله أن فتنة بمعنى اسم الفاعل أي: لا تجعلنا فاتنين لهم أي: سبباً لافتتانهم ومزيد كفرهم. وفي البيضاوي: أنه بمعنى المفعول أي: لا تجعلنا مفتونين بهم، ونصه: بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله اهـ.

قوله: (في ملكك وصنعك) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿لقد كان لكم﴾ الخ هذه الجملة تأكيد لقوله سابقاً قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة في التحريض على الحكم، واللام موطئة لقسم مقدر، وقوله: فيهم أي: في إبراهيم، ومن آمن به أي: بهم في التبري من الكفار اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدره بالقسم اهـ.

قوله: (بدل اشتمال) تبع فيه الكواشي وعبارة أبي حيان وغيره: بدل بعض من كل لأن من اسم موصول يطلق على الذوات المتصفة بالرجاء من المخاطبين، ولا شك أن ذلك لبعض المخاطبين لكنه لا بد من ضمير في بدل البعض وتقديره لمن كان يرجو الله واليوم الآخر منكم، والذي هو منهم بعضهم، وقد شرط في بدل الاشتمال أن لا يكون بعضاً فإنهم جعلوا ضابط الاشتمال أن يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الجزئية والكلية، فحصل من ذلك التأكيد والتقريع مع الشمول والعموم اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: بدل اشتمال من حيث ملاحظة صلة الموصول، أما من حيث ملاحظة نفسه

والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ لأهل طاعته ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من كفار مكة طاعة لله تعالى ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ ۝٧﴾ بهم ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن

فهو بدل بعض كما قال بعضهم، وفائدة هذا البدل الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان كما ينبىء عنه قوله: ومن يتول الخ فإنه مما يتوعد بأمثاله الكفرة اهـ.

قوله: ﴿ومن يتول﴾ أي: عن التأسي بإبراهيم وأمته، وقول الشارح: بأن يوالي الكفار تفسير باللازم وجواب الشرط محذوف والمذكر تعليل له أي: فإن وبال توليه على نفسه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم﴾ الخ لما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة، وعلم الله شدة ذلك على المؤمنين فوعد المسلمين بإسلام أقاربهم الكفار فيوالوهم موالاة جائزة وذلك من رحمة بالمؤمنين ورأفته بهم، فقال: عسى الله الخ اهـ من الخازن.

قوله: ﴿منهم﴾ حال من الذين أي الحال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار، وقوله: طاعة لله تعليل لقوله عاديتم أي عاديتموهم لأجل طاعة الله الخ اهـ.

قوله: (على ذلك) أي: الجعل المذكور، وقوله: قد فعله الخ أي: بأن أسلم كثير منهم فصاروا للمؤمنين أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم اهـ خازن.

قوله: ﴿والله غفور﴾ (لهم) أي: للذين عاديتموهم اهـ خازن.

والمراد أنه يغفر لهم ما سلف منهم في الكفر قبل أن يسلموا، فهذا كقوله: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من الميل للرحم اهـ.

قوله: ﴿لا ينهاكم الله﴾ الخ هذا ترخيص من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فهو في المعنى تخصيص لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي﴾ [الممتحنة: ١] الخ وقوله: وهذا الأمر بجهادهم أي: كان هذا الحكم وهو جواز موالاة الكفار الذين لم يقاتلوا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥] اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قيل: كان هذا الحكم لعلة وهي للصلح، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وهي مخصوصة بحلفاء النبي ﷺ ومن بينهم وبينه عهد لهم لم ينقض قاله الحسن، وقال الكلبي: هم خزاعة وبنو الحرث بن عبد مناف، وقال مجاهد: هي مخصوصة بالذين آمنوا ولم

﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من الذين ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ﴾ تفضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط أي بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ العادلين ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من الذين، أي تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ بألسنتهن ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من الكفار بعد

يهاجروا، وقيل: يعني به النساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتل فأذن الله في برهم حكاه بعض المفسرين، وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي ﷺ: هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة؟ قال: نعم خرّجه البخاري ومسلم اهـ.

قوله: ﴿في الدين﴾ أي: دينكم أي لأجله. قوله: (بدل اشتمال) فالمعنى لا ينهاكم الله عن أن تبروهم أي: تحسنوا إليهم اهـ شيخنا.

قوله: (تفضوا) إنما فسر بذلك ليصح تعدية تقسطوا بإلى: فضمن تقسطوا معنى تفضوا فعدي تعديته اهـ شيخنا.

قوله: (أي بالعدل) فيه أن العدل واجب فيمن قاتل ومن لم يقاتل قاله ابن العربي، فالأولى تفسيره بأن يقال أي: تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة اهـ خطيب.

وفي القرطبي: أي: لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً فأمروا ببرهم والوفاء بعهدهم إلى أجلهم حكاه الفراء، وتقسطوا إليهم أي: تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي اهـ.

قوله: ﴿وأخرجوكم﴾ أي: بأنفسهم وهم عتاة أهل مكة، وقوله: ظاهروا على إخراجكم وهم الذين لم يباشروا الإخراج بل عاونوا عليه من أهل مكة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ لما أمر الله المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام خوفاً من موالاة الكفار، وكان التناكح من أوكد أسباب الموالاة، فبيَّن أحكام المهاجرات من النساء بقوله: يا أيها الذين آمنوا الخ. قال ابن عباس: لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على أن من أتى النبي من أهل مكة يرده إليهم وإن كان مسلماً، جاءت سبيعة بصيغة التصغير بنت الحرث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً وهو صيفي بن الراهب، وقيل: مسافر المخزومي فقال: يا محمد اردد عليَّ امرأتي فأنت شرطت ذلك وهذه طية الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا الخ اهـ خطيب.

فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر بن الخطاب اهـ بيضاوي.

قوله: (بألسنتهن) متعلق بمؤمنات أي: نطقن بالشهادتين أي: سواء مؤمنات بقلوبهن أو لا،

الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضاً لأزواجهن الكفار، ولا عشقاً لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يحلفهن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ تردوهن

وقوله: من الكفار حال من المؤمنات أي: حال كونهن من جملة الكفار أو متعلق بجاءكم، وقوله: بعد الصلح معهم متعلق بجاءكم أو بمهاجرات، وقوله: على أن من جاء منهم أي جاء مؤمناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فامتحنوهن﴾ (بالحلف) أي: التحليف أي: هل هن مسلمات حقيقة أو لا؟ وسبب الامتحان أنه كان من أرادت من الكفار إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول الله فلذلك أمر بالامتحان اهـ خطيب.

قوله: ﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ فائدة هذه الجملة بيان أنه لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج له الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن، فإن ذلك مما استأثر الله بعلمه قاله الزمخشري اهـ سمين.

قوله: (ظننتموهن من الحلف) أي: بسبب الحلف أي: فالمراد بالعلم الظن وسمي علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به، ففي الكلام استعاره تبعية اهـ كرخي.

وقوله مؤمنات أي: بقلوبهن أيضاً. قوله: ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن، وقال بعضهم: ليس من قبيل النسخ، وإنما هو من قبيل التخصيص أو تقييد المطلق لأن العقد أطلق في رد من أسلم فكان ظاهراً في عموم الرجال مع النساء، فبيَّن الله خروجهن عن عمومه ويفرق بين الرجال والنساء بأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوفت وأكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها إلى الخروج منه بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار كلمة الإيمان أو طمأنينة القلب عليه، ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته اهـ خطيب وخازن.

وفي القرطبي: اختلف العلماء هل دخل النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟ فقالت طائفة منهم: قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظاً صريحاً فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجل على ما كان، وهذا يدل على أن للنبي ﷺ أن يجتهد في الأحكام ولكن لا يقر على خطأ، وقالت طائفة: لم يشرط ردهن في العقد لفظاً وإنما أطلق العقد في رد من أسلم فكان ظاهره العموم لاشتماله عليهن مع الرجال، فبيَّن الله تعالى خروجهن من عمومه اهـ.

ثم قال: وأكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشاً أن يرد من جاء منهم مسلماً فنسخ من ذلك النساء، وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن، وقال بعض العلماء: كله منسوخ في النساء والرجال ولا يجوز أن يهادن الإمام العدو على أن يرد إليهم من جاءه منهم مسلماً لأن إقامة المسلم بأرض الشرك لا تجوز وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جائز عند مالك اهـ.

وعبارة شرح المنهج: ولو شرط في عقد الهدنة رد من جاءنا منهم أو أطلق بأن لم يشرط رد ولا عدمه لم يرد واصف إسلام بأن نطق بالشهادتين إلا إن كان في الأولى ذكراً حراً غير صبي ومجنون طلبته عشيرته إليها لأنها تذب عنه وتحميه مع قوته في نفسه أو طلبه فيها غيرها أي: غير عشيرته وقدر على

﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم﴾ أي أعطوا الكفار أزواجهن ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾ بالتشديد

قهره ولو بهرب وعليه حمل رد النبي ﷺ أبا بصير لما جاء في طلبه رجلان، فقتل أحدهما في الطريق وأفلت الآخر رواه البخاري، فلا ترد أنثى إذ لا يؤمن أن يطأها زوجها أو تزوج كافراً، وقد قال تعالى: ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ ولا خنثى احتياطاً ولا رقيق وصبي ومجنون، ولا من تطلبه عشيرته ولا غيرها أو طلبه غيرها، وعجز عن قهره لضعفهم، فإن بلغ الصبي أو أفاق المجنون ووصف الكفر ردّ وخرج بالتقييد بالأول وهو من زيادتي مسألة الإطلاق فلا يجب الرد مطلقاً، انتهت.

قوله: ﴿لا هنّ حل لهم﴾ هذا بمنزلة التعليل لقوله: فلا ترجعوهن والجملة الأولى لنفي الحل حالاً والثانية لنفيه فيما يستقبل من الزمان اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ولا هم يحلون لهن قيل: هو بأكيد للأول لتلازمهما، وقيل: أراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو الحال ما داموا مشركين وهن مؤمنات اهـ.

قوله: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ خطاب لولاة الأمور والأمر للوجوب، فيكون منسوخاً سيذكره الشارح بقوله: ثم رفع هذا الحكم أو للندب كما هو مذهب الشافعي فليس منسوخاً اهـ شيخنا.

ووجوب الإيتاء إنما هو في نساء أهل الذمة كما هو مورود الآية، فإنه وردت في شأن نساء أهل مكة الذين هادنهم ﷺ، وأما نساء الحربيين الذين لم يعقد لهم عقد فلا يجب ولا يسن رد مهورهن اتفاقاً، وفي القرطبي: وآتوهم ما أنفقوا أمر الله تعالى برد مثل ما أنفقوا إلى الأزواج، وأن المخاطب بهذا الإمام ينفقه مما بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف، وقال مقاتل: يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين فإن لم يتزوجها من المسلمين أحد فليس لزوجها الكافر شيء، وقال قتادة في رد الصداق: إنما هو في أهل العهد فأما من لا عهد بينهم وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق والأمر كما قال اهـ.

ومحل وجوب الرد أو ندبه إنما هو فيما إذا طلب المرأة زوجها الكافر، وعبارة شرح الرملي: والقول الثاني يجب على الإمام إذا طلب الزوج المرأة أن يدفع إليه ما بذله من كل الصداق أو بعضه من سهم المصالح، فإن لم يبذل شيئاً فلا شيء له، وإن لم يطلب المرأة لا يعطى شيئاً اهـ.

قوله: (أزواجهن) بدل من الكفار. قوله: (من المهور) أي: لأن المهر في نظير أصل العشرة ودوامها ولم تدم، فلا يجمع على الرجل خسارتان الزوجية والمالية، وأما الكسوة والنفقة فإنهما لما يتجدد من الزمان اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ أي: وإن كان أزواجهن الكفار لم يطلقوهن لا نفساخ العقد بالإسلام، وقوله: إذا أتيتموهن أجورهن ردّ لما يتوهم من أن ردّ المهر إلى أزواجهن الكفار مغنٍ عن تجديد مهر لهم إذا تزوجهن المسلمون، فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذي يجب على المسلم إذا تزوجهن، والمراد بإيتاء المهر التزامه وإن لم يدفع بالفعل اهـ شيخنا.

قوله: (شرطه) وهو انقضاء العدة فيما إذا كانت المسلمة مدخولاً بها والولي والشاهدان وبقية

والتخفيف ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ زوجاتكم لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات للمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾ اطلبوا ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجن من الكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه

شروط الصحة في المدخول بها وغيرها اهـ شيخنا.

قوله: (بالتشديد) أي للسين مع فتح الميم وضم التاء، وقوله: والتخفيف أي: للسين مع سكون الميم وضم التاء، والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهي هنا عقد النكاح، والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة، وقوله: زوجاتكم أي: المتأصلات في الكفر اللآتي أسلمتم عليهن، وهذا النعت المقدر هو المعطوف عليه قوله: واللاحقات الخ وقوله: لقطع إسلامكم لها أي: للعصمة. أي: فصورة المسألة أن الزوج أسلم على زوجته الكافرة أي: فهذا نهي للمؤمنين عن أن يكون بينهم وبين الزوجات المشركات الباقيات في دار الحرب علقة من علق الزوجية أصلاً حتى لا يمنع زوجها من نكاح خامسة أو نكاح أختها في العدة، ومحل قطع إسلام الزوج للنكاح إذا لم تكن المرأة كتابية، أما إذا كانت كتابية فإن نكاحها لا ينقطع لأنه يجوز للمسلم ابتدء نكاحها فدوامه أولى، وفي القرطبي: والمراد بالكوافر هنا عبدة الأوثان ممن لا يجوز للمسلم ابتداء نكاحها فهي خاصة بالكوافر من غير أهل الكتاب اهـ.

وقوله: بشرطه أي: شرط القطع وهو أن لا يجمعهما الإسلام في العدة فيما إذا كان بعد الدخول، وقوله: أو اللاحقات الخ وصورة هذه أن الزوجين مسلمان ثم أرتدت الزوجه، وقوله: لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه وهو أن لا ترجع للإسلام في العدة فيما إذا كانت مدخولاً بها، أما الردة قبل الدخول فتنجز الفرقة اهـ شيخنا.

قوله: (في صورة الارتداد) هذا ظاهر فيما إذا كانت الردة قبل الدخول، لأن الفرقة من جهتها فلا تستحق شيئاً من الصداق فيرجع عليها بجميعه، وأما إذا كانت بعد الدخول فقد استحقت المهر في مقابلة الوطء فلا يرجع الزوج بشيء منه، وقوله: ممن تزوجهن من الكفار مشكل إذ الرجوع في صورته إنما هو عليها لا على من يتزوجها، فلذلك قال العمادي والشهاب: إن قوله واسالوا ما أنفقتم منسوخ وإن لم ينبه عليه الشارح، وقد عرفت أن النسخ إنما هو بالنسبة للمدخول بها، وأما غير المدخول بها فالرجوع عليها مسلم لا نسخ فيه، فعلى دعوى النسخ تكون الآية منسوخة بالنسبة لإحدى الصورتين دون الأخرى، وخرج بصورة الارتداد صورة كفرهن الأصلي المذكورة بقوله: زوجاتكم لأن التفرقة جاءت من جهة الزوج فلا رجوع له عليها بشيء من الصداق، وهذا مسلم فيما إذا كان الإسلام بعد الدخول، أما إذا كان الإسلام قبل الدخول فإنه يرجع عليها بنصف الصداق إن كان قد دفع لها الكل، لأن الفرقة من جهته وهي تنصف المهر تأمل هذا المقام اهـ شيخنا.

فإن تقييد الشارح كغيره من المفسرين الرجوع بمسألة الارتداد مشكل، فإن الرجوع إنما هو في إحدى صورتيها دون الأخرى، وكذلك صورة ما إذا أسلم عنها فإن الرجوع في إحدى صورتيهما دون الأخرى، فالحاصل أنه في مسألة ردتها يرجع عليها بكل المهر فيما إذا كانت الردة قبل الدخول ولا

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي واحدة فأكثر

يرجع بشيء فيما إذا كانت بعده، وأنه في مسألة إسلامه عليها يرجع عليها بالنصف فيما قبل الدخول ولا يرجع بشيء فيما بعده فتأمل.

قوله: (ممن تزوجهن من الكفار) تبع في هذا الخازن ونصه: يعني إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم اهـ.

وعلى هذا تكون الآية منسوخة قطعاً إذا المقرر في الفروع أن الرجوع عليها لا على من يتزوجها من الكفار فتأمل.

قوله: ﴿وليسئلوا ما أنفقوا﴾ هذا راجع لقوله وآتوهم ما أنفقوا، فلذلك قال كما تقدم اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين: إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفاً وعدلاً بين الحالين اهـ.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: الحكم المذكور في هذه الآيات، وقوله: يحكم بينكم استئناف أو حال بتقدير الرابط، وقد جرى عليه الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾ فيه تفسيران، الأول: إبقاؤه على ظاهره. والثاني: حذف المضاف. وقد أشار إليهما بقوله أي: واحدة فأكثر، وبقوله: أو شيء من مهورهن، وفي السمين: قوله: شيء من أزواجكم يجوز أن يتعلق من أزواجكم بفاتكم أي: من جهة أزواجكم، ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج، لأن التفسير ورد أن الرجل المسلم إذا فرت زوجته إلى الكفار أمر الله المؤمنين أن يعطوه ما غرمه، وفعله النبي ﷺ مع جمع من الصحابة مذكورين في التفاسير، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لشيء ثم يجوز في شيء أن يراد به ما تقدم من المهور، ولكن على هذا لا بد من حذف مضاف أي: من مهور أزواجكم ليتطابق الموصوف وصفته، ويجوز أن يراد بشيء النساء أي: شيء من النساء أي: نوع وصنف منهن، وهو ظاهر وصفه بقوله: من أزواجكم، وقد صرح الزمخشري بذلك فإنه قال: وإن سبقكم وانفلت منه شيء من أزواجكم أي: أحد منهم إلى الكفار، وفي قراءة ابن مسعود أحد بدل شيء فهذا تصريح بأن المراد بشيء النساء الفارات اهـ.

فأوفى كلام الشارح للتنويع في تفسير الشيء والتفسير الأول لا يستغني عن الثاني، لأن مدار الغرم على فوات المهر لا على فوات ذات المرأة ذات وإن كان حاصلاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن فاتكم شيء﴾ الخ راجع لقوله: وأسألوا ما أنفقتم أي: فإذا لم يعطوكم ما أنفقتموه، فيجب على الإمام أن يعوض الزوج الذي ارتدت زوجته مهرها من الغنيمة، فقوله: فآتوا خطاب للإمام اهـ شيخنا.

روى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وأسألوا ما انفقتم﴾ وليسألوا ما أنفقوا أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور المرتدات إلى أزواجهن

منهن أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الايتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ كما كان

المسلمين، فأنزل الله وإن فاتكم شيء الخ اهـ زاده.

وفي الخازن: قال ابن عباس: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة مرتدات، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة اهـ.

قوله: (مرتدات) حال من أزواج. قوله: (فغزوتم) أي: فهو من العقوبة أي: فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم اهـ سمين.

قوله: ﴿مثل ما انفقوا﴾ أي: سواء كانت الردة قبل الدخول أو بعده، فكان الحكم أنه يجب للزوج من الغنيمة جميع المهر. قوله: (لفواته عليهم من جهة الكفار) أي: فلما فوته الكفار على الأزواج اختص العزم بالغنيمة الجائية من جهتهم فيخرج منها قبل التخميس فهو بمنزلة دين واجب على الكفار اهـ شيخنا.

قوله: (من الإيتاء للكفار) أي: إيتاء مهر من جاءت منهم مسلمة، فهذا راجع لقوله وآتوهم ما أنفقوا، وقوله: والمؤمنين أي: ومن الإيتاء للمؤمنين إيتاء مهر المرأة المرتدة لزوجها من الغنيمة، فهذا راجع لقوله: فآتوا الذين ذهبت أزواجهم وقوله: ثم ارتفع هذا الحكم أي: نسخ بشقيه فلا يجب دفع مهر من جاءت مسلمة للكفار، ولا مهر من ارتدت لزوجها سواء كانت الردة قبل الدخول أو بعده، وإنما التفصيل في رجوعه هو عليها، فإن كان قبل الدخول يرجع عليها بالجميع أو بعده لا يرجع عليها بشيء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ الخ نزلت لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه أن لا يشركن بالله شيئاً، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان منتقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد، فقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيتك أخذته على الرجال، وكان قد بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط اهـ خطيب.

وفي القرطبي: قال عبادة بن الصامت: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء ألاَّ تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا يسخر بعضكم بعضاً ولا تعصوني في معروف آمركم به اهـ.

قوله: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ الخ ظاهر هذا التركيب أن النساء طلبن المبايعة على هذه الشروط المذكورة أي: أنهن التزمنها قبل أن يبايعهن النبي، وأنه أمر بعد ذلك بمبايعتهن على ما التزمن من هذه الشروط مع أن المقرر في السير أنه ﷺ ابتدأهن بالمبايعة شارطاً عليهن هذه الشروط بعد أن

يفعل في الجاهلية من وأد البنات، أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ

بايعهن التزمنها، ويمكن أن يقال أن التقدير في الآية: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن على أن لا يشركن بالله شيئاً الخ تأمل.

قوله: ﴿يبايعنك﴾ مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والجملة في محل نصب على الحال المقدرة أي: حال كونهن طالبات للمبايعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿شيئاً﴾ شيئاً أي: من الإشراك. قوله: ﴿ولا يسرقن﴾ لما قال النبي ولا يسرقن قالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله كذا وكذا، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى فهو حلال، فضحك النبي ﷺ وعرفها، فقال لها: إنك لهند بنت عتبة. قالت: نعم واعف عما سلف عفا الله عنك، وفي رواية: أنه قال النبي ﷺ في البيعة: ولا يسرقن قالت هند: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل عليَّ حرج أن آخذ ما يكفيني وولدي؟ قال: لا إلا بالمعروف، فخشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع أو تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناقضة للبيعة المذكورة، فقال: لها النبي ﷺ: لا حرج عليك فيما أخذت بالمعروف يعني من غير استطالة إلى أكثر من الحاجة. قال ابن العربي: وهذا إنما فيما لا يخزنه في حجاب ولا يضبط عليه بقفل، فإنه إذا هتكته الزوجة وأخذت منه كانت سارقة تعصي به وتقطع يدها به. فلما قال: ولا يزنين. قالت: أو تزني الحرة؟ فلما قال: ولا يقتلن أولادهن قالت: ربيناهم صغار وقتلتموهم كباراً، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فلما قال: ولا يأتين ببهتان الخ قالت: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فلما قال: ولا يعصينك في معروف قالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة. قال ابن الجوزي: وكان جملتهن إذ ذاك أربعمائة وسبعاً وخمسين امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام اهـ من الخازن والقرطبي.

قوله: (من وأد البنات) في المصباح: وأد يئد وأداً من باب وعد دفن البنت حية فهي مؤودة اهـ.

قوله: (أي دفنهن أحياء) فكان يفعل بذحك الرجال تارة والنساء تارة أخرى. وفي الخطيب في سورة التكوير ما نصه: قال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها، وإذا ولدت غلاماً أبقته، وكان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية أي: بنت ست سنين يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيذهب بها إلى البئر ويقول لها انظري فيه ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب اهـ.

قوله: ﴿يفترينه﴾ جملة حالية وفسرها بقوله: ينسبنه إلى الزوج، وقوله: ووصف الخ أي: لأن هذا الوصف أدخل في الحيلة وترويج الكذب، وقوله: فإن الأم الخ تعليل لكون هذا الوصف وصف الولد الحقيقي، وقوله: إذا وضعته أي: وضعت الولد الحقيقي، وقوله: بين يديها ورجليها أي: لأنه

أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله، كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وجز الشعور، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فعل

سقط بين رجليها إلى جهة أمامها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يفترينه بين أيديهن﴾ ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب في يفترينه أي: يختلقنه مقدراً وجوده بين أيديهن الخ اهـ زاده.

قوله: (أي بولد) أشار به إلى أنه ليس المراد بالبهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن الزنا لتقدم ذكره، بل المراد به الولد تلتقطه المرأة فتنسبه إلى الزوج اهـ كرخي.

قوله: (ووصف) أي: بقوله: بين أيديهن وأرجلهن اهـ خطيب.

قوله: ﴿في﴾ (فعل) ﴿معروف﴾ يعني أن المراد بالمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع، وفي النهاية المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والإحسان إلى الناس وكل ما أمر به الشرع ونهى عنه اهـ شهاب.

وفي الكرخي: وقيد بالمعروف في بيعة النبي ﷺ حتى يكون تنبيهاً على أن غيره أولى بذلك وألزم يعني أنه إذا قيد معصية الرسول صلوات الله عليه بالمعروف مع جلالة قدره وعلو منزلته لأنه لا يأمر بالمعروف، فما ظنك بطاعة غيره في المعصية اهـ.

وفي القرطبي: مسألة ذكر الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام في صفة البيعة خصالاً ستاً صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر أركان الأمر وهي ستة أيضاً: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاغتسال من الجنابة: وذلك لأن النهي دائم في كل الأزمان وكل الأحوال، فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد، وقيل: لأن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لذلك اهـ.

قوله: (كترك النياحة الخ) أي: ومحادثة الرجال، وبالجملة فالمعنى ولا يعصينك في جميع ما تأمرهن اهـ كرخي.

قوله: (وخمش الوجه) في المصباح: خمشت المرأة وجهها بظفرها خمشاً من باب ضرب جرحت ظاهر البشرة، ثم أطلق الخمش على الأثر وجمع على خموش مثل فلس وفلوس اهـ.

قوله: ﴿فبايعهن﴾ جواب إذا في أول الآية أي: التزم لهن ما وعدناهن على ذلك من إعطاء الثواب في نظير ما ألزمن أنفسهن به من الطاعات اهـ خطيب.

فهو بيع لغوي والبيع في اللغة مقابلة شيء بشيء على وجه العوضية اهـ.

وفي زاده: سميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً لها بها، فإن الأمة إذا التزموا قبول ما شرط عليهم من تكاليف الشرع طمعاً في ثواب الرحمن وهرباً من عقابه وضمن عليه السلام ذلك في مقابلة وفائهم

ذلك ﷺ بالقول، ولم يصافح واحدة منهن ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي من ثوابها مع إيقانهم بها

بالعهد المذكور صار كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر. قوله: (فعل ذلك) أي: المبايعة بالقول الخ، وقيل: صافحهن بحائل لما روي أنه بايع النساء وبين يديه وأيديهن ثوب. وقالت أم عطية: لما قدم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام، فقال: أنا رسول الله إليكن لا تشركن بالله شيئاً الآية. فقلن: نعم فمدَّ يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد. وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء ثم غمس يده فيه فغمس أيديهن فيه اهـ خطيب.

وعن أسماء بنت يزيد بن السكن أنها قالت: كنت في النسوة المبايعات فقلت: يا رسول الله ابسط يدك نبايعك، فقال: «إني لا أصافح النساء ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن» رواه البخاري اهـ كرخي.

قوله: ﴿واستغفر لهن الله﴾ أي: مما سلف منهن ومما يقع منهن في المستقبل اهـ.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ لما افتتح السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيداً لعدم موالاتهم وتنفيراً للمسلمين عنها قاله أبو حيان، وهذا على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى اهـ كرخي.

قوله: ﴿غضب الله عليهم﴾ نعت لقوماً، وقوله: قد يئسوا نعت ثان أو حال. قوله: (اليهود) هذا هو سبب النزول، وذلك أن أناساً من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم، لكن أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود أنهم اليهود والنصارى أو عامة الكفار اهـ كرخي.

قوله: ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ يرد على هذا أنهم طامعون في ثواب الآخرة لأنهن يعتقدون أنهم على حق وأن تمسكهم بشريعة موسى ينفعهم فلا يكونون آيسين، ويمكن أن يقال المراد باليأس الحرمان أي: قد حرموا من ثواب الآخرة تأمل.

قوله: ﴿من الآخرة﴾ من لابتداء الغاية أي: أنهم لا يوقنون بالآخرة البتة. ومن أصحاب القبور فيه وجهان، أحدهما: أنها لابتداء الغاية أيضاً كالأولى، والمعنى أنهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فيأسهم من الآخرة كيأسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم. والثاني: أنها لبيان الجنس يعني أن الكفار هم أصحاب القبور، والمعنى أن هؤلاء يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين هم أصحاب القبور من خير الآخرة، فيكون متعلق يئس الثاني محذوفاً اهـ سمين.

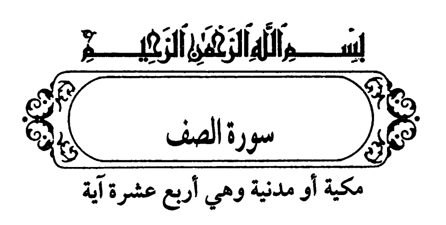
قوله: (مع إيقانهم بها) وذلك لأن اليهود وإن كانوا يؤمنون بالآخرة، إلا أنهم لما كذبوا خاتم النبيين حسداً وعناداً مع علمهم بأنه رسول صادق يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة ثواب الجنة اهـ زاده.

لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ أي المقبورين من خير الآخرة إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

قوله: ﴿من أصحاب القبور﴾ من تبعيضية، ومدخولها في محل نصب على الحال أي: كما يئس الكفار حال كونهم بعض أصحاب القبور أي: بعض المقبورين، إذ المقبورون فيهم المؤمن والكافر، وهذا الإعراب هو الذي يناسب تقدير الشارح حيث قال: الكائنون، وفسر أصحاب القبور بقوله: أي المقبورين اهـ شيخنا.

وبقي تفسيران آخران ذكرهما القرطبي ونصه: والمعنى كما يئس الكفار أي: الأحياء من الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم قاله الحسن وقتادة، وقال مجاهد: المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور أن يرجعوا إلى الدنيا اهـ.

قوله: (إذ تعرض عليهم) ظرف ليئسوا، والمراد عرضها عليهم وهم في القبور، وقوله: لو كانوا آمنوا قيد للنسبة في قوله: مقاعدهم أي: التي كانت لهم لو آمنوا قبل الموت، وقوله: وما يصيرون إليه الخ معطوف على مقاعدهم اهـ شيخنا. والله أعلم.



سورة الصف

مكية أو مدنية وهي أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بما دون من تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ في صنعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) قاله عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشري، وقوله: أو مدنية هو المختار ونسب إلى الجمهور اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما في الأرض﴾ أعاد الموصول هنا، وفي الحشر، والجمعة، والتغابن جرياً على الأصل، وأسقطه في الحديد موافقة لقوله فيها: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [الحديد: ٢ و ٥] وقوله: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض﴾ [الحديد: ٤] اهـ من المتشابه.

وفي الخطيب: فإن قلت: هلا قيل سبح لله السموات والأرض وما فيهما فيكون أكثر مبالغة؟ أجيب: بأن المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها، وبالأرض جهة السفل فيشمل الأرض وما فيها، فإن قيل: ما الحكمة في أنه قال في بعض السور سبح بلفظ الماضي، وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع، وفي بعضها سبح بلفظ الأمر؟ أجيب: بأن الحكمة في ذلك تعليم العبد بأن يسبح الله على الدوام، لأن الماضي يدل على الزمان السابق، والمضارع يدل على المستقبل، والأمر يدل على حال اهـ.

قوله: ﴿لم تقولون﴾ استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله أما في الماضي فيكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون خلفاً وكلاهما مذموم. قال الزمخشري: لم لام الجر داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام، وإنما حذفت الألف لأن ما وحرف الجر كشيء واحد ووقع استعمالها كثيراً في كلام المستفهم محذوفة الألف وجاء استعمال الأصل قليلاً اهـ خطيب.

وعبارة البيضاوي: ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها معاً، فلذا استحقت التخفيف ولاعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه اهـ.

الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ إذ انهزمتم بأحد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقْتًا﴾ تمييز ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟﴾ فاعل كبر ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ ينصر ويكرم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾

قوله: (في طلب الجهاد) قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً**﴾ وأنزل: ﴿**هل أدلكم على تجارة**﴾ الآية فأخبروا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة، فأنزل الله تعالى: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ وقيل: لما أخبر الله تعالى رسول الله ﷺ بثواب أهل بدر قالت الصحابة: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية اهـ خازن.

وفي القرطبي: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. روى الدارمي عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب النبي ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعلمناه، فأنزل الله تعالى: ﴿**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ حتى ختمها. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها. وقال الكلبي: قال المؤمنون: يا رسول الله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليها، فنزلت ﴿**هل أدلك على تجارة تنجيكم من عذاب إليم**﴾ فمكثوا زماناً يقولون لو نعلم ما هي لاشتريناها بالأموال والأنفس والأهل فدلهم الله تعالى عليها بقوله: تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية. فامتحنوا يوم أحد ففروا فنزل: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون تعييراً لهم بترك الوفاء. وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا، فلما خرج النبي وأصحابه نكصوا عنهم وتخلفوا. وقال النخعي: ثلاث آيات في كتاب الله منعتني أن أقضي على الناس: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤]﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ [هود: ٨٨]. ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ اهـ.

قوله: (إذ انهزمتم بأحد) تعليل لقوله: ما لا تفعلون اهـ شيخنا.

قوله: (تمييز) أي: نصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم: هذا مقت خالص، وقوله: فاعل كبر أي والتمييز المذكور محول عنه والأصل كبر مقت قولهم أي: المقت الناشىء والمترتب على قولهم المذكور والمقت أشد البغض، ويجوز أن يكون كبر من باب نعم وبئس فيكون فيه ضمير منهم يفسره التمييز وأن تقولوا هو المخصوص بالذم أي: بئس مقتاً قولكم اهـ كرخي.

وقيل: إن كبر من أمثلة التعجب، وقد عدَّه ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو، وإليه نحا الزمخشري، وقال: هذا من أفصح الكلام وأبلغه، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله اهـ خطيب.

وفي السمين: وهذه قاعدة مطردة وهي أن كل فعل يجوز التعجب منه يجوز أن يبنى على فعل بضم العين ويجرى مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام اهـ.

حال أي صافين ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ ملزق بعضه إلى بعض ثابت ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قالوا إنه آدر أي منتفخ الخصية، وليس كذلك، وكذبوه ﴿وَقَد﴾ للتحقيق ﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ الكافرين في علمه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لم يقل يا قوم، لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ

قوله: (حال) أي: من الواو في يقاتلون، وقوله: أي: صافين مفعول محذوف أي أنفسهم، وقوله: كأنهم بنيان حال من الضمير المستتر في صفاً بواسطة التأويل المذكور فهي حال متداخلة، وقوله: ملزق بعضه الخ أي: كأنما بني بالرصاص، وفي السمين: والمرصوص قيل المتلائم الأجزاء المستويها، وقيل: المعقود بالرصاص، وقيل: المتضام من تراص الأسنان اهـ.

وفي البيضاوي: والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه وبابه رد اهـ مصباح.

قوله: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الخ لما ذكر تعالى الجهاد المشتمل على المشاق ذكر قصتي موسى وعيسى تسلية لنبيه ﷺ ليصبر على أذى قومه مبتدئاً بقصة موسى لتقدمه في الزمان، فقال: وإذ قال موسى اهـ خطيب.

قوله: (وكذبوه) معطوف على قالوا إنه الخ. قوله: ﴿وقد﴾ [للتحقيق] أي: تحقيق علمهم أي لا للتقريب لا للتقليل، وفائدة ذكرها التأكيد والمضارع بمعنى الماضي أي: وقد علمتم، وعبَّر بالمضارع ليدل على استصحاب الحال كما قال الجملة حال أي: مقررة لجهة الإنكار، فإن العلم برسالته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ظاهر هذا التركيب أن زيغ قلوبهم وميلها عن الحق سبب لإزاغة الله قلوبهم أي: صرفها عن الهدى مع أن الأمر بالعكس، لأن قلوبهم ما زاغت إلا من أجل أن الله أزاغها وصرفها عن الهدى فهذا التعليق مشكل، ويمكن أن يقال إن زيغهم المراد منه ترك ما أمروا به من احترامه ﷺ، ويشير لهذا بقوله بإيذائه وهذا الترك سبب لصرف الله قلوبهم عن الحق وخلق الضلال فيها، وهذا الخلق موافق لما قضاه الله وقدره عليهم في الأزل من الشقاوة وعدم الاهتداء فليتأمل، فإن الإيراد أقوى من هذا الجواب. قوله: (في علمه) متعلق بالكافرين، وهذا جواب عما يقال إنه تعالى هدى كثيراً من الكافرين بأن وفقهم للإسلام ويحصل الجواب أن من أسلم منهم لم يكن كافراً في علمه تعالى أي محتوماً عليه بالكفر بحيث يموت عليه اهـ شيخنا.

قوله: (لأنه لم يكن له فيهم قرابة) عبارة الخطيب لأنه لا أب له فيهم، وإن كانت أمة منهم، فإن النسب إنما هو جهة الأب، انتهت.

وعيسى لا أب له وأمه مريم من أشرفهم نسباً اهـ شهاب.

قوله: ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ حال من الضمير المستكن في رسول الله لتأويله بمرسل وهو

﴿أَحْمَدُ﴾ قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا هَٰذَا﴾ أي المجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة ساحر، أي الجائي به ﴿مُّبِينٌ ۝٦﴾ بيِّن ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشد ظلماً ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧﴾ الكافرين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ منصوب بأن مقدرة، واللام مزيدة

العامل في الحال بهذا الاعتبار، وكذا قوله مبشراً اهـ شيخنا.

والمعنى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، وذكر أشهر الكتب الذي حكم به النبيون وأشهر الرسل الذي هو خاتم المرسلين اهـ من البيضاوي.

قوله: ﴿يأتي من بعدي﴾ الجملة نعت لرسول وكذا قوله اسمه أحمد، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة بفتح الياء، والباقون بالسكون اهـ خطيب.

قوله: ﴿اسمه أحمد﴾ يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل أي: أكثر حامدية لله تعالى من غيره أي: كونه حامداً لله، ويحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للمفعول أي: أكثر محمودية من غيره أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره، وبالاعتبار الأول قدم عيسى هذا الاسم على اسم محمد لأن كونه حامداً لله تعالى سابق على حد الخلق له لأنهم لم يحمدوه إلا بعد وجوده في الخارج وحمده لربه كان قبل حمد الناس له، وذكر بعض حواشي البيضاوي: أن له أربعة آلاف اسم، وأن نحو سبعين منها من أسمائه تعالى اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: فإن قلت: كيف خص عيسى أحمد بالذكر دون محمد مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟ فالجواب: أنه إنما خصه بالذكر لأنه في الإنجيل مسمى بهذا الاسم، ولأنه اسمه في السماء أحمد فذكر باسمه السماوي لأنه أحمد الناس لربه لأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لأمته سابق على حمدهم له اهـ.

قوله: (قال تعالى) جعل الضمير في جاءهم راجعاً لأحمد، ويحتمل رجوعه لعيسى بل هو المتبادر من السياق وهما قولان حكاهما المفسرون. قوله: (أي المجيء به) اسم مفعول من جاء، وعبارة غيره: أي المآتي به اهـ.

وأصل مجيء به مجيؤ به بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم، فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو فتعسر النطق بالياء بعد الضمة فكسرت الجيم لتسهيل الياء اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة ساحر) أي سبعية. قوله: (ووصف آياته) بالجر عطفاً على نسبة.

قوله: ﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾ جملة حالية أي يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله اهـ خازن.

قوله: ﴿ليطفئوا نور الله﴾ في هذه اللام أوجه، أحدها: أنها مزيدة في مفعول الإرادة. قال الزمخشري: أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة التوبة، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة توكيداً له فيها من معنى الإرادة، وقال ابن عطية: واللام في ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول،

﴿نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم، إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ﴾ مظهر ﴿نُورِهِ﴾ وفي قراءة بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧﴾ ذلك ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ يعليه

لأن التقدير يريدون أن يطفئوا. الثاني: أنها لام العلة والمفعول محذوف أي: يريدون إبطال القرآن أو رفع الإسلام أو هلاك الرسول ليطفئوا. الثالث: أنها بمعنى أن الناصبة وأنها ناصبة للفعل بنفسها. قال الفراء: العرب تجعل لام كي في موضع أن في أراد وأمر، وإليه ذهب الكسائي أيضاً اهـ سمين.

قوله: (شرعه وبراهينه) أي: فنور الله استعارة تصريحية والإطفاء ترشيخ، وقوله: بأفواههم فيه تورية وكذا قوله: نوره، لكن قوله متم تجريد لا ترشيخ له، وجعله في الكشاف استعارة تمثيلاً لحالهم في اجتهادهم في إبطال الحق بحال من ينفخ الشمس بفيه ليطفئها تهكماً وسخرية بهم اهـ شهاب.

وعبارة القرطبي: يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم. الإطفاء هو الإخماد يستعملان في النار ويستعملان فيما يجري مجراها من الضياء والظهور ويفترق الإطفاء والإخماد من وجه، وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل، فيقال: أطفأت السراج، ولا يقال أخمدت السراج. وفي نور الله هنا أقاويل، أحدها: أنه القرآن يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن عباس وابن زيد. الثاني: إنه الإسلام يريدون دفعه بالكلام قال السدي. الثالث: أنه محمد ﷺ يريدون هلاكه بالأراجيف قاله الضحاك. الرابع: أنه حجج الله ودلائله يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم قاله ابن بحر. الخامس: أنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجه مستحيلاً ممتنعاً كذلك من أراد إبطال الحق حكاه ابن عيسى. وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، واتصل الوحي بعدها؛ حكى جميعه الماوردي رحمه الله اهـ.

قوله: (بأقوالهم) أي: التي لا منشأ لها غير الأفواه دون الاعتقاد في القلوب اهـ خطيب.

قوله: ﴿والله متم نوره﴾ جملة حالية من فاعل يريدون أن يطفئوا وقوله: وكره الكافرون حال من هذه الحال فهما متداخلان وجواب لو محذوف أي: أتمه وأظهره، وكذلك قوله: ولو كره المشركون اهـ سمين.

قوله: (مظهر) ﴿نوره﴾ أي: بإظهاره في الآفاق فلا يرد السؤال وهو أن الإتمام لا يكون إلا عند النقصان فما معنى نقصان هذا النور؟ وإيضاح الجواب: أن إتمامه بحسب نقصان الأثر وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق إلى المغارب إذ الظهور لا يظهر بالإظهار وهو الإتمام يؤيده قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراء بالإضافة) أي: سبعية. قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ (ذلك) أي: إتمام النور، فإن قيل: قال أولاً ولو كره الكافرون، وقال ثانياً ولو كره المشركون، فما الحكمة في ذلك؟ أجيب: بأنه تعالى أرسل رسوله وهو من نعم الله تعالى، والكافرون كلهم في كفران النعم سواء، فلهذا قال: ولو كره الكافرون، لأن لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك، فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون، فلفظ الكافر أليق به، وأما قوله: ولو كره المشركون فذلك عند إنكارهم التوحيد

﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا نعم فقال ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ أنه خير

وإصرارهم عليه، لأنه ﷺ في ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا إله إلا الله فلم يقولوها، فلهذا قال: ولو كره المشركون اهـ خطيب.

قوله: ﴿بالهدى﴾ أي: بالبيان الشافي بالقرآن أو المعجزات اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾ (ذلك) أي: إظهاره.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾ الخ سبب نزول هذه الآية قولهم لرسول الله ﷺ: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به، والاستفهام إيجاب وإخبار عن المعنى، وذكر بلفظ الاستفهام تشريفاً لكونه أوقع في النفس اهـ خطيب.

وفي القرطبي: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة قال مقاتل: نزلت في عثمان بن مظعون، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ: لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبداً ولا أفطر نهاراً أبداً، فقال ﷺ: «إن من سنتي النكاح ولا رهبانية في الإسلام إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم، فمن رغب عن سنتي فليس مني» فقال عثمان: وددت يا نبي الله أن أعلم أي التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها فنزلت. وقيل: أدلكم أي: سأدلكم، والتجارة الجهاد قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة: ١١١] الآية. وهذا خطاب لجميع المؤمنين، وقيل: لأهل الكتاب اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان.

قوله: ﴿تؤمنون﴾ الخ في محل رفع خبر مبتدأ مقدر أي: هي تؤمنون الخ. أو لا محل لها من الإعراب على أنها مستأنفة في جواب سؤال، كأنه قيل: ما هي اهـ سمين.

وصنيع الشارح يشير إلى الثاني حيث قال: فكأنهم قالوا: نعم الذي هو بمنزلة أن يقولوا وما تلك التجارة اهـ.

وفي الكرخي: قوله: تؤمنون جملة مستأنفة وقعت جواباً لمن قال نعم أو كيف نعمل، فأخبرهم بقوله: تؤمنون على الإيمان، لأن الخطاب مع المؤمنون ومحلها الرفع خبر مبتدأ مضمر أي: تلك التجارة تؤمنون، والخبر نفس المبتدأ فلا رابط وتؤمنون خبر في معنى الأمر، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا» لأنه دلالة على التجارة المنجية وتعليم لها كما أشار إليه، والمعارف في التعليم هو الأمر والنهي، وفائدة العدول الإشعار بوجوب الامتثال وكأنهم امتثلوا فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين، ونظيره: قول الداعي غفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنه كانت ووجدت اهـ.

قوله: ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾ هذا بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري، وقوله: يغفر لكم الخ

لكم فافعلوه ﴿يَغْفِرْ﴾ جواب شرط مقدر، أي إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمة ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ

بمنزلة المبيع الذي يأخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بأموالكم وأنفسكم﴾ قدم الأموال على النفس لعزتها في ذلك الوقت، أو لأنها قوام النفس، أو لأنها التي يبدأ بها في الإنفاق اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي المذكور من الإيمان والجهاد، وقوله: خير لكم أي: من كل شيء، وقوله: إن كنتم تعلمون أشار الشارح إلى أن الجواب مقدر، إلى أن تعلمون متعد حذف مفعوله، والضمير في أنه وفي فافعلوه يعود لذلكم وقد علمت تفسيره اهـ شخينا.

وعبارة الكرخي: قوله: أنه خير لكم فافعلوه جعله كالزمخشري من حذف المفعول للعلم به اختصاراً، وجعله القاضي منزلاً منزلة اللازم حيث قال: إن كنتم من أهل العلم، لأن الجاهل لا يعتد بفعله فلا يثاب ولا يكون فيه خير، وتفسيره أبلغ وأدل على التوبيخ لدلالته على الشك في كونهم من أهل العلم مطلقاً اهـ.

قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي: من تحت أشجارها وغرفها. روي عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى: ﴿ومساكن طيبة﴾ فقال: على الخبير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ عنها فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريراً في كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً أو وصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله» اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: المذكور من غفران الذنوب وإدخال الجنات المذكورة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (يؤتكم نعمة) ﴿أخرى﴾ أشار الشارح بتقدير هذا العامل إلى أن وأخرى مفعول بفعل مقدر، وهذا المقدر معطوف على الجوابين قبله وهو جواب ثالث، والمراد يؤتكم في الدنيا فهو إخبار عن نعمة الدنيا بعد الإخبار عن نعمة الآخرة اهـ شيخنا.

وفي السمين: ويصح أن يكون منصوباً بفعل مضمر يفسره تحبونها فيكون من الاشتغال، وحينئذ لا يكون تحبونها نعتـاً لأنه مفسر للعامل قبله اهـ.

ويصح أن يكون مبتدأ خبره نصر من الله وفتح قريب، ويصح خفضها عطفاً على تجارة اهـ كرخي.

قوله: ﴿نصر من الله﴾ خبر مبتدأ مضمر أي: تلك النعمة الأخرى نصر من الله، وقوله: قريب أي عاجل وهو فتح مكة أو فارس والروم، وقوله: وبشر المؤمنين معطوف على محذوف أي: قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم وبشر المؤمنين اهـ شيخنا.

﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ بالنصر والفتح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ لدينه وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ الخ، المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي

أو معطوف على تؤمنون فإنه في معنى الأمر كأنه قال: آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليه عاجلاً وآجلاً وهذا ما جرى عليه في الكشاف لما تقدم، لأن سياق الكلام يدل عليه ووضع المؤمنين موضع الضمير للإشعار بأن صفة الإيمان هي التي تقتضي هذه البشارة اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: سبعية، وعبارة السمين: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أنصاراً منوناً لله جاراً ومجروراً، والباقون أنصار الله غير منون مضافاً للجلالة الكريمة، والرسم يحتمل القراءتين معاً، واللام يحتمل أن تكون مزيدة في المفعول لزيادة التقوية لكون العالم فرعاً إذ الأصل أنصار الله، وأن تكون غير مزيدة، ويكون الجار والمجرور نعتاً للأنصار، والأول أظهر. وأما قراءة الإضافة ففرع الأصل المذكور ويؤيد قراءة الإضافة الإجماع عليها في قوله: نحن أنصار الله، ولم يتصور جريان الخلاف هنا لأنه مرسوم بالألف اهـ.

قوله: (كما كان الحواريون كذلك) أي: أنصار الله، وقوله: الدال نعت للكون المنسبك المجرور بالكاف أي: ككون الحواريين كذلك، وأشار بهذا إلى جواب سؤال حاصله أن الآية تقتضي أن المشبه كون المؤمنين أنصار الله، والمشبه به قول عيسى لأصحابه ما ذكر وهذا لا يستقيم، بل المشبه به هو كون الحواريين أنصار الله المأخوذ من جوابهم بقولهم نحن أنصار الله. وحاصل الجواب: أن الكلام منظور فيه إلى المعنى، فإن المعنى كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله كما قال عيسى ابن مريم فيه أوجه، أحدها: أن الكاف في موضع نصب على إضمار القول أي: قلنا لهم ذلك كما قال عيسى. الثاني: أنها نعت لمصدر محذوف تقديره كونوا كوناً قاله مكي وفيه نظر إذ لا يؤمرون بأن يكونوا كوناً. الثالث: أنه كلام محمول على معناه دون لفظه، وإليه نحا الزمخشري فإنه قال: فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى من أنصاري إلى الله؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح، والمراد كونه أنصاراً الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله، وتقدم في آل عمران تعدي أنصاري بإلى، واختلاف الناس في ذلك اهـ.

قوله: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ ظاهره أن النصرة له، وهذا لا يلائم جوابهم بقولهم: نحن أنصار الله، فجعلوا النصرة لله، وأشار الشارح إلى أن الإضافة من إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص بقوله: أي: من الأنصار الذين يكونون معي أي مصاحبين لي، وأشار إلى أن قوله إلى الله متعلق بمحذوف هو حال حيث قال متوجهاً إلى نصرة الله أي: حال كوني متوجهاً إلى نصرة الله اهـ شيخنا.

وفي السمين: قال الزمخشري، فإن قلت: ما معنى قوله من أنصاري إلى الله؟ قلت: يجب أن

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجهاً إلى نصرة الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحواريون أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحور وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ غالبين.

يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين بقولهم: نحن أنصار الله، والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً إلى نصر الله، وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله، فإن معنى أنصار الله نحن الذين ينصرون الله، ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله، ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب، والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله اهـ.

قلت: يعني أن بعضهم يدعي أن إلى بمعنى مع أي من أنصاري مع الله، وقوله: قراءة من قرأ أنصار الله أي: لو كانت بمعنى مع لما صح سقوطها في هذه القراءة، وهذا غير لازم لأن كل قراءة لها معنى يخصها إلا أن الأولى توافق القراءتين اهـ.

قوله: ﴿نحن أنصار الله﴾ من إضافة الوصف إلى مفعوله أي: نحن الذين ننصر الله أي: ننصر دينه كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: (وقيل كانوا قصارين) مقابل لقوله من الحور فهو في قوة قوله، وقيل: من التحوير وهو تبييض الثياب، فعلى هذا الحور قائم بالثياب التي يبيضونها، وعلى الأولى قائم بذواتهم. وفي المختار: والتحوير تبيض الثياب اهـ.

قوله: ﴿فآمنت طائفة﴾ مرتبط بمحذوف تقديره: فلما رفع عيسى إلى السماء أفترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فآمنت طائفة قال ابن عباس: لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق، فرقة قالت: كان الله فارتفع، وفرقة قالت: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالت: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا، وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فأيّدنا الذين آمنوا﴾ الآية اهـ.

قوله: (فاقتتلت الطائفتان) أي: وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمداً فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة، وذلك قوله تعالى: فأيدنا الخ. وروى المغيرة عن إبراهيم قال: وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأصبحوا﴾ أي: صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ظاهرين أي؛ غالبين قاهرين في أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحداً ولا يستخفون منه اهـ خطيب.

انتهى بعونه تعالى الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله سورة الجمعة

فهرس المحتويات

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف